درة التنزيل وغرة التأويل

إسلام ويب
islamweb.net

حقوق الطبع محفوظة للناشر
يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير
والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها
من الطرق إلا بإذن خطي من الناشر

الموضوع: المحكم والمتشابه
عنوان الكتاب: درة التنزيل وغرة التأويل
تأليف: أبي عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني
المعروف بالخطيب الإسكافي (ت٤٢٠هـ)
دراسة وتحقيق وتعليق: الدكتور محمد مصطفى آيدين

طبعة خاصة
بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
دولة قطر

١٤٤٦هـ-٢٠٢٥م
ISBN: 978 - 9957 - 23 - 152 - 1
هذا الكتاب وقف لله تعالى، طبع على نفقة
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
دولة قطر
وهو يوزع مجانًا ولا يجوز بيعه
turathuna@islam.gov.qa

أروقة للدراسات
رقم الهاتف: ٦ ٥١٦ ٣٥ ٦٤ (٠٠٩٦٢)
رقم الجوال: ٧٧٧ ٩٢٥ ٤٦٧ (٠٠٩٦٢)
ص. ب : ١٩١٦٣ عمّان ١١١٩٦ الأردن
البريد الإلكتروني : info@arwiqa.net
الموقع الإلكتروني : www.arwiqa.net

أوقاف AWQAF
الإدارة العامة للأوقاف
General Directorate of Endowments

إسلام ويب
islamweb.net

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
Ministry of Endowments and Islamic Affairs
State of Qatar • دولة قطر

أوقاف AWQAF
الإدارة العامة للأوقاف
General Directorate of Endowments

دُرَّةُ التَّنزِيلِ وغُرَّةُ التَّأوِيلِ

لأبي عَبْدِ اللهِ محمّد بْنِ عَبْدِ اللهِ الأصْبَهانيّ
المعْرُوفِ بالخَطِيبِ الإسْكافيّ
المتوفّى سنَةَ ٤٢٠ هجريّة

دراسةُ وتحقِيقُ وتعليقُ
الدّكتُور مُحمّد مُصطفَى آيدِين
أسْتَاذ التّفْسِيرِ وعُلُومِ القُرآن
كليّة الشّريعَة بجامعَة قَطر

الجزءُ الأوّلُ

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدَارَة الشّؤُون الإسْلَاميّة
بِتَمْوِيل الإدَارَة العَامّة للأوْقَاف
دَوْلَة قَطر

إسلام ويب
islamweb.net

بسم الله الرحمن الرحيم

إسلام ويب
islamweb.net

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
دولة قطر

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

أما بعد،

فإن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر ـ وقد وفقها الله لأن تضرب بسهم في نشر الكتب النافعة للأمة ـ لَتحمد الله سبحانه وتعالى على أن ما أصدرته قد نال الرضا والقبول من أهل العلم.

والمتابع لحركة النَّشر العلمي لا يخفى عليه جهود دولة قطر في خدمةِ العلوم الشرعية ورفدِ المكتبة الإسلامية بنفائس الكتب القديمة والمعاصرة؛ وذلك منذ ما يزيد على تسعة عقود، عندما وجَّه **الشيخ عبد الله بن قاسم آل ثاني** حاكم قطر آنذاك بطباعة كتابي «**الفروع**» و«**تصحيح الفروع**»، سنة (١٣٤٥هـ)، وكان **المؤسِّس الشيخ جاسم بن محمد آل ثاني** رحمه الله تعالى قد سنَّ تلك السُّنة من قبل.

وما الجهود التي تبذلها الوزارة إلا امتدادٌ لذلك النهج وسيرٌ على تلك المحجّة التي عُرِفَت بها دولة قطر.

ومنذ هذه الانطلاقة المباركة يسَّر الله جلَّ وعلا للوزارة إخراج مجموعة من أمَّهات كتب التراث والدراسات المعاصرة المتميِّزة في فنون مختلفة.

إسلام ويب islamweb.net

وبين أيدينا اليوم كتاب «دُرَّة التنزيل وغُرَّة التأويل»، للعلّامة محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي، المتوفَّى سنة (٤٢٠هـ)، وقد تناول فيه المؤلف الآيات المتشابهة من الناحية اللفظية، وقد اتخذ رحمه الله تعالى في عرضه للآيات المتشابهة التي يريد توجيهها منهجًا خاصًّا، حيث عقد في كل سورة بحثًا خاصًّا لكل آية يعتبرها من نوع التشابه اللفظي، ويذكر معها ما يُشبهُها من الآيات، سواء في نفس السورة أو سور أخرى، ثم يقوم بتوجيه تلك الآيات التي اجتمعت أمامه، على طريقة السؤال والجواب، والرد على ما في ذلك من شبه.

وقد حظيت هذه الطبعة بالمراجعة والتدقيق عليها، في شعبة التدقيق والمراجعة بقسم الإصدارات والمُصنَّفات الإسلامية.

والحمد لله على توفيقه، ونسأله المزيد من فضله.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إدَارَة الشّؤُون الإسْلَاميَّة

إسلام ويب
islamweb.net

المقدمة

الحمد لله الذي ﴿نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ [الزمر: ٢٣]، وهو كتابٌ أُحكمت آياتُه، وأُتقنت فصولُه، وأُبدعت جملُه، واختيرت كلماتُه، وعلا أسلوبه، واتّفقت معانيه، وائتلفت مبانيه، فلا ترى فيه عوجًا، ولا تجد فيه اختلافًا وتناقضًا، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۞ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].

والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله، النبي الأمي، الذي أرسله الله ﴿شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۞ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦]، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، وعلى من اهتدى بهديه، وسار على نهجه إلى يوم الدين.

أما بعد،

فقد كثرت العلوم، وتنوَّعت الأبحاث حول القرآن الكريم من حيث نزولُه، وجمعُه وترتيبه، ومناسباته، ومبهماته، وأسباب نزوله، وناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، وتفسيره، وما إلى ذلك من علوم تتعلق بكتاب الله، أو تتصل به.

وعلم «المتشابه اللفظي» واحد من تلك العلوم الشريفة الكريمة، وُلد في أحضان أئمة القُرّاء، ونما وربا على أيدي كبار العلماء، الذين عكفوا طوال حياتهم على إحاطة كتاب الله بعقولهم، وقلوبهم، وأسماعهم، وأبصارهم، وبذلوا في

إسلام ويب
islamweb.net

خدمته عصارة أعمارهم وأوقاتهم، حتى عدّوا كلماته، وحروفه، وذكروا الفرق بين الآيتين، أو الآيات المتشابهة لفظًا.

ونتعرّف بهذا العلم على أسلوب القرآن الكريم في تكرير بعض آياته بالكلمات المتفقة أو المختلفة، وحروفها المتشابهة، بأن تُذكَر الآية الواحدة ذات الموضوع الواحد في أكثر من موضع، مع اختلاف في جوانب التناول بين موضع وآخر، تقديمًا وتأخيرًا، أو تعريفًا وتنكيرًا، أو جمعًا وإفرادًا، أو إبدال كلمة بأخرى، أو حرفٍ بآخر، إلى غير ذلك من أنواع التشابه، وكثيرًا ما يتصل هذا الاختلاف بمناسبة السياق القرآني في عرض الآيات، وذكر الأحداث التي يشتمل عليها.

إن هذا التنويع في الأسلوب القرآني هو لون عظيم من ألوان إعجازه، ووجه بديع من وجوه بلاغته؛ ذلك لأنّ تكرير الآيات القرآنية بألفاظ متفقة أو مختلفة، ليس كما قد يظنه بعض قِصار النظر تكريرًا خاليًا عن فوائد وأسرار، وفي هذا الصدد يقول مؤلفنا أبو عبد الله الخطيب رحمه الله تعالى: «إذا أورد الحكيم ـ تقدَّست أسماؤه ـ آيةً على لفظة مخصوصة، ثم أعادها في موضع آخر من القرآن، وقد غيَّر فيها لفظة عما كانت عليه في الأولى، فلا بدَّ من حكمة هناك تُطلَب، وإن أدركتموها فقد ظفِرتم، وإن لم تدركوها فليس لأنه لا حكمة هناك، بل جهلتم»[(١)].

ومن هذا يتبيَّن خطر هذا الموضوع، وأنه يجب أن يُحاط بسِياج من التحقيق العلمي الرصين، تتكسَّر دونه أمواج الشبهات التي يسوقها الجاهلون، وترتدُّ عنه أعاصير المطاعن التي يثيرها الزائغون، وما أكثر هؤلاء وأولئك.

وكتاب الإمام الخطيب أبي عبد الله «درة التنزيل وغرة التأويل» هو أقدم المصنَّفات ـ فيما نعلم ـ التي صُنِّفت مستقلّة، مخصّصة في توجيه ما يتشابه، أو

(١) انظر من هذا الكتاب (١: ٢٢٩، ٢٣٠).

إسلام ويب islamweb.net

يتماثل، أو يتكرر من ألفاظ القرآن وآياته، عَرفه علماء هذا الشأن قديمًا وحديثًا، فأثنوا عليه، واتخذوه مثلًا يُحتذى، مع أن المعاصرين لم يروه إلا من خلال مطبوعة غير محققة، كثيرة الخطأ والخلل والسقط.

وإني أحمد الله تعالى على أن وفَّقني، بمَنِّه وكرمه، إلى تحقيق هذا الكتاب النفيس والاستفادة منه، وتقديمه إلى العلماء والقرّاء؛ إعلاءً لكلام الله، وخدمة له، ونشر كنوزه بين أبناء الأمة الإسلامية عامة، وبين المتخصصين في الدراسات القرآنية خاصة؛ إذ إن القارئ الكريم سيجد في مباحثه ـ اليوم وفي الغد إن شاء الله ـ ما يساعده للرد على الطاعنين في القرآن الكريم، بجانب ما سيعلمه من أسرار التكرار، والتشابه اللفظي في كتاب الله عز وجل.

والكتاب الذي بين أيدينا يخرج محقّقًا لأول مرة، وأنا بعد هذا الجهد شاكر لله تعالى فضلَه عليَّ، إذ وفَّقني إلى إخراجه في هذه الصورة، وسعيد بأنني عشت في رحاب القرآن أربع سنوات، وأمضيت بجواره أيامًا ولياليَ، هي من أحسن أيام العمر، وهل هنالك لحظات أسعد وأهنأ وآنس للنفس وأمتع من تلك التي يقضيها المؤمن مع كتاب ربه، يتدبر معانيه، ويستجلي أسراره، ويتلقى نفحاته، فيزيد إيمانًا على إيمان!

أسباب اختياري لتحقيق هذا الكتاب:

دفعتني إلى تحقيق هذا الكتاب أمور كثيرة، منها:

١ـ أنّ كتاب «درة التنزيل وغرة التأويل» لأبي عبد الله الخطيب يندرج تحت علم متشابه القرآن، وهو من أهم علوم القرآن التي يحتاج إليها الدارس لتفسير القرآن الكريم، وترجع أهمية هذا الكتاب إلى أهمية موضوعه، وهو إبراز المعاني الكامنة فيما تشابه وتكرَّر من الآيات القرآنية، والرد على الطاعنين في القرآن الكريم.

إسلام ويب islamweb.net

وحبًّا في خدمة كتاب الله تعالى، وذبِّ الطعن عنه، حقَّقتُ كتاب الخطيب تحقيقًا علميًّا يُعين القارئ وييسّر السبيل لمعرفة أسرار الآيات المتشابهة لفظًا في القرآن الكريم.

٢ـ القيمة العلمية للكتاب عالية القدر جدًّا، لدفع الإشكالات في الآيات القرآنية التي ظاهرها التعارض.

٣ـ ومن الأسباب التي جعلتني أختار هذا الكتاب للتحقيق رغبتي العلمية المُلِحّة في حسم أمره؛ لوجود اختلاف في تسميته، وفي نسبته إلى مؤلفه الحقيقي، والفصلُ في قضية الاختلاف في اسم الكتاب، واسم مؤلفه بالأدلة والقرائن العلمية عمل علمي ضروري، لا سيما مثل هذا الكتاب في شرف موضوعه، وجلال قدره العلمي.

٤ـ كنت أعرف قبل أن أشرع في هذا العمل أن الكتاب طُبِع في القاهرة مرتين سنة (١٣٢٦هـ)، وسنة (١٣٢٧هـ)، وأصبح نادرًا، لا يمكن أن يحصل المرء اليومَ على نسخة منه. وكنت أعرف هذا، وأعرف كذلك أن هذا الكتاب طُبِع في لبنان مرتين: الأولى سنة (١٩٧٣م)، والثانية سنة (١٩٧٩م) في دار الآفاق الجديدة ببيروت.

ويبدو أن الذي أشرف على إعادة طبعه ما كان يريد تحقيقه أو مقابلة نُسَخه من جديد، ولا كان عنده محاولة لهذا؛ لأن الأخطاء والنقص في الطبعة المصرية القديمة تكررت كما هي، وليست هذه الأخطاء التي ترددت في تلك الطبعات هيِّنة ولا يسيرة.

والشأن في كتاب طُبِع أربع مرات، أن يكون في غنًى عن أن يُقدَّم محقَّقًا، لكنه في كل هذه الطبعات لم يأخذ حظه من التحقيق، والتصحيح، والتمحيص،

إسلام ويب islamweb.net

والدراسة؛ فجاءت كلها مليئة بالخطأ والتصحيف والتحريف، والاضطراب في بعض الكلمات؛ لكونها قُرئت على غير حقيقتها، كما سنذكر لذلك أمثلة ـ إن شاء الله ـ في مطلب وصف النسخ المطبوعة.

٥ـ أنّ الكتاب المطبوع المتداول لم يُقابَل بالنسخ المخطوطة الكثيرة، فمعلوم أن تقويم النص بمقابلة النسخ يُعين على الفهم الراشد، والحكم السديد؛ ولذا لا بد من الوقوف عند كل اختلاف بين النسخ، والتزام ذكر ما كان منها على الصواب، وما يناسب السياق.

٦ـ أنّ الكتاب المطبوع خالٍ تمامًا من أيّ دراسة علمية عن الكتاب مؤلِّفًا، ومنهجًا، وتعليقًا، وفهرسة، وأبلغُ دليل على هذا أن الكتاب لم تُحسَم نسبته إلى مؤلفه، بل كان فيها اختلاف كثير، حتى وفقني الله تعالى للفصل في أمره[١].

٧ـ ومن أسباب اختياري هذا الكتاب «درة التنزيل وغرة التأويل» لأبي عبد الله الخطيب للتحقيق والدراسة، أنه كان من أهمّ مراجعي عند إعدادي رسالة الماجستير، التي كانت تحمل عنوان: «الأسماء الحسنى ومناسبتها للآيات التي خُتمت بها»[٢]، حيث إن «درة التنزيل» كان يهتمُّ بذكر مناسبة الأسماء الحسنى لمضامين الآيات التي خُتمت بها، ولقد نشأت في نفسي خلال تلك الفترة رغبة قوية لخدمة هذا الكتاب بإخراجه إخراجًا يليق بخَطَر موضوعه، وجلال مضمونه.

---

(١) انظر من هذا الكتاب (١: ٧٩).

(٢) هذا الموضوع قُسِّم بين ثلاثة من الباحثين في القرآن كله، وكان نصيبي فيه من أول سورة «المائدة» إلى آخر سورة «المؤمنون».

إسلام ويب
islamweb.net

خطة البحث :

هذا، وقد اقتضت طبيعة البحث أن أقسمه إلى قسمين رئيسين:

- قسم الدراسة.
- وقسم التحقيق.

أمّا قسم الدراسة فيتكوّن من مقدّمة وثلاثة فصول:

المقدمة: وفيها ذكر الباعث على اختياري لتحقيق هذا الكتاب، وبيَّنت فيها أهمية الموضوع، وخطة البحث.

أما الفصول فكانت كما يأتي:

الفصل الأول: عصر الإمام أبي عبد الله الخطيب وحياته: ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: عصر الإمام أبي عبد الله الخطيب: وتناولت فيه:

- الحالة السياسية.
- الحالة الاجتماعية.
- الحالة العلمية.

المبحث الثاني: حياة الإمام أبي عبد الله الخطيب: وفيه مطالب أربعة.

المطلب الأول: اسمه، نسبه، كنيته، لقبه، نسبته.

المطلب الثاني: مولده، نشأته، أسرته، طلبه للعلم، رحلاته، مذهبه، شيوخه، تلامذته.

المطلب الثالث: مكانته العلمية، وثناء العلماء عليه.

المطلب الرابع: آثاره العلمية، ووفاته.

الفصل الثاني: في التعريف بعلم متشابه القرآن، ودراسة كتاب «درة التنزيل وغرة التأويل»: ويشتمل على مبحثين:

إسلام ويب islamweb.net

المبحث الأول: التعريف بعلم متشابه القرآن: ويشتمل على مطالب سبعة:

المطلب الأول: التعريف بالمتشابه لغة واصطلاحًا.

المطلب الثاني: التعريف بالمتشابه في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: موضوع علم المتشابه اللفظي في القرآن الكريم.

المطلب الرابع: نكتة هذا العلم، وحكمته، وأهميته، وفوائده.

المطلب الخامس: نشأة علم المتشابه اللفظي في القرآن، وتطوره، وتدوينه.

المطلب السادس: التأليف في توجيه متشابه القرآن اللفظي.

المطلب السابع: الكتب المؤلفة في المتشابه اللفظي، وفي توجيهه.

المبحث الثاني: دراسة كتاب «درة التنزيل»: ويشتمل على مطالب ثمانية:

المطلب الأول: تحقيق صحة اسم الكتاب.

المطلب الثاني: تحقيق صحة نسبة الكتاب إلى المؤلف.

المطلب الثالث: موضوع الكتاب.

المطلب الرابع: سبب تأليف الكتاب.

المطلب الخامس: منهج المؤلف في الكتاب.

المطلب السادس: مصادر المؤلف في الكتاب.

المطلب السابع: قيمة الكتاب العلمية، وأثره فيمن بعده.

المطلب الثامن: المآخذ على الكتاب.

الفصل الثالث: وصف النسخ، ومنهج التحقيق: وفيه مبحثان:

المبحث الأول: وصف النسخ: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: وصف النسخ المطبوعة.

المطلب الثاني: وصف النسخ المخطوطة، مع نماذج مصورة منها.

المبحث الثاني: منهج التحقيق: وفيه تفصيل لمنهجي في تحقيق الكتاب[1].

---

(١) انظر من هذا الكتاب (١: ١٧٣).

إسلام ويب
islamweb.net

القسم الثاني: النص المحقّق

وفيه طبّقت المنهج الذي أعددته على نصوص الكتاب، وعلّقت على ما يحتاج إلى تعليق، وغير ذلك مما خدمت به نصّ الكتاب بفضل الله تعالى.

❊ ❊ ❊

هذا ما بذلته من الجهد في هذا الكتاب الجليل، وإني لأرجو الله تعالى أن أكون قد أدّيت حقّه العلمي، وخدمته بهذا التحقيق والإخراج، فإن أصبت فذلك الفضل من الله، يؤتيه من يشاء، وإن أخطأت فمني، وأستغفر الله من تقصيري، والله أسأل أن يتقبّل صالح عملي، ويجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن يدَّخر ثوابه في صحائف أعمالي ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۞ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

وفي هذا الختام أتقدم بالشكر الجزيل لأخي الدكتور إياد الغوج وفريقه في دار الفتح للدراسات والنشر بالأردن؛ إذ إنهم قاموا بعملٍ متقَنٍ في مراجعة الكتاب وتدقيقه كلمةً كلمة، وزوّدوني بملاحظاتهم القيّمة التي نظرتُ فيها بعناية، ثم أخرجوا الكتاب في حُلة رائقة، وفي هذا الثوب القَشيب، فجزاهم الله تعالى عن العلم وأهله خيرَ الجزاء. هذا وقد حَظِيت هذه الطبعة من الكتاب بإضافاتٍ وتعديلات، وإعادةٍ متقنةٍ للفهارس، ففاقت بذلك الطبعات السابقة بفارقٍ كبير ولله الحمد.

كما أرجو من القارئ الكريم أن يعذرني فيما يرى من خطأ أو زلل، فالكمال لله وحده، وأن يدعو لي بظهر الغيب دعوة صالحة بالرحمة والغفران، والحمد لله أولًا وآخرًا، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

مُحَمَّد مُصْطَفَىٰ آيدِين

١٨ من رمضان لسنة ١٤٤٦هـ

١٨ من مارس لسنة ٢٠٢٥م

إسلام ويب islamweb.net

القسم الأول
قسم الدراسة

إسلام ويب
islamweb.net

إسلام ويب
islamweb.net

الفصل الأول
عصر الإمام أبي عبد الله الخطيب وحياته

يشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: عصر الإمام أبي عبد الله الخطيب.

فيه المطالب الآتية:

- الحالة السياسية.
- الحالة الاجتماعية.
- الحالة العلمية.

المبحث الثاني: حياة الإمام أبي عبد الله الخطيب.

يشتمل على مطالب أربعة:

المطلب الأول: اسمه، نسبه، كنيته، لقبه، نسبته.

المطلب الثاني: مولده، نشأته، أسرته، طلبه للعلم، رحلاته، مذهبه، شيوخه، تلامذته.

المطلب الثالث: مكانته العلمية، وثناء العلماء عليه.

المطلب الرابع: آثاره العلمية، ووفاته.

إسلام ويب
islamweb.net

المبحث الأول
عصر الإمام أبي عبد الله الخطيب

الحالة السياسية :

كانت رقعة الإسلام خلال القرن الرابع الهجري تمتدّ من كَاشْغَر[١] في أقصى المشرق إلى الأندلس في المغرب.

وبعد هذا الاتساع بدأ العالم الإسلامي يفقد قوته من الناحية السياسية، حيث ضعف كيان الدولة الإسلامية وتفكّكت؛ وذلك بسبب أن الأمراء والسلاطين بدؤوا يستقلون عن مركز الخلافة العباسية في بغداد، فنشأت دويلات كثيرة، وقد أخذت كل دويلة من هذه الدويلات تهدف إلى تكوين كيان مستقل، وذات سيادة مستقلة، لتنطلق منها إلى الاعتداء على غيرها من الدويلات والاستيلاء على ما تحت يدها.

وقد تضافرت على العالم الإسلامي ظروف داخلية وخارجية صعبة، فقد كانت الروم تهدّد العالم الإسلامي من الخارج، واليهود والنصارى والفرق الضالة والدعوات الشعوبية تهدّد من الداخل، حيث كان هؤلاء جميعًا يمثّلون قوة خبيثة داخل المجتمع الإسلامي، وكانوا يحرصون كلّ الحرص على ألا تكون لدولة الإسلام وحدة سياسية، وإن كانوا يُسِرُّون هذا.

(١) هي إحدى مدن تركستان الشرقية.

إسلام ويب islamweb.net

وفي هذه الفترة التي عاش فيها أبو عبد الله الخطيب، شهد الجزء الشرقي من الأمة الإسلامية أشدّ حالات الانقسام والفوضى السياسية، بسبب كثرة الدويلات والنزاع بين الأمراء والسلاطين، وعلى سبيل المثال فقد استبد البويهيّون[١] (٣٣٤-٤٤٧هـ) بأمور الدولة، بل شاركوا الخلفاء العباسيين في بعض مظاهر الخلافة وشاراتها، فكان الأمير البويهي هو الذي يصدر «الأوامر»، وعلى الخليفة توقيعها لتكتسب الشرعية أمام الرأي العام، ولولا عمق جذور الخلافة العباسية، وولاء الناس لها لأسباب تتصل بالعقيدة الدينية، لما أبقى البُوَيْهيون على وجودها ولو بالصورة الرمزية التي كانت عليها[٢].

ومن خلال هذا العرض السريع للأوضاع السياسية التي عاصرها المؤلف في عهد الخلافة العباسية وسيطرة البويهيين، نستنتج أنه عاش عصر اضطرابات ودويلات متناحرة في ظل خلافة ضعيفة لا تقدر على حماية نفسها.

ولكن المؤلف لم يعكس لنا من خلال مؤلفاته شيئًا من الواقع السياسي الذي عاصره، فقد كان منكبًّا على العلم مشتغلًا به تعلُّمًا وتعليمًا وتصنيفًا.

الحالة الاجتماعية:

كانت السلطة في القرن الرابع الهجري في يد الدولة العباسية، وعاصمتها بغداد، ولكن تغلَّب عليها آل بويه الفرس، الذين امتد حكمهم من فارس إلى بغداد

(١) ينتسب البويهيون إلى بويه الملقب بأبي شجاع، وهو عميد أسرة فارسية عاشت في بلاد الديلم، فقد اشتهرت هذه البلاد في التاريخ بكونها موطن بني بويه؛ أي: الديالمة. يُنظَر: خلاصة الذهب المسبوك (ص٢٤٥)، وبلدان الخلافة الشرقية (ص٢٠٧).

(٢) يُنظَر: تاريخ الإسلام للذهبي (٣: ٣٧)، وتاريخ الإسلام السياسي للدكتور حسن إبراهيم (٣: ١٦٨)، ومحاضرات الخضري في تاريخ الأمم الإسلامية «الدولة العباسية» (ص٣٩٩)، والحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري لآدم متز (١: ١١٩، ١٢٠).

إسلام ويب islamweb.net

نفسها؛ الأمر الذي جعلهم قادرين على الأخذ بزمام الأمور والتحكم في البلاد ورقاب العباد، وقد أصبح لهم بحكم هذا فرض الضرائب والمكوس، وجباية الأموال من كل طريق، وهو ما أثقل كواهل الناس، وجعل حياتهم الاقتصادية شاقَّة.

كما أن الفساد انتشر في جميع أركان الدولة حتى شمل الحِسبة[١] والقضاء، وهما أهم ما يرتبط بحياة الناس المعيشية والاجتماعية، فعمّت الفوضى والسرقة والغش والرشوة والتلاعب بمقدّرات الناس، وهو ما جعلهم يغرقون في الفقر والحاجة حتى أصبحت الحياة بالنسبة لعامة الناس حملًا ثقيلًا لا يُطاق.

وإضافة إلى هذه الفوضى، ازداد الخلاف المذهبي في هذا القرن، وكان البويهيون ـ وهم من الشيعة ـ يشجعون دعاة المذاهب الشيعية على التغلغل في البلدان، وفي نفس الوقت كانوا يشجعون النزاع المذهبي أيضًا للقضاء على الخلافة العباسية[٢].

الحالة العلمية:

وعلى الرغم من هذه الظروف الصعبة التي سبقت الإشارة إلى بعضها، ظل العلم والعلماء في مقاومة طويلة شاملة لكل عوامل التخلُّف والضياع، التي تسرَّبت إلى جذور الأمة الإسلامية وحياتها؛ ذلك لأن العلم عند المسلمين دين، ومسؤولية إسلامية، وعبادة وقُربى إلى الله تعالى؛ لذلك وجدناه ينطلق من خلال أئمته الأعلام

(١) الحِسْبة: منصب كان يتولّاه في الدول الإسلامية رئيس يُشرِف على الشؤون العامة، من مراقبة الأسعار ورعاية الآداب. المعجم الوسيط (ص١٧١).

(٢) يُنظَر: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي للدكتور حسن إبراهيم (٣: ٤٤٢)، والحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري لآدم متز (١: ١١٩، ١٢٠).

إسلام ويب islamweb.net

في حركة غلّابة، من غير نظر إلى التقلُّبات العاصفة في السياسة والحروب، أو الأزمات الطاحنة من فتن وثورات ونكبات!![١]

ويعتبر القرن الرابع الهجري قرنًا مزدهرًا من الناحية العلمية، حيث نضجت فيه ثمار العلوم في مختلف أنواعها، وظهر فيه كثير من أفذاذ العلماء والأدباء والشعراء ذوي الشهرة الواسعة في شتى ميادين العلوم والثقافة، في التفسير، والفقه، واللغة، والأدب، والشعر، والنثر، وغير ذلك من الفنون.

وكانت المكتبات العامة المليئة بذخائر العلوم تنتشر في كل مكان من العالم الإسلامي الواسع، فلا يكاد مسجد يخلو من مكتبة عامرة؛ وذلك أن العلماء كان من عادتهم أن يقفوا مكتباتهم على المساجد.

وكانت هنالك مكتبات في غير المساجد، مثل بيت الكتب للصاحب ابن عباد (ت٣٨٥هـ)[٢] بالرَّيّ، وكان يحوي من الكتب ما يحتاج نقله إلى أربعمئة جَمَل أو أكثر، وكانت فهرستها تقع في عشرة مجلدات[٣].

وقد أوجد انقسامُ الدولة العباسية إلى دويلاتٍ عواصمَ ثقافية كثيرة، وكلّ منها يتنافس ليكون له كيانه الثقافي الخاص بجوار بغداد التي كانت آنذاك أكبر مركز ثقافي.

---

(١) يُنظَر: العلم والعلماء في ظل الإسلام، للأستاذ الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد (ص١٩).

(٢) هو إسماعيل بن عباد، كان أديبًا عالمًا ويقرِّب العلماء والأدباء، ولي الوزارة للبويهيين سنة (٣٦٦هـ)، قلّده إياها مؤيد الدولة، وبعد وفاته سنة (٣٧٣هـ) أمّره عليها أخوه فخر الدولة حتى تُوفي الصاحب سنة (٣٨٥هـ). انظر: معجم الأدباء (٢: ٦٦٢)، وسير أعلام النبلاء (١٦: ٥١١)، ونزهة الألبّاء في تراجم الأدباء لابن الأنباري (ص٣٢٥-٣٢٧).

(٣) يُنظَر: معجم الأدباء لياقوت (٢: ٦٩٧)، والحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري (١: ١٩٨، ١٩٩).

إسلام ويب islamweb.net

ومن هذه المدن التي ازدهرت بالعلوم والثقافة في مشرق العالم الإسلامي مدينتا أصبهان[١] والرَّيّ[٢]، وبخاصة في عهد البويهيين الذين اندفعوا في التأثير في الأدب العربي اندفاعًا تامًّا، مع أن أصلهم كان من الفرس كما أن أغلب وزرائهم كابن العميد وابن عبّاد كانوا من الفرس[٣].

وأبو عبد الله الخطيب الذي هو مؤلِّف كتاب «درة التنزيل وغرة التأويل» عاش بين هاتين المدينتين في فترة من أزهى الفترات العلمية.

(١) أصبهان: بكسر الهمزة وفتحها، وسكون الصاد المهملة، وفتح الباء الموحدة، وبعد الألف نون ـ كما في اللباب لابن الأثير الجزري (١: ٦٩) ـ، ويقال: بالفاء أيضًا: أصفهان. وهي مدينة عظيمة مشهورة اعتنى العلماء بأوصافها إلى حدّ الإسراف كما يقول ياقوت الحموي في معجم البلدان (١: ٢٠٦).

(٢) هي مدينة مشهورة من أمهات البلاد، وأعلام المدن، محطُّ الحُجّاج على طريق السابلة، وقصبة بلاد الجبال، بينها وبين نيسابور مئة وستون فرسخًا، وإلى قزوين سبعة وعشرون فرسخًا، كما في معجم البلدان لياقوت (٣: ١١٦)، تُسمّى اليوم شاه عبد العظيم، وتبعُد عن طهران العاصمة سبعة كيلومترات، ولامتداد العمران وانتشاره تداخلتا، وهي إمارة من أربع عشرة إمارة تابعة للمنطقة المركزية، وحاضرتها طهران العاصمة. يُنظَر: فضائل القرآن، لابن الضريس، تحقيق مسفر الغامدي (ص٤٥)، حاشية (٣).

(٣) تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق من عهد نفوذ الأتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجري للدكتور محمد جمال الدين سرور (ص٢٠٨).

إسلام ويب islamweb.net

المبحث الثاني
حياة الإمام أبي عبد الله الخطيب

المطلب الأول : اسمه ، نسبه ، كنيته ، لقبه ، نسبته

هو محمد بن عبد الله[١]، المكنى بأبي عبد الله، والملقَّب بالخطيب، الأصبهاني (نسبة إلى أصبهان، وهي وطنه الأصلي)، الرازي[٢] (نسبة إلى الرَّيّ، وهي التي تولّى فيها الخطابة).

والمراجع التي بأيدينا لا تسعفنا في تحديد كونه فارسيًّا أو عربيًّا، وإنما نرجِّح أنه كان من أهل أصبهان نسبًا ومولدًا.

---

(١) مصادر ترجمته: معجم الأدباء لياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ) (٦: ٢٥٤٩)، وانظر كذلك في ترجمة أبي علي المرزوقي (٢: ٥٠٦) حيث فيها ذكرٌ للخطيب أيضًا، والوافي بالوفيات للصفدي (ت٧٦٤هـ) (٣: ٣٣٧)، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي (ت٩١١هـ) (١: ١٤٩)، وهدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي (ت١٣٣٩هـ) (٢: ٦٤)، وجاء فيها: «الخطيب البغدادي» وهو خطأ ظاهر، ومعجم المؤلفين لرضا كحالة (١٠: ٢١١)، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان (١: ٤٩١)، والأعلام للزركلي (٦: ٢٢٧)، ومعجم المفسرين لعادل نويهض (٢: ٥٥٨).

(٢) نسبة الخطيب إلى مدينة أصبهان جاءت صريحة في النسختين المخطوطتين لكتاب درة التنزيل، ورُمِز إليهما بـ(أ، ب)، وأما نسبته إلى الرَّيّ فجاءت في النسخة المرموز إليها بـ(ق).

إسلام ويب islamweb.net

أما نسبته «الإسكافي»[١] فهي نسبة إلى الأسْكَفة، وهي حرفة الإسكاف[٢]، وكان بعض الأصبهانيين يُنسَبون إلى هذه الحرفة؛ يقول ابن الأثير (ت٦٣٠هـ) في كتابه «اللباب في تهذيب الأنساب»: الإسكافي: نسبة إلى الأسكفة، منهم جماعة من الأصبهانيين»[٣]، ولعل مؤلِّفنا الشيخ أبا عبد الله الخطيب كان من هؤلاء. والله أعلم.

قال ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ) في ترجمته: «محمد بن عبد الله خطيب القلعة الفخرية[٤]، أبو عبد الله، المعروف بالخطيب الإسكافي، الأديب اللغوي، صاحب التصانيف الحسنة، أحد أصحاب ابن عبّاد (ت٣٨٥هـ)، وكان من أهل أصبهان، وخطيبًا بالرَّيّ»[٥].

المطلب الثاني: مولده، نشأته، أسرته، طلبه للعلم، رحلاته، مذهبه، شيوخه، تلامذته

يحيط غموض كبير بهذه الجوانب كلها من حياة الخطيب الأصبهاني بالرغم مما ذكره الصاحب ابن عباد (ت٣٨٥هـ) من ذيوع شهرته، وكان خليقًا بهذه الشهرة

(١) يُنظَر: معجم الأدباء (٦: ٢٥٤٩)، والوافي بالوفيات (٣: ٣٣٧)، وبغية الوعاة (١: ١٤٩).

(٢) الإسكاف: صانع الأحذية ومصلحها، وقيل: الخفّاف، وقيل: النجار، وقيل غير ذلك. يُنظَر: القاموس المحيط (ص١٠٦٠ كسف)، واللباب لابن الأثير الجزري (١: ٥٧)، والمعجم الوسيط (ص٤٣٩).

(٣) اللباب لابن الأثير (١: ٥٧).

(٤) هذه القلعة يذكرها أيضًا راوي كتاب درة التنزيل ـ كما سيأتي ـ في مقدمته، ولعل هذه القلعة تُنسَب إلى فخر الدولة؛ يقول ياقوت الحموي في كتابه «معجم الأدباء» (٤: ٢٣٨): «كان فخر الدولة ابن ركن الدولة ابن بُوَيْه الديلمي قد استأنف عمارة قلعة الريّ القديمة وأحكم بناءها، وعظَّم قصورها وخزائنها وحصَّنها وشحنها بالأسلحة والذخائر وسمّاها فخراباذ، وهي مُشرِفة على البساتين والمياه الجارية أنزه شيء يكون، وأظنها قلعة طبرك، والله أعلم».

(٥) معجم الأدباء (٦: ٢٥٤٩).

إسلام ويب islamweb.net

أن يكون لصاحبها تاريخ حافل بالأخبار، يحكي تفاصيل حياته، ويروي دقائق طفولته، وشبابه، وكهولته.

ولكن الكتب لم تسعفنا بأخبار وافية وشافية عن حياة الخطيب، بل حظُّه من الحديث في المصادر والمراجع قليل جدًّا، فليس فيما بين أيدينا من المصادر ذكرٌ لتاريخ ميلاده، ولا نعرف شيئًا عن أسرته التي تربّى فيها، ولا عن نشأته، شأنه في ذلك شأن كثير من القدماء. ولم تحدِّثنا أيضًا تلك الكتب التي ترجمت له عن الفترة التي مكثها في أصبهان، ومتى صار خطيبًا بالرَّيّ.

وكذلك الأمر في طلبه العلم، فلم ترِ المصادر من أين وممّن أخذ العلم، ولا نعرف شيئًا عن رحلاته العلمية إن كانت، وليس هناك ذكر لمغادرته أصبهان والرَّيّ، ولم تظهر إشارة إلى هذا في الكتب التي ترجمت له.

كما أن المصادر لم تذكر شيئًا عن شيوخه، ولا عن تلاميذه، ولا شكّ أن هذا أمر يُؤسَف له، خاصة بالنسبة لعالمٍ جليلٍ مثل أبي عبد الله الخطيب، وقد وقع مثل هذا لعددٍ من الأئمة الأعلام، كلٌّ بسبب خاصٍّ به، كالإمام أبي عبد الله القرطبي (ت٦٧١هـ) صاحب «الجامع لأحكام القرآن»، حيث لم يذكُر من ترجم له التلاميذَ الذين أخذوا عنه، وتخرَّجوا عليه، وأفادوا من معرفته الشيء الكثير، فيبعُد جدًّا أن يعزف الناس عنه، ولا يفيدوا منه.

ولعل السبب بالنسبة للخطيب الإسكافي هو ميله للعزلة كما سيظهر بعد قليل إن شاء الله، ولعل هذا هو ما جعل بعض المراجع الشهيرة في التراجم يغفل ذكره على الإطلاق مثل «سير أعلام النبلاء»، الذي ترجم فيه الذهبي لعلماءَ دون الخطيب الإسكافي بمراحل شاسعة. والله أعلم.

إسلام ويب islamweb.net

مذهبه في العقيدة:

ظهر لي من واقع ما جاء في كتاب «درة التنزيل» أن الخطيب سُنِّيّ المذهب في العقيدة؛ إذ لم أجد عنده نفيًا للصفات، أو تأويلًا لها بالمجاز ونحوه، أو غلوًّا في أحكام التكفير بالذنب، ويتضح ذلك بالاعتبارات الآتية:

أولًا: مما يدل على أنه مُثبِت للصفات، منكر على نُفاتها، مُقِرّ لمذهب أهل السنة في علم الله تعالى بالجزئيات والكليات: ما قاله في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]: «أي: يسمع ما يكون منك، ويعلمه مع كل مسموع ومعلوم»[(١)].

ثانيًا: مما يدل على أنه ينقد بعض المذاهب العقائدية، أنه يقول: «وأمّا أن يكون الحكم بخلاف ما أنزل الله كفرًا فهو مذهب الخوارج، يذهبون بـ«مَن» هنا إلى الشِّياع الذي في المُجازاة، وهذا مخصوص به اليهودُ الذين تقدَّم ذكرُهم وتبديلُهم حُكمَ الله تعالى لِيكذِّبوا رسول الله ﷺ، وذلك كفرٌ»[(٢)].

مذهبه الفقهي:

ولما كان موضوع كتاب «درة التنزيل» بعيدًا عن المسائل الفقهية، لم نعرف من خلاله مذهبه الفقهي، ولم يذكر من ترجم له أيضًا انتسابه إلى أحد المذاهب الفقهية.

---

(١) ذكر ذلك الخطيب في أثناء كلامه عن الآية الثالثة من سورة فصلت حسب ترتيبه، وانظر من هذا الكتاب (٣: ١٣٢).

(٢) انظر من هذا الكتاب الآية السادسة من سورة المائدة حسب ترتيب المؤلف (١: ٤٠٥).

إسلام ويب islamweb.net

ولـم أجـد أحدًا قبـل ياقوت الحمـوي (ت٦٢٦هـ) يذكر ترجمـة الخطيب، بل تأكَّد لديَّ أنّ كل ما أورده أصحابُ كتب التراجم عنه إنما هو عبارة عن أخبار يسيرة في أسطر قليلة وردت في «معجم الأدباء» لياقوت، والذين أتوا بعده كرَّروا ما جاء فيه ونقلوه من غير زيادة.

ولا شك أن ترجمة الخطيب التي أوردها ياقوت في معجمه جاءت موجزة، لا تتفق ومنزلته العلمية، ولا تشـفي غليل الباحث أيضًا؛ لأنها لا تتعدى اسـمه وكنيته، وعمله، وشهرته التي عُرِف بها، وثناء الصاحب ابن عبّاد (ت٣٨٥هـ) عليه، وتسمية بعض الكتب التي صنَّفها.

ولعـل السـبب في ذلـك يرجع إلـى أنه عاش حيـاة علمية خالصـة فلم يختلط بالنـاس، وعلـى ذلـك لا توجد لـه إلا أخبار يسـيرة. وقد يكون ابتعـاده عن الخلفاء والـولاة وعـدم اتصاله بهم وتقرُّبه إليهم سـببًا أيضًا في هذا الإغفـال؛ لأن كثيرًا من العلماء والشـعراء والأدباء، لم يُعرَفوا ولـم يُشـتهَروا إلا بعد أن ارتبط اسـم أيٍّ منهم بخليفة قرَّبه إليه، أو والٍ شمله برعايته.

غيـر أن ياقوتًـا الحموي يشـير في ترجمته الموجزة التـي كتبها عنه في «معجم الأدبـاء»، إلى أنه كان أحد أصحاب ابن عباد الصاحب، وزير آل بويه الشـهير. وإذا كان هذا صحيحًا، فإنه يعني أن مجال الشـهرة كان مفتوحًا أمامه لو أراد؛ لِما نعرفه عـن الصاحـب ورعايته العلماء والأدبـاء. إلا أننا لم نلمس لهـذه الصحبة تأثيرًا في الخطيب الإسـكافي، فإن من يدرس حياة ابن عباد، ويتعرف على من اتصل به من العلماء والأدباء والشعراء، يجدهم كثيرين، وذاعت شهرتهم، وبعضهم ممن ليسوا بمنزلـة الإسـكافي العلمية والأدبيـة، وقد اقترنت أسـماؤهم باسـم ابن عباد، وهذا يجعلنا نميل إلى القول بأن الخطيب الإسكافي كان يُؤثِر العزلة في حياته، ولو كان من أصحاب ابن عباد.

إسلام ويب islamweb.net

ولعله كان منصرفًا إلى مهنته الخاصة التي اتخذها مصدرًا لعيشه، وقد آثرها على الكسب من تقرُّبه إلى ذوي السلطان، فلم يطرق أبوابهم أو يتردد على مجالسهم؛ فابتعد بذلك عن مجال الاشتهار؛ لأن وقته مُستغرَق في العلم والمهنة[١].

المطلب الثالث : مكانته العلمية ، وثناء العلماء عليه

ربما كان بيان مكانة الخطيب العلمية أفضل حالًا، وإن غطّى الغموض جوانب ترجمته؛ لأن الذي وصل من مؤلفاته كان كافيًا لتكوين فكرة جليلة عن هذا الرجل وعلمه، كما وُجِد من معاصريه من امتدحه، وكذلك فإن كثيرًا ممن نقلوا عنه متأخرًا امتدحوا علمه.

كفى الخطيبَ مكانةً أن يكون من أوائل المؤلفين الذين ألّفوا في توجيه الآيات المتشابهة لفظًا في القرآن الكريم، ومن جاء بعده ممن ألّف في هذا النوع من أنواع التفسير هم عيال عليه، وقد عرف قيمته الأئمة وقدّروه، حتى ابن الزبير الغرناطي (ت٧٠٨هـ) حذا في كتابه «ملاك التأويل» حذو «درة التنزيل» للإسكافي، ونهج نهجه، فاعتمد عين ما ورد فيه من آيات مع استدراك ما أغفل، ووصف مؤلِّفه قائلًا: «.. إنه[٢] باب لم يقرعه ممن تقدّم وسلف، ومَن حذا حذوهم ممن أتى بعدهم وخلف، أحدٌ فيما علمته على توالي الأعصار والمُدَد، وترادُف أيام الأبد، مع عظيم موقعه، وجليل منزعه، ومكانته في الدين، وفتّه أعضاد ذوي الشك والارتياب من الطاعنين والملحدين، إلى أن ورد عليّ كتاب لبعض المعتنين من جِلّة المشارقة نفعه الله، سماه بكتاب «درة التنزيل وغرة التأويل»، قرع به مغلق

(١) انظر تفصيل هذا في مقدمة تحقيق الشيخ أحمد عبد الباقي لكتاب «لطف التدبير» للخطيب الإسكافي (ص١٤).

(٢) أي: توجيه الآيات المتكررة والمشتبهة في القرآن الكريم.

إسلام ويب islamweb.net

هـذا البـاب، وأتى في هذا المقصد بصفوٍ من التوجيهات لُباب، وعرَّف أنه باب لم يُوجِـف عليـه[١] أحد قبله بخيل ولا رِكاب، ولا نطق ناطق قبلُ فيه بحرفٍ مما فيه. وصدق رحمه الله، وأحسـن فيما سـلك وسـنّ، وحقَّ لنا به ـ لإحسـانه ـ أن نقتدي ونستنّ...»[٢].

ولقـد مـنّ الله علـى الخطيـب بالعلـم الواسـع، حتـى نـال إعجـاب العلمـاء المعاصرين له، كالصاحب ابن عباد (ت٣٨٥هـ)، إذ أشاد بمكانته العلمية عندما قال ـ كمـا روى ياقوت الحموي[٣] ـ: «قال ابن عباد: فاز بالعلم من أهل أصبهان ثلاثة: حائك، وحلاج، وإسكاف. فالحائك: أبو علي المرزوقي، والحلاج: أبو منصور بن ماشدة، والإسكاف: أبو عبد الله الخطيب».

ونقـل ياقوت قـول ابن عباد في ترجمة أبي علي المرزوقـي (ت٤٢١هـ) أيضًا، إذ قـال: «قـال الصاحـب ابن عباد: فاز بالعلـم من أصبهان ثلاثـة: حائك، وحلاج، وإسـكاف، فالحائـك هو المرزوقي، والحلاج أبو منصور بن ماشـدة، والإسـكاف أبو عبد الله الخطيب بالريّ، صاحب التصانيف في اللغة»[٤].

وذلك ـ لا شـك ـ دليل واضح على سـموّ مكانة أبي عبد الله الخطيب العلمية ومركزه الثقافي في العصر الذي عاش فيه رحمه الله تعالى.

و«ليس يعني الصاحب أن أصبهان لم يبرز منها إلا هؤلاء العباقرة، ولكنه عنى أنهم نبغوا من بين أصحاب الصناعات، وإلا فإن عباقرة أصبهان كثيرون، وقد ظهر

(١) في المطبوع: عنه، ولعل الصواب ما أثبتُّه.
(٢) ملاك التأويل، مقدمة المؤلف (١: ١٤٥، ١٤٦).
(٣) معجم الأدباء (٦: ٢٥٤٩).
(٤) معجم الأدباء (٢: ٥٠٦).

إسلام ويب islamweb.net

فيها فحول كُثار»[١]. أو لعله يقصد أجمعهم للعلم، وأعظمهم في فنونه، فهم الذروة من أهل أصبهان.

ولقد تتبعت كثيرًا أقوال العلماء الذين نقلوا في مؤلفاتهم عن «درة التنزيل»، فألفيت بعض العبارات التي تدل على مكانة الخطيب العلمية الفذة في علم اللغة والتفسير، ومن ذلك: قول الكرماني في كتابه «متشابه القرآن»: «وسأل الخطيب عن هذه المسائل[٢] فأجاب عنها، فقال: إن اقتصاص ما مضى إذا لم يقصد به أداء الألفاظ بأعيانها، كان اختلافها واتفاقها سواء، إذا أدّى المعنى المقصود». ثم قال الكرماني تعقيبًا على جواب الخطيب: «وهذا جواب حسن، إن رضيتَ به كُفِيت مُؤنة السهر إلى السحر»[٣].

ولا يزال الثناء والتقدير على الخطيب وكتابه الجليل من العلماء مستمرَّين في كل عصر، كلما جاءت مناسبة لذلك.

وقد نوّه الشيخ الزرقاني ـ في عصرنا الحاضر ـ بمكانة الخطيب أثناء كلامه عن أسلوب القرآن في كتابه الممتع «مناهل العرفان في علوم القرآن»؛ قال: «ولعلمائنا الأفاضل ـ أكرمهم الله ـ أذواق مختلفة في استنباط الفروق الدقيقة بين استعمال حرف أو كلمة، مكان حرف أو كلمة، ومن السابقين في حَلْبة هذا الاستنباط الخطيب الإسكافي المتوفى سنة (٤٢٠هـ)[٤] في كتابه «درة التنزيل وغرة التأويل»،

(١) نقلت هذه اللفتة عن عبد السلام هارون رحمه الله في مقدمته على كتاب شرح ديوان الحماسة لأبي علي المرزوقي (ت٤٢١هـ)، وهذا هو الذي يعنيه ابن عباد بقوله: الحائك.

(٢) انظر من هذا الكتاب، الآية الأولى من سورة الأعراف (٢: ٨١).

(٣) البرهان في متشابه القرآن للكرماني (ص١٨٤).

(٤) في الكتاب: (٤١٢هـ)، وهو خطأ مطبعي، وقد يكون تصحيفًا عن تاريخ الوفاة الذي ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون، وهو سنة (٤٢١هـ).

إسلام ويب islamweb.net

وهاك مثالًا منه يفيدنا فيما نحن فيه، إذ يتحدث عن سرّ التعبير بالفاء في لفظ «كلوا» من قوله سبحانه في سورة البقرة [٥٨]: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ﴾، وعن سرّ التعبير بالواو لا بالفاء في لفظ «كلوا» أيضًا من قوله سبحانه في سورة الأعراف [١٦١]: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ﴾ مع أن القصة واحدة، ومدخول الحرف واحد»، ثم نقل جواب الخطيب عن هذه المسألة[(١)].

المطلب الرابع: آثاره العلمية، ووفاته

للخطيب مؤلفات عديدة متنوعة، بعضها في اللغة والأدب، وبعضها في التفسير وعلوم القرآن، ونذكر هاهنا ما وصل إلى علمنا منها:

١ـ «غلط كتاب العين»[(٢)].

٢ـ «كتاب الغرة» يتضمن شيئًا من غلط أهل الأدب[(٣)].

٣ـ «مبادئ اللغة»[(٤)]، وهو أشهر كتبه كما يقول.....

(١) مناهل العرفان للشيخ الزرقاني (٢: ٣٢٨)، وفي نقل الشيخ الزرقاني كلام الخطيب تصرُّف يسير. وانظر: الآية الأولى من سورة البقرة من كتابنا هذا (١: ٢٠٦).

(٢) معجم الأدباء (٦: ٢٥٤٩)، والوافي بالوفيات للصفدي (٣: ٣٣٧)، وبغية الوعاة للسيوطي (١: ١٥٠)، وكشف الظنون لحاجي خليفة (ص١٤٤٤)، وجاء فيه: «وفيه ـ أي: في غلط العين ـ شيء كثير من أغلاط الأدباء»، وهدية العارفين (٦: ٦٤)، وجاء فيه: «غلط العين على سيبويه» بدل «كتاب غلط العين»، والبلغة في أصول اللغة للسيد محمد صديق خان القِنَّوْجي (ت١٣٠٧هـ) (ص٤٨٠).

(٣) معجم الأدباء (٦: ٢٥٤٩)، والوافي بالوفيات للصفدي (٣: ٣٣٧)، وبغية الوعاة للسيوطي (١: ١٥٠)، وكشف الظنون لحاجي خليفة (ص١٤٤٤).

(٤) معجم الأدباء (٦: ٢٥٤٩)، والوافي بالوفيات للصفدي (٣: ٣٣٧)، وبغية الوعاة للسيوطي =

إسلام ويب islamweb.net

الصفدي[١]. وهو يشتمل على موضوعات شتى، أولها باب ذكر السماء والكواكب، ثم باب أسماء البروج والأزمنة، ثم باب الليل والنهار، ثم باب صفة الحر والبرد، وباب الرياح، وباب أسماء الرعد والبرق، وباب المياه وأوصافها وذكر أماكنها... إلخ.

٤ـ «شواهد كتاب سيبويه»[٢]. وفيه شرح الخطيب أبيات كتاب سيبويه[٣].

٥ـ «نقد الشعر»[٤].

٦ـ «درة التنزيل وغرة التأويل» في الآيات المتشابهة[٥]. أفرده مؤلفه ليتناول فيه جانبًا من جوانب التفسير، وهو توجيه الآيات المتشابهة لفظًا، وهو الكتاب الذي نحقِّقه، والحمد لله الذي قدّر لي هذا العمل المبارك، وسيأتي الكلام عليه موسعًا في الفصل الثاني، تحت المبحث الثاني[٦] إن شاء الله تعالى. وهو أخلَق كتبه بأن يقال فيه: إنه أشهر كتبه، وأعظمها ابتكارًا.

= (١: ١٥٠)، وكشف الظنون لحاجي خليفة (ص١٥٧٩)، وهدية العارفين، لإسماعيل باشا (٢: ٦٤)، والبلغة في أصول اللغة للسيد محمد صديق خان القِنَّوْجي (ص٤٩٠). وطُبع «مبادئ اللغة» بمطبعة السعادة في مصر سنة (١٣٢٥هـ)، ثم طُبع بدار الكتب العلمية في بيروت سنة (١٤٠٥هـ).

(١) الوافي بالوفيات للصفدي (٣: ٣٣٧).

(٢) معجم الأدباء (٦: ٢٥٤٩)، والوافي بالوفيات للصفدي (٣: ٣٣٧)، وبغية الوعاة للسيوطي (١: ١٥٠).

(٣) كشف الظنون (ص١٤٢٨).

(٤) معجم الأدباء (٦: ٢٥٤٩)، والوافي بالوفيات للصفدي (٣: ٣٣٧)، وبغية الوعاة للسيوطي (١: ١٥٠)، وكشف الظنون (ص١٩٧٣).

(٥) معجم الأدباء (٦: ٢٥٤٩)، والوافي بالوفيات للصفدي (٣: ٣٣٧)، وبغية الوعاة للسيوطي (١: ١٥٠)، وأسماء الكتب المتمم لكشف الظنون للشيخ عبد اللطيف بن محمد رياضي زاده (ص١٤٦).

(٦) انظر من هذا الكتاب (١: ٧٤-١٤٧).

إسلام ويب islamweb.net

٧ـ «لطف التدبير في سياسات الملوك»[(١)]. تناول الخطيب فيه أخبار الملوك والأمراء السابقين رغبة في إفادة من عاصره من الولاة، مرتِّبًا ذلك كله على أبواب يحتاج إليها كلّ من ساس أمر الناس، أو وليَ شأنهم، فكان ذلك مجيدًا بارعًا في التقسيم والتبويب وحسن العرض[(٢)].

وهذه الكتب السبعة المتقدمة، ذكرها ياقوت في «معجم الأدباء»، وتناقلها عنه مَن ترجم للمؤلف بعد ذلك. وهناك كتب أخرى لأبي عبد الله الخطيب لم تذكرها المصادر التي ترجمت له، وعثرتُ منها على ما يأتي:

٨ـ «كتاب المجالس»[(٣)]. تكلم فيه الخطيب على شرح طائفة من الآيات القرآنية التي يعترض عليها الملحدون، والأحاديث، والأمثال، والأشعار، والحِكَم، مع ذكر ما يناسبها من العلوم المختلفة.

٩ـ «كتاب خلق الإنسان»[(٤)]. يبدأ الخطيب كتابه هذا بمقدمة يتناول فيها تدرُّج الإنسان في سنّه، منذ ولادته إلى آخر مراحل سنّه، ثم يتناول أسماء جملة خلق

---

(١) معجم الأدباء (٦: ٢٥٤٩)، والوافي بالوفيات للصفدي (٣: ٣٣٧)، وبغية الوعاة للسيوطي (١: ١٥٠)، وكشف الظنون لحاجي خليفة (ص١٥٥٥)، وهدية العارفين لإسماعيل باشا (٢: ٦٤). وطُبع كتاب «لطف التدبير» بتحقيق الأستاذ أحمد عبد الباقي، في دار الكتب العلمية في بيروت، ط. الثانية (١٣٩٩هـ)، وطُبع مؤخرًا مهذَّبًا، طبعته المكتبةُ المكيَّةُ بمكة المكرمة في (١٤١٤هـ = ١٩٩٣م).

(٢) مقدمة تهذيب كتاب لطف التدبير (ص٥).

(٣) منه نسخة خطية في مكتبة كوبريلي، برقم (٢٢٢) لغة، وهي تقع في (١٢٥) ورقة، وأوراقها من القطع المتوسط، وعندي نسخة مصورة أخذتها من الدكتور عبد الرحمن العثيمين جزاه الله عني خيرًا.

(٤) طُبع بتحقيق خضر عوّاد العكل (رسالة الماجستير في آداب اللغة العربية)، دار عمار في عمان، ودار الجيل في بيروت، ط. الأولى (١٤١١هـ = ١٩٩١م).

إسلام ويب islamweb.net

الإنسان، مثل الطَّلَل، والشَّبح[١]، والجسم، والجسمان، وهكذا، ثم فصَّل في أجزائه مبتدئًا بالرأس إلى أن انتهى إلى القدم... ثم يختم كتابه بـ«باب الحمل والولادة».

١٠ـ «مختصر كتاب العين»[٢]. لم يذكر هذا الكتابَ مَن ترجم له، وهو صريح النسبة إلى الخطيب، حيث جاء في الغلاف:

«مختصر كتاب العين»

استخراج أبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب أيده الله

١١ـ «شرح الحماسة»[٣].

١٢ـ «جامع التفسير»[٤].

١٣ـ «معاني القرآن»[٥].

ومن العجيب أن الذين ترجموا للخطيب الإسكافي لم ينوِّهوا إلا بجانبه اللغوي والأدبي، ولم ينوِّهوا بتفوُّقه في التفسير وعلوم القرآن، مع رسوخ قدمه فيهما، بل لم يذكروا له كتابًا في التفسير، غير كتاب «درة التنزيل» مع أنه يشير في

(١) يقول الخطيب في كتابه «خلق الإنسان» (ص٤٠): «الطَّلَل، والشَّبح، والعَطَل، والشَّرَف، والآلُ، والسَّمامة: شخص الإنسان».

(٢) وتوجد منه نسخة مصورة على شريط مصغر (ميكروفيلم) في مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى تحت رقم (٣١٧) لغة، ويقع في (٢٢٣) ورقة، وهو غير الكتاب السابق «غلط كتاب العين».

(٣) لم أقف عليه، وقد ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (ص٦٩١)، وذكره إسماعيل باشا في هدية العارفين (٢: ٦٤) بعنوان: شرح الحماسة الطائية.

(٤) لم أقف عليه، لا مخطوطًا ولا مطبوعًا، وقد جاء ذكره مرتين في آخر كتابنا هذا في سورة «الكافرون». انظر من هذا الكتاب (٣: ٣٣٥، ٣٣٦).

(٥) لم أقف عليه أيضًا، لا مخطوطًا ولا مطبوعًا.

إسلام ويب islamweb.net

آخر هذا الكتاب في «سورة الكافرون» إلى أن له كتابًا في التفسير يحمل اسم «جامع التفسير»[١].

وكذلك يشير في كتابه «المجالس» إلى أن له كتابًا في التفسير يحمل اسم «معاني القرآن»، حيث جاء فيه في أثناء الكلام عن الحروف المقطعة[٢]: «والكلام في تفصيلها يطول، وهو مجموع في بابٍ من أبواب خطبة الكتاب الذي ألّفناه في معاني القرآن».

وفاة المؤلف:

أصحاب كتب التراجم[٣] الذين ترجموا للخطيب ذكروا بالتحديد أنه تُوفي سنة عشرين وأربعمئة من الهجرة النبوية (٤٢٠هـ)، وهذا هو المشهور المتداول. وقيل: كانت وفاته سنة (٤٢١هـ)، وهو ما ذكره حاجي خليفة في «كشف الظنون»[٤]، وإسماعيل باشا في «هدية العارفين»[٥].

(١) انظر من هذا الكتاب (٣: ٣٣٥، ٣٣٦).
(٢) كتاب المجالس (٧: ب).
(٣) معجم الأدباء (٦: ٢٥٤٩)، والوافي بالوفيات (٣: ٣٣٧)، والأعلام للزركلي (٦: ٢٢٧)، ومعجم المؤلفين (١٠: ٢١١)، ومعجم المفسرين لعادل نويهض (١: ٥٥٨).
(٤) يُنظَر: كشف الظنون (ص٦٩١، ١٤٢٨، ١٥٥٥، ١٥٧٩).
(٥) يُنظَر: هدية العارفين (٢: ٦٤).

إسلام ويب islamweb.net

الفصل الثاني
التعريف بعلم متشابه القرآن
ودراسة كتاب «درة التنزيل وغرة التأويل»

يشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: التعريف بعلم متشابه القرآن.

يشتمل على مطالب سبعة:

المطلب الأول: التعريف بالمتشابه لغة واصطلاحًا.

المطلب الثاني: التعريف بالمتشابه في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: موضوع علم المتشابه اللفظي في القرآن الكريم.

المطلب الرابع: نكتة هذا العلم، وحكمته، وأهمّيته، وفوائده.

المطلب الخامس: نشأة علم المتشابه اللفظي في القرآن، وتطوّره، وتدوينه.

المطلب السادس: التأليف في توجيه متشابه القرآن اللفظي.

المطلب السابع: الكتب المؤلفة في المتشابه اللفظي.

المبحث الثاني: دراسة كتاب «درة التنزيل وغرة التأويل».

يشتمل على مطالب ثمانية:

المطلب الأول: تحقيق صحة اسم الكتاب.

إسلام ويب
islamweb.net

المطلب الثاني: تحقيق صحة نسبة الكتاب إلى المؤلف.

المطلب الثالث: موضوع الكتاب.

المطلب الرابع: سبب تأليف الكتاب.

المطلب الخامس: منهج المؤلف في الكتاب.

المطلب السادس: مصادر المؤلف في الكتاب.

المطلب السابع: قيمة الكتاب العلمية، وأثره فيمن بعده.

المطلب الثامن: المآخذ على الكتاب.

إسلام ويب
islamweb.net

المبحث الأول
التعريف بعلم متشابه القرآن

يشتمل على مطالب سبعة:

المطلب الأول: التعريف بالمتشابه لغة واصطلاحًا.

المطلب الثاني: التعريف بالمتشابه في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: موضوع علم المتشابه اللفظي في القرآن الكريم.

المطلب الرابع: نكتة هذا العلم، وحكمته، وأهمّيته، وفوائده.

المطلب الخامس: نشأة علم المتشابه اللفظي في القرآن، وتطوّره، وتدوينه.

المطلب السادس: التأليف في توجيه متشابه القرآن اللفظي.

المطلب السابع: الكتب المؤلفة في المتشابه اللفظي.

إسلام ويب
islamweb.net

المبحث الأول
التعريف بعلم متشابه القرآن

المطلب الأول: التعريف بالمتشابه لغة واصطلاحًا

المُتشابِه في اللغة: اسم فاعل مشتق من التشابه، وأبدأ هنا بذكر ما قاله علماء اللغة في بيان معناه، فأقول وبالله التوفيق:

١ـ قال إسماعيل بن حمّاد الجوهري (ت٣٩٣هـ): «والمُشتبِهات من الأمور: المشكلات، والمُتشابِهات: المتماثلات»[(١)].

٢ـ قال أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ): «الشين والباء والهاء: أصل واحد يدل على تشابه الشيء وتشاكُله لونًا ووصفًا...»[(٢)].

٣ـ قال محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ): «تشابَه الشيئان واشتبها، واشتبهت الأمور وتشابهت: التبست لإشباه بعضها بعضًا»[(٣)].

٤ـ قال محمد بن مكرم المعروف بابن منظور (ت٧١١هـ): «تشابَه الشيئان واشتبها: أشبه كل واحدٍ منهما صاحبَه، والمُشتبِهات من الأمور: المشكلات، والمُتشابِهات: المتماثلات.. وأمور مُشتبِهة ومشبِّهة: مُشكِلة يشبه بعضها بعضًا»[(٤)].

---

(١) الصحاح للجوهري (٦: ٢٢٣٦، شبه).
(٢) معجم مقاييس اللغة (٣: ٢٤٣).
(٣) أساس البلاغة (ص٣٢٠).
(٤) لسان العرب (١٣: ٥٠٣، ٥٠٤ شبه).

إسلام ويب islamweb.net

٥ـ قال أحمد بن محمد الفيّومي (ت٧٧٠هـ): «واشتبهت الأمور وتشابهت: التبست فلم تتميّز ولم تظهر... وتشابهت الآيات: تساوت أيضًا... فالمُشابَهة: المشاركة في معنًى من المعاني، والاشتباه: الالتباس»(١).

٦ـ قال محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ): «وشابهه وأشبهه: ماثله، وتشابها واشتبها: أشبه كل منهما الآخر حتى التبسا، وأمور مُشتبِهة ومُشبَّهة: مُشكِلة»(٢).

ونستطيع ـ حسب ما مرّ بنا لدى أهل اللغة ـ أن نقرِّر أن المُتشابِه يُطلَق في اللغة على ما تَماثَل من الأشياء وأشبه بعضه بعضًا، وعلى ما يلتبس من الأمور.

المتشابه في الاصطلاح: أن يشتبه اللفظ في الظاهر مع اختلاف المعنى، كما قال تعالى في وصف ثمر الجنة: ﴿وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ [البقرة: ٢٥] أي: متفق المناظر ومختلف الطُّعوم. وقد يقال لكلّ ما غمُض ودقّ: مُتشابِه، وإن لم تقع الحيرة فيه من جهة الشبه بغيره، كما يقال للحروف المقطّعة في أوائل السور: متشابه؛ لخفاء معناها، وليس من جهة الشبه بغيرها والتباسها بها.

والمتشابه مثل المشكل؛ لأنه أشكل؛ أي: دخل في شكل غيره فأشبهه وشاكله(٣).

وقال محمد عبد الرؤوف المناوي (ت١٠٣١هـ): «المُتشابِه: المُشكِل الذي يُحتاج فيه إلى فكرٍ وتأمُّل»(٤).

---

(١) المصباح المنير (ص٣٠٤).
(٢) القاموس المحيط (ص١٦١٠ شبه).
(٣) يُنظَر: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ص١٠٢)، والبرهان للزركشي (٢: ٦٩).
(٤) التوقيف على مهمات التعاريف لمحمد عبد الرؤوف المناوي (ص٦٣٣).

إسلام ويب islamweb.net

وهو أعمُّ من المُتشابِه في القرآن وغيره، والدليل على ذلك أن أبا منصور الثعالبي (ت٤٢٩هـ) ألّف كتابًا بعنوان «المتشابه»، وهو كتاب صغير الحجم خصّصه لأخبار الأدباء والشعراء والكُتّاب، وقد أوجز في مقدمة كتابه هذا الخطّةَ التي سار عليها فقال: «ثم إنّ هذا الكتاب مبنيّ على ثلاثة أقسام: **فالقسم الأول** في المُتشابِه الذي يشبه التصحيف[١]، **والقسم الثاني** في المُتشابِه من التجنيس الصحيح، **والقسم الثالث** في المُتشابِه خطًّا ولفظًا»[٢].

المطلب الثاني: التعريف بالمتشابه في القرآن الكريم

ذهب ابن المُنادِي[٣] ـ وهو من أوائل من ألّف في متشابه القرآن ـ إلى أن المتشابه في القرآن الكريم يُطلَق على أشياء كثيرة؛ قال: «إن المتشابه كائن في أشياء: فمنها متشابه إعراب حروف القرآن، ومنها متشابه غريب القرآن ومعانيه، وفي ذلك كُتُبٌ عن المُسمَّينَ آنفًا، ومنها متشابه تأويل القرآن، وفي ذلك كُتُبٌ عن أهل التأويل كمجاهد، وقتادة، وأبي العالية، وسعيد بن جُبير، وعطاء بن يسار، وعطية، والسُّدِّي، وأبي صالح، وغيرهم، ومنتهى أكثر ذلك إلى ابن عباس رضي الله عنهما،

(١) من أمثلة ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤]. يُنظَر: المتشابه لأبي منصور الثعالبي (ص١١).

(٢) انظر: المتشابه لأبي منصور الثعالبي (ص١١).

(٣) هو أحمد بن جعفر بن محمد أبو الحسين بن المُنادِي: عالم بالتفسير والحديث، من أهل بغداد (٢٥٦-٣٣٦هـ). يُنظَر لترجمته: طبقات الحنابلة (ص٢٩١)، والبداية والنهاية (١١: ٢١٩)، وتاريخ بغداد (٤: ٦٩)، والأعلام (١: ١٠٧). قال ابن الأثير الجزري في كتابه «اللباب في تهذيب الأنساب» (٣: ٢٥٨): «المُنادِي ـ بضم الميم، وفتح النون، وسكون الألف، وبعدها دال مهملة ـ: هذه النسبة إلى من ينادي على الأشياء التي تباع، والأشياء الضائعة».

إسلام ويب islamweb.net

يُدخِل في ذلك متشابه ناسخ القرآن ومنسوخه، وتقديمه وتأخيره، وخصوصه وعمومه، وأكثر مَن سمَّينا قبلُ لهم كتبٌ في ذلك. وقد يدخل في ذلك متشابه النوادر، والفرائض، والإباحات، والتصريح والكنايات، وفي ذلك كتبٌ لعدة من الفقهاء. ومنها متشابه خطوط المصاحف الأُوَل، وحروفٌ كُتِبت في بعضها على خلاف ما كُتِبت في البعض الآخر، وفي ذلك كتبٌ لبعض القرّاء. ومنها متشابه حروف القرآن المجموعة للإذكار من النسيان، وهو هذا الضرب[١] الذي أجرينا ذكر أصول المتشابه مِن أجله»[٢].

ومن الواضح أن ابن المنادي رحمه الله توسَّع في استعمال كلمة المتشابه. وبالرجوع إلى الكتب المصنفة في علوم القرآن نجد أن أصحابها تناولوا المتشابه في نوعين منفصلين، واقتصروا عليهما فقط، وهما:

الأول: المتشابه الذي يقابل المُحكَم[٣].

والثاني: المتشابه اللفظي الذي يحصل في بعض آيات القرآن الكريم.

---

(١) يعني به المتشابه اللفظي في الآيات القرآنية.

(٢) متشابه القرآن لابن المنادي (ص٥٩، ٦٠).

(٣) اختلفت أقوال العلماء في تعريف المُحكَم والمتشابه، أهمّها:

أ ـ المحكم: ما لم يحتمل من التأويل إلا وجهًا واحدًا، والمتشابه: ما احتمل أوجُهًا.

ب ـ المحكم: ما عرف العلماءُ تأويله وفهموا معناه وتفسيره، والمتشابه: ما لم يكن إلى علمه سبيل ممّا استأثر الله بعلمه.

ج ـ المحكم: ما استقلَّ بنفسه ولم يحتج إلى بيان واستدلال، والمتشابه: ما لا يستقل بنفسه واحتاج إلى بيان واستدلال بردّه إلى غيره.

ينظر للتوسُّع: تفسير الماوردي (١: ٣٠٥)، والبرهان في علوم القرآن للزركشي (٢: ٦٨-٧٧)، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٣: ٣-٣٢).

إسلام ويب islamweb.net

وإذا كان المتشابه[١] هو الذي يحتمل أكثر من وجه من وجوه الرأي والنظر؛ لِما فيه من اشتباه في الدلالة على كثير من الناس، أو بعضهم، فإنّ الآيات التي فيها تشابُه لفظي هي عبارة عن الآيات التي تكرَّرت واشتبهت بسبب التقديم والتأخير، أو الزيادة والحذف، أو التعريف والتنكير، أو إبدال حرف مكان حرف آخر، أو كلمةٍ مكان كلمةٍ أخرى.

والنوع الأول[٢] ليس مجال بحثنا الآن في هذه الرسالة، وقد تناوله الزركشي في كتابه «البرهان»[٣] تحت عنوان: «النوع السادس والثلاثون: معرفة المُحكَم من المُتشابِه»، وتناوله السيوطي في «الإتقان»[٤] تحت عنوان: «النوع الثالث والأربعون: في المُحكَم والمُتشابِه»، وبحث أيضًا في هذا الموضوع في كتابه «معترك الأقران»[٥] تحت عنوان: «الوجه التاسع من وجوه إعجازه: انقسامه إلى مُحكَم ومُتشابِه»، كما تناوله في كتابه «التحبير»[٦] تحت عنوان: «النوع الرابع والأربعون والخامسُ والأربعون: المُحكَم والمُتشابِه».

وأمّا **النوع الثاني** فهو المتشابه اللفظي في بعض آيات القرآن وسُوَره، وهذا هو موضوع كتاب «درة التنزيل» الذي وفَّقني الله تعالى لتحقيقه.

ومن الجدير بالذكر أن هذا النوع من المتشابه قد تناوله علماء الدراسات القرآنية تحت تسميات مختلفة، ولعلّ هذا يرجع إلى زيادة في البيان والإيضاح. فمثلًا:

---

(١) أي: المتشابه الذي يقابل المحكم. (٢) هو المتشابه ضد المحكم.
(٣) البرهان في علوم القرآن للزركشي (٢: ٦٨).
(٤) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٣: ٣).
(٥) معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي (١: ١٠٣).
(٦) التحبير في علم التفسير للسيوطي (ص١٠١).

إسلام ويب islamweb.net

قد تناوله الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت٥٩٧هـ) في كتابه «فنون الأفنان» تحت عنوان: أبواب المتشابه، وقال: «فنحن نذكر الآن من محاسن المتشابه في اللفظ: أبواب المتشابه»[١]، وأورد تحت هذا العنوان بعض أنواع المتشابه اللفظي في القرآن الكريم بذكر أمثلة كثيرة، من غير ذكر السبب والحكمة في ذلك.

وسمّى الإمام الزركشي (ت٧٩٤هـ) في كتابه «البرهان في علوم القرآن» هذا النوعَ علم المتشابه[٢]، وسمّاه الإمام السيوطي في «الإتقان»[٣] الآيات المشتبهات، وتناوله رحمه الله في كتابه «معترك الأقران»[٤] تحت عنوان: الوجه السادس من وجوه إعجازه: مُشتبِهات آياته، وتناوله أيضًا في كتابه «التحبير»[٥] تحت عنوان: النوع التاسع والستون: الأشباه.

وكلُّ ما تقدم يكشف لنا أن الذين صنّفوا في علوم القرآن أشاروا إلى هذا التفريق بين المتشابه الذي يقابل المُحكَم، وبين المتشابه في اللفظ، وراعَوا هذا التقسيم في مصنّفاتهم، وجعلوا كلّ قسم عِلمًا خاصًّا مستقلًّا من علوم القرآن.

تعريف المتشابه اللفظي اصطلاحًا:

ويجدُر بنا في هذا المقام أن نورد ما ذكره العلماء في تعريف علم المتشابه اللفظي الذي هو موضوع بحثنا:

---

(١) فنون الأفنان في علوم القرآن (ص٣٧٦).

(٢) البرهان في علوم القرآن (١: ١١٢)، حيث خصّص الزركشي النوع الخامس من كتابه لهذا العلم.

(٣) الإتقان في علوم القرآن (١: ١١٢)، وقد تناوله السيوطي في النوع الثالث والستين.

(٤) معترك الأقران (١: ٦٦).

(٥) التحبير في علم التفسير (ص١٢٤).

إسلام ويب islamweb.net

١ـ قال الزركشي (ت٧٩٤هـ) في «البرهان»: «وهو ـ أي: علم المتشابه ـ إيراد القصة الواحدة في صور شتّى وفواصل مختلفة...»[١].

٢ـ قال السيوطي (ت٩١١هـ) في «الإتقان»[٢]: «والقصد إيراد القصة الواحدة في صور شتّى، وفواصل مختلفة، بأن يأتي[٣] في موضع واحد مقدَّمًا وفي آخر مؤخَّرًا، كقوله تعالى: ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ﴾ [البقرة: ٥٨]، وفي الأعراف [١٦١]: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٞ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا﴾، وفي موضع بزيادة وفي آخر بدونها، وفي موضع معرَّفًا وفي آخر منكَّرًا، أو مفردًا وفي آخر جمعًا، أو بحرف وفي آخر بحرف آخر، أو مدغمًا وفي آخر مفكوكًا».

٣ـ قال أبو البقاء (ت١٠٩٤هـ) في كتابه «الكليات»[٤]: «إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة في التقديم والتأخير، والزيادة والترك، والتعريف والتنكير، والجمع والإفراد، والإدغام والفكّ، وتبديل حرف بحرف».

ويتبيَّن لنا من كلام السيوطي وأبي البقاء متابعتهما لِما قاله الزركشي من قبل.

ويجدُر أيضًا أن أذكر هنا أنّ هؤلاء العلماء الأجلّاء ما أرادوا مِن القصة: المعنى المشهور للقصة القرآنية، كقصة موسى عليه السلام، بل المراد بالقصة[٥] عندهم: الأمر والموضوع مطلقًا، سواء ورد في أثناء قصة قرآنية أو غيرها، والدليل على هذا

(١) البرهان في علوم القرآن (١: ١١٢).
(٢) الإتقان في علوم القرآن (٣: ٣٣٩)، وانظر: معترك الأقران (١: ٦٦).
(٣) في الإتقان: «بل تأتي»، والمثبت من معترك الأقران (١: ٦٦).
(٤) الكليات لأبي البقاء (ص٨٤٥).
(٥) قال الجوهري في الصحاح (٣: ١٠٥١ قصص): «والقصة: الأمر والحديث». وفي المعجم الوسيط (ص٧٤٠): «القصة: التي تكتب، والجملة من الكلام، والحديث، والأمر، والخبر، والشأن».

إسلام ويب islamweb.net

أن الأمثلة التي ذكروها، منها ما يوجد في هذا القصص القرآني، ومنها ما يوجد في غيره، ومن الأمثلة على وجود آيات متشابهاتٍ في غير القصص: قوله تعالى في سورة النساء [١٣٥]: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾، وفي سورة المائدة [٨]: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ﴾.

يقول أبو عبد الله الخطيب رحمه الله تعقيبًا على هذا: «للسائل أن يسأل فيقول: ما الفائدة في تقديم قوله: ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ على قوله: ﴿شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ في الآية الأولى، وتأخيره عنه في الآية الثانية؟»، ثم أجاب عن المسألة[١].

وقد فهم بعض الباحثين[٢] أن المراد بالقصة في كلام الزركشي والسيوطي المعنى المشهور للقصة، ولكن الصواب أن تُفهَم على معناها العام؛ لأن الزركشي لم يحصر المتشابه في القصص، بل صرح بأنه يكثُر فيه حيث قال: «يكثُر في إيراد القصص والأنباء»[٣]. وكذلك المثال الذي تقدَّم ذكرُه يؤيد ما ذهبنا إليه أيضًا؛ لأنه ليس من القصص القرآني. والله أعلم.

وفي نهاية المطاف نستطيع أن نقول: إنّ المتشابه اللفظي في آيات القرآن الكريم هو أن تجيء الآيات القرآنية متكرِّرة في القصة الواحدة من قصص القرآن، أو موضوعاته، في ألفاظ متشابهة، وصور متعدِّدة، وفواصل شتى، وأساليب متنوِّعة، تقديمًا وتأخيرًا، وزيادة ونقصًا، وذكرًا وحذفًا، وتعريفًا وتنكيرًا، وإفرادًا وجمعًا،

---

(١) انظر من هذا الكتاب (١: ٣٦٨).

(٢) الدكتور عدنان زرزور في كتابه «علوم القرآن» (ص١٦٦). والدكتور صلاح الدين رسلان في كتابه: «القرآن الحكيم (رؤية منهجية جديدة..)» (ص٢٦٣). والشيخ علي محمد الزبيري في كتابه «ابن جزيّ ومنهجه في التفسير» (٢: ٨٠٢).

(٣) البرهان للزركشي (١: ١١٢).

إسلام ويب islamweb.net

وإيجازًا وإطنابًا، وإبدال حرف بحرف آخر، أو كلمةٍ بكلمة أخرى، ونحو ذلك، مع اتحاد المعنى لغرض بلاغي، أو لمعنًى دقيق يُراد تقريره، لا يدركه إلا جهابذة العلماء وأساطين البيان[١].

المطلب الثالث: موضوع علم المتشابه اللفظي في القرآن الكريم

موضوع هذا العلم هو الآيات القرآنية باعتبار ما فيها من تشابه لفظي. ونتعرّف به على تلك الظاهرة العجيبة التي امتاز بها القرآن الكريم في تكرير بعض آياته في عدة مواضع، بالكلمات المتفقة أو المختلفة، ممّا يؤدِّي إلى اشتباه بعض ألفاظه واختلافها إيجازًا وإطنابًا، وتقديمًا وتأخيرًا، وذكرًا وحذفًا... إلى غير ذلك من الأنواع التي تقدَّم ذكرها سابقًا، ممّا قد يظنه بعض قِصار النظر تكرارًا خاليًا عن فوائد وأسرار، فالمتشابه اللفظي في الآيات القرآنية على هذا النحو لون من ألوان الإعجاز في القرآن الكريم.

لقد تناول ابن المنادي (ت٣٣٦هـ) هذا المتشابه اللفظي في كتابه تحت نوعين رئيسين، هما:

الأول: النوع الأبوابيُّ، فقد خصَّصه لجمع النظائر من ألفاظ القرآن التي تشتبه على من كان سيِّئ الحفظ من حُفّاظ القرآن الكريم. وقد ذكر تحت هذا النوع تسعة أقسام، وأشار في أثناء ذكر هذه الأقسام[٢] أكثر من مرة أن منها ما يُجمَع للحفظ فقط[٣]،

---

(١) يُنظَر: مقدمة تحقيق كشف المعاني لابن جماعة (ص٤٥).

(٢) هذه الأقسام تقع من كتاب «متشابه القرآن» لابن المنادي ما بين (ص٦٦-١٥٨).

(٣) من أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾، وذلك في موضع واحد، وهو قوله تعالى في سورة النساء [٥٦]: ﴿لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾. انظر: متشابه القرآن لابن المنادي (ص٦٦).

إسلام ويب islamweb.net

ومنها ما يُجمَع لرأي العين دون الحفظ[١]، ومنها ما يصلح بعضه للحفظ، وبعضه لرأي العين[٢].

وقد أوصل ابن المنادي أبواب هذا النوع من المتشابه إلى خمسين بابًا، إضافة إلى عشرين بابًا فأكثر تتفرَّع عنها، حيث قال: «ومبلغ أبوابه الأصول خمسون بابًا، والمتفرِّعة عشرون بابًا فأكثر، وبذلك كمَل النوع الأبوابي من متشابه الكلام المَخُوف على بعض القَرَأة ـ بترك مراعاة حفظ نَظم حروفه ـ الغلطُ...»[٣].

وبالتتبُّع تبيَّن لي أن هذه الأمثلة وغيرها مما ذكرها ابن المنادي تحت النوع الأبوابي كلُّها فيما تكرَّر من أجزاءٍ متفقة في الآيات القرآنية، سواء أكانت تلك الآيات في موضوع واحد، أم موضوعاتٍ مختلفة، وليس فيها ذكرٌ من الآيات المتشابهة التي في بعضها شيءٌ مما ليس في الأخرى، من تقديم وتأخير، وحذف وزيادة، وتعريف وتنكير، في قضية واحدة، وموضوع واحد.

والثاني: النوع السُّوَريُّ[٤]، فقد ذكر ابن المنادي فيه الآيات التي تتغاير فيها

(١) ومن الأمثلة التي ذكرها تحت هذا القسم: قوله تعالى: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ﴾ بالفاء، وذلك في موضعين؛ الأول في هود [٢٦، ٢٧]: ﴿عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ * فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ﴾. والثاني في المؤمنين [٢٣، ٢٤] في قصة نوح: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ * فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ﴾. يُنظَر: متشابه القرآن لابن المنادي (ص١٠٧).

(٢) ومن الأمثلة التي ذكرها تحت هذا القسم: قوله تعالى: ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَتُ﴾ بغير تاء، وذلك في موضعين من سورة آل عمران، فالأول: ﴿وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَتُ﴾ [آل عمران: ٨٦]. والثاني: ﴿كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

(٣) متشابه القرآن لابن المنادي (ص١٥٨).

(٤) يعني النوع الذي يراعى فيه ترتيب السور في القرآن الكريم، وسيأتي الكلام عليه في نشأة علم المتشابه اللفظي (١: ٤٢).

إسلام ويب islamweb.net

أبنيـة الكلام والقصص، والآيات التي يتغيَّـر ترتيبُها في التقديم والتأخير، والإيجاز والتأكيد...[١].

وهـذا النـوع السُّـوَري الـذي ذكـره ابن المنـادي هـو أسـاس للكتـب المؤلَّفة المتخصِّصة لتوجيه الآيات المتشـابهة، بمعنى أن الآيات التي ذُكِرت في هذا النوع هي التي تكوِّن متن مسائل تلك الكتب، والتي منها كتاب «درة التنزيل وغرة التأويل» الذي نحقِّقه.

واعتنـى أيضًـا بذكر أنواع هذا اللون من المتشـابه بعضُ العلمـاء الذين صنَّفوا في علوم القرآن؛ فقد توسَّع ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) فيه، وأخذ هذا البحثُ حجمًا كبيـرًا مـن كتابـه[٢]، حيث إنه رحمه الله جعل لهذا المتشـابه سلسـلة مـن الأبواب، وتحـت بعضهـا عـدّةُ فصول، ولكنـه لم يحصر أنواعـه، وإنما اكتفـى بذكر بعضها، مثل باب إبدال كلمة بكلمة، أو حرف بحرف من المتشابه، وباب الحروف الزوائد والنواقص من المتشابه، وباب في المقدَّم والمؤخَّر من المتشابه.

ثـم تناول هـذا الموضوع من مصنِّفي علوم القرآن بعـد ابن الجوزي: الإمامُ الزركشـي (ت٧٩٤هـ)، وبيَّن ما يتعلَّق به في خمسـة عشـر فصلًا، وجعل الفصل الأول منهـا: «المتشـابه باعتبـار الأفـراد»[٣]، وحصر هـذا النوع من المتشـابه في

(١) يُنظَر: متشابه القرآن لابن المنادي (ص١٦١).

(٢) فنون الأفنان في علوم القرآن (ص٣٧٦-٤٨٧).

(٣) ثـم عقـد الفصـول الباقية، فجعل منها **الفصـل الثاني** لِما جاء على حرفيـن، **والثالث**: ما جاء على ثلاثة أحرف، **والرابع**: ما جاء على أربعة أحرف... **والثاني عشـر**: ما جاء على خمسـة عشر حرفًا، **والثالث عشر**: ما جاء على ثمانية عشر وجهًا... وآخرها **الفصل الخامس عشر**: ما جاء على ثلاثة وعشـرين حرفًا. يُنظَر: البرهان للزركشي (١: ١٣٣-١٥٤). قلت: ما ذكره الزركشـي مـن الفصـل الثاني إلى الفصل الخامس عشـر هو على نفس الطريقـة التي ألَّف =

إسلام ويب islamweb.net

ثمانية أقسام[١]:

الأول: أن يكون في موضع على نَظم، وفي آخر على عكسه، كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٢٠، الأنعام: ٧١]، وفي سورة آل عمران [٧٣]: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾.

الثاني: ما يشتبه بالزيادة والنقصان، ومثاله في سورة البقرة [٣٨]: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾، وفي طه [١٢٣]: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ﴾.

الثالث: بالتقديم والتأخير، وهو قريب من الأول، ومنه في البقرة [١٢٩]: ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ بتأخير ﴿يُزَكِّيهِمْ﴾، وما سواه: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ١٦٤، الجمعة: ٢] بتقديم ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾.

الرابع: بالتعريف والتنكير، ومنه في سورة البقرة [١٢٦] قوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾، وفي سورة إبراهيم [٣٥] قوله تعالى: ﴿هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾.

الخامس: بالجمع والإفراد، كقوله تعالى في سورة البقرة [٨٠]: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾، وفي آل عمران [٢٤]: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾.

السادس: بإبدال حرفٍ بحرفٍ غيره، كقوله تعالى في سورة البقرة [٥٨]: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ﴾ بالفاء، وفي سورة الأعراف [١٦١]: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا﴾ بالواو.

= الكسائي كتابه «متشابه القرآن» عليها، وعلى طريقة النوع الأبوابي التي خصَّص ابن المنادي النصف الأول من كتابه «متشابه القرآن» لها.

(١) يُنظَر: البرهان في علوم القرآن للزركشي (١: ١١٢-١٣٢).

إسلام ويب islamweb.net

السابع: بإبدال كلمة بأخرى، ومنه قوله تعالى في البقرة [١٧٠]: ﴿مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآ﴾، وفي سورة لقمان [٢١]: ﴿مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآ﴾.

الثامن: بالإدغام وتركه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ﴾ [النساء: ١١٥]، وفي سورة الحشر [٤]: ﴿وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾.

وهذه الأنواع الثمانية التي ذكرها الزركشي في الفصل الأول آنفًا، هي مجمل الأنواع التي اشتملت عليها الكتب المؤلَّفة في توجيه الآيات المتكرِّرة والمشتبهة في كتاب الله العزيز.

والذي يطَّلع على الكتب القديمة المؤلَّفة في توجيه الآيات المتشابهة يرى أنّ مؤلِّفيها لم يحدِّدوا أنواع هذا اللون من المتشابه، وإنما أشاروا في مقدمات كتبهم إلى بعض ما ستتضمَّنه كتبهم من صُوَره[(١)].

المطلب الرابع: نكتة هذا العلم، وحكمته، وأهميته، وفوائده

نكتته[(٢)]: «ما في إحدى المتشابهتين ممّا ليس في الأخرى من تقديم أو تأخير أو زيادة»[(٣)].

---

(١) يُنظَر: مقدمة كتاب «متشابه القرآن» لابن المنادي (ص٥٩)، ومقدمة «البرهان في متشابه القرآن» للكرماني (ص١١٠)، ومقدمة «كشف المعاني» لابن جماعة (ص٨٠)، ومقدمة «فتح الرحمن» للشيخ زكريا الأنصاري (ص١٥).

(٢) قال ابن دريد في جمهرة اللغة (١: ٤٠٩): «كل نقْطٍ في شيءٍ خالف لونه، فهو نكت ونكتة». وفي المعجم الوسيط (ص٩٠٥): «النكتة: الأثر الحاصل من نكْتِ الأرض. والنقطة في الشيء تخالف لونَه. والعلامة الخفية. والفكرة اللطيفة المؤثرة في النفس. والمسألة العلمية الدقيقة، يُتوصَّل إليها بدقّة وإنعام فكرٍ». ولعل المعنى هنا: علامةُ علمِ المتشابه الخفيةُ، أو المسألة العلمية الدقيقة.

(٣) التحبير في علم التفسير للسيوطي (ص١٢٤).

إسلام ويب islamweb.net

حكمته: «التصرف في الكلام، والإتيان به على ضروب، لِيُعلمهم ـ أي: العرب ـ عجزهم عن جميع طرق ذلك: مبتدأً به ومتكرِّرًا»[(١)]، وهذا التصرف في اللفظ بريء من الإسراف والتقتير، حيث إنك تجد القرآن الكريم قد احتفظ بالمعنى في صورة كاملة لا ينقص شيئًا يُعتبَر عنصرًا أصليًّا فيه، كما أنه لا يزيد شيئًا يُعتبَر دخيلًا فيه وغريبًا عنه، بل هو كما قال الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١].

أهمّيته: ترجع أهمية هذا العلم إلى تأصيل الدراسات القرآنية والعلمية؛ إذ إنّ علم المتشابه اللفظي في القرآن الكريم قسم قائم بذاته، وهو من الأنواع التي اشتمل عليها القرآن في بيان أنه وحي، لا عمل للبشر فيه، مع تنوُّع استعمالاته من تقديم وتأخير، أو زيادة وحذف، أو تعريف وتنكير، أو إبدال شيء منه بشيء آخر في الموضوع الواحد.

وترجع أهميته أيضًا إلى أهمية نشأته، حيث إنه أُنشِئ حفاظًا على القرآن الكريم من أن يقع اللحن في كلماته، وتيسيرًا لِحَفَظة كتاب الله عز وجل، وهو من علوم القرآن التي تخدمه وتحافظ عليه وتُبرِز كثيرًا من وجوه إعجازه وأسراره التي لا تنفد.

من فوائد هذا العلم:

١ـ من خلال دراسة هذا العلم نلحظ في كثير من ألفاظ القرآن أنها اختيرت اختيارًا يتجلّى فيه وجه الإعجاز من هذا الاختيار، وبذلك نتعرَّف على أنّ أسلوب القرآن الكريم له طابع خاص يسلكه في اختيار ألفاظه وتراكيبه؛ ولذا فإن هذا العلم هو أساس هام للدراسات اللفظية في القرآن الكريم[(٢)].

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي (١: ١١٢).

(٢) يُنظَر: مقدمة المحقق لكتاب «فنون الأفنان في علوم القرآن» لابن الجوزي (ص٩٥).

إسلام ويب islamweb.net

ومن ناحية أخرى فإن هذا العلم يكشف لنا أن الآيات المتشابهات في القرآن الكريم مترابطة الأجزاء والجمل مع تنويع الأسلوب في الاستعمالات القرآنية من تكرار، وإيجاز وإطناب، وتقديم وتأخير، وحذف وزيادة، وتعريف وتنكير، في قضية واحدة وموضوع واحد.

٢ـ أنه يردّ على بعض المتشكِّكين والملحدين الذين يطعنون في القرآن من خلال ما تشابه أو تماثل أو تكرَّر من ألفاظ القرآن وآياته، مدَّعين أنّ ما به من المتشابه اللفظي غير مفهوم، أو تكرار لا هدف له.

٣ـ من عجيب أمر هذا العلم «المتشابه اللفظي في القرآن» أنه كما كان دليلَ إعجازٍ من ناحية، كان أكبر عون على حفظ كتاب الله تعالى؛ إذ إن التصنيف في هذا العلم يساعد حُفّاظ القرآن الكريم على ضبط حفظهم بأداء كل لفظ في موطنه، دونما التباس بالمتشابه معه.

٤ـ إن علم الآيات المتشابهات يملأ النفس إيمانًا بعظمة الله تعالى وقدرته حين يقف الإنسان في تفسير هذا النوع من الآيات على دقائق الأسلوب البياني للقرآن الكريم، ودراستُه تُعِين على الفقه في كتاب الله، وإظهار إعجازه وغزارة معانيه وأسراره.

المطلب الخامس : نشأة علم المتشابه اللفظي في القرآن وتطوُّره وتدوينه

إنّ القول على سبيل الجزم والقطع ببداية محدَّدة لهذا الفن ليس بأمر هيِّن؛ لعدم وجود أخبار قاطعة بهذا، ولكن أستطيع القول ـ حسب ما أمكنني الاطّلاع عليه من المراجع ـ: إنّ هذا النوع من المتشابه تدرَّج كما يأتي:

١ـ نشأ أوّل ما نشأ محدودًا يسيرًا يتداوله القرّاء؛ تيسيرًا لِحفظ ألفاظ القرآن المتشابهة، وصيانة لها من الغلط. ثم بدأ فيه التأليف بما وضعه بعض القرّاء لإرشاد

إسلام ويب islamweb.net

الذين يحفظون كتاب الله، حيث يتحيَّر الحافظ أحيانًا، أو ينتقل سهوًا من آية إلى آية، ومن سورة إلى أخرى.

وأقدم ما وقفتُ عليه كتابٌ يحمل اسم «متشابه القرآن»[١]، لأحد الأئمة القراء السبعة، وهو أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي (ت١٨٩هـ)[٢]. وقد وضع الكسائي كتابه هذا على أساس طريقة الجمع التي تقوم على عرض الآيات المتشابهة لفظًا.

قال ابن المنادي (ت٣٣٦هـ) في مقدمة كتابه «متشابه القرآن»: «ولم يبق إلا النوع الذي استحدثه فريق من القرّاء، ولقّبوه «المتشابه»، وإنما حملهم على وضعهم إياه للقَرَأة ردًّا من سوء الحفظ، وحَداهُم[٣] كونُ القرآن ذا قصص، وتقديم وتأخير، كثير تردادُ أنبائه ومواعظه، وتكرار أخبار مَن سلف من الأنبياء، والمُهلَكِين الأشقياء،

(١) مخطوط منه نسخة في مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى تحت رقم (٤٨٠)، ويحتوي على (٣٢) ورقة، وجاء في أول الكتاب: «بسم الله الرحمن الرحيم، كتاب متشابه القرآن، تصنيف أبي الحسن علي بن حمزة الكسائي، فأول ذلك ما كان في القرآن حرف ليس غيره. باب حرف واحد في سورة البقرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾... وفيها: ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾». ومنه نسخة أخرى في المركز تحت رقم (٦٩٥هـ) باسم متشابهات القرآن العظيم، وعدد أوراقها: (٨٠). وذكر بروكلمان في كتابه «تاريخ الأدب العربي» (٢: ١٩٨) للكسائي كتابًا باسم «المشتبه في القرآن». يقول الأخ صفوان الداوودي محقق «وَضَح البرهان في مشكلات القرآن» لمحمود بن أبي الحسن النيسابوري (١: ١٩) حاشية (٤): «وقد اطلعت عليه ـ أي: على كتاب الكسائي ـ فهو يذكر الآيات المتشابهة في الألفاظ دون تفسير». وبناء على كلام الأخ صفوان يكون هذا الكتاب نفس الكتاب الأول.

(٢) هو علي بن حمزة بن عبد الله الكوفي، إمام في اللغة والنحو والقراءة، له عدة تصانيف، منها: معاني القرآن، والمصادر، والحروف، والقراءات، والنوادر، ومختصر في النحو. غاية النهاية (١: ٥٣٥).

(٣) أي: ساقهم وحثّهم على ذلك. وفي الصحاح (٦: ٢٣٠٩، ٢٣١٠ حدو): «الحَدْو: سوق الإبل والغناء لها..».

إسلام ويب islamweb.net

يأتي بعضه بكلام متساوي الأبنية والمعاني على تفريق ذلك في آي القرآن وسُوَره، قد يجيء حرف من غير هذا الضرب، فيأتي بالواو مرة، وبالفاء مرة، وآخر يأتي بالإدغام تارة، وبالتبيان تارة، وأسماء متماثلة..». ثم قال: «فاستحبّوا أن يجمعوا من حروف متشابه القرآن ما إذا حُفِظ منع من الغلط»[١].

ومما يؤكد أن واضعي هذا العلم هم الأئمة القرّاء: أن ابن المنادي رحمه الله قد اقتصر في سياق أسماء بعض مصنفي[٢] المتشابه على ذكر أسماء القراء، حيث يقول: «سألت أبا الحسن إدريس بن عبد الكريم[٣] المقرئ، أن يدفع إليَّ كتابَ خلف بن هشام[٤] (ت٢٢٩هـ)، الذي صنَّفه في متشابه حروف القرآن، فقال لي حين سألتُه ذلك: قال لي خلف حين سألته ما سألتني: أيش تعمل بهذا الكتاب؟ فقلت له: أكتبه عنك كما كتبه غيري، وأحفظه كما حفظه فلان وفلان، قال: فقال لي خلف: أرأيتَ إن قلتُ لكم: إن في القرآن ثلاثةَ أحرف من وجوه المتشابه، فوجدتموه أكثر مما قلت لكم، أكنتم تقبلون ذلك مني؟ فقلت له: لا، ولكني لا أجد بُدًّا من أن أكتبه عنك، قال: فأعطانيه، وقال لي: قد نصحتُ لك وأنت أعلم...»[٥].

---

(١) متشابه القرآن لابن المنادي (ص٥٩).

(٢) من الأسماء التي ذكرها: عيسى بن عثمان المروزي، وكان من أصحاب حفص بن أبي داود، وموسى الفراء إمام أهل الكوفة في القرآن. يُنظَر: متشابه القرآن لابن المنادي (ص٦١).

(٣) هو إدريس بن عبد الكريم الحداد: إمام ضابط متقن ثقة، قرأ على خلف بن هشام، تُوفي سنة (٢٩٢هـ). المبسوط (ص٦٥)، حاشية (١).

(٤) هو خلف بن هشام البزار البغدادي: أحد القراء العشرة، وُلد سنة (١١٠هـ) وتُوفي سنة (٢٢٩هـ). غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (١: ٢٧٣)، والأعلام (٢: ٣١٢).

(٥) متشابه القرآن لابن المنادي (ص٦١).

إسلام ويب islamweb.net

ثم يقول ما خلاصته: إنه مكث مدة يظن أن خلفًا أول من رسم للناس هذا المتشابه من أجل المحاورة التي كانت جرت بينه وبين إدريس فيه، حتى ورد إليه كتُبٌ أخرى من مشايخ القَرَأة المتقدمين. ويستدل بما يراه دليلًا عنده «أن كتاب موسى الفرّاء من بين تلك الكتب أول شيء وُضِع في هذا الضرب»[(١)].

٢ـ وهناك من توسَّع في هذا النوع أسئلة أو تأليفًا، حتى ذكروا أمورًا لا جدوى وراءها، ودقائق لا طائل تحتها، وهو ما دفع ابن المنادي إلى استنكار ذلك حيث يقول: «ولقد أوغل جماعة ممن شاهدناهم فيه، حتى بلغوا به ألف حرف، ثم صعدوا به وصوَّبوا، فأقبلوا يتذاكرون فيما بينهم منه بمُحالات، وبما لا يجدي، وإن كان غير مُحال نفعًا. فكان ممن يحذق فيه أبو جعفر محمد بن إسحاق الكوفي المَراوِحي[(٢)]، وكان مما يلقيه: كم في القرآن: «مِن»، و«مَن»، و«ما»، و«لن»... وكان غيرُه يلقي: كم في القرآن حرفان مقترنان على لفظ واحد؟ يريد بذلك قولَه في آل عمران [١٥]: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾، وفيها: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٤]»[(٣)].

٣ـ وهناك طريقة أخرى استُحدثت في تصنيف الآيات المتشابهات، تُعَدّ تطوُّرًا كبيرًا في تدرُّج هذا الفن، وهي تعتمد على حصر المتشابهات على أساس كل سورة سورة، حسب ترتيب المصحف الشريف، وقد أشار إلى ذلك ابن المنادي، وجعل النصف الثاني من كتابه «متشابه القرآن» لهذا النوع من التأليف[(٤)]، حيث قال: «نذكر ما في النوع السُّوَري من تغاير أبنية الكلام والقصص، وترتيبها في التقديم والتأخير،

(١) متشابه القرآن لابن المنادي (ص٦٢).
(٢) هو من شيوخ ابن المنادي. انظر: متشابه القرآن لابن المنادي (ص١٥٩) حاشية (١).
(٣) متشابه القرآن لابن المنادي (ص١٥٨).
(٤) ذلك يقع ما بين (ص١٦١-٢٢٦) من كتاب متشابه القرآن لابن المنادي.

إسلام ويب islamweb.net

والإيجاز، والتأكيد..»[١].

ثم قال: «وكأن الذي استحدثه أراد أن يقرِّب بعض الأشكال إلى بعض، فعمد إلى ما في سورة البقرة من حرف له نظير مذكور في سورة أخرى أو سور عدة، فأضاف تلك النظائر إلى الحرف أو الحروف التي تشبهها في سورة البقرة، حتى إذا استنظف[٢] ما في سورة البقرة من ذكر القصص والحروف المتشابهة، ذكر ما في سورة آل عمران وما يليها إلى آخر القرآن بذلك النعت»[٣].

وهكذا بدأت هذه الدراسة القرآنية متمثِّلة في تتبُّعِ الآيات التي تشابهت، وجمعِ نظائرها كما فعل أئمة القراءات.

٤ـ ثم تطوّرَ التصنيفُ فيه، فاتجهت همّة طائفة من العلماء إلى توجيه هذا النوع من الآيات، وبيان السبب، والحكمة في اختصاص كل آية بما جاء فيها مختلفًا عن الآية المشابهة لها، وذلك لمّا نشأ أقوام من الزنادقة والملحدين فجعلوا يطعنون في كتاب الله العزيز، محتجّين لباطلهم بما في القرآن من آيات تبدو لهم متعارضة المعنى، وبتكرار لا فائدة فيه، وتشابهٍ في الألفاظ القرآنية يؤدي إلى اشتباه بعضها ببعض، بسبب تقديم أو تأخير، أو غير ذلك مما تقدم ذكره.

ومن هنا انتقل هذا العلم إلى مرحلة من أجلِّ مراحل العلم، وهي مرحلة توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، وبيان أسراره العلمية، وما فيه من وجوه الإعجاز، وهذه المرحلة هي التي كان فيها الكتاب الذي نحقِّقه «درة التنزيل وغرة

(١) متشابه القرآن لابن المنادي (ص١٦١).

(٢) أي: تناول ما فيها من تلك الآيات ولم يترك شيئًا منها. قال في الصحاح (٤: ١٤٣٥ نظف): «استنظفتُ الشيء، أي: أخذتُه كلّه..».

(٣) متشابه القرآن لابن المنادي (ص١٦١).

إسلام ويب islamweb.net

التأويل» لأبي عبد الله الخطيب، وما تبعه من المؤلَّفات التي سنذكرها إن شاء الله بعد قليل.

المطلب السادس: التأليف في توجيه متشابه القرآن اللفظي

تكلمنا فيما سبق عن نشأة وتطوُّر التأليف في كتب المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، سواء منها ما جُمِع تحت النوع الأبوابي، أو النوع السُّوَري[١] كما سمّاهما ابن المنادي رحمه الله تعالى.

والنوع السُّوَري الذي ذكر ابن المنادي صورة التأليف فيه[٢] هو أساس للكتب التي خُصِّصت لتوجيه الآيات المتشابهة كما قلنا سابقًا، فهو بمثابة المتن لها، وهي شارحة وموجِّهة ومبيِّنة لأسرار التشابه في الآيات المتعدِّدة.

من كل ما تقدم يمكننا أن نقسم المؤلَّفات في المتشابه اللفظي في القرآن الكريم إلى قسمين:

أولًا: مؤلَّفاتٌ ظهر فيها الاقتصارُ على جمع الآيات المتشابهات. وهذا النوع من التأليف يتمثَّل فيما قام به بعض أئمة القراءات مِن جمع النظائر من ألفاظ القرآن التي تشتبه على مَن يريد حفظ القرآن الكريم، ليتنبَّه لها، فيُتقن حفظها دون أيّ التباس بما يشبهها. وأقدم ما وصل إلينا من مؤلَّفاتٍ بهذا النوع هو ما يُعزَى إلى أبي الحسن الكسائي (ت١٨٩هـ) بعنوان «متشابه القرآن» كما تقدَّم ذكره.

---

(١) النوع الأول من كتاب ابن المنادي يقع ما بين (ص٦٧-١٥٨)، والنوع الثاني يقع ما بين (ص١٦٢-٢٢٦).

(٢) يُنظَر: نشأة علم المتشابه اللفظي من هذا الكتاب (ص٤٢).

إسلام ويب islamweb.net

وقد أشار إلى هذا النوع من التأليف الكرمانيّ (ت٥٠٥هـ) في مقدمة كتابه «البرهان في متشابه القرآن» فقال: «واقتصروا على ذكر الآية ونظيرها، ولم يشتغلوا بذكر وجوهها وعِلَلها والفرق بين الآية ومثلها، وهو المشكل الذي لا يقوم بأعبائه إلا مَن وفّقه الله لأدائه»(١).

ثانيًا: مؤلَّفاتٌ لم يكتفِ أصحابها بجمع تلك الآيات، بل اتجهوا إلى توجيه ما تكرَّر، واشتبه لفظًا، أو اختلف من آيات الكتاب العزيز تقديمًا وتأخيرًا، وإفرادًا وجمعًا، وتعريفًا وتنكيرًا، إلى غير ذلك من أنواع المتشابه.

والتأليف في توجيه المتشابه اللفظي أخذ طريقين:

الأول: توجيه مُدرَج في ثنايا كتب التفسير وعلوم القرآن والإعراب وغير ذلك، حيث يذكره المؤلف عند مناسبته، ولا يفرده بالبحث، كما في قول القاضي عبد الجبار (ت٤١٥هـ) في سرّ تكرار قوله تعالى: ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾: «ربما قيل في قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۞ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾ [الكافرون: ١، ٢]: كيف يحسُن ذلك في الحكمة مع التكرار الذي فيه؟ وجوابنا أنه لا تكرار في ذلك؛ لأن قوله تعالى: ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾ المراد به في المستقبل، وقوله تعالى: ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾ [الكافرون: ٣-٥] المراد به في الحال، ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ﴾ [الكافرون: ٤]، المراد به في المستقبل، وفي الحال؛ أي: لا أعبد ما تقدَّمتْ عبادتكم له، ومن يعُدُّ ذلك تكرارًا فمن قلة معرفته وتدبُّره؛ لأنه ينظر إلى اللفظ ويعدل عن تأمُّل المعنى»(٢).

الثاني: توجيه مُفرَد بالتأليف، مستقل في كتب خاصة به، والذين سلكوا هذا النوع من التأليف في متشابه القرآن اتخذوا محورًا خاصًّا من حيث كيفية تناوله،

(١) البرهان في متشابه القرآن للكرماني (ص١١٠).
(٢) تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار (ص٤٨٤).

إسلام ويب islamweb.net

ومن حيث معالجته، حيث إنهم يذكرون الوجوه المحتملة في بيان هذا النوع من التفسير، وذلك يتم بعد تتبُّع الآيات ذات الموضوع الواحد، أو ذات الأسلوب الواحد، وفي ذلك يستعملون طريقة طرح السؤال والجواب عنه، كما في «درة التنزيل» لأبي عبد الله الخطيب (ت٤٢٠هـ)، و«ملاك التأويل» لابن الزبير الغِرناطي (ت٧٠٨هـ)، و«كشف المعاني» لأبي عبد الله بن جماعة (ت٧٣٣هـ).

ومن الجدير بالذكر أن هؤلاء الذين يؤلِّفون في توجيه الآيات المتشابهات لا يقفون عند كل آية هي من المتشابه اللفظي، بل يتنقَّلون بين الآيات المتشابهة مُنْتقين ما يحتاج إلى توجيه، تاركين توجيه ما لا يحتاج إلى إعمال فكر، وما لا يبدو فيه إشكال. ومن هذا اختلف المتشابه بالنسبة للأفراد والعلماء بحسب دائرة علم كل منهم، فما يهتدي إليه عالم قد يغفل عنه آخر، وقد تشتبه الآية على عالم ولا تشتبه على غيره وهكذا، وممّا لا شكّ فيه أيضًا أنّ قدرات المشتغلين بتوجيه الآيات من هذا النوع تتفاوت تفاوتًا بعيدًا؛ لأن ميدان التوجيه فسيح وحمّال ذو وجوه تحتملها ألفاظ الآيات الكريمة.

وبهذا الاعتناء ونحوه ـ وما أكثره! ـ يصون الله كتابَه من طعن الملحدين. وما زالت الدراسات حول هذه الآيات في حاجة إلى استكمال، وإلى توسيع وتعميق، بحسب ما جدَّ من حاجات الزمان.

المطلب السابع: الكتب المؤلَّفة في المتشابه اللفظي، وفي توجيهه

نذكر في هذا المطلب ما استطعنا جمعه وإحصاءه من الكتب المؤلَّفة في نوعَي التأليف في علم متشابه القرآن الكريم، وهما:

أ ـ جمع الآيات المتشابهات لفظًا.

ب ـ توجيه الآيات المتشابهات لفظًا.

إسلام ويب islamweb.net

أولًا: الكتب التي جمعت الآيات المتشابهات لفظًا

١ـ كتاب[١] نافع بن عبد الرحمن، وهو أحد القرّاء السبعة (ت١٦٩هـ)[٢].

٢ـ متشابه القرآن لأبي الحسن علي بن حمزة الكسائي، وهو أحد القرّاء السبعة (ت١٨٩هـ)، وهو ـ فيما يحسبه السيوطي ـ أول كتاب أُفرِد بالتصنيف في متشابه القرآن[٣]، وقد جمع فيه مصنِّفه رحمه الله الآيات المتشابهات من حيث اللفظ بحسب ترتيب السور، ولم يتعرض لأسرار المتشابه وبيان فروقه الدقيقة.

٣ـ كتاب محمود بن الحسن[٤].

٤ـ كتاب خلف بن هشام الأزدي، وهو أحد القراء العشرة (ت٢٢٩هـ)[٥].

٥ـ كتاب القطيعي[٦].

٦ـ كتاب حمزة بن حبيب الزيات (ت١٥٨هـ)[٧].

---

(١) ذكر ابن النديم كتابَ نافع في الكتب المؤلفة في متشابه القرآن. انظر: الفهرست (ص٥٥).

(٢) وقيل: تُوفي سنة (١٧٠هـ). يُنظَر: غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري، ومتشابه القرآن للقاضي عبد الجبار (ص٥٢)، حاشية (٤).

(٣) انظر: الإتقان للسيوطي (٣: ٣٣٩)، وكشف الظنون لحاجي خليفة (٢: ١٥٨٤)، ومفتاح السعادة لطاش كبري زاده (٢: ٤٨٣).

(٤) ذكروا أنه تُوفي في حدود الثلاثين ومئتين، وعدّه الحاكم الجشمي فيمن ذهب إلى العدل من الشعراء وأئمة اللغة. يُنظَر: فوات الوفيات لابن شاكر (٢: ٥٦٢)، ومتشابه القرآن للقاضي عبد الجبار (ص٥٢) حاشية (١). وذكر ابن النديم كتابه في الكتب المؤلفة في متشابه القرآن. انظر: الفهرست (ص٥٥).

(٥) ذكر ابن النديم كتابه في الكتب المؤلفة في متشابه القرآن. انظر: الفهرست (ص٥٥).

(٦) هو أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك، أبو بكر القطيعي، تُوفي سنة (٣٦٨هـ). يُنظَر: لسان الميزان لابن حجر (١: ١٤٥). وذكر ابن النديم كتابه في الكتب المؤلفة في متشابه القرآن. انظر: الفهرست (ص٥٥).

(٧) ذكره ابن النديم في الكتب المؤلفة في متشابه القرآن. انظر: الفهرست (ص٥٥).

إسلام ويب islamweb.net

٧ـ كتاب علي بن القاسم الرشيدي[١].

٨ـ كتاب جعفر بن حرب المعتزلي (ت٢٣٦هـ)[٢].

٩ـ كتاب مقاتل بن سليمان البلخي (ت١٥٠هـ)[٣].

١٠ـ كتاب أبي علي الجبائي (ت٣٠٣هـ)[٤].

١١ـ كتاب أبي الهذيل العلاف[٥].

١٢ـ متشابه القرآن العظيم، تأليف أبي حسين أحمد بن جعفر بن أبي داود المُنادِي (ت٣٣٦هـ)، وكتاب ابن المنادي هذا يعتبر مرحلة أساسية في تحديد هذا العلم وتقعيده، ووضعِ ضوابط له، وقد جمع فيه مصنِّفُه النظائر من ألفاظ القرآن التي تشتبه على القارئ ليحفظها وينتبه لها فيتقن حفظها. ونجد في آخر هذا الكتاب مبحثين[٦] تناولهما المؤلف على طريقة الكتب التي أُلِّفت في توجيه تلك الآيات، وهو ما يدل على اهتمامه بهذا الجانب أيضًا.

---

(١) ذكره ابن النديم في الكتب المؤلفة في متشابه القرآن. انظر: الفهرست (ص٥٥).

(٢) ذكره ابن النديم في الكتب المؤلفة في متشابه القرآن. انظر: الفهرست (ص٥٥).

(٣) ذكره ابن النديم في الكتب المؤلفة في متشابه القرآن. انظر: الفهرست (ص٥٥). وذُكر في مؤلفات مقاتل بن سليمان الآيات المتشابهات. قال عبد الله شحاتة محقق تفسير مقاتل: «وربما كانت الآيات المتشابهات هي الوجوه والنظائر في القرآن فيكون الكتاب واحدًا واسمه متعدد». انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٥: ٧٣).

(٤) اسمه محمد بن عبد الوهاب، كان شيخ المعتزلة في البصرة، وإليه تُنسَب فرقة «الجبائية». يُنظَر: وفيات الأعيان لابن خلكان (ص٣٩٨، ٣٩٩) ترجمة رقم (٥٧٩)، والأعلام للزركلي (٦: ٢٥٦). وذكر ابن النديم كتابه في الفهرست (ص٥٥).

(٥) هو محمد بن الهذيل بن عبيد الله العبدي: من شيوخ المعتزلة، وقيل: تُوفي في أول أيام المتوكل سنة (٢٣٥هـ). يُنظَر: طبقات المعتزلة (ص٣٣). وذكر ابن النديم كتابه في الفهرست (ص٥٥).

(٦) انظر: متشابه القرآن لابن المنادي (٢٢٧-٢٣٢).

إسلام ويب islamweb.net

١٣ـ مجالس ابن الجوزي في المتشابه من الآيات القرآنية[١].

١٤ـ هداية المرتاب وغاية الحُفّاظ والطلاب في معرفة متشابهات كلام رب الأرباب[٢]، تأليف شيخ القراء نور الدين علي بن عبد الله السخاوي الشافعي (ت٦٤٣هـ)، وهي أحسن منظومة فيما يشتبه على القارئ من الآيات المتماثلة. وقد شرح هذه المنظومة الأستاذ القارئ محمد نجيب الشهير بالآلا، وسمّاه «كشف الحجاب عن هداية المرتاب»[٣].

١٥ـ بغية المريد حفظ القرآن المجيد[٤]، تأليف السيد عمر السمهودي المدني[٥]، يقع في (٣١) ورقة، ويقول مؤلِّفه في المقدمة: «قد نظم العالم العامل... خاتمة المحققين عمدة المدققين نور الدين علي السخاوي... منظومة في مُشكِل القرآن ومتشابه الفرقان، فإنها بيِّنة الألفاظ، واضحة المعنى للحُفّاظ، وأما من أراد الحفظ فقد يعسر لضيق النَّظم عليه في بعض المواضع الفهمُ خصوصًا وقد تقاصرت الهمم وتقاعست[٦] عن الترقي بحفظ المتشابه والمحكم، فاقتديت في ذلك بالشيخ الإمام... وألَّفتُ هذه الرسالة المتكفِّلة بواضح البيان والدلالة وسميتها

(١) توجد منه نسخة مصورة على شريط مصغر (ميكروفيلم) في مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى تحت رقم (١١٩٦) تفسير، وتقع في (١١) ورقة.

(٢) هو من مطبوعات المكتبة المحمودية الكائنة بميدان الأزهر الشريف بمصر، وتاريخ الطبع غير موجود.

(٣) طُبع على نفقة مطبعة الاقتصاد في خان الحرير، حلب، سوريا، بدون تاريخ.

(٤) وجاء في الهامش الأيسر عبارة هي: وإن شئت سمِّها «تحفة الغاية لما في القرآن من المتشابه».

(٥) لم أقف على ترجمته.

(٦) القَعَس: خروج الصدر ودخول الظهر: ضد الحَدَب... وتقاعس الرجل عن الأمر، أي: تأخر ولم يتقدم فيه. الصحاح (٣: ٩٦٤ قعس).

إسلام ويب islamweb.net

«بغية المريد حفظ القرآن المجيد»[١].

١٦ـ مشابه القرآن على حروف المعجم لمحمد بن أحمد بن أبي بكر الخزرجي القرطبي (ت٦٧١هـ)[٢].

١٧ـ التبيان في متشابهات القرآن، تأليف الحافظ جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)[٣].

١٨ـ كتاب مُعِين الإنسان على ضبط متشابه القرآن[٤].

١٩ـ المشكل والمتشابه من آيات القرآن (منظومة)[٥].

٢٠ـ إرشاد الرحمن لأسباب النزول والنَّسخ والمتشابه وتجويد القرآن، للعلامة عطية بن عطية الأجهوري الشافعي (ت١١٩٤هـ)[٦].

---

(١) منه نسخة مصورة عندي، وتقع في ثلاثين ورقة، وخطها مقروء، وهي في دار الكتب المصرية تحت رقم (٨٠) تفسير.

(٢) منه نسخة مصورة على شريط مصغر (ميكروفيلم) في مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى، تحت رقم (١٢٢٢)، ويقع في (١٠٧) ورقات، وتلك النسخة مصورة من مكتبة شهيد علي بإستانبول.

(٣) منه نسخة مصورة عندي، وهي محفوظة في مكتبة عاطف أفندي في إستانبول تحت رقم (٧٨)، وهي (٧٣) ورقة.

(٤) مجهول المؤلف والناسخ، وعدد الأوراق: (٣٨)، منه نسخة مصورة على شريط مصغر (ميكروفيلم) تحت رقم (٧٥٥) في مركز البحث العلمي في جامعة أم القرى، وهي مصورة عن المكتبة الوطنية بتونس برقم (٥٧٨٩).

(٥) مجهول المؤلف، وعدد الأوراق: (٨)، وتوجد منه نسخة مصورة على شريط مصغر (ميكروفيلم) تحت رقم (٥٦٥) في مركز البحث العلمي في جامعة أم القرى.

(٦) مخطوط بدار الكتب والوثائق المصرية والمكتبة الأزهرية [علوم القرآن، عدة نسخ]. نقلًا عن كلام محقق كتاب «البرهان في توجيه متشابه القرآن للكرماني» (ص٣٧٧).

إسلام ويب islamweb.net

٢١ـ منظومة في مشابهات القرآن، للعلامة محمد الخضري الدمياطي (ت١٢٨٧هـ)[١].

٢٢ـ كنز المتشابهات، تأليف محمد محبوب[٢].

٢٣ـ متشابه التنزيل (منظومة)[٣].

٢٤ـ تيسير الوهاب المنان على توضيح متشابه القرآن، تأليف محمد بن انبوجا التثيتي (توفي في أول القرن الثاني الهجري)، وهو شرح محمد أحمد الأسود الشنقيطي[٤]، وهو كما قال: «شرح لطيف وجيز على نَظم متشابه القرآن العزيز الذي من جُمَله الكتاب المسمى بـ«البحر المحيط» المشتمل على ألف بيت، منها المفردات والثنائيات والثلاثيات إلى التسعة والعشرين إلى غير ذلك..».

٢٥ـ مثاني الآيات المتشابهات الكاملات[٥]، تأليف عبد الرزاق بن أحمد الشاحذي اليماني، جعله مؤلِّفه لحُفّاظ كتاب الله عز وجل، ورتَّبه على ترتيب السور.

٢٦ـ التفسير في متشابه القرآن، وهو يبحث في المعاني المختلفة لكلمات مفردة مثل هدى وكفر.. إلخ، وذلك في مواضع مختلفة من القرآن[٦].

---

(١) طُبع في مطبعة النيل بمصر سنة (١٣٢١هـ = ١٩٠٣م).

(٢) مطبوع، منه نسخة في مكتبة الحرم المكي، بدون تاريخ.

(٣) مجهول المؤلف، طُبع في مطبعة الحجاز في عهد الخلافة العثمانية، سنة (١٣١١هـ)، منه نسخة في مكتبة الحرم المكي.

(٤) طُبع في عام (١٤٠١هـ) على نفقة عبد الله أحمد كعكي في مكة المكرمة.

(٥) مطبوع، سنة الطبع غير مذكورة، وهو يقع في (١٠٧) ورقات.

(٦) ذكره بروكلمان في تاريخ الأدب العربي (٤: ١٠) في الباب الثامن. ومنه نسخ خطية في مكتبات تركيا: في مكتبة فيض الله برقم (٧٩)، ومكتبة حميدية (٥٨)، والمكتبة العمومية برقم (٥٦١).

إسلام ويب islamweb.net

٢٧ـ سلسلة ضبط المتشابهات في القرآن الكريم، جمع وترتيب محمد بن عبد الله الصغير[١].

٢٨ـ التوضيح والبيان في تكرار وتشابه آي القرآن، تأليف عبد الغفور عبد الكريم البنجابي[٢].

ثانيًا: الكتب المتخصصة في توجيه الآيات المتشابهة لفظًا

توجيه الآيات المتشابهة يعتبر نوعًا مستقلًّا بذاته في علم التفسير، حيث أُفردت له مؤلَّفات خاصة كما أُفردت مؤلَّفات مستقلة تتعلق بجوانب خاصة من تفسير القرآن الكريم، مثل «تفسير مبهمات القرآن»، و«تفسير آيات الأحكام» و«تفسير غريب القرآن».

ومن المؤلَّفات في توجيه الآيات المتشابهات:

١ـ «درة التنزيل وغرة التأويل» لأبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالخطيب (ت٤٢٠هـ). وهو الكتاب الذي حقَّقته بتوفيق من الله عز وجل، وقد خصصنا لدراسة هذا الكتاب مبحثًا مستقلًّا[٣].

٢ـ «البرهان في متشابه القرآن» للإمام محمود بن حمزة الكرماني (ت٥٠٥هـ). ويعرِّفنا به مؤلِّفُه فيقول: «فإن هذا كتاب أذكر فيه الآيات المتشابهات التي تكررت في القرآن، وألفاظها متفقة، ولكن وقع في بعضها زيادة أو نقص، أو تقديم أو تأخير، أو إبدال حرف مكان حرف، أو غير ذلك مما يوجب اختلافًا بين الآيتين أو الآيات

(١) دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع، ط. الأولى (١٤١٣هـ = ١٩٩٢م).
(٢) نشر مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط. الأولى (١٤١٤هـ = ١٩٩٤م).
(٣) انظر من هذا الكتاب (١: ٧٤) وما بعدها.

إسلام ويب islamweb.net

التي تكررت من غير زيادة ولا نقصان، وأبيِّن ما السبب في تكرارها، والفائدة في إعادتها، وما الموجب للزيادة والنقصان، والتقديم والتأخير، والإبدال، وما الحكمة في تخصيص الآية بذلك دون الآية الأخرى؟ وهل كان يصلح ما في هذه السورة مكان ما في السورة الأخرى التي تُشاكلها أم لا؟ ليجري ذلك مجرى علامات تزيل إشكالها، وتمتاز بها عن أشكالها، من غير أن أشتغل بتفسيرها وتأويلها..»[١]. وفي نهاية مقدمته يشير إلى أنه سيحكي كلام الخطيب إذا بلغ إليه، وإن كان يتضح من كلامه أنه لم يطَّلع على كتاب الخطيب، حيث يقول: «وروى أبو مسلم في تفسيره عن أبي عبد الله الخطيب كلمات معدودات منها. وأنا أحكي لك كلامه فيها إذا بلغتُ إليها مستعينًا بالله ومتوكلًا عليه»[٢].

٣ـ «ملاك التأويل» لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي (ت٧٠٨هـ)[٣]، وقد حصر مصنِّفُه موضوعه في توجيه الآيات التي تكررت واشتبهت في القرآن الكريم، وهو يعتبر أوسع وأشمل الكتب المؤلَّفة في موضوعه.

قال ابن حجر في ترجمة أحمد بن إبراهيم بن الزبير الأندلسي (ت٧٠٨هـ): «وجمع كتابًا في فن من فنون التفسير سماه «ملاك التأويل» نحا فيه طريق الحصكفي[٤] الخطيب في ذلك، فلخَّص كتابه وزاد عليه شيئًا بنفسه»[٥].

(١) البرهان في متشابه القرآن للكرماني (ص١١٠).

(٢) البرهان في متشابه القرآن للكرماني (ص١١١).

(٣) كتاب «ملاك التأويل» للغرناطي طُبع بتحقيقين؛ الأول: تحقيق سعيد الفلاح، رسالة دكتوراه، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط. الأولى (١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م). والثاني: تحقيق د. محمود كامل أحمد، نشر دار النهضة العربية، بيروت (١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م).

(٤) للكلام على هذه النسبة انظر من هذا الكتاب (١: ٩٠).

(٥) الدرر الكامنة (١: ٨٩).

إسلام ويب islamweb.net

٤ـ «كشف المعاني في المتشابه من المثاني»، تأليف شيخ الإسلام بدر الدين بن جماعة (ت٧٣٣هـ)[١].

٥ـ كتاب «قطف الأزهار في كشف الأسرار» للإمام جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)[٢]. وهذا الكتاب يعتبر من الكتب المؤلَّفة في توجيه متشابهات القرآن كما أشار إلى ذلك مؤلِّفه حيث قال: «وهذا كتاب شفعتُ به تلك، ونظمتُه معها في سِلك، في أسرار التقديم والتأخير، والتأكيد، والحذف، والإيجاز والإطناب، والنكت البيانية: من التشبيه[٣]، والاستعارة[٤]... إلى غير ذلك من أنواعه، وسرّ ما اختلفت فيه الآيات المتشابهة من تقديم أو تأخير، أو زيادة أو نقص، أو إبدال كلمة بأخرى...»[٥].

٦ـ «فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن»[٦]، تأليف شيخ الإسلام أبي زكريا الأنصاري (ت٩٢٦هـ). يقول مؤلِّفه رحمه الله تعالى في المقدمة: «فهذا

(١) حقّقه د. عبد الجواد خلف، ونشرته دار الوفاء للنشر والتوزيع في مدينة المنصورة بمصر سنة (١٤١٠هـ = ١٩٩٠م)، الطبعة الأولى.

(٢) هذا الكتاب لم يكمله مؤلفه، وإنما وصل إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ [التوبة: ٩٢]، حقّقه الأخ أحمد بن محمد الحمادي، وحصل به على درجة الدكتوراه في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام (١٤١٢هـ).

(٣) هو إقامة شيء مقام شيء لِصفة جامعة بينهما ذاتية أو معنوية. التوقيف على مهمّات التعاريف «معجم لغوي مصطلحي» للشيخ عبد الرؤوف المناوي (ت١٠٣١هـ) (ص١٧٦).

(٤) هي ادّعاء معنى الحقيقة في الشيء للمبالغة في التشبيه مع طرح ذِكر المشبَّه من البين، نحو: لقيتُ أسدًا؛ يعني رجلًا شجاعًا. التوقيف على مهمّات التعاريف (ص٥٨).

(٥) قطف الأزهار للسيوطي، رسالة الدكتوراه (١: ٦٣، ٦٤).

(٦) نُشر بتحقيق الشيخ محمد علي الصابوني، عالم الكتب، بيروت، ط. الأولى (١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م).

إسلام ويب islamweb.net

مختصر من ذكر آيات القرآن المتشابهات المختلفة بزيادة أو تقديم، أو إبدال حرف بآخر، أو غير ذلك مع بيان سبب تكراره..»[١].

٧ـ «أضواء على متشابهات القرآن» يحتوي على (١٦٥١) سؤالًا وجوابًا، بقلم الشيخ خليل ياسين[٢].

الكتب التي اهتمت في ثناياها بتوجيه تلك الآيات المتشابهات:

ويلحق بهذا النوع كتبٌ تعرَّض أصحابها ـ في بعض المواضع ـ للحديث عن توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، في أثناء تفسير القرآن الكريم، أو ردّ شبهات الطاعنين، ولكنهم تناولوا هذا النوع من التوجيه بمنهج آخر غير الذي لجأ إليه أصحاب الكتب المتخصصة في هذا الفن، من طرح سؤال وجواب.

ولا ننسى في هذا المقام التنبيه إلى أن هؤلاء قد يُفوقون ـ وإن كان في قليل من المواضع ـ على تعليلات وتوجيهات أصحاب هذا الشأن، وقد أشرت إليها في هوامش الكتاب في كثير من الأحيان.

ومن تلك الكتب:

١ـ «تأويل مشكل القرآن»[٣] لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ).

٢ـ «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» لابن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)[٤].

٣ـ «معاني القرآن» لأبي جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ)[٥].

---

(١) مقدمة فتح الرحمن للشيخ الأنصاري (ص١٥).

(٢) من منشورات دار ومكتبة الهلال في بيروت (١٩٨٠م)، الطبعة الثانية.

(٣) يُنظَر على سبيل المثال: تأويل مشكل القرآن (ص٥٢، ٢٣٥، ٢٣٩).

(٤) يُنظَر على سبيل المثال: تفسير الطبري (٩: ٢٩٧، ١٤: ٣٣).

(٥) يُنظَر على سبيل المثال: معاني القرآن (٢: ٢٧١، ٣: ٦٣).

إسلام ويب islamweb.net

٤ـ «تنزيه القرآن عن المطاعن»، للقاضي عبد الجبار بن أحمد (ت٤١٥هـ)[١].

٥ـ «الكشاف» للزمخشري (٥٣٨هـ)[٢].

٦ـ «المحرر الوجيز» لابن عطية (ت٥٤٢هـ)[٣].

٧ـ «زاد المسير» لابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)[٤].

٨ـ «التفسير الكبير» للفخر الرازي (ت٦٠٦هـ)[٥].

٩ـ «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (ت٦٧١هـ)[٦].

١٠ـ «أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة من غرائب آي التنزيل»[٧] لمحمد بن أبي بكر الرازي صاحب «مختار الصحاح» (تُوفي بعد سنة ٦٩١هـ)[٨].

١١ـ «غرائب القرآن ورغائب الفرقان» للحسين بن محمد النيسابوري (ت٧٢٨هـ)[٩].

---

(١) يُنظَر على سبيل المثال: تنزيه القرآن (ص٤٠٩، ٤٨٤).

(٢) يُنظَر على سبيل المثال: الكشاف (١: ٥٣٠، ٢: ٣٩).

(٣) يُنظَر على سبيل المثال: المحرر الوجيز (٥: ٤٠٠).

(٤) يُنظَر على سبيل المثال: زاد المسير (٢: ١٧٥، ٤: ١٥٣).

(٥) يُنظَر على سبيل المثال: التفسير الكبير (٣: ١٥٢، ١٣: ٩٧، ١١٠، ١١٧، ٢٤٠، ٢٤٨، ١٨: ٥٢، ٢١: ١٠٨، ٢٥: ٢٦٧).

(٦) يُنظَر على سبيل المثال: الجامع لأحكام القرآن (٥: ٤٠٩).

(٧) هو مؤلَّف حول بعض الآيات التي يقع فيها إشكال أو يحتمل أن تكون محل نظر لسبب من الأسباب المتعلقة بالتشابه اللفظي، أو بالتكرار أو اللغة أو بنكتة بلاغية أو بغير ذلك مما يكون التفسير أو التوضيح جوابًا له. يُنظَر على سبيل المثال: تفسير أبي بكر الرازي (ص١٩١، ٢٩٧).

(٨) طُبع هذا الكتاب بتحقيق د. محمد رضوان الداية، دار الفكر، بيروت، ط. الأولى (١٤١١هـ = ١٩٩٠م).

(٩) يُنظَر على سبيل المثال: غرائب القرآن (١: ٣٩٨، ٤٠٣، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١٨، ٤٣١، ٤٤٤، ٤٥٦، ٤٦٣، ٧: ١٦٦، ٩: ٢٣).

إسلام ويب islamweb.net

١٢ـ «لباب التأويل في معاني التنزيل» للخازن (ت٧٤١هـ)[١].

١٣ـ «البحر المحيط» لأبي حيان (ت٧٤٥هـ)[٢].

١٤ـ «الدر المصون في علوم الكتاب المكنون» للسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ)[٣].

١٥ـ تفسير ابن كثير (ت٧٧٤هـ)[٤].

١٦ـ «بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز» لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ)[٥].

١٧ـ «الفتوحات الإلهية»، المعروف بـ«حاشية الجمل» للشيخ سليمان بن عمر (ت١٢٠٤هـ)[٦].

١٨ـ «روح المعاني» للآلوسي (ت١٢٧٠هـ)[٧].

١٩ـ تفسير «التحرير والتنوير» لابن عاشور (ت١٣٩٣هـ)[٨].

---

(١) يُنظَر على سبيل المثال: لباب التنزيل للخازن (٢: ٥٣، ٥٤).

(٢) يُنظَر على سبيل المثال: البحر المحيط (٣: ٢٦٣، ٤: ١٨٥، ٢٤٦، ٢٥٢، ٦: ١١٥، ٨: ٢٦٣).

(٣) يُنظَر على سبيل المثال: الدر المصون (٣: ٦٥٧، ٥: ٦٧، ٢١٠، ٣٥٤، ٣٧٣، ٣٩٧، ٦: ٣٠٢، ٧: ٤٦٧).

(٤) يُنظَر على سبيل المثال: تفسير ابن كثير (٢: ٣٠٢).

(٥) يُنظَر على سبيل المثال: بصائر ذوي التمييز (١: ١٤١، ١٤٥، ١٨٩، ١٩٤، ٢٠٧، ٢٢٥).

(٦) يُنظَر على سبيل المثال: حاشية الجمل (٢: ١٠٥، ١١٠، ٣: ٤٧٨، ٤: ٢٥٤، ٣٤٨).

(٧) يُنظَر على سبيل المثال: روح المعاني (٣: ٢٧٧، ٥: ٤٦، ٧: ٢٣٦، ٢٤٤، ٨: ١٤٤، ١٤٩، ١٥٠، ١٧٠، ١٢: ٣١، ١٥: ٢٤١، ٢١: ١٣٤، ٢٢: ١٧١، ٢٧: ١٥٠، ٢٨: ٨٨، ١٢٣).

(٨) يُنظَر على سبيل المثال: التحرير والتنوير (٦: ٢٠٠، ٨: ١٧٠، ٢٠٣، ١١: ٧، ١٢: ١٥٣، ١٤: ٣٤، ٤٩، ٧٠، ١١٨).

إسلام ويب islamweb.net

فائدة وتنبيه:

هناك كتب أُلِّفت في المتشابه، بحث أصحابُها في آيات الصفات والعقائد، أو في المتشابه الذي يقابل المُحكَم، دون أن يبحثوا في المتشابه اللفظي، نذكر بعضها هنا دفعًا للاشتباه، وتحاشيًا من التباسها بموضوعنا:

١ـ «حل الآيات المتشابهات»[(١)]، وكُتب على غلاف المخطوط: كتاب في حلِّ المُشكِل والمتشابهات من الأحاديث والآيات والرد على الملحدين، للشيخ الجليل الإمام أبي بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني (ت٤٠٦هـ).

٢ـ «حقائق التأويل في متشابه التنزيل»، تأليف السيد الشريف الرضيّ (ت٤٠٦هـ)[(٢)].

٣ـ «متشابه القرآن» للقاضي عبد الجبار الهمذاني (ت٤١٥هـ)[(٣)].

٤ـ «متشابهات القرآن»[(٤)] لمحمد بن عبد المؤمن الدمشقي المصري المعروف بابن اللبان (ت٧٤٩هـ).

---

(١) منه نسخة خطية محفوظة في مكتبة عاطف أفندي بإستانبول برقم (٤٣٣) تفسير، وتقع في (٧٤) ورقة.

(٢) من مطبوعات دار الأضواء، بيروت، ط. الأولى (١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م).

(٣) نشرته دار التراث بالقاهرة بتحقيق الدكتور عدنان زرزور.

(٤) هكذا في دار الكتب المصرية برقم (٩٤ مجاميع) تفسير. يشير محقق كتاب البرهان في متشابه القرآن للكرماني في فهرسة مصادر التحقيق (ص٣٩٦) إلى أن هذا الكتاب طُبع بالقاهرة بدون تاريخ، ثم يقول: «والنسخ المخطوطة بعنوان «تبيين المتشابه من كتاب الله المكرم وحديث نبيه المعظم ﷺ»، حديث (٤٩٥، ٤٩٦)، المكتبة التيمورية».

إسلام ويب islamweb.net

٥ـ «تفسير الآيات المتشابهات»[(١)]، للشيخ ملّا علي القاري (ت١٠١٤هـ)، وهذا الكتاب يبحث في المتشابه الذي أشار إليه قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧].

(١) منه نسخة خطية محفوظة في مكتبة السليمانية بإستانبول رقم (١٠٥٥)، مجاميع (الأوراق بين ٨٤-١١٦).

إسلام ويب islamweb.net

المبحث الثاني
دراسة كتاب «درة التنزيل وغرة التأويل»

يشتمل على مطالب ثمانية:

المطلب الأول: تحقيق صحة اسم الكتاب.

المطلب الثاني: تحقيق صحة نسبة الكتاب إلى المؤلف.

المطلب الثالث: موضوع الكتاب.

المطلب الرابع: سبب تأليف الكتاب.

المطلب الخامس: منهج المؤلف في الكتاب.

المطلب السادس: مصادر المؤلف في الكتاب.

المطلب السابع: قيمة الكتاب العلمية، وأثره فيمن بعده.

المطلب الثامن: المآخذ على الكتاب.

إسلام ويب
islamweb.net

المبحث الثاني
دراسة كتاب «درة التنزيل وغرة التأويل»

المطلب الأول: تحقيق صحة اسم الكتاب

ذكر المصنف رحمه الله اسم الكتاب في مقدمة كتابه حيث قال: «وسميته درة التنزيل وغرة التأويل»[(١)]، ولا شك أن هذا تصريح واضح من صاحب الكتاب، والحَكَمُ في صحة العنوان هو المصنِّف نفسه، وليس لغيره أن يتحكَّم في اسم كتابه الذي نصَّ عليه.

وهذا الاسم هو الذي ذُكِر في جميع الكتب التي ترجمت للخطيب بلا استثناء، وسار ذِكره عليه واشتهر به، وكذلك الحال في النسخ الخطية المنسوبة إلى الخطيب، بخلاف النسخ المنسوبة إلى غير الخطيب، حيث جاء فيها عنوان الكتاب مختلفًا من نسخة إلى أخرى، وهو ما يدل على التصرُّف.

ولم يقع الاختلاف في عنوان الكتاب إلا في النسخ المنسوبة في الغلاف إلى الراغب الأصبهاني، فهو في بعضها: «تفسير درة التأويل في متشابه التنزيل» للراغب الأصفهاني[(٢)]، وفي بعضها: كتاب «درة التأويل وغرة التنزيل في الآيات المتشابهة

(١) نسخة أحمد الثالث (أ)، ونسخة بايزيد (ب)، ونسخة كوبريلي (ك)، ونسخة دار الكتب المصرية (د).

(٢) مكتبة خسرو باشا بإستانبول، برقم (٢٥) تفسير.

إسلام ويب islamweb.net

والمكررة»[١]، وفي بعضها: «حل متشابهات القرآن» للراغب الأصفهاني[٢]، وفي بعضها: كتاب «أسرار التأويل وغرة التنزيل» للراغب الأصفهاني[٣]، وإحدى نسختي أحمد الثالث ليس فيها عنوان الكتاب[٤] في الغلاف، ولا في أول الكتاب، إلا أنها تُنسَب إلى الراغب الأصفهاني في فهرسة «طوبْ قَبو سَراي» بعنوان «درة التأويل في متشابه التنزيل».

وبعد البحث والتنقيب، لا أتردد في أن اسم الكتاب هو كما سمّاه مصنفه؛ إذ تأكَّد لديَّ يقينًا أن اسم الكتاب هو «درة التنزيل وغرة التأويل»، ولا عبرة بأي عنوان يختلف مع هذا العنوان؛ وذلك للأسباب الآتية:

١ـ ورود العنوان في مقدمة المؤلف في النسخ المعتمدة، أضف إلى هذا أن أوثق وأكمل النسخ التي اخترتها للتحقيق قد حملت هذا الاسم بالذات، وذلك واضح في غلاف هذه النسخ، وفي مقدمتها (أ، ب، ك)، وكذلك في بعض النسخ غير المعتمدة، وهي (د، ق).

٢ـ تصريح مَن نقل عنه بنفس العنوان مثل ابن الزبير (ت٧٠٨هـ)[٥]، والسيوطي (ت٩١١هـ)[٦]، وهناك من يقتصر أحيانًا على الجزء الأول من العنوان وهو «درة التنزيل»[٧]، .....

(١) مكتبة أسعد أفندي بإستانبول، برقم (١٧٦) تفسير.
(٢) مكتبة راغب باشا بإستانبول، برقم (١٨٠) تفسير.
(٣) مكتبة المتحف البريطاني، برقم (٥٧٨٤).
(٤) مكتبة أحمد الثالث، برقم (١٨٣).
(٥) في كتابه: ملاك التأويل (١: ١٤٦).
(٦) في كتابه: قطف الأزهار في كشف الأسرار (١: ٢٠٥، ٢٤٤، ٢٥٦).
(٧) انظر: ملاك التأويل (١: ١٤٧)، وتفسير الآلوسي (٢١: ١٣٤).

إسلام ويب islamweb.net

أو صاحب كتاب «الدرة»[١]، أو صاحب «درة التنزيل»، إما لشهرته وإما لأنّ الناقل لا يعرف اسمه الكامل.

وأما الكتاب المنسوب إلى الراغب فإنه يحمل أسماء مختلفة، منها: «درة التأويل وغرة التنزيل»، و«حل متشابهات القرآن»، كما تقدم.

٣ـ الذين ترجموا للخطيب وذكروا تصانيفه لم يختلفوا في عنوان هذا الكتاب بلا استثناء[٢]، حيث حوت تلك الكتب المترجمة للخطيب هذا الاسم «درة التنزيل وغرة التأويل» بحروفه.

ونطمئن بذلك إلى أن عنوان الكتاب «درة التنزيل وغرة التأويل» عنوان صحيح؛ لوجوده على أغلفة النسخ الثلاثة المعتمدة، وفي مقدماتها، وهي: نسخة مكتبة أحمد الثالث، وبايزيد، وكوبريلي، وكذلك نسخة دار الكتب المصرية، ولتصريح الأئمة الناقلين بها أيضًا، كالإمام ابن الزبير حيث صرَّح باسم كتاب الخطيب وقال: «إلى أن ورد عليَّ كتاب لبعض المعتنين من جِلّة المشارقة نفعه الله، سماه بكتاب درة التنزيل وغرة التأويل»[٣].

فإذا ثبت هذا فما معنى التساؤل عن صحة عنوان الكتاب إذًا؟

إن الذي يثير هذا التساؤل ويفرضه على الباحث هو أنه أُلِّفت كتبٌ أخرى تحمل هذا الاسم، أو قريبًا منه، وعلى رأس ذلك كتاب ذُكِر في مؤلفات الراغب،

(١) انظر: ملاك التأويل (١: ١٤٩).

(٢) انظر: معجم الأدباء لياقوت (٦: ٢٥٤٩)، والوافي بالوفيات للصفدي (٣: ٣٣٧)، وبغية الوعاة للسيوطي (١: ١٤٩)، ومعجم المؤلفين لرضا كحالة (١٠: ٢١١)، والأعلام للزركلي (٦: ٢٢٧).

(٣) ملاك التأويل (١: ١٤٦).

إسلام ويب islamweb.net

يحمل اسم «غرة التنزيل ودرة التأويل» كما في «تاريخ حكماء الإسلام» لظهير الدين البيهقي (ت٥٦٥هـ)[١]، وفي «كشف الظنون»[٢] يحمل اسم «درة التأويل في متشابه التنزيل»، والكتاب الذي يحمل هذا الاسم في «كشف الظنون»[٣] هو نفس كتاب الخطيب[٤]، بنفس المقدمة التي ذكرها حاجي خليفة. ولا يخفى أن العناوين متشابهة، ولا مانع أن يكون الراغب قد ألَّف كتابًا بهذا العنوان. وهو ـ كما ترى ـ قريب من عنوان «درة التنزيل وغرة التأويل» للخطيب. والله أعلم.

معنى اسم الكتاب:

من حقّ المؤلف أن يطلق على الكتاب الذي ألَّفه الاسم الذي يوحي بأنه معتزّ به، وبعمله الذي قام به، ولا يُعاب المؤلف بسبب ذلك، وهذا شيء مألوف عند علماء الإسلام قديمًا وحديثًا، فالإمام الطبري (ت٣١٠هـ) سمّى تفسيره العظيم «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، والإمام الراغب الأصبهاني (ت٥٠٢هـ) سمّى كتابه «تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين»[٥]، والإمام ابن قدامة[٦] (ت٦٨٢هـ) سمّى كتابه في الفقه المقارن «المغني».

ومؤلِّفنا رحمه الله تعالى إنما سار على هذا الدرب الذي سار عليه العلماء في تسمية كتبهم، فأطلق على كتابه هذا الاسم العظيم، ألا وهو «درة التنزيل وغرة التأويل». ومعنى الدرة ـ كما قال ابن دريد (ت٣٢١هـ) ـ: الحبة العظيمة من

---

(١) (ص١١٢).
(٢) (١: ٧٣٩).
(٣) كشف الظنون (١: ٧٣٩).
(٤) هو المصور عندي عن مكتبة خسرو باشا، ومكتبة المتحف البريطاني.
(٥) طُبع بتحقيق د. عبد المجيد النجار، في دار الغربي الإسلامي، ط. الأولى (١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م).
(٦) هو عبد الرحمن بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي.

إسلام ويب islamweb.net

اللؤلؤ[١]، كما أن الغرة: هي أول كلّ شيء، أو أفضله[٢]. وعلى ذلك فاسم الكتاب يدل على أن العمل الذي قام به صاحب هذا الكتاب عمل عظيم، يوصف تارة بالدرّة، وتارة بالغرّة.

وإضافة «درة» إلى «التنزيل» على معنى اللام، والمعنى: أن هذا الكتاب العظيم يشتمل على أسرار عظيمة لكتاب الله المتصف بالعظمة والجلال، فهو بالنسبة لغيره من الكتب المؤلَّفة في هذا الفن كالدُّرة بالنسبة لغيرها من حبّات اللؤلؤ.

أما إضافة «غرة» إلى «التأويل» ـ وهو التفسير ـ فإنها توحي بأن ما قام به المؤلف في هذا الكتاب هو عمل رائد في بابه، لم يُسبَق إليه، فهو أوّل كتاب في هذا الفن، وأفضله كذلك. ولا يُراد من التأويل هنا المعنى العام منه، وإنما يُراد به ضربٌ معيَّن من التأويل، وهو ما يتعلق بأسرار الآيات القرآنية المتشابهة لفظًا. والله أعلم.

المطلب الثاني: تحقيق صحة نسبة الكتاب إلى المؤلف

ظل كتاب «درة التنزيل وغرة التأويل» مرجعًا أساسيًّا يستسقي منه المؤلفون في توجيه الآيات المتشابهة لفظًا، ولكن هذا الكتاب على جلالة قدره من الكتب العجيبة التي تحيَّر العلماء والمؤلفون في نسبته إلى مؤلفه الحقيقي.

الاختلاف في نسبة الكتاب وأسبابه:

محتوى هذا الكتاب في جميع النسخ واحد، مع ما يقع بين هذه النسخ المخطوطة ـ كما يقع بين نسخ أيِّ مخطوط ـ من اختلاف يسير، إلا أنه قد ذُكر على

(١) جمهرة اللغة لابن دريد (٢: ٦٤١).

(٢) انظر لمعنى «الغرة»: الجمهرة لابن دريد (١: ١٢٤)، والمصباح المنير للفيّومي (ص٤٤٤).

إسلام ويب islamweb.net

أغلفة بعض النسخ المخطوطة، وفي بعض كتب التراجم ما يخالف ذلك، وهو ما أثار مسألة التنازع في نسبة الكتاب إلى المؤلف الأصلي.

فبعض الدارسين يقول: إن مؤلف هذا الكتاب هو حسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني المتوفى سنة (٥٠٢هـ)[١]. وبعضهم يقول: إنه إسماعيل بن محمد الطلحي التيمي الأصفهاني الملقَّب بقِوَام السنة المتوفى سنة (٥٣٥هـ). وبعضهم يقول: إنه لفخر الدين محمد بن عمر الرازي المتوفى سنة (٦٠٦هـ).

وفي «كشف الظنون»[٢] ذكرٌ للكتاب، غير أنّ مؤلفه نسبه إلى الراغب مرة، وإلى الفخر الرازي مرة أخرى، وهذا ما جاء في أغلفة بعض مخطوطات الكتاب، وفي نسخة راغب باشا ونسخة خسرو باشا ونسخة أسعد أفندي كُتب أنها من تأليف الحسين بن المفضل الراغب الأصفهاني رحمه الله.

وكذلك الأمر في بعض فهارس المكتبات، حيث نُسِب الكتابُ في بعضها إلى الفخر الرازي كما في فهرس مكتبة كوبريلي برقم (١٥٥)[٣]، وفهرس دار الكتب المصرية برقم (٤٤٠)[٤]، من غير أن يكون هناك أيّ اختلاف جوهري بين النسخ كلها، سواء أكانت نسبة الكتاب إلى الخطيب، أم إلى الراغب، أم إلى الفخر الرازي.

---

(١) تطرق الدكتور أبو اليزيد العَجَمي في مقدمة تحقيقه لكتاب «الذريعة» للراغب الأصفهاني إلى ما قيل حول وفاة الراغب، فقال في آخر المطاف: «فالرأي الراجح والمرتضى أنه تُوفي سنة (٥٠٢هـ)». الذريعة (ص٢٥).

(٢) (١: ٧٣٩).

(٣) هذه النسخة في الغلاف صريحة النسبة لأبي عبد الله الخطيب، كما سيأتي بيانه في مبحث وصف النسخ.

(٤) هذه النسخة في الغلاف منسوبة إلى راوي الكتاب، وفي المقدمة صريحة النسبة لأبي عبد الله الخطيب.

إسلام ويب islamweb.net

وما فعله بعض المفهرسين من اكتفاءٍ بمجرَّد وجود العنوان والنسبة على الغلاف، لا يكفي للجزم بأن هذا الكتاب لمن ورد اسمه على الغلاف، وبخاصة إذا ورد ما ينافي هذا في مكان آخر.

تحقيق نسبة الكتاب إلى الخطيب فقط:

ولعل أول شيء يجب أن نقرِّره هنا هو أن كتاب «درة التنزيل وغرة التأويل» صحيح النسبة إلى مؤلفه أبي عبد الله الخطيب الأصفهاني المتوفى سنة (٤٢٠هـ)؛ وذلك للأمور الآتية:

١ـ ذُكِر اسمه صريحًا في النسخ المعتمدة[١] على ورقة العنوان:

حيث جاء في نسخة أحمد الثالث (أ): «درة التنزيل وغرة التأويل، إملاء الشيخ الإمام العالم أبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الأصبهاني رحمه الله تعالى».

وجاء في نسخة بايزيد (ب): «كتاب درر التنزيل وغرر التأويل[٢]، تأليف الشيخ الإمام العالم الأوحد الزاهد الورع، أبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب تغمده الله تعالى بفضله ورحمته».

وجاء في نسخة كوبريلي (ق): «كتاب درة التنزيل وغرة التأويل، إملاء الشيخ الإمام العالم العامل العارف أبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الرازي رحمه الله تعالى بالقلعة الفخرية».

---

(١) ذلك في النسخ المرموز إليها بـ(أ، ب، ق).

(٢) عنوان الكتاب في مقدمة هذه النسخة لا يختلف عن سابقتها؛ إذ فيها تصريح المؤلف بتسمية الكتاب أيضًا إذ يقول فيها: «وسميته درة التنزيل وغرة التأويل».

إسلام ويب islamweb.net

بخلاف النسخ المنسوبة إلى الراغب الأصفهاني، فإن عنوان الكتاب فيها مختلف كما أشرنا إلى ذلك في المطلب الأول من هذا المبحث[١].

٢ـ ذكر راوي الكتاب إبراهيم بن علي المعروف بابن أبي الفرج الأرْدَسْتاني[٢] في مقدمة الكتاب[٣] ما نصه: «هذه المسائل بيان الآيات المتشابهة لفظًا بأعلامٍ نصبت عليها من المعنى، أملاها أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب رحمه الله في القلعة الفخرية إملاءً لمّا خلا فيها، ولم يحضره غيري ممّن يسوغ له حمل ما يُكتَب فيه ويُكتَب به، فكتبتُ عن لفظه المسائل والأجوبة..»[٤].

٣ـ لم يشكَّ المتقدِّمون ممَّن نقل من الكتاب في نسبته إلى الخطيب، ولا يطعن في نسبته إليه وجودُ كتاب يحمل اسم «درة التنزيل وغرة التأويل» منسوبًا إلى أكثر من واحد.

إن أقدم مَن نصَّ على الكتاب ونسبته إلى أبي عبد الله الخطيب، هو أبو مسلم محمد بن علي الأصبهاني (ت٤٥٩هـ)، وهذا التاريخ قريب إلى وفاة المصنف (ت٤٢٠هـ) بتسعة وثلاثين عامًا كما يظهر من تاريخ وفاتهما.

ويذكر لنا ذلك محمود بن حمزة الكرماني (ت٥٠٥هـ) في كتابين شهيرين من كتبه، هما: «غرائب التفسير وعجائب التأويل»، و«البرهان في متشابه القرآن».

---

(١) انظر من هذا الكتاب (١: ٧٥).

(٢) نسبة إلى أردستان، قال ابن الأثير الجزري: «الأردستاني: بفتح الألف وسكون الراء وفتح الدال وسكون السين المهملتين، وفتح التاء المنقوطة من فوقها باثنتين، وفي آخرها النون، هذه النسبة إلى أردستان، وهي بلدة قريبة من أصفهان على طرف البرية على ثمانية عشر فرسخًا من أصفهان، وقيل: بكسر الألف والدال». اللباب في تهذيب الأنساب (١: ٤١).

(٣) ذلك في النسخ (أ، ب، ك، د).

(٤) انظر من هذا الكتاب (١: ١٩٩).

إسلام ويب islamweb.net

الكتاب الأول: «غرائب التفسير وعجائب التأويل»[(١)]، ولقد قدَّمتُ هذا الكتاب في الذكر؛ لأنه أُلِّف قبل «البرهان في متشابه القرآن»، كما أشار إلى ذلك مؤلِّفه الكرماني في مقدمة «البرهان»، حيث قال: «فإني بحمد الله قد بيَّنتُ ذلك كله بشرائطه في كتاب «لباب التفسير»[(٢)]، وكتاب «غرائب التفسير وعجائب التأويل»، مشتملًا على أكثر ما نحن بصدده، ولكني أفردت هذا الكتاب[(٣)] لبيان المتشابه..».

ويصرِّح الكرماني في كتابه «غرائب التفسير» باسم الخطيب أحيانًا فيما ينقله عنه، فعلى سبيل المثال يقول: «سؤال: لِمَ ختم هذه الآية بقوله: ﴿هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ [هود: ٢٢]، وختم ما في النحل بقوله: ﴿هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [النحل: ١٠٩]؟ الجواب: هؤلاء قوم وُصِفوا بفعلين، كل واحد منهما مُوجِب للخسران، وهو أنهم صدُّوا وصدُّوا غيرهم؛ ولهذا قال: ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ [هود: ٢٠]، وليس كذلك ما في النحل؛ لأنهم وُصِفوا بفعل واحد، وهو قوله: ﴿ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [النحل: ١٠٧]».

---

(١) طُبع بتحقيق د. شمران العجليّ، ط. الأولى (١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م)، نشر دار القبلة، بجدة، ومؤسسة علوم القرآن بدمشق.

(٢) يشير محقق كتاب البرهان للكرماني إلى وجود نسختين للربع الأول من هذا الكتاب، يُنظَر (ص٣٤).

أ ـ النسخة الأولى محفوظة في المكتبة التيمورية تحت رقم (١٣٨) تفسير، وتقع في (٤٨٥) صفحة، وهي من أول القرآن إلى آخر سورة الأنعام.

ب ـ النسخة الثانية في قسم المخطوطات بدار الكتب المصرية، رقم (٧٢١) تفسير، وتقع في (١٢٧) ورقة من القطع الكبير، وهي من أول القرآن الكريم إلى آخر الآية [٥٤] من سورة الأعراف.

(٣) يعني كتابه البرهان في متشابه القرآن.

إسلام ويب islamweb.net

ثم استمر قائلًا: «قال الخطيب: إنما جمع هاهنا على الأخسرين مراعاة لما قبلها من الفواصل، وهي: ﴿يَفْتَرُونَ﴾ [هود: ٢١] و﴿يُبْصِرُونَ﴾ [هود: ٢٠]، وليس معها ألف، وما في النحل معها ألف، وهو: ﴿ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، و﴿ٱلْغَٰفِلُونَ﴾»[١].

وللمقارنة رجعت إلى كلام الخطيب من كتابه «درة التنزيل» في هذا الموضع، وتأكَّدت أن الكرماني لخَّص كلامه[٢].

ويقول الكرماني في موضع آخر من كتابه «غرائب التفسير»: «قال الخطيب: لمّا جاء في قصة شعيب مرة «الرجفة»[٣]، ومرة «الصيحة»[٤]، ومرة «الظُّلّة»[٥]، ازداد التأنيث حُسنًا»[٦].

وجاء في «درة التنزيل» للخطيب في هذا الموضع: «فلما اجتمعت ثلاثة أشياء مؤنثة الألفاظ في العبارة عن العذاب الذي أُهلِكوا[٧] به، غلب التأنيث في هذا المكان على المكان الذي لم تتوالَ فيه هذه المؤنثات»[٨].

الكتاب الثاني: «البرهان في متشابه القرآن»، وتبدو أهمية ذكر هذا الكتاب في أنه كتابٌ ألَّفه الكرماني خِصِّيصى لنفس الموضوع الذي يتناوله كتاب «درة التنزيل» للخطيب، وهو توجيه الآيات المتشابهة لفظًا.

---

(١) غرائب التفسير للكرماني (١: ٥٠٢).

(٢) انظر من هذا الكتاب (٢: ٢٣٣).

(٣) ذلك في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [الأعراف: ٩١].

(٤) ذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [هود: ٩٤].

(٥) ذلك في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾ [الشعراء: ١٨٩].

(٦) غرائب التفسير للكرماني (١: ٥١١).

(٧) أي: قوم شعيب عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

(٨) انظر من هذا الكتاب (٢: ٢٤٣).

إسلام ويب islamweb.net

وفي هذا الكتاب يشير إلى أنه ينقل عن «الدرة» بواسطة أبي مسلم الأصفهاني هذا، حيث يقول: «وروى أبو مسلم[١] في تفسيره[٢] عن أبي عبد الله الخطيب كلمات معدودات منها. وأنا أحكي لك كلامه فيها إذا بلغتُ إليها مستعينًا بالله ومتوكِّلًا عليه»[٣].

وفي موضع آخر قال الكرماني في أثناء بحثه عن سر التشابه اللفظي للآيات: «قال أبو مسلم حاكيًا عن الخطيب: إنما جاء المعروف في الأولى معرَّف اللفظ..»[٤].

وبالرجوع إلى كتاب «درة التنزيل وغرة التأويل» للخطيب في هذا الموضع وجدت نفس العبارة[٥].

ومما يلفت النظر أيضًا أن الكرماني قد لا يذكر حكاية أبي مسلم عن الخطيب، بل يصرِّح باسم الخطيب فيقول حين ينقل عن الدرة: «قال الخطيب»، في مرات كثيرة[٦]، فعلى سبيل المثال يقول في كتابه «البرهان في متشابه القرآن»[٧]: «قوله تعالى: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٢]. ثم قال بعد آية: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٤]: قال الخطيب: قد أجاب عنها بعض أهل النظر بأن قال: ذَكر في الآية الأولى عقوبَته إيّاهم عند الموت كما فعل بآل فرعون

(١) هو محمد بن علي الأصبهاني المتوفى سنة (٤٥٩هـ)، الذي تقدم ذكره آنفًا.
(٢) لم أقف على تفسيره؛ لأنه ـ فيما أعلم ـ مفقود.
(٣) البرهان في متشابه القرآن (ص١١١).
(٤) البرهان في متشابه القرآن (ص١٤٠).
(٥) انظر من هذا الكتاب (١: ٣٠٧).
(٦) يُنظَر على سبيل المثال: البرهان في متشابه القرآن للكرماني (ص١٢٠، ١٣٨، ١٨٤، ٢٠٠).
(٧) (ص٢٠٤).

إسلام ويب islamweb.net

ومَن قبلهم من الكفار، وذكر في الثانية ما يفعله بهم بعد الموت كما فعله بآل فرعون ومَن قبلهم؛ فلم يكن تكرارًا».

ثم يمضي فيقول: «قال الخطيب: فالجواب عندي: أن الأول: إخبار عن عذاب لم يمكِّن الله أحدًا من فعله، وهو ضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند نزع أرواحهم. والثاني: إخبار عن عذاب مكَّن الناسَ من فعل مثله وهو الإهلاك والإغراق».

وبالرجوع إلى كلام الخطيب من كتابه «درة التنزيل» في هذه المسألة، وهي السؤال عن فائدة التكرار في سورة الأنفال في موضعين[1]، نجد أن هناك تطابقًا شِبه كامل، حيث يقول الخطيب: «وهذه المسألة قد أجاب عنها بعض أهل النظر بأن قال: أخبر الله تعالى عن إجراء العادة فيهم بنوعين من العذاب مختلفَين، وإذا كان كذلك لم يكن تكرارًا؛ لأنه ذكر في الآية الأولى عقوبته إياهم عند الموت، والبشارةَ التي أتتهم بعذاب الحريق، وأنه فعل بهم ذلك كما فعله بآل فرعون ومن كان قبلهم من الكفار، ثم ذكر في الثانية ما يفعله بهم من شدة عقابه بعد الموت كما فعله بآل فرعون ومن كان قبلهم من الكفار، وما أجرى عليه العادة في تعذيبه إياهم بعد الموت في القبور وغيرها».

ثم استمر الخطيب قائلًا: «والجواب عندي: أنه أخبر في الأولى عمّا عاقبهم به من العذاب الذي لم يملِّك الناسَ إيقاعَه، ولم يمكِّن بعضَهم مِن أن يفعل ببعضٍ مثلَه، وهو ضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند نزع أرواحهم، وإخبارُهم إياهم بمصيرهم إلى عذاب يحرقهم، وفي الثانية أخبر عمّا أنزله بهم من العذاب الذي مكَّن الناس من فعل مثله، وهو الإهلاك والإغراق؛ لأن ذلك مما أقدر الله تعالى العبادَ عليه»[2].

---

(١) ذلك في الآيتين [٥٢، ٥٤] من سورة الأنفال.

(٢) انظر من هذا الكتاب (١: ٣٢٥).

إسلام ويب islamweb.net

واتضح مما سبق أن الكرماني نقل عن كتاب «درة التنزيل» بواسطة أبي مسلم الأصبهاني المتوفى سنة (٤٥٩هـ)، مصرِّحًا باسم أبي عبد الله الخطيب ـ وهو قريب العهد بالمؤلف ـ وهذا يكفي وحده للاطمئنان إلى صحة نسبة هذا الكتاب إلى الخطيب، بخلاف الذين نقلوا عن الكتاب ونسبوه إلى الراغب كالآلوسي[١]، وإلى الفخر الرازي كابن عاشور[٢].

ومن الجدير بالذكر هنا أن الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ) صاحب «القاموس المحيط» قد نقل حرفيًّا[٣] كتاب «البرهان في متشابه القرآن» للكرماني في الجزء الأول من كتابه الموسوم بـ«بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز»، وأقرّ الكرمانيَّ على تصريحه باسم الخطيب[٤] في جميع المواضع التي نقل عنه فيها، بل في بعض المرات يلقِّبُ الخطيبَ بقوله: «قال الإمام»[٥].

ومما يدل على صحة نسبة الكتاب إلى الخطيب تصريحُ الشيخ الحسين بن سليمان بن الريّان (ت٧٧٠هـ) باسم «درة التنزيل» واسم مؤلفه في مقدمة كتابه المسمّى بـ«الروض الريّان في أسئلة القرآن» حيث قال: «جمعته من عدة كتب، منها: «مفاتيح الغيب» تفسير الإمام فخر الدين بن الخطيب الرازي، ومن «الكشاف

(١) انظر على سبيل المثال: تفسير الآلوسي (٢١: ١٣٤، ٢٨: ١١٦، ٢٩: ١٩، ٢٩: ١٥٥).

(٢) يُنظَر على سبيل المثال: تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور (١٤: ٧٠، ١١٨).

(٣) أشار إلى هذه الحقيقة محقق كتاب «البرهان في متشابه القرآن» (ص٧٤)، وقد تأكدتُ منها بمراجعة الكتاب.

(٤) انظر على سبيل المثال «بصائر ذوي التمييز» للأماكن التي صرح فيها الفيروزآبادي باسم الخطيب (١: ١٤١، ٢٠٨، ٢٢٤، ٢٨٤).

(٥) يُنظَر على سبيل المثال «بصائر ذوي التمييز» للأماكن التي يقول فيها الفيروزآبادي: «قال الإمام» ويعني به الخطيب (١: ٢١٩، ٢٤٨، ٢٥٢).

إسلام ويب islamweb.net

عن حقائق التنزيل» للزمخشري، ومن «التلخيص» للكواشي، ومن «أسئلة القرآن» لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ومن «درة التنزيل وغرة التأويل» لمحمد بن عبد الله الخطيب الأصفهاني، وفيه أسئلة أخذتُها من أفواه العلماء لم أجدها في شيء من هذه الكتب. نفعنا الله بالقرآن العظيم. آمين»[(١)].

وقد أرسل إليَّ مؤخَّرًا شقيقي سليمان ـ حفظه الله ـ من القاهرة رسالة صغيرة[(٢)] في بيان الحكمة في آيتَي البقرة والأعراف، وهي رسالة في حكمة تغايُر التعبير في آيتَي البقرة والأعراف، إذ قال في الأولى: ﴿قُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا﴾ [البقرة: ٣٥]، وفي الثانية: ﴿وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [الأعراف: ١٩]. وقد نقل صاحب الرسالة عن «الدرة»، وصرح باسم الخطيب، وأرى أن أنقل ما جاء في «الدرة» والرسالة المذكورة ليُقارَن بينهما على سبيل الاستئناس لِما جزمنا به من نسبة الكتاب.

قال الخطيب في «درة التنزيل»[(٣)] في الحكمة عن العطف في سورة البقرة بالواو، وفي سورة الأعراف بالفاء: «ويكون أحد الخطابين لهما قبل الدخول، والآخر بعده..»[(٤)].....

(١) الروض الريان في أسئلة القرآن للشيخ شرف الدين الحسين بن سليمان بن ريّان (ت٧٧٠هـ) (١: ١) (النص المحقق)، حققه الأخ عبد الحليم بن محمد نصار السلفي لنيل درجة الدكتوراه في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام (١٤١٤هـ).

(٢) هي مصورة عن دار الكتب المصرية، مجاميع (١٢٢) تفسير، وهي ثلاث ورقات، والمؤلف مجهول، وتاريخ النسخ مجهول أيضًا.

(٣) انظر من هذا الكتاب (١: ٢٠٨).

(٤) أوضح الكرماني في كتابه البرهان (ص١٢٠) كلام الخطيب وقال: «والخطيب ذهب إلى أن ما في الأعراف خطاب لهما قبل الدخول، وما في البقرة بعد الدخول».

إسلام ويب islamweb.net

وجاء في الرسالة: «وكذلك في تفسير الخطيب[١]، ذكر أن ما في البقرة خطاب لهما بعد الدخول، وما في الأعراف قبل الدخول».

٤ـ جميع كتب التراجم التي ترجمت للخطيب ذكرت كتاب «درة التنزيل» ضمن مؤلفاته التي صنَّفها، ومن أقدم وأشهر العلماء الذين ترجموا له وذكروا كتابه: ياقوت بن عبد الله الحموي (ت٦٢٦هـ) في كتابه «معجم الأدباء»[٢]، وصلاح الدين الصفدي (ت٧٦٤هـ) في كتابه «الوافي بالوفيات»[٣]، والحافظ جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) في كتابه «بغية الوعاة»[٤].

٥ـ اتفق كلُّ الذين ترجموا للمؤلف، وتعرَّضوا لبيان مؤلَّفاته[٥]، على لقبه «الخطيب» بلا استثناء، ولم يُعرَف بهذا اللقب أحدٌ ممن يُظَنّ نسبة الكتاب إليه إلا أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالخطيب الإسكافي، وفي ذلك ما يُثبِت أن الكتاب للخطيب لا للراغب أو غيره؛ لأن الراغب أو قِوَام السنة أو الفخر الرازي لم يُعرَف واحدٌ منهم بلقب الخطيب، رحمهم الله تعالى.

٦ـ ويؤيِّد نسبةَ الكتاب إلى الخطيب ما أشرنا إليه سابقًا أن ابن الزبير الغرناطي صرَّح باسم كتاب «درة التنزيل وغرة التأويل» في مقدمة كتابه «ملاك التأويل»[٦]، ولكنه لم يذكر اسم مؤلفه. ولكنْ في «الدرر الكامنة» لابن حجر نصٌّ يدل على أن هذا الكتاب الذي ذكره ابن الزبير في مقدمة كتابه «ملاك التأويل» هو للخطيب، إذ

---

(١) يعني به درة التنزيل.
(٢) معجم الأدباء (٦: ٢٥٤٩).
(٣) الوافي بالوفيات (٣: ٣٣٧).
(٤) بغية الوعاة (١: ١٤٩).
(٥) انظر على سبيل المثال: معجم الأدباء لياقوت (٦: ٢٥٤٩)، والوافي بالوفيات للصفدي (٣: ٣٣٧)، وبغية الوعاة للسيوطي (١: ١٤٩).
(٦) ملاك التأويل (١: ١٤٦).

إسلام ويب islamweb.net

يقول ابن حجر في ترجمة ابن الزبير المذكور: «وجمع كتابًا في فن من فنون التفسير سماه «ملاك التأويل» نحا فيه طريق الحصكفي[١] الخطيب في ذلك، فلخَّص كتابه وزاد عليه شيئًا بنفسه»[٢].

قلت: إن «الحصكفي[٣]» وفي نسخة الهند: «الحصافي» لعلهما تصحيف عن «الإسكافي»؛ إذ إن «الحصافي» أقرب إلى «الإسكافي» كما لا يخفى، لكن المهمّ هو ذكر لقب «الخطيب» هنا.

٧ـ وجود تشابهٍ في الأسلوب والطريقة والغرض بين ما جاء في كتاب «المجالس» للخطيب، وبين ما جاء في كتابه «درة التنزيل»، فقد قارنت بينهما للتعرُّف على أسلوب المؤلف من خلال هذين الكتابين، فرأيت تشابهًا في الأسلوب وفي الطريقة، وهو ما يرجِّح أن الكتابين «الدرة» و«المجالس» لمؤلِّف واحد. ومن الأمثلة على ذلك:

---

(١) في طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بالهند (١: ٨٤) إشارة في الهامش إلى نسخة فيها: «الحصافي» بدلًا من الحصكفي، يقول المحقق: «قلت: وفي كشف الظنون لحاجي خليفة (٢: ١٨١٣): الحصنكفي».

(٢) الدرر الكامنة (١: ٨٩)، طبعة دار الكتب الحديثة بمصر، وطبعة الهند (١: ٨٤).

(٣) قال ابن الأثير الجزري في اللباب (١: ٣٦٩): الحصكفي ـ بفتح الحاء وسكون الصاد المهملتين وفتح الكاف وفي آخرها الفاء ـ: هذه النسبة إلى حِصن كيفا، وهي مدينة من ديار بكر، والمشهور بالنسبة إليها أبو الفضل يحيى بن سلامة بن الحسين محمد الحصكفي الخطيب بمَيّافارقين ـ وهي مدينة من بلاد الجزيرة من ديار بكر ـ، وتُوفي سنة (٥٥١هـ)». وهذه المعلومة تفيدنا عدم صحة نسبة أبي عبد الله الخطيب إلى هذه المدينة؛ لأن جميع كتب التراجم اتفقت على أنه من أصفهان، وكان خطيبًا بالرَّيّ، وهذا يؤيد قولنا بأن ما جاء في إحدى النسخ: «الحصافي» تصحيف من الإسكافي. والله أعلم.

إسلام ويب islamweb.net

يقول الخطيب في كتابه «المجالس»: «مسألة من المعشَّرات في آي القرآن، وهي التي لكلٍّ واحد منها عشرة أجوبةٍ من الآيات التي يعترض بها الملحدون»[١].

ويقول في مقدمة كتابه «درة التنزيل»: «ففتقتُ من أكمام المعاني ما أوقع فرقانًا، وصار المُبهَم المُتشابِه، وتكرار المتكرِّر تبيانًا، ولِطعن الجاحدين ردًّا، ولمسلك الملحدين سدًّا..»[٢].

وفي نهاية نفس الكتاب يشير من جديد إلى الغرض الذي من أجله ألَّف كتابه «الدرة»: «هذا آخر ما تكلمنا عليه من الآيات التي يقصد الملحدون التطرُّق منها إلى عيبها..»[٣].

ولا يخفى علينا أن في النصوص التي أوردناها من الكتابين «الدرة» و«المجالس» تشابهًا في أمر بارز، وهو: الاتفاق بينهما في الغرض الذي من أجله تناول مؤلفُهما مثل هذه الآيات؛ يقول في «المجالس»: «مسألة من المعشَّرات في آي القرآن، وهي التي لكلٍّ واحد منها عشرة أجوبةٍ من الآيات التي يعترض بها الملحدون». ويقول في مقدمة كتابه «درة التنزيل»: «ولِطعن الجاحدين ردًّا، ولمسلك الملحدين سدًّا..». ويقول في نهاية «الدرة» كما مر آنفًا: «هذا آخر ما تكلمنا عليه من الآيات التي يقصد الملحدون التطرُّق منها إلى عيبها..»[٤].

وهناك ملحوظة تجذب الانتباه، وهي استعمال كلمة «والسلام» في أواخر الآيات التي يتناولها في هذا الكتاب[٥]، وفي كتابه «المجالس» في آخر كل مجلسٍ[٦].

(١) مخطوطة كتاب المجالس للخطيب (٢: أ). (٢) انظر من هذا الكتاب (١: ٢٠٣).
(٣) انظر من هذا الكتاب (٣: ٣٤٠). (٤) انظر من هذا الكتاب (٣: ٣٤٠).
(٥) انظر من هذا الكتاب على سبيل المثال (١: ٢٦٦، ١: ٢٨٠).
(٦) يُنظَر على سبيل المثال: كتاب المجالس (٩: ب، ١٧: ب، ١٨: ب، ٢٠: أ، ٢٥: أ، ٢٩: أ).

إسلام ويب islamweb.net

هذه بعض الأدلة والقرائن التي تُثبِت أن كتاب «درة التنزيل» صحيح النسبة إلى مؤلفه أبي عبد الله الخطيب، وتُعيد نسبة الكتاب إلى صاحبه بعد أن تردَّد طويلًا بين مؤلِّفِين جمع بينهم مجرد البلد أو الكنية أو الحرفة. والله أعلم.

مناقشة بعض الآراء التي تنفي الكتاب عن الخطيب:

يذهب الأستاذ الدكتور أحمد فرحات[١] إلى أن عدم ذكر ابن الزبير الغرناطي في كتابه «ملاك التأويل» اسمَ الخطيب يدل على شكِّه في نسبة كتاب «درة التنزيل» إليه.

والسؤال هنا: لماذا كانت عبارة ابن الزبير تدل على شكِّه في نسبة الكتاب إلى الخطيب فقط، ولا تدل على شكِّه في نسبته إلى قِوَام السنة الذي نسبه إليه؟[٢] فلو سلّمنا جدلًا أن العبارة تحمل معنى الشك ـ وهذا غير مسلَّم ـ فهو شك بالنسبة للجميع، وليس للخطيب فقط.

ومما يذكره الدكتور أحمد فرحات أيضًا في نفي نسبة الكتاب إلى الخطيب أن الخطيب لم يُعرَف في التفسير... ولم يُعرَف له كتاب في التفسير إلا ما قيل من نسبة كتاب «درة التنزيل»، وأن كتبه المعروفة كلها في الأدب واللغة، وهي: «مبادئ اللغة»، و«الغرة» في بعض ما يغلط به أهل الأدب، و«لطف التدبير في سياسة الملوك»، و«غلط كتاب العين»، و«نقد الشعر»، و«نقض العثمانية» ـ وهي

(١) يُنظَر: مقالة الدكتور أحمد فرحات التي نُشِرت في مجلة الشريعة الكويتية، في العدد الخامس عشر، (جمادى الأولى ١٤١٠هـ = ديسمبر ١٩٨٩م) (ص٥٥)، وهي مجلة تصدر عن مجلس النشر العلمي في جامعة الكويت كل أربعة أشهر. وفيما بعدُ سيأتي الكلام على موضوع هذه المقالة.

(٢) الدكتور أحمد فرحات ذكر بعض المرشحات التي يراها من الأدلة الكافية لنسبة الكتاب إلى قِوَام السنة، وسيأتي بيان موقفنا مما ذكره هناك إن شاء الله تعالى.

إسلام ويب islamweb.net

للجاحظ ـ و«شرح كتاب سيبويه»[١].

وأقول جوابًا على هذه النقطة: هل هناك تعارض بين اللغة والتفسير؟ والتفسير من أُسُسه اللغة، وكثير من علماء اللغة ألَّفوا في تفسير القرآن وإعرابه ومعانيه، بل إن الزمخشري وهو إمام من أئمة اللغة، وضع أعظم كتبه في التفسير من حيث اللغة والبلاغة، وهو «الكشاف»، مع علمنا بما شانه به من الاعتزاليات.

وهكذا أثار الدكتور أحمد فرحات جملة من أمثال هذه الأقوال، وكلها لا يثبُت عند البحث والتمحيص العلمي. لكنه بعد هذه الجولة ينسب الكتاب إلى قِوَام السنة الأصبهاني، وسنعود لمناقشة هذا بعد نفي نسبة الكتاب إلى الراغب الأصفهاني إن شاء الله تعالى.

كتاب «درة التنزيل» ليس للراغب الأصفهاني:

وقد نَسب كتابَ «درة التنزيل» إلى الراغب بعضُ الذين نقلوا عن الكتاب، مثل الإمام الآلوسي (١٢١٧هـ) صاحب «روح المعاني»، حيث نقل عن كتاب «الدرة» أكثر من مرة ونسبه إلى الراغب، ومن الأمثلة على ذلك: قول الآلوسي رحمه الله: «وعن الراغب معنى قوله تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ﴾[٢] [المنافقون: ٧]: أنهم يأمرون بالإضرار بالمؤمنين وحبس النفقات، ولا يفطنون أنهم إذا فعلوا ذلك أضرُّوا بأنفسهم، فهم لا يفقهون ذلك، ولا يفطنون له..»[٣].

وهذه العبارات تقارب تمامًا عبارات الخطيب في «درة التنزيل»[٤].

---

(١) المجلة السابقة (ص٥٥).

(٢) تكملة الآية: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ﴾.

(٣) روح المعاني للآلوسي (٢٨: ١١٦).

(٤) ينظر للمقارنة: درة التنزيل وغرة التأويل (٣: ٢٤٢-٢٤٤).

إسلام ويب islamweb.net

والآلوسي رحمه الله ينقل أحيانًا عن «الدرة» ولا يصرِّح باسم مؤلفه، وهذا يدلنا على أنه إما نقل بالواسطة وإما أنه يشك في نسبته إلى الراغب، حيث يقول: «وقال بعضهم: قدَّم أمر خلق الإنسان من نطفة؛ لأن النعمة في ذلك قبل النعمة في الثلاثة بعدُ، ثم ذكر بعده ما به قوام الإنسان من فائدة الحرث وهو الطعام الذي لا يستغني عنه[١] الجسدُ الحيّ، وذلك الحب الذي يُختبَز فيحتاج بعد حصوله إلى حصول الماء ليُعجَن به..»[٢].

وهذه العبارة تقارب أيضًا عبارات الخطيب في «درة التنزيل»[٣].

وفي بعض الأحيان يصرِّح الآلوسي باسم الراغب، ولكنه ينقل بصيغة التمريض حيث يقول: «ونُقِل عن الراغب ما يدل على أن المقام في هذه الآية مقام الضمير حيث ذُكر عنه أنه قال في «درة التنزيل»...»[٤].

إن أول ما يطالعنا في هذه المواضع التي نقل فيها الآلوسي عن كتاب «درة التنزيل» أن الآلوسي لا يستخدم صيغة الجزم، وإنما يذكر العبارات الآتية: «عن الراغب»[٥]، و«نُقِل عن الراغب»[٦]، و«قال بعضهم»[٧].

والذي يبدو ـ والله أعلم ـ أن وجود اسم الراغب الأصبهاني على غلاف النسخة التي وقف عليها الآلوسي هو الذي أدى إلى هذا الخطأ، حيث إنه أثبت

---

(١) في روح المعاني: «عند»، وهو خطأ، وأثبتُّه من درة التنزيل.
(٢) روح المعاني للآلوسي (٢٧: ١٥٠).
(٣) يُنظَر: درة التنزيل وغرة التأويل (٣: ٢٢٠).
(٤) روح المعاني للآلوسي (٢١: ١٣٤)، حيث نقل كلام صاحب الدرة بتصرف، وانظر: درة التنزيل في الآية الثانية من سورة السجدة (٣: ٦٩).
(٥) روح المعاني (٢٨: ١١٦).
(٦) روح المعاني (٢١: ١٣٤).
(٧) روح المعاني (٢٧: ١٥٠).

إسلام ويب islamweb.net

ما وجده على الغلاف، علمًا بأن جميع النسخ المنسوبة إلى الراغب ـ كما أشرنا سابقًا ـ انفردت من بين النسخ المنسوبة إلى الخطيب بعدم ورود اسم الراوي، واسم الكتاب، واسم مؤلفه في مقدمة الكتاب.

كما حصل ذلك لأبي عبد الله البلنسي (ت٧٨٢هـ) في كتابه تفسير مبهمات القرآن الموسوم بـ«صلة الجمع وعائد التذييل»[١]، حيث نسب كتاب «درة التنزيل» إلى راويه ابن أبي الفرج الأردستاني[٢]، لوجود اسمه على غلاف بعض النسخ، وهو في الحقيقة من تأليف الخطيب بدليل ما كُتِب في مقدمة تلك النسخ من أنه قد أملاه عليه أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب في القلعة الفخرية إملاءً[٣].

ومما ينفي نسبة الكتاب إلى الراغب أيضًا وجود الناقلين عن الكتاب، القريبين من عهد المؤلف، كأبي مسلم والكرماني اللذين صرَّحا باسم أبي عبد الله الخطيب[٤]؛ إذ إنّ هذا الاسم والكنية لا يشترك فيهما الراغب الأصفهاني، الذي هو الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني[٥].

---

(١) طُبع هذا الكتاب بتحقيق الزميلين الدكتور حنيف القاسمي، وعبد الله عبد الكريم العوضي (نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط. الأولى ١٤١١هـ = ١٩٩١م).

(٢) يُنظَر: تفسير البلنسي، حيث إنه يقول (٢: ٢٢٤): «ذكره الأردستاني»، وفي (٢: ٢٤٩): «هذّبته من كلام الأردستاني رحمه الله»، وفي (٢: ٣٩٥): «ذكر ذلك الأردستاني في كتاب الدرة»، ويقول في (٢: ٤٠٩): «ذكر ذلك الإمام أبو إسحاق الأردستاني في كتاب درة التنزيل».

(٣) انظر نسخة كوبريلي (ك)، ونسخة دار الكتب المصرية (د)، في ورقة العنوان وفي مقدمة كلٍّ منهما.

(٤) يُنظَر: البرهان في متشابه القرآن للكرماني (ص١١١، ١٤٠، ١٧٤).

(٥) يُنظَر: تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقي (ص١١٢)، وبغية الوعاة للسيوطي (٢: ٢٩٧).

إسلام ويب islamweb.net

ومن الأدلة التي تنفي أيضًا نسبة الكتاب إلى الراغب عدمُ وجود تشابه بين الكلمات التي فسَّرها الراغب في «المفردات» والكلمات المفسرة في «الدرة»، ومن أمثلة ذلك:

قال الراغب في «المفردات» في معنى الوليجة: «الولوج: الدخول في مضيق، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]، والوليجة: كل ما يتخذه الإنسان معتمِدًا عليه، وليس من أهله، من قولهم: فلانٌ وليجةٌ في القوم: إذا لحِق بهم وليس منهم؛ إنسانًا كان أو غيره..»[(١)].

وقال الخطيب في بيان معنى الكلمة نفسها: «فقولك: «وَلَجَ، بمعنى «دخل»، والوَلِيجة: المدخل، وهو الوسيلة التي يدخل بها[(٢)] الإنسان حريم الإنسان، كالباب المفتوح له يفعل فِعله..»[(٣)].

مثال آخر:

قال الراغب في معنى السلطان: «السَّلاطة: التمكُّن من القهر، يقال: سلَّطْتُه عليه، فتسلَّط، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ﴾ [النساء: ٩٠]، ومنه سُمِّي السلطان، والسلطانُ: يقال في السلاطة، نحو: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا﴾ [الإسراء: ٣٣]، وقد يقال لذي السلاطة، وهو الأكثر، وسمّي الحُجّة سلطانًا... والسَّليط: الزيت بلغة أهل اليمن..»[(٤)].

وقال الخطيب في «درة التنزيل»: «وحقيقة السلطان من السَّلِيط، وهو الزيت الذي يضيء به السِّراج، والسلطان: الحُجّة؛ لأنها تضيء، فتُبيِّن الحق من الباطل، والسلطانُ الذي يملِك الناسَ ضياءٌ يدفع ظلامَ الظُّلم عنهم، إذ كانوا لولا هو

(١) المفردات للراغب (ص٨٨٢).
(٢) في (ك): «لها».
(٣) انظر من هذا الكتاب (١: ٣٠٠).
(٤) المفردات للراغب (ص٤٢٠).

إسلام ويب islamweb.net

لَصاروا من التغاور[١] والتناهب[٢] في ظلامٍ يتزايد ولا يتناقص، كأنه ضياءٌ يجلو ظلام الدنيا»[٣].

في هذين المثالين يتضح لنا الفارق بين الأسلوبين، وأنهما لشخصين مختلفين، وأن عبارات الخطيب وألفاظه يغلب عليها الطابع الأدبي السهل، ولا شك أن هذا لا يُستغرَب من الخطيب لأنه ـ كما مر ـ أديب لغوي، اختصر «كتاب العين» للخليل بن أحمد (ت١٧٥هـ)، وهو أول معجم للُّغة العربية. والله أعلم.

مناقشة من ينسب الكتاب إلى الراغب:

وقد اطّلعت على مقالتين للدكتور عمر عبد الرحمن الساريسي في موضوع نسبة كتاب «درة التنزيل وغرة التأويل» إلى مؤلفه؛ إحداهما في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق بعنوان: «كتاب درة التنزيل وغرة التأويل للراغب، وليس للخطيب الإسكافي»[٤]، والأخرى في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني[٥]، بعنوان: «تحقيق نسبة كتاب درة التنزيل وغرة التأويل».

وينفي فيهما الدكتور الساريسي أن يكون الخطيب مؤلِّفًا لكتاب «درة التنزيل وغرة التأويل»، ويحاول إثبات نسبته إلى الراغب الأصفهاني، قائلًا: «تنسب بعض المصادر هذا الكتاب لأبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالخطيب الإسكافي

(١) التغاوُر مصدر تغاوَر، من أغار بعضهم على بعض. انظر: القاموس المحيط (ص٥٨٢ غور).

(٢) أي: من التسابق، تقول اللغة: تناهب المتسابقان: ناهب كل واحد منهما صاحبه. المعجم الوسيط (ص٩٥٦).

(٣) انظر من هذا الكتاب (٢: ٢٥٥).

(٤) الجزء الأول، المجلد (٥١) (١٣٩٦ المحرم = ١٩٧٦ كانون الثاني) (ص١١٤-١١٧).

(٥) العدد المزدوج (٣، ٤)، السنة الثانية (ص٩٦-٩٨)، وهذه المقالة الثانية نُشرت حرفيًّا في كتاب صاحبها، وهو «الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب» (ص٧٤-٨٢).

إسلام ويب islamweb.net

المتوفى (٤٢٠هـ)، كما نرى في «معجم الأدباء» لياقوت[١]، وفي «الإتقان في علوم القرآن» للسيوطي[٢]، بل إن هذا الكتاب قد طُبِع مرتين فيما أعلم، منسوبًا إليه أيضًا. ونسبة هذا الكتاب إلى هذا المصنِّف بحاجة إلى إعادة نظر؛ ذلك أنني وجدته، وأنا أنقِّب في بحثي هذا، منسوبًا لمصنف آخر، هو الراغب الأصفهاني، الحسين بن مفضل بن محمد، الذي عاش إلى أوائل المئة الخامسة، وذلك بتعديل طفيف أُجري على العنوان ليصبح «درة التنزيل في متشابه التنزيل»».

ثم يشير إلى أرقام النسخ التي ذُكر على أغلفتها اسم الراغب صريحًا، مع بعض اختلاف في عنوان الكتاب من نسخة إلى أخرى، ثم يقول: إن تلك النسخ تلتقي في أمرين هامين، هما: «النسبة الصريحة للراغب الأصفهاني، والمادة الأساسية التي يقوم عليها الكتاب من إدارة الفروق الدقيقة بين الآيات القرآنية المتشابهة الصيغ والتراكيب»[٣].

وهكذا لمجرّد وجود اسم الراغب على تلك النسخ السابقة يرى الدكتور الساريسي أو يجزم بنسبة الكتاب إلى الراغب، وينفيها عن الخطيب. والحقيقة أن وجود اسم الراغب على أغلفة بعض النسخ قد أوهم عددًا من الباحثين[٤] أن

(١) معجم الأدباء (٦: ٢٥٤٩).

(٢) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٣: ٣٣٩).

(٣) مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد المزدوج (٣، ٤) (ص٩٦-٩٨).

(٤) وقع في هذا: الأستاذ محمود الدغيم في مقدمة تحقيقه لكتاب عمدة الحفاظ طبعة تركيا حيث قال (ص٥): «بينما نجد أن الراغب الأصبهاني قد ألَّف المفردات، قبل درة التأويل في غرة التنزيل في الآيات المتشابهة والمكررة، توجد منه نسخة في مكتبة أسعد أفندي في السليمانية تحت رقم (١٧٦) أشار أنه ألفها بعد المفردات، وبعدها ألف جزءًا من التفسير، ثم تُوفي رحمه الله. ويجدر الانتباه إلى أن كتاب الراغب هذا قد طُبع مرارًا ونُسب إلى الخطيب الإسكافي، دون تدقيق حيث توجد منه ثلاث مخطوطات قد عُزِيت للراغب =

إسلام ويب islamweb.net

الكتاب للراغب الأصفهاني، وليست الحال كذلك؛ لأنه ليس للراغب كتاب باسم «درة التنزيل وغرة التأويل»، وإنما ذكروا له كتابًا اسمه «غرة التنزيل ودرة التأويل» كما قال ذلك ظهير الدين البيهقي (ت٥٦٠هـ) في كتابه «تاريخ حكماء الإسلام»[(١)]، وقد ذُكر هذا الكتاب أيضًا باختلاف يسير في العنوان وهو «درة التأويل في متشابه التنزيل» منسوبًا إلى الراغب في بعض كتب التراجم الأخرى التي تقدَّمت الإشارة إلى بعضها، مثل «كشف الظنون»[(٢)].

هذا، ومن ناحية أخرى فإن النسخ المنسوبة إلى الراغب لم تورد اسم الكتاب ولا اسم المؤلف في المقدمة، حيث وقع سقط في مقدمة تلك النسخ، ووقع فيها اختلاف جوهري أيضًا حيث لم يُذكَر فيها كلام راوي الكتاب الذي يصرِّح عادةً باسم الكتاب وصاحبه، بخلاف النسخ المنسوبة إلى الخطيب، ففيها تصريح باسم الكتاب، ومؤلفه الخطيب.

ثم يذكر الدكتور عمر الساريسي دليلًا آخر ـ حسب رأيه ـ يستدل به على نسبة كتاب «درة التنزيل وغرة التأويل» إلى الراغب الأصفهاني فيقول: «ويدعم القولَ بصحة هذه النسبة للراغب، إلى جانب هذه الإشارات[(٣)]، إشارةُ الراغب نفسه في بعض مصنفاته إليه، من جهة، وإشارته فيه إلى بعض كتبه المتواترة نسبتها إليه، من جهة أخرى»[(٤)].

= وهي مطابقة لما طُبع». ووقع في هذا أيضًا الأخ صفوان عدنان داوودي في مقدمة تحقيقه لكتاب «المفردات» للراغب (ص٨، ٩).

(١) تاريخ حكماء الإسلام (ص٦٢). (٢) (١: ٧٣٩).

(٣) يعني بالإشارات: ما رآه دليلًا على نسبة الكتاب إلى الراغب الأصفهاني من وجود النسبة الصريحة للراغب الأصفهاني على تلك النسخ المخطوطة التي وقف عليها.

(٤) مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد المزدوج (٣، ٤) (ص٩٩).

إسلام ويب islamweb.net

إن الدكتور الساريسي ـ كما نلاحظ ـ ذكر في هذا الدليل إشارتين ـ إلى جانب الإشارات السابقة ـ ينطلق منهما في تحقيق نسبة الكتاب إلى الراغب. يقول في الإشارة الأولى من هذا الدليل: فهو ـ أي: الراغب الأصفهاني ـ في مقدمة كتاب «مفردات ألفاظ القرآن الكريم» يشير إليه في قوله: «وأُتبِعُ هذا الكتاب ـ أي: المفردات ـ إن شاء الله تعالى ونسأ في الأجل، بكتاب ينبئ عن تحقيق الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد، وما بينها من الفروق الغامضة، فبذلك يُعرَف اختصاص كل خبر بلفظ من الألفاظ المترادفة دون غيره من إخوانه، نحو ذكره القلب مرة، والفؤاد مرة، والصدر مرة، نحو ذكره تعالى في عقب قصة: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الروم: ٣٧]، وفي أخرى: ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤]، وفي أخرى: ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٠]، وفي أخرى: ﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٩٨]، وفي أخرى: ﴿لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [آل عمران: ١٣]، وفي أخرى: ﴿لِّذِى حِجْرٍ﴾ [الفجر: ٥]، وفي أخرى: ﴿لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾ [طه: ٥٤]، ونحو ذلك مما يعده من لا يُحِقُّ الحق ويبطل الباطل أنه باب واحد، فيقدِّر أنه إذا فسَّر ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ بقوله: الشكر لله، و﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ بـ: لا شك فيه، فقد فسَّر القرآن ووفّاه التبيان»[(١)].

ثم يقول الدكتور الساريسي تعقيبًا على كلام الراغب السابق[(٢)]: «إنه في مقدمة المفردات رسم خطة هذا الكتاب[(٣)]: «لِينبئ عن تحقيق الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد وما بينهما من الفروق الغامضة»؛ أي: ليوضح ما بين المفردات من فروق دقيقة يُخيَّل للقارئ أنها مترادفة على معنًى واحد، وذلك كما يمثِّل للقلب والفؤاد والصدر، وكما يمثِّل للآيات: ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، و﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾،

(١) مقدمة كتاب المفردات للراغب (ص٥٥).
(٢) مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد المزدوج (٣، ٤) (ص٩٩).
(٣) يعني بذلك كتاب «درة التنزيل وغرة التأويل» حسب رأيه.

إسلام ويب islamweb.net

و﴿قَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾، و﴿يَفْقَهُونَ﴾، و﴿أُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾، و﴿أُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾، و﴿ذِي حِجْرٍ﴾. وهي أمثلة نافذة في ملاحظة الفروق الدقيقة بين الصيغ المتشابهة».

ثم يقول الدكتور الساريسي[١]: «وهو ينجز ما يَعِدُ به، وذلك في الآية السادسة في سورة المائدة قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وبعده: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، وبعده: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧]».

ثم يقول الساريسي: ويضيف ـ أي: الراغب ـ: «وللسائل أن يسأل فيقول: الموضع[٢] الذي وصف فيه من لم يحكم بكتاب الله بالكفر، هل باين الموضع الذي وصف فيه من ترك حكم الله بالظلم والفسق؟» ثم يأخذ في الإجابة، للتدليل على أن ثمة فروقًا في المعنى بين هذه الآيات[٣].

ثم يستمر الدكتور الساريسي قائلًا: «وكذلك يفعل في المسألة العاشرة من سورة الأنعام، في قوله تعالى: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٧]، والآية الثانية بعدها: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٩٨]، والآية الثالثة: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٩٩]».

ثم يضيف الدكتور فيقول: «وكذلك يفعل في مختلف مسائل آيات هذا الكتاب، فهو يعدِّد الآيات المتشابهة في السورة أو في السور، ثم يثير الأسئلة عن الفروق المعنوية بينها ثم يجيب عليها»[٤].

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد المزدوج (٣، ٤) (ص٩٩).
(٢) في المقالة المذكورة: «الموضوع».
(٣) مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد المزدوج (٣، ٤) (ص١٠٠).
(٤) مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد المزدوج (٣، ٤) (ص٩٩، ١٠٠).

إسلام ويب islamweb.net

هذا الذي استدل به الدكتور الساريسي في الإشارة الأولى من الدليل السابق على نسبة الكتاب إلى الراغب لا يصلح أن يكون دليلًا؛ لما بيَّنّاه سابقًا. ومما يؤيِّد كلامنا هذا ذلك المقال الطويل الذي رد به الدكتور أحمد فرحات على مقالة الدكتور الساريسي السابقة وجعل عنوانه: «كتاب درة التنزيل وغرة التأويل لا تصح نسبته إلى الراغب الأصفهاني»[(١)].

وقد ناقش الدكتور أحمد فرحات ما استدل به الدكتور الساريسي ـ في الدليل السابق بالإشارتين اللتين تشكِّلان نقطة انطلاق له ـ على أن الكتاب للراغب فقال[(٢)]: «سبق أن رأينا أن الأخ الكاتب يعتبر الكتاب الذي أشار إليه الراغب في مقدمة كتاب «المفردات» بعنوان «تحقيق الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد وما بينها من الفروق الغامضة» هو نفس الكتاب المسمى بـ«درة التنزيل وغرة التأويل» مع تعديل طفيف في العنوان».

اعترض الدكتور أحمد فرحات على هذا الاعتبار قائلًا: «ونقول للأخ الكاتب: إن هناك اختلافًا جوهريًّا بين عنوانَي الكتابين، وليس اختلافًا طفيفًا كما زعم، بل إن هذا الاختلاف بين العنوانين يؤدي إلى اختلاف كبير بين موضوعَي الكتابين كما هو واضح من صفة كل منهما: فكتاب «تحقيق الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد» هو أولًا كتاب في الألفاظ المترادفة التي يظن الناس عدم وجود فروق بينها، ومن ثَمَّ يمكن استعمالها بمعنًى واحد. وقد مثَّل لها الراغب: بـ«القلب»، و«الفؤاد»،

(١) مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية في العدد الخامس عشر، (جمادى الأولى ١٤١٠هـ = ديسمبر ١٩٨٩م) (ص٢٣-٨٠). وفي هذه المقالة الطويلة حاول الدكتور أحمد فرحات أن يثبت نسبة الكتاب إلى إسماعيل بن محمد المعروف بقِوَام السنّة المتوفى سنة (٥٣٥هـ)، وسنؤخر الكلام عليه إلى ما بعد هذا الكتاب (١: ١٠٨).

(٢) مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد (١٥) (ص٣٤-٤١).

إسلام ويب islamweb.net

و«الصدر»، وقد ألحق الراغب بالألفاظ المترادفة على المعنى الواحد، ما تختتم به الآيات مما يظنّه بعض الناس أنه باب واحد، وقد أشار إلى ذلك بقوله: «ونحو ذكره تعالى في عقب قصة: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الروم: ٣٧]، وفي أخرى: ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤]، وفي أخرى: ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٠]، وفي أخرى: ﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٩٨]، وفي أخرى: ﴿لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [آل عمران: ١٣]، وفي أخرى: ﴿لِّذِي حِجْرٍ﴾ [الفجر: ٥]، وفي أخرى: ﴿لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾ [طه: ٥٤]، ونحو ذلك مما يعدُّه مَن لا يُحِقُّ الحق ويبطل الباطل أنه باب واحد...».

وأما كتاب «**درة التنزيل وغرة التأويل**» فهو في بيان الآيات المتشابهات تشابهًا لفظيًّا، وليس هو من باب «تحقيق الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد وما بينها من الفروق الغامضة». فكتاب «المفردات» يشير إلى كتابٍ في «تحقيق الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد»، والألفاظ المترادفة تختلف في اللفظ وتشترك في المعنى. أما «درة التنزيل» فهو في الآيات المتشابهة في اللفظ، والمختلفة في المعنى، نتيجة لاختلاف السياق الذي وردت فيه، ومن ثَمَّ فهناك فرق كبير بين موضوعَي الكتابين:

الأول[1]: يكون التركيز فيه على الألفاظ التي يُظَنُّ فيها الاتفاق في المعنى، فيبيِّن ما بينها من الفروق الدقيقة والغامضة.

والثاني: يتناول الآيات المشتركة في الألفاظ، ليبيِّن مناسبة كل لفظ للسياق الذي ورد فيه، مراعيًا معنى الآية. وكذلك ما ذُيِّلت به الآيات: ﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾، أو ﴿يَعْقِلُونَ﴾، أو ﴿يُؤْمِنُونَ﴾، فكتاب «تحقيق الألفاظ» يتناولها من جانب بيان الفروق بين ﴿يَفْقَهُونَ﴾ و﴿يَعْقِلُونَ﴾ و﴿يُؤْمِنُونَ﴾ لبيان الفروق بين هذه الكلمات،

(١) هو كتاب «تحقيق الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد».

إسلام ويب islamweb.net

بينما يتناولها «درة التنزيل» باعتبار التشابه الوارد في ألفاظ الآية: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ﴾ [النحل: ١٢]، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ [النحل: ١٣]، ومناسبة كل تذييل لما سبقه من الآيات المشار إليها».

ثم يقول الدكتور أحمد فرحات: «وما أظن أن الأخ الكاتب باستطاعته أن يأتي بالفروق الغامضة الدقيقة بين «القلب»، و«الفؤاد»، و«الصدر»، وبين قوله: ﴿لِّذِى حِجْرٍ﴾، و﴿لِّأُوْلِى ٱلنُّهَىٰ﴾ التي أشار الراغب إليها من كتابه «درة التنزيل»؛ لأن كتاب «درة التنزيل» لم يقصد إلى هذا. وما جاء فيه من الكلام على قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧]، لم يكن بهدف بيان الفرق بين الكفر والظلم والفسوق، وإنما للاشتراك في لفظ ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ بين الآيات الثلاث، ولبيان المناسبة بين كل لفظ، والموضع الذي ذكر فيه... ومن ثَمَّ لم يبيِّن صاحب «درة التنزيل» الفروق بين الكفر والظلم والفسوق».

وكذلك ما جاء في سورة الأنعام من قوله تعالى: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٧]، وبعدها: ﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٩٨]، وبعدها: ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٩٩]، وهو المثال الثاني الذي استشهد به الأخ الباحث على بيان الفروق الدقيقة الغامضة بين المفردات.

ثم أورد ما قاله صاحب «درة التنزيل» في توجيه الآيات الثلاث من سورة المائدة، وهي: قوله عز وجل: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]. وبعده: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]. وبعده: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

إسلام ويب islamweb.net

وكذلك أورد ما قاله صاحب «الدرة» في توجيه الآيات الثلاث من سورة الأنعام، وهي: قوله تعالى: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٧]. والآية الثانية بعدها: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَـٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٩٨]. والآية الثالثة: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٩٩].

ثم يعلق الدكتور أحمد فرحات على ذلك فيقول: «وهكذا نرى بعد أن ذكرنا تفصيل ما جاء في المثالين، أنهما لا يصح فيهما ما قاله الأخ الباحث من أن الراغب أنجز ما وعد به من بيان الفروق الدقيقة الغامضة في الألفاظ المترادفة، كما لا يصح قوله: إنه يفعل ذلك في مختلف مسائل آيات هذا الكتاب»[(١)].

ثم يمضي الدكتور أحمد فرحات يناقش الدكتور الساريسي في الإشارة الثانية[(٢)] من ذلك الدليل فيقول: «يقول الأخ الكاتب: أما إشارته في هذا المصنَّف نفسه؛ أي: «درة التنزيل وغرة التأويل» إلى مصنفاته الأخرى، فقد وردت في عرضه لما في سورة «الكافرون»: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۞ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۞ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۞ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۞ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۞ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ من تكرار، إذ يقول على إحدى صفحات مخطوطة «درة التأويل في متشابه التنزيل»: «إن سأل سائل عن التكرار في هذه السورة، فالجواب أن يقال: إنا قد أجبنا في «جامع التفسير» عن ذلك بأجوبة كثيرة، فنذكر منها واحدًا في هذا الموضع..»، وينهي إجابته بقوله: «فلم يقع تكرار على هذا الوجه، ولا على الأوجُه الأُخَر التي ذكرنا في «جامع التفسير»».

(١) مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية الكويتية (ص٣٩).

(٢) هي إشارة الراغب ـ حسب رأيه ـ في «درة التنزيل» إلى بعض كتبه التي تواترت نسبتها إليه.

إسلام ويب islamweb.net

ثم يقول الدكتور الساريسي: «وحينما راجعت كتب الخطيب الإسكافي لم أجد فيها «جامع التفسير» هذا، بل إنه هو تفسير الراغب الموجود في مكتبة آيا صوفيا برقم (٢١٢) في إستانبول، وهو باسم جامع التفسير بعينه»[١].

ويقول الدكتور أحمد فرحات تعقيبًا على هذا الكلام: «ونقول للأخ الكاتب: إن ما وصلَنا من تفسير الراغب، لم يرد فيه ما يشير إلى أن المؤلف قد سماه باسم «الجامع»، فهذه مقدمة تفسيره يقول فيها الراغب: «القصد في هذا الإملاء ـ إن نَفَّس[٢] الله في العمر، ووقانا من نُوَب[٣] الدهر، وهو مرجوٌّ أن يسعفنا بالأمرين ـ أن نبيِّن من تفسير القرآن وتأويله نُكَتًا بارعة تنطوي على تفصيل ما أشار إليه أعيان الصحابة والتابعين[٤] ومَن دونهم من السلف المتقدِّمين ـ رحمهم الله ـ إشارة مجملة، ونبيِّن من ذلك ما ينكشف عنه السر، ويَثْلَج[٥] به الصدر..»[٦].

ثم إن النسختين الموجودتين من تفسير الراغب في المكتبة السليمانية تحملان اسم «تفسير القرآن العظيم» للعالم العلامة الراغب الأصفهاني، وكذلك لم يسمِّه صاحب «معجم الأدباء»، وإنما قال: «له كتاب تفسير القرآن وهو كبير»[٧].

ويمضي الدكتور أحمد فرحات قائلًا: «ثم إن بعض المترجمين للراغب ذكروا

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية الأردني (ص١٠٠)، والراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب (ص٧٧).

(٢) أي: أمهل وأطال.

(٣) النُّوَب جمع النَّوْبة، وهي النازلة والمصيبة. يُنظَر: المعجم الوسيط (ص٩٦١).

(٤) كلمة «والتابعين» سقطت من المقالة، وأثبتُّها من مقدمة الراغب (ص٢٧).

(٥) أي: يرضى ويطمئن.

(٦) مقدمة تفسير الراغب الأصفهاني (ص٢٧).

(٧) مقالة الدكتور أحمد فرحات (ص٤٢).

إسلام ويب islamweb.net

أن للراغب تفسيرًا، ولكنه لم يتمَّه[١]، وما بين أيدينا من نسخ تفسير الراغب يؤكد هذه الحقيقة. وهذا يعني أن الإحالة التي وردت في سورة «الكافرون» في كتاب «درة التنزيل» على «جامع التفسير» لا يمكن أن تكون إلى «تفسير الراغب»؛ لأن سورة «الكافرون» في آخر القرآن، ومن ثَمَّ لا يمكن أن يكون الراغب قد فسَّرها؛ لأنه لم يتمَّ تفسيره».

ثم يقول الدكتور أحمد فرحات: «وبناءً على هذا فلا يمكن الجزم بأن اسم تفسير الراغب هو «جامع التفسير» لمجرد ورود ذلك في بعض النسخ الخطية دون تحقيق».

ثم يشير الدكتور هنا إلى إعادة النظر في تسمية تفسير الراغب حيث يقول: «وبناءً على هذا التحقيق لا بد من إعادة النظر فيما سبق أنْ سمَّيناه «مقدمة جامع التفاسير» والذي طُبع[٢] بتحقيقنا»[٣].

ثم يمضي الدكتور أحمد فرحات يناقش الساريسي فيما ذهب إليه من آراءٍ حول عنوان الكتاب، ومقدمة الكتاب، والإملاء، والتمهيد للمسائل في مادة الكتاب، ومادة الكتاب. ولا أريد أن أتعرَّض لهذا كله؛ لأن ما ذكره الدكتور الساريسي في المواضع السابقة لإثبات نسبة كتاب «درة التنزيل» للراغب الأصفهاني لا يعدو أن يكون مجرد رأي لا يملك عليه دليلًا قويًّا.

---

(١) سير أعلام النبلاء، المجلد (١٨) حاشية (ص١٢١)، ومقالة الدكتور فرحات (ص٤٢) حاشية (٣).

(٢) طُبعت تلك المقدمة بتحقيق د. أحمد فرحات في دار الدعوة، بالكويت ط. الأولى (١٤٠٥هـ = ١٩٨٤م).

(٣) مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية الكويتية في المقالة التي رد فيها الدكتور فرحات على الساريسي في نسبة الكتاب إلى الراغب (ص٤٢) حاشية (٤).

إسلام ويب islamweb.net

وإنما أطلنا النقل نوعًا ما عن الدكتور أحمد فرحات لسببين:

أ ـ لتأكيد وجهة نظرنا في نفي الكتاب عن الراغب.

ب ـ وأيضًا تمهيدًا لمناقشة الرأي الذي ذهب إليه الأستاذ الدكتور أحمد فرحات من نسبة الكتاب إلى إسماعيل بن محمد الأصبهاني المعروف بقِوَام السنة (ت٥٣٥هـ) وردِّه.

مناقشة من نسب الكتاب إلى قِوَام السنة الأصفهاني:

لقد حاول الدكتور أحمد فرحات أن يُثبِت نسبة كتاب «درة التنزيل» إلى إسماعيل بن محمد المعروف بقِوَام السنة[١] بعد أن نفى نسبة الكتاب إلى كلٍّ من الراغب والخطيب.

وهذه دعوى أهوَنُ من سابقتها على كل حال، وأيسر في الرد والإبطال؛ لأن نسبة الكتاب إلى أبي القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني، المعروف بقِوَام السنة، لا تصح لما يأتي:

١ـ لأنه لم يرد اسمه على أيٍّ من مخطوطات هذا الكتاب الكثيرة، ولا مطبوعاته، ولا في الكتب التي ترجمت له، وما ذكره الدكتور أحمد فرحات من احتمال أن النُّسّاخ حرَّفوا اسم المؤلف وغيَّروه غيرُ مُسلَّم، وهو احتمال بعيد. والذي أوقع الدكتور أحمد فرحات في هذا هو وجود تشابهٍ في الكنية وبعض الاسم بين أبي القاسم الحسين بن محمد المفضل الأصفهاني المعروف بالراغب، الذي نفى أن يكون الكتاب له، وبين أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصفهاني المعروف بقِوَام السنة.

(١) مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية الكويتية (ص٧١-٨٠).

إسلام ويب islamweb.net

٢ـ كذلك لا يمكن أن يكون الكتاب لقِوَام السنة؛ نظرًا لأن قِوَام السنة من أهل القرن السادس، حيث تُوفي سنة (٥٣٥هـ)، وكتاب «درة التنزيل» كان قبل ذلك بكثير، إذ استفاد منه أبو مسلم محمد بن علي بن محمد بن الحسن بن مهريزد الأصبهاني (ت٤٥٩هـ) في تفسيره، كما يشير إلى ذلك الكرماني في مقدمة كتابه «البرهان» إذ يقول: «وروى أبو مسلم في تفسيره عن أبي عبد الله الخطيب كلمات معدودات منها، وأنا أحكي لك كلامه فيها إذا بلغتُ إليها..»[(١)].

٣ـ لم يسبق لأحدٍ من معاصري قِوَام السنة، أو ممن ترجموا له، أن نسب الكتاب إليه، ولو على سبيل الظن والاحتمال، وبالتالي فلا يوجد مصدر واحد يمكن للدكتور أحمد فرحات أن يستند إليه في هذه النسبة المستحدثة.

٤ـ وأما ما ذكره الدكتور أحمد فرحات من أنه «لا يوجد كتاب يحمل اسم «الجامع في التفسير» لفظًا إلا كتاب أبي القاسم إسماعيل بن محمد المعروف بقِوَام السنة، والذي ذكره معظم من ترجموا له» فغير مُسلَّم؛ لأن مؤلف كتاب «درة التنزيل» سمّى تفسيره في سورة «الكافرون» مرتين بعنوان «جامع التفسير»، حيث جاء على لسانه: «إنا قد أجبنا في جامع التفسير..» وفي آخر السورة قال: «فلم يقع تكرار على هذا الوجه، ولا على الوجوه الأُخَر التي ذكرنا في جامع التفسير»[(٢)]، فأين هذا من كتاب يحمل اسم «الجامع في التفسير»؟

وما ذهب إليه من أن هذا العنوان «الجامع في التفسير» لا ينطبق إلا على كتاب واحد، يعود إلى مؤلف واحد، وهو أبو القاسم إسماعيل بن محمد الأصفهاني (ت٥٣٥هـ)؛ غير مُسلَّم أيضًا؛ لأن هذا الكتاب بنفس العنوان «الجامع في التفسير»

(١) البرهان في متشابه القرآن للكرماني (ص١١١).

(٢) مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية الكويتية (ص٧١). وانظر: درة التنزيل (٣: ٣٣٥، ٣٣٦).

إسلام ويب islamweb.net

ذُكِر أيضًا من مؤلفات أبي الحسن علي بن عيسى الرُّمّاني (ت٣٨٤هـ)، وهو ما يُبعِد هذا الاحتمال الذي أورده الدكتور أحمد فرحات[١].

وأمّا ما ذكره الدكتور أحمد فرحات من أن كتاب «جامع التفسير» الذي ورد اسمه في سورة «الكافرون» من كتاب «درة التنزيل» فلم تذكر كتب التراجم أن للخطيب كتابًا بهذا العنوان؛ فغير مُسلَّم أيضًا؛ إذ إن للخطيب كتبًا أخرى وقفتُ عليها، لم تذكرها الكتب التي ترجمت للخطيب، مثل «مختصر العين»، وكتاب «المجالس»، وكتاب «خلق الإنسان»[٢].

وعدمُ ذكر كتاب «جامع التفسير» في ترجمة الخطيب لا يكفي دليلًا على أنه ليس من مؤلفاته، حيث إن الخطيب نفسه أشار أيضًا إلى كتابٍ له بعنوان «معاني القرآن»[٣] في ثنايا كتابه «المجالس»، ومع ذلك لم يُشِر إليه من ترجموا له، ولم يكن هذا الإهمال مقصودًا، بل ربما كان المصنِّف قد ألَّفه في فترة متأخِّرة من حياته، ولم تذِع شهرته كسائر مصنفاته لعدم ظهور أهميته في حياته أو إشادته به من خلال مصنفات أخرى تبعته.

---

(١) انظر: تاريخ التراث العربي لبروكلمان (ملحق ١: ١٧٥)، حيث ذكر أن الجزء السابع من «الجامع في التفسير» للرماني يوجد في مكتبة باريس برقم (١٥٢٣)، وقد ذكر هذا الاسم المنتجب بن أبي العز الهمذاني (ت٦٤٣هـ) حيث قال في كتابه المسمى «الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد» (دار الزمان، المدينة المنورة، الطبعة الأولى (٢٠٠٦م) (٤: ٦٥٨): «وقال علي بن عيسى الرماني في كتابه الجامع في التفسير: يقال: لِمَ قيل: ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ [النور: ٤٠] وفي دون هذه الظلمة لا يراها؟ الجواب: أنَّ (كاد يراها): قارب أن يراها، و(لم يكد يراها): لم يقارب أن يراها...».

(٢) انظر من هذا الكتاب لمؤلفات المؤلف (١: ٣١) وما بعدها.

(٣) المجالس (٧: ب).

إسلام ويب islamweb.net

ومن الجائز أن يكون تفسير الخطيب المسمى بـ«جامع التفسير»، الذي جاءت تسميته في سورة «الكافرون» هو عين كتابه «معاني القرآن»، الذي جاءت تسميته في كتابه «المجالس»، ومن الجائز أيضًا أن يكون له كتاب أو أكثر فيما يتعلق بتفسير القرآن الكريم، وبناءً على هذا الاحتمال يكون «جامع التفسير» و«معاني القرآن» كتابين مختلفين من كتبه التي لم تُذكَر في ترجمته. والله أعلم.

والخلاصة: أن ما ذكرناه سابقًا يمثِّل أدلة قاطعة على عدم صحة نسبة الكتاب إلى قِوَام السنة، وما ذكرناه من احتمالاتٍ هي أقرب إلى الواقع من الاحتمالات التي ذكرها الأستاذ الدكتور أحمد فرحات، فإذا تعادلت الاحتمالات أو تساقطت، فإن أدلتنا تبقى سالمةً من المعارضة بفضل الله تعالى.

كتاب «درة التنزيل» ليس للفخر الرازي:

لقد صرَّح أصحاب كتب التراجم التي ترجمت للخطيب بنسبة كتاب «درة التنزيل» إليه، وأخطأ صاحب «كشف الظنون»[(١)] فنسب الكتاب إلى الفخر الرازي، الذي يُنسَب إلى مدينة الرَّيّ كما يُنسَب إليها الخطيب الإسكافي؛ لكونه خطيبًا بها، كما ذكر ذلك ياقوت في «معجم الأدباء»[(٢)].

وكذلك وقع في نفس الوهم الشيخ الطاهر ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ) في تفسيره «التحرير والتنوير» حينما ذكر في مقدمة التفسير المذكور كتابَ «درة التنزيل» من بين أهم الكتب التي أُلِّفت في التفسير حيث قال: «وكتاب «درة التنزيل» المنسوب لفخر الدين الرازي، وربما يُنسَب للراغب الأصفهاني»[(٣)]، وقد جانبه الصوابُ

(١) (١: ٧٣٩).
(٢) معجم الأدباء (٦: ٢٥٤٩).
(٣) التحرير والتنوير (١: ٧).

إسلام ويب islamweb.net

تمامًا حينما صرَّح بنسبة الكتاب إلى الرازي حيث قال: «وأبدى الفخر في «درة التنزيل» وجهًا لاختلاف الأوصاف في قوله تعالى: ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ وقوله: ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ وقوله: ﴿لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾..»[١].

وسبب الوقوع في هذا الخطأ هو أن الخطيب الإسكافي والفخر الرازي كليهما يُلقَّبان بـ«أبي عبد الله» مع أن اسمهما مختلف؛ إذ إن اسم الخطيب الإسكافي: محمد بن عبد الله، واسم الفخر الرازي: محمد بن عمر، ولكن لكونهما يُنسَبان إلى مدينة الرَّيّ صار اشتباه بينهما، ولكن الفخر الرازي لم يُلقَّب بـ«الخطيب»، وإنما اشتهر بـ«ابن الخطيب»[٢].

وأبو مسلم الأصبهاني (ت٤٥٩هـ) والكرماني (ت٥٠٥هـ تقريبًا) ذكرا لقب «الخطيب»، ونَقَلا عن كتابه «درة التنزيل» قبل ميلاد الفخر الرازي بعشرات السنين، فكيف يُنسَب الكتاب إلى الفخر الرازي؟ إذ من غير الممكن أن أبا مسلم والكرماني ينقلان عن أحد عاش بعدهما.

المطلب الثالث: موضوع الكتاب

موضوع الكتاب هو توجيه الآيات القرآنية المتشابهة لفظًا، التي تتفق في بعض ألفاظها وتفترق في بعضها الآخر، أو تتكرَّر في عدة مواضع بالكلمات المتفقة، أو المختلفة، والتي يَرِد حولها سؤالٌ، أو يقع فيها إشكالٌ، أو يحتمل أن تكون محل نظر لسببٍ من الأسباب التي تتعلَّق بالاستعمالات القرآنية من تكرار، أو تقديم

(١) التحرير والتنوير (١٤: ١١٨) بتصرف يسير. وانظر: درة التنزيل للخطيب (٢: ٢٨٩).

(٢) قال الزركلي في الأعلام (٦: ٣١٣): «وهو قرشي النسب، أصله من طبرستان، ومولده في الريّ، وإليها نسبته، ويقال له: ابن خطيب الريّ».

إسلام ويب islamweb.net

وتأخير، أو اختيار كلمة مكان أخرى... إلى غير ذلك من الأنواع التي تقدَّم ذكرها في مطلب موضوع علم المتشابه اللفظي في القرآن الكريم[١].

وقد لا يتبادر إلى ذهن القارئ موضوعُ الكتاب مِن اسمه «درة التنزيل وغرة التأويل»، أو يتبادر إليه شيء آخر بعيد عن صميم الموضوع، بخلاف عنوان كتاب «متشابه القرآن العظيم» لابن المُنادِي (ت٣٣٦هـ)، وكتاب «البرهان في متشابه القرآن» للكرماني (ت٥٠٥هـ)؛ لأن القارئ لهذين العنوانين يعلم أن موضوع الكتابين: علم متشابه القرآن، وكذلك الأمر في عنوان كتاب «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، وكتاب «العمدة في غريب القرآن» لمكيّ بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ)، حيث إن قارئ هذين العنوانين لا يتردَّد في تصنيفهما ضمن مصنفات علم غريب القرآن.

والمتأمِّل في الخطبة الموجزة التي استهل بها الخطيب كتابه «درة التنزيل»، والآياتِ التي تناولها في الكتاب من حيث كيفيةُ تناوله، ومعالجته للمشكلات، وتوجيهاته فيها، لا يجد أيّ صعوبةٍ ـ ولو لم يُشِر اسم الكتاب إلى ذلك ـ في تصنيف «درة التنزيل» ضمن الكتب المؤلَّفة في علم متشابه القرآن، بل يتأكد ـ إذا قارن كتاب «درة التنزيل» بغيره من الكتب المؤلَّفة في هذا الباب ـ أنّ كتاب «درة التنزيل وغرة التأويل» يُعتبَر سجلًّا أو مرجعًا أساسيًّا لمن ألَّف في هذا الفن.

وقد أشار المؤلف رحمه الله تعالى إلى موضوع كتابه، فقال: «تدعوني دواعٍ قوية، يبعثها نظر ورويَّة، في الآيات المتكررة، بالكلمات المتفقة والمختلفة، وحروفها المتشابهة..»[٢].

(١) انظر من هذا الكتاب (١: ٤٧-٥١).

(٢) انظر من هذا الكتاب، مقدمة المؤلف (١: ٢٠١).

إسلام ويب islamweb.net

وهو يشير أيضًا في المسألة الرابعة من مسائل الآية الرابعة[١] في سورة البقرة إلى موضوع الكتاب فيقول: «والمسألة الرابعة في هذه الآية[٢]: تقديم قوله عز وجل: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾، وتأخيره في سورة البقرة عن قوله: ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا﴾. والجواب عن ذلك مما يحتاج إليه في مواضع من القرآن في مثل هذه الآية التي قصدنا الفرق بين مختلفاتها: وهو أن ما أخبر الله تعالى به من قصة موسى عليه السلام وبني إسرائيل وسائر الأنبياء صلوات الله عليهم، وما حكاه من قولهم وقولِه عز وجل لهم، لم يقصد إلى حكاية الألفاظ بأعيانها، وإنما قصد إلى اقتصاص معانيها..»[٣].

ويقول رحمه الله تعالى في الآية الحادية عشرة من سورة البقرة: «الآية الحادية عشرة من هذه السورة مفارقة الآي التي شرطنا الفرق بينها فيما خالفها بلفظٍ يسيرٍ من الآية التي بإزائها، غير أنها مثلها في التكرير، والحاجة إلى ذكر الفائدة في إعادتها..»[٤].

من كل ما تقدَّم يتبيَّن لنا أن الخطيب رحمه الله جعل موضوع كتابه «درة التنزيل» في توجيه ما تكرَّر من آيات الكتاب العزيز بالكلمات المتفقة والمختلفة،

---

(١) يقول الخطيب في هذا الموضع: «قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۞ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا﴾ [البقرة: ٥٨، ٥٩]. ففي هذه الآية ست مسائل، إذا قوبلت بالآية التي تشابهها من سورة الأعراف، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قِيلَ لَهُمُ ٱسۡكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ وَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ وَقُولُواْ حِطَّةٞ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطِيٓـَٰتِكُمۡۚ سَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۞ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ قَوۡلًا﴾ [الأعراف: ١٦١، ١٦٢]».

(٢) أي: من سورة الأعراف.

(٣) انظر من هذا الكتاب (١: ٢١٩).

(٤) انظر من هذا الكتاب (١: ٢٥٨).

إسلام ويب islamweb.net

أو تشابَه لفظًا، أو اختلف إيجازًا وإطنابًا، أو تقديمًا وتأخيرًا، أو ذكرًا وحذفًا، أو تعريفًا وتنكيرًا، أو إبدال لفظٍ بآخر ونحو ذلك.

المطلب الرابع: سبب تأليف الكتاب

ذكر المؤلف رحمه الله تعالى في مقدمة كتابه الأسباب التي دفعته إلى تأليفه هذا الكتابَ، وهي:

أ- طلبُ رفع اللبس في الآيات القرآنية التي تتكرَّر في عدة مواضع، والآياتِ التي تتشابه بسبب التقديم والتأخير، أو التنكير والتعريف، إلى غير ذلك من أنواع التشابه، وبيانُ سرّ الاختلاف بين تلك الآيات، ووجه الحكمة من وراء ذلك. وقد ذكر المؤلف هذا السبب قائلًا: «تطلُّبًا لعلاماتٍ ترفع لُبس إشكالها، وتخصُّ الكلمة بآيتها، دون أشكالها...»[(١)].

ب- تركُ العلماء الذين سبقوه هذا الجانبَ من التفسير، وهو توجيهُ الآيات المتشابهة، وتبيينُ ما أشكل منها، حيث يقول رحمه الله: «تأمَّلتُ أكثر كتب المتقدِّمين والمتأخِّرين، وفتَّشتُ على أسرارها معاني المتأوِّلين المحقِّقين المتبحِّرين، فما وجدتُ أحدًا من أهلها بلغ غاية كُنهها، كيف ولم يقرَع بابَها، ولم يفترَّ لهم عن نابها، ولم يَسفِر عن وجهها...»[(٢)].

ج- الردّ على الملحدين الطاعنين الذين يزعمون أن في القرآن اختلافًا، وأن أسلوبه يتعارض بعضه مع بعض، على الرغم من أن الموضوع واحد، فجاء هذا الكتاب ليبيِّن الحكمة من اختلاف هذا الأسلوب بالتقديم تارة، والتأخير تارة أخرى، وبزيادة بعض الألفاظ في موضع دون موضع، ونحو ذلك، كما تقدَّمت

(١) انظر من هذا الكتاب (١: ٢٠١).
(٢) انظر من هذا الكتاب (١: ٢٠٢).

إسلام ويب islamweb.net

الإشارة إلى ذلك. فبذلك يزداد المؤمنون إيمانًا بكتاب ربهم، وتطمئنُّ قلوبهم إلى أنه الكتاب المُعجِز.

وإلى هذا السبب يشير المؤلف بقوله: «ولطعنِ الجاحدين ردًّا، ولمسلك الملحدين سدًّا..»[١]، وفي نهاية الكتاب يقول: «هذا آخر ما تكلَّمنا عليه من الآيات التي يقصد الملحدون التطرُّق منها إلى عيبها..»[٢].

المطلب الخامس: منهج المؤلف في الكتاب

علمنا ممّا سبق أن الخطيب رحمه الله تعالى قد حصر موضوع كتابه «درة التنزيل» في الآيات المتشابهة لفظًا، التي تتكرَّر بألفاظ متفقة أو مختلفة، دون غيرها من الآيات، وقد صرَّح المؤلف بذلك في مقدمته[٣].

وبعد النظر في هذا الكتاب، والتتبُّع لطرائق المؤلف، والمقارنة بين قضاياه، نستطيع تقديم صورة علمية لمنهج المؤلف فيما يأتي:

١ـ الإنشاء والابتكار:

فإن المؤلف رحمه الله تعالى يتميز بالاستقلال البارز بما لم يُسبَق إليه، في توجيه الآيات المتشابهة لفظًا، حيث إنه يعتمد في كتابه هذا على نفسه، وليس هناك كتاب في هذا الفن نقل عنه، أو تأثَّر به، كما أبان هو ذلك في مقدمة الكتاب[٤].

٢ـ الترتيب:

سلك المؤلف رحمه الله تعالى في تأليف كتابه «درة التنزيل» مسلك المفسرين، وصنَّف كتابه على ترتيب السور والآيات في المصحف الشريف، مبتدئًا من سورة

(١) انظر من هذا الكتاب (١: ٢٠٣).
(٢) انظر من هذا الكتاب (٣: ٣٣٦).
(٣) انظر من هذا الكتاب (١: ٢٠٢، ٢٠٣).
(٤) انظر من هذا الكتاب (١: ٢٠٢).

إسلام ويب islamweb.net

البقرة، ثم سورة آل عمران، وسورة النساء، وهكذا؛ فيورد اسم السورة، ثم يتتبَّع كل ما تكرَّر واشتبه من الآيات في تلك السورة مع الآيات في غيرها من السُّوَر، فيقول مثلًا: سورة البقرة، الآية الأولى[١] منها، والآية الثانية منها، والآية الثالثة منها... حتى إذا ما انتهى من سورة البقرة، انتقل إلى السورة التي تليها وهي سورة آل عمران، ثم إلى سورة النساء... وهكذا.

وقد بلغ عدد الآيات التي تناولها الخطيب بالتوجيه أربعًا وسبعين ومئتي آية، فضلًا عن اثنتين وخمسين وثلاثمئة آية قارن بها الآيات الأصول.

٣ـ الاستدراك على نفسه:

انتهج المؤلف أن يذكر المتشابه في الموضع الأول حسب ترتيب المصحف كما قلنا في الترتيب، وقد يستدرك على نفسه فيذكر الآية التي فيها التشابه في الموضع الثاني، إذا نسي ذلك في الموضع الأول، وينبِّه على أن مكانها كان في سورة كذا، وقد حصل ذلك منه في مواضع عدة، ومن أمثلة ذلك تناوُله آية سورة النساء، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [النساء: ١٣]، في الحديث عن الآية السابعة من سورة المائدة، وهي قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩]، وقال: «وكان حقُّها أن تذكر في موضعها[٢]، لكني لم تحضرْني هناك فذكرتها مع أخواتها، وإن كان ذكرُها مقدَّمًا في القرآن»[٣].

---

(١) يقصد المؤلف في كتابه بالآية الأولى والآية الثانية، والآية الثالثة... ترتيبَها في كلامه هو، لا في ترتيب السورة الكريمة.

(٢) موضعُها في أوائل سورة النساء، فرقم الآية [١٣].

(٣) انظر من هذا الكتاب (١: ٤١٢).

إسلام ويب islamweb.net

كما رأينا أن المؤلف لمّا لم يذكر الآية في موضعها الأول، في سورة النساء ذكرها هنا في سورة المائدة. وبهذا يتضح أنّ ما وضعه ابن الزبير في كتابه «ملاك التأويل»[١] عند آية سورة النساء السابقة مِن علامةٍ[٢]، وهي (غ) الدالة على أن صاحب «الدرة» غفل عنها ـ ليس بصحيح؛ لأن المؤلف رحمه الله استدرك تلك الآية وذكرها في هذا الموضع من سورة المائدة، مع أخواتها، إلا إذا قصد ابن الزبير أن المؤلف ترك ذكرها في موضعها الأصلي من سورة النساء، فهذا صحيح كما قرَّر المؤلف نفسه ذلك.

ويقول في الآية الثامنة من سورة هود: «حكم هذه الآية أن يكون ذكرها في سورة الأعراف، ثم لمّا تأخرت وجب أن تُذكَر في سورة العنكبوت، إلا أنّا رأيناها تتعلق بهذه السورة[٣] فذكرناها فيها، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ [الأعراف: ٨٥، هود: ٨٤]، ومثله في سورة العنكبوت، يخالفه بزيادة الفاء، وهو قوله: ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ [العنكبوت: ٣٦]»[٤].

ويقول الخطيب في الآية الأولى من سورة الفرقان: «قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗ لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا﴾ [الفرقان: ٣]. وقال قبله في سورة الرعد ـ وكان

(١) ملاك التأويل (١: ٣٣٥).

(٢) كما فعل ذلك في بعض الآيات الأخرى أيضًا، وأشار إليها بـ«غ» دلالةً على أن صاحب الدرة غفل عنها، مع أن صاحب الدرة تناول أكثر هذه الآيات التي أشار إليها بـ«غ» في المواضع التالية.

(٣) أي: بسورة هود.

(٤) انظر من هذا الكتاب (٢: ٢٤٧، ٢٤٨).

إسلام ويب islamweb.net

حكم هذه الآية أن تُذكَر هناك ـ: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الرعد: ١٦]»[(١)].

ومن الجدير بالذكر أن الخطيب لم ينفرد وحده بذلك؛ إذ إن مَن ألَّف في هذا الفن وقع فيما وقع فيه الخطيب، من نسيان أو غفلة لذكر المتشابه في الموضع الأول، وذكرِه في الموضع التالي الذي يشبهه حين يتذكَّر، فالكرماني على سبيل المثال تناول آية سورة النحل [٩٦]: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ في سورة الزمر [٣٥] عند قوله تعالى: ﴿وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾، حيث قال في هذا الموضع: «وكان حقه أن يُذكَر هناك[(٢)]»[(٣)].

٤ـ طريقة العرض:

وقد اتخذ المؤلف رحمه الله تعالى في عرضه للآيات المتشابهة التي يريد توجيهها منهجًا خاصًّا، حيث عقد في كل سورة بحثًا خاصًّا لكلّ آية يعدُّها من نوع التشابه اللفظي، ويذكر معها ما يشبهها من آيات أخرى، سواء أكانت من نفس السورة، أم من سور أخرى، ثم يوجِّه تلك الآيات التي اجتمعت أمامه، على طريقة إثارة السؤال، وتقرير الجواب، والرد على ما يعرض من شُبَهٍ في هذا المقام.

وهذا المنهج الذي ابتكره الخطيب في كتابه منهج محدَّد، تَبِعه في ذلك مَن ألَّف بعده في توجيه الآيات المتشابهة لفظًا[(٤)].

---

(١) انظر من هذا الكتاب (٢: ٣٩٧).

(٢) أي: في سورة النحل.

(٣) البرهان للكرماني (ص٣٢٢).

(٤) كابن الزبير في ملاك التأويل، حيث يقول: الآية الأولى، والآية الثانية، والآية الثالثة، وهكذا.

إسلام ويب islamweb.net

ونعرض مثالًا صغيرَ الحجم ليتضح الأمر أكثر، في منهج المؤلف، في عرض الآيات المتشابهة: فلدى تعرُّضه مثلًا لِما بين آية سورة النساء وآية سورة الأحزاب من تشابه، يستهلُّ كلامه على النحو الآتي: «الآية الخامسة منها[١]: قوله عز وجل: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٩]. وقال في سورة الأحزاب [٥٤]: ﴿إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾. للسائل أن يسأل عن الآية الأولى: لِمَ خصَّ فيها ﴿خَيْرًا﴾، ولِمَ عمَّ في الثانية بلفظ ﴿شيء﴾؟

والجواب أن يقال: إنما خصَّ في هذا الموضع الخير بالإبداء لأنه بإزاء السوء الذي قال فيه: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ [النساء: ١٤٨]، والمعنى: لا يحب الله أن يَجهر بالقول السيئ غيرُ المظلوم، وهو أن يدعو على مَن ظلمه، أو أن يخبر بظلمه له، أو أن ينتصر منه بسوء مقاله فيه، فقال: إن أبديتم ثناءً وذِكرًا جميلًا لمن يستحقُّهما، أو أخفيتموهما، أو سكتُّم عمَّن أساء إليكم بالعفو عنه؛ فإن الله مع قدرته كثير العفو عن خليقته؛ فاقتضت في هذه الآية المقابلة أن يُجعَل بإزاء السوء الخيرُ.

وأمّا في الآية التي في الأحزاب فلأنّ قبلها تحذيرًا من إضمار ما لا يحسُن إضماره في قوله عز وجل: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥١]، وقوله: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، فاقتضى هذا المكان العمومَ، فقال تعالى: إن تُبدوا ممّا حذَّرتُكم شيئًا أو تخفوه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ لم يزل عليمًا بما يكون كعلمه بما كان»[٢].

(١) أي: من سورة النساء، حسب ترتيب المؤلف.

(٢) انظر من هذا الكتاب (١: ٣٧٣، ٣٧٤).

إسلام ويب islamweb.net

ويتكرَّر في صفحات الكتاب ـ كما في المثال السابق ـ وعلى وتيرة واحدة، ابتداءُ المؤلف المسألةَ بعبارة: «للسائل أن يسأل فيقول» أو: «للسائل أن يسأل عن كذا..»، أو نحو ذلك، ويبدأ الإجابة غالبًا بعبارة: «الجواب أن يقال»[(١)]، أو: «الجواب عن ذلك أن يقال»[(٢)]، ثم يأتي الجواب، أو تتوالى الأجوبة على السؤال الواحد، إن اقتضى الأمر التفريع والتنويع.

٥ـ الأدلة والشواهد:

إن المؤلف رحمه الله تعالى كان يوجِّه كلامه غالبًا بما يشهد له من القرآن الكريم، أو الحديث والأثر، أو شعر العرب على النحو الآتي:

أ ـ القرآن الكريم:

مما يلفت الانتباه في كتاب «درة التنزيل وغرة التأويل» أن مؤلفه يُكثِر من الاستدلال والاستشهاد بالآيات القرآنية على ما يقول، فعلى سبيل المثال يتحدَّث المؤلف رحمه الله عن الفائدة في تقديم لفظ: ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ على ﴿شُهَدَآءَ﴾ في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ [النساء: ١٣٥]، وتأخيره عنه في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ﴾ [المائدة: ٨]، فيقول: «وأمّا الآية التي في سورة المائدة فإن فحواها[(٣)] يدل على أنها للولاة، فقال: ﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ﴾ لا لِنفع، ويكون ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ متعلِّقًا بـ﴿قَوَّٰمِينَ﴾؛ أي: كونوا قوّامين لأجل طاعة الله بالعدل والحكم به في حال كونكم ﴿شُهَدَآءَ﴾؛ أي: وسائط بين الخالق والخلْق، أو بين النبي ﷺ وأُمّته كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ

(١) انظر من هذا الكتاب على سبيل المثال (١: ٣٦٨، ١: ٣٨٢).
(٢) انظر من هذا الكتاب (١: ٢٤٥)، والآية الثانية من سورة يس.
(٣) أي: معناها، وفحوى الكلام: معناه. القاموس المحيط (ص١٧٠٢ فحو).

إسلام ويب islamweb.net

جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]»[(١)].

ب ـ الأحاديث والآثار:

كان الخطيب مُقِلًّا من الاستشهاد بالحديث والأثر، وما قلة شواهده من الحديث والأثر إلا دليل عدم ربط التوجيه في الآيات المتشابهة بهما كثيرًا؛ لأن موضوع الكتاب كان منصبًّا على معرفة الحكمة والسر في التغيُّر الحاصل في بعض ألفاظ القرآن الكريم للقصة الواحدة أو الموضوع الواحد، من تقديم وتأخير، أو جمع وإفراد، إلى غير ذلك من أنواع التشابه.

ومن أمثلة استشهاده بالحديث الشريف ما جاء في الآية الثامنة عشرة من سورة البقرة: «قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧]، وقال في موضع آخر من هذه السورة: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة: ٢٢٩]». ففي هذا الموضع يقول الخطيب: «للسائل أن يسأل فيقول: كيف اختصَّ الموضع الأول بقوله: ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾، والموضع الثاني بقوله: ﴿فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾؟

الجواب أن يقال: الأول خرج على أغلظ الوعيد كما قال: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ [البقرة: ٣٥]، وإنما كان نهى عن أكلها لا عن الدنوِّ منها، فخرج مخرج قول القائل ـ إذا نهى عن الشيء وشدَّد الأمر فيه ـ: لا تقرب هذا الشيءَ، وما أحسن ما قال النبي ﷺ في المنع من مقاربة الحرام: «مَن رَتَعَ حَوْل الحِمى يُوشِك أن يقع فيه»[(٢)].

(١) انظر من هذا الكتاب (١: ٣٧١).

(٢) سيأتي تخريج هذا الحديث في موضعه إن شاء الله. وانظر من هذا الكتاب (١: ٢٩٠).

إسلام ويب islamweb.net

وكذلك الأمر في الآثار، فإنه لم يورد منها إلا قليلًا. ومن الأمثلة على ذلك ما أورده عن قتادة في الموضع الذي بحث فيه عن الفرق بين قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾[١] [المائدة: ١٣]، وبين قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة: ٤١][٢]، حيث قال في هذا الموضع: «ويحتمل أن يكون المراد ما ذهب إليه أكثر أهل التفسير، وهو أن قومًا أرسلوا هؤلاء إلى النبي ﷺ في قصة زانٍ مُحصَنٍ فقالوا لهم: إن أفتاكم محمد بالجَلد فخذوه، وإن أفتاكم بالرجم فلا تقبلوه. وقال قتادة: «كان هذا في قتيلٍ منهم فقالوا: إن أفتاكم محمد بالدية فاقبلوه، وإن أفتاكم بالقَوَدِ فاحذروه»[٣].

والخطيب رحمه الله يورد الأحاديث والآثار دون أسانيدها، ولا يذكر درجة ما أورده من الروايات، وإنما يقول على سبيل المثال: قال قتادة[٤]، وقال الحسن[٥]... كما فعل بعض المفسرين مثل الماوردي في تفسيره «النكت والعيون». وبفضل الله تعالى قد خرَّجتُ الأحاديث والآثار وحكمتُ عليها بقدر الإمكان في مواضعها.

ج ـ الشعر العربي:

إنه في بعض الأحيان يوجِّه كلامه بما يستشهد به من شعر العرب؛ لأن الشعر ديوان العرب، وفيه تفسير معاني كتاب الله تعالى، والقرآن نزل بلسان عربي مبين.

---

(١) ذلك في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾.

(٢) وهو جزء من قوله تعالى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾.

(٣) انظر من هذا الكتاب (١: ٣٨٤).

(٤) انظر من هذا الكتاب (١: ٣٨٥).

(٥) انظر من هذا الكتاب (١: ٣٩٤).

إسلام ويب islamweb.net

ومن أمثلة ذلك ما ذكره في سورة المائدة عند تناوله قوله عز وجل: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٩]، وما يشابهه من قوله تعالى في آخر سورة الفتح [٢٩]: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾، حيث قال: «للسائل أن يسأل فيقول: لِمَ رُفِع قوله: ﴿مَّغْفِرَةَ وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ في الآية الأولى، ونُصِب في الثانية؟

والجواب أن يقال: لقوله تعالى: ﴿لَهُم﴾ في الأولى، وقوله: ﴿مِنْهُم﴾ في الثانية فائدة، وذلك أنه لمّا قال في الأولى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ عُلِم أنهم وُعِدوا بما هو حق لهم، فعدل عن ذكر المفعول إلى جملة تضمَّنت معناه، والجملة ابتداء وخبر، وهي في موضع مفرد منصوب، كأنه قال: وعد الله الذين آمنوا مغفرةً، ومثله قول الشاعر:

وجَدْنا الصالِحِينَ لهم جزاءٌ وجنّاتٍ وعينًا سَلْسَبِيلا[(١)]

كأنه قال: وجدنا للصالحين جزاءً وجناتٍ وعينًا، فاللام في «لهم» داخلة على ضمير «الصالحين» فكأنها داخلة عليهم، وكأنه قال: وجدنا للصالحين جزاءً، وعطف على موضع الجملة التي هي «لهم جزاءٌ» منصوبًا، إذ كان موضع الجملة موضع نصب»[(٢)].

٦ـ الاهتمام بتفسير الآيات الكريمة والقراءات:

كثيرًا ما يعتني الخطيب بتفسير الآيات التي تناولها عناية بالغة، ولا يقتصر على القدر المناسب، وهو توجيه الآيات التي تتشابه بسبب ورودها في القرآن الكريم مكرَّرةً بألفاظ متفقة، وألفاظ غير متفقة، فعلى سبيل المثال: يقول المؤلف

(١) سيأتي تخريج البيت في (١: ٣٧٦).
(٢) انظر من هذا الكتاب (١: ٣٧٦-٣٧٨).

إسلام ويب islamweb.net

رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: «أي: إن انتهوا عن كفرهم فلا عدوان عليهم، إنما العدوان على من أقام على الضلالة وظلم نفسَه بلزوم الجهالة... وقال بعده: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي: لا يكون شرك وكفر، اقتضى هذا أن يكون بعده: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ فأُمِروا بإبطال كل كفر قدَروا عليه، وأتبعه قوله: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي: إن انتهوا وانتقلوا إلى الإيمان، وكَفُوكم عن قتالهم بما يُظهِرون من الإسلام فإن الله يعلم عملكم وعملهم على القراءتين[(١)] جميعًا، فيكون الخطاب للمقاتِلين، ولفظ المغايبة للمقاتَلين»[(٢)].

ويقول رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٧٣]: «أي: آية تشهد بصحتها نفوسُكم أنها من قدرة الله تعالى، المختصة بفعله، لا بفعل غيره، ثم قال: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ [هود: ٦٤]؛ أي: هذه ناقة ليست ملك أحدٍ منكم، وإنما هي لله استخرجها من الصخرة أو الهضبة أمارةً لصدق نبيه عليه السلام لتؤمنوا عندها، فاتركوها تَرْعَ في الصحارى التي هي أرض الله من الكلأ الذي هو من نعمة الله تعالى، ولا تتعرَّضوا لها بسوء، فيأخذكم عذاب أليم ينال منكم ويؤلمكم...»[(٣)].

والمؤلف رحمه الله تعالى يهتمُّ بتوجيه القراءات القرآنية التي ترد في الآيات التي يتناولها، وعلى سبيل المثال نورد ما ذكره في توجيه قوله تعالى: ﴿وَإِن تَلْوُۥٓا۟﴾، حيث قال: «﴿وَإِن تَلْوُۥٓا۟﴾ ألسنتكم بالشهادة ولم تُفصحوا بها ولم تقوموا بما يجب

(١) والقراءتان هما: بياء الغيبة في: «يعلمون»، وتاء الخطاب في: «تعلمون»، فالأول قراءة الجمهور، والثاني قراءة يعقوب، وانظر لذكر المراجع (١: ٢٩٤).
(٢) انظر من هذا الكتاب، الآية التاسعة عشرة من سورة البقرة (١: ٢٩٣).
(٣) انظر من هذا الكتاب (٢: ١١٧).

إسلام ويب islamweb.net

عليكم فيها، أو تتركوا ما يلزمكم منها، فإن الله عليم بعملكم، وهو مجازيكم على فعلكم. وقيل: تلْوُوا بمعنى تَمطُلوا[١]، مِن لويت الغريم إذا دفعته، كأنه قال: إن تدفعوا الشهادة ولم تؤدُّوها وقت الحاجة إليها. ومن قرأ: ﴿تَلُوا[٢]﴾ ـ بضم اللام وواو واحدة ـ فالمعنى: إن تَلُوا أمر الناس، من الولاية، أو تتركوه. ويجوز أيضًا أن يكون الأصل «تَلْوُوا» فأُبدِلت من الواو المضمومة همزة، ثم خُفِّفت بإلقاء حركتها على اللام وحذفها، وإن كان هذا مستضعفًا في الهمزة العارضة»[٣].

ومما بحث فيه قوله تعالى في سورة البقرة [٥٨]: ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾، وقوله تعالى في سورة الأعراف [١٦١]: ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔتِكُمْ﴾، وقال رحمه الله: «وأمّا المسألة الثانية فجمعه للخطيئة على «الخطايا» في سورة البقرة، وعلى «الخطيئات» في سورة الأعراف على قول أكثر القراء»[٤].

٧ـ عدم الالتفات إلى أسباب النزول إلا عند المناسبة:

لا يلتفت رحمه الله كثيرًا إلى ذكر أسباب نزول الآيات، ولكنه لا يغفله عندما يدعو الأمر إلى ذلك، كما أنه لا يذكر سبب النزول إلا بشيء من التحفُّظ، فيقول: رُوِي، أو: قيل[٥]... ويحمِّل المسؤولية على الذين رووه.

---

(١) من باب «قتل»، ومَطَله بدَيْنه مطْلًا: إذا سوَّفه بوعد الوفاء مرة بعد أخرى. المصباح المنير (ص٥٧٥).

(٢) «تلُوا» بلام مضمومة وواو ساكنة: قراءةُ حمزة وابن عامر، والباقون: «تلوُوا» بلام ساكنة وواوَين بعدها، أُولاها مضمومة. وسيأتي المراجع في موضع الآية إن شاء الله تعالى. انظر من هذا الكتاب (١: ٣٧٠).

(٣) انظر من هذا الكتاب، الآية الرابعة من سورة النساء (١: ٣٦٩، ٣٧٠).

(٤) هم ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي، وانظر من هذا الكتاب (١: ٢١٥).

(٥) انظر من هذا الكتاب، الآية الأولى من سورة العنكبوت (٣: ١٦)، حيث جاء فيها: =

إسلام ويب islamweb.net

٨ـ تفسير بعض الكلمات الغريبة لتوضيح المعنى والتوجيه الذي ذكره:

وإذا أردت أن ترى بين يديك نصوصًا لغوية من نصوص الخطيب في كتابه «الدرة» لتتبيَّن بنفسك كونه إمامًا في اللغة، فإليك ما قاله في معنى العليّ، وفي معنى الهلوع، وما ذكره في معنى الدأب، وفي الفرق بين الضلال والسفاهة.

قال رحمه الله تعالى: «وأما قوله: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ فالعليّ: القادر على الشيء، القاهر له، ولذلك قال الشاعر:

اعْمِد لِما تَعْلو فما لَكَ بالَّذي ... لا تستطيعُ مِن الأمور يَدانِ[(١)]

فجعل بإزاء تعلو: لا تستطيع، فالقادر على الشيء أتمَّ قدرةٍ يكون عاليًا به[(٢)] قاهرًا له»[(٣)].

وقال رحمه الله تعالى في معنى الهَلُوع: «والجواب الذي أذهب إليه أن الهلع أصله: التسرُّع والقلَق نحوَ الشيء، فالحريص يهلَع، والجزوع يهلَع؛ أي: يتسرَّع إلى تمكين الحزن من نفسه... والحريص يتسرَّع إلى مشتهاه، اتباعًا لهواه، وإن كان فيه رَداه[(٤)]، والإنسان في حال صِغَره مطبوع على هذه الخِلال؛ لأنه يتسرَّع إلى الثَّدْي، ويحرص على الرضاع، وإن مسَّه ألمٌ جزع وبكى، وإن تمسَّك بثدي فزُوحِم عليه منع بما في قدرته من اضطراب وبكاءٍ، فلا يزال يفعل ذلك حتى يُرَدَّ إليه الخير

= «وقيل: إن هذه الآية نزلت في سعد بن مالك، وهو سعد بن أبي وقاص، ورُوي عنه أنه قال: كنت برًّا بأمي...».

(١) سيأتي تخريجه في الآية الثالثة من سورة الشورى. انظر من هذا الكتاب (٣: ١٤٨).

(٢) أي: مقتدرًا عليه.

(٣) الآية الثالثة من سورة الشورى، انظر من هذا الكتاب (٣: ١٤٨، ١٤٩).

(٤) أي: هلاكه.

إسلام ويب islamweb.net

الذي كان له، ثم هو على ذلك إلى آخر عمره. والهلع في كلام العرب أصله: القلق والتسرُّع في الحرص والجزع؛ يقال: ناقةٌ هِلْواع؛ أي: مسرعة، وظِلْمان[١] هوالع؛ أي: مسرعات»[٢].

وقال رحمه الله تعالى في معنى «الدأب»: «الدأب، أصله الهمز، وهو العادة، وما يجري عليه قوم في معاملة»[٣].

وقال رحمه الله تعالى في الفرق بين «الضلال» و«السفاهة»: «والضلال من صفات الفعل؛ تقول: ضلَّ فهو ضالٌّ، والسفاهة من صفات النفس، وهي ضد الحِلم، وهي معنًى ثابت يولِّد الخِفّة والعَجَلة المذمومتَين، والحِلم معنًى ثابت يولِّد الأناة المحمودة»[٤].

٩ـ التحقيق والتمحيص لما ينقل من الآراء:

تظهر شخصية الخطيب في نقده الصريح والخفي لآراء بعض العلماء، بعبارات تدل على أنه كان مجتهدًا، ولم يكن ناقلًا أو معتمدًا على آراء غيره دون تمحيص وتحقيق، مثل قوله: «فليس بشيء»، أو: «باطل».

ومن ذلك ما قاله في معرض بيان وجه الحكمة عن مجيء قوله تعالى: ﴿بَلَدًا﴾ نكرةً في سورة البقرة[٥]، ومعرفةً: ﴿ٱلْبَلَدَ﴾ في سورة إبراهيم[٦]: «فأما قول من

---

(١) ظِلْمان ـ بالكسر والضم ـ جمع، مفرده: الظَّليم: الذَّكَر من النَّعام. يُنظَر: القاموس المحيط (ص١٤٦٤ظلم).

(٢) الآية الأولى من سورة المعارج، انظر من هذا الكتاب (٣: ٢٧٠، ٢٧١).

(٣) انظر من هذا الكتاب (١: ٣٢٠).

(٤) انظر من هذا الكتاب (٢: ١٠٨).

(٥) وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [البقرة: ١٢٦].

(٦) ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم: ٣٥].

إسلام ويب islamweb.net

يقول: إنه جعل الأول نكرة، فلما أُعيد ذِكرها أُعيد بلفظ المعرفة، كما تقول: رأيت رجلًا، فأكرمت الرجل، فليس بشيء، وليس ما ذكره مِثلُ هذا المكان مكانُه»[(١)].

ومما يدل أيضًا على أن المؤلف ناقد محقِّق ما جاء في سورة آل عمران عند كلامه عن تذكير الضمير: ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾، وتأنيثه: ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا﴾، وعن وجه ذكر قوله تعالى: ﴿بِإِذْنِي﴾[(٢)] مضافًا إلى ضميره سبحانه وتعالى، ووجه ذكر قوله تعالى: ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[(٣)] مضافًا إلى الظاهر، وهو لفظ الجلالة، حيث قال في هذا الموضع: «مسألة في ذلك: قد قال بعض أهل النظر في معنى هذه الآية: إنما قال: ﴿فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾، فذكر إذنَ الله في هذين الموضعين، ولم يقل: «بإذن الله» في قوله: ﴿أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾، ولا في قوله: ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾، ولا في قوله: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ﴾؛ لأن ما وصفه من هذه الأفعال إنما هي أفعاله، ولم تكن أفعالًا لله تعالى؛ فلهذا لم يذكر أن ذلك كان بإذن الله، كما ذكر الإذن فيما وصفه من قبلُ مما فعله الله عز وجل دونه، وذلك أنه لم يعنِ بالإذن أمرَه له بأن يطيعه في ذلك، وإنما عنى به أن الله تعالى هو الذي فعله؛ فلهذا جعل ذِكر الإذن فصلًا بين فعله وفعل الله تعالى».

---

(١) انظر من هذا الكتاب (١: ٢٥٨).

(٢) ذلك في قوله تعالى في سورة المائدة [١١٠]: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى﴾.

(٣) ذلك في قوله تعالى من سورة آل عمران [٤٨، ٤٩]: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ * وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ﴾.

إسلام ويب islamweb.net

ثم قال تعليقًا على ذلك: «قلت: ذلك سهوٌ منه؛ لأن الذي ذكر أنه لم يذكر معه إذنَ الله؛ لأنه مِن فعل عيسى على نبينا وعليه السلام، فقد نطقت سورة المائدة بخلافه، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى﴾ [المائدة: ١١٠]، فسوّى بين الفعلين اللذين ذكرهما مَن حكيتُ كلامَه أنهما مختلفان، وأن أحدهما فِعل عيسى عليه السلام؛ فلهذا لم يذكر معه الإذن، والآخرَ فِعلُ غيره.

ثم قال تعالى: ﴿وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى﴾ [المائدة: ١١٠]، فذكرَ الإذن في أربعة مواضع لأفعال عيسى عليه السلام، وهذا دلَّ على أنّ ما ذهب إليه مَن ذكرتُ كلامَه بذكر الإذن في فعلين من سورة آل عمران على أنهما فِعل الله تعالى، وما لم يذكر معه الإذن فِعل عيسى عليه السلام باطلٌ»[(١)].

١٠ـ عدم الالتزام بعزو الأقوال إلى أصحابها مع أمانة النقل:

يذكر الخطيب الأقوال أحيانًا دون ذكر أصحابها، ولا يلتزم رحمه الله تعالى بعزوها إلى أصحابها إن نقلها، ولكنه لا يتصرَّف في الأقوال التي ينسبها إلى أصحابها، بل يوردها كما هي.

ومن الأمثلة على ذلك: نقلُه عن الزجاج (ت٣١١هـ) في الموضع الذي تحدَّث فيه عن الفرق بين قوله: ﴿ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ﴾، و﴿خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ﴾ بلا واو، وبين قوله: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ﴾[(٢)] بالواو، حيث قال: «وقد سوّى النحويون بين الجملة التي

(١) انظر من هذا الكتاب (١: ٣٣١، ٣٣٢).

(٢) ذلك في الآية [٢٢] من سورة الكهف.

إسلام ويب islamweb.net

تجري صفةً للنكرة، أو حالًا للمعرفة، إذا كان فيها ذكرُ الأول في أن دخول الواو عليها وحذفها منها جائزان؛ قال الزجّاج: «دخول الواو هاهنا، وإخراجها من الأول واحد»[(١)].

وهذه العبارة التي نقلها الخطيب عن الزجاج موجودة حرفيًّا في كتاب «معاني القرآن» للزجاج[(٢)]، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على دقّته في إسناد القول إلى صاحبه، وتقيُّده بعبارة مَن ينقل عنه.

١١ـ الاختيار والترجيح بين الآراء:

يقف الخطيب مرجِّحًا، معلِّلًا، مختارًا، حيث إننا كثيرًا ما نراه يختار ويرجِّح وجهًا من الوجوه المتعدِّدة التي يعرضها في المسائل النحوية، مع تعليل لهذا الاختيار.

وعلى سبيل المثال حين كان يتحدَّث عن رفع قوله: ﴿ٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ في سورة المائدة[(٣)] قال: «فرفع ﴿ٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ ونوى به التأخير عن مكانه، كأنه قال بعدما أتى بخبرِ «إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون»: والصابئون هذه حالهم أيضًا. وهذا مذهب سيبويه؛ لأنه لا يجوز عنده ولا عند البصريين وكثير من الكوفيين: إن زيدًا وعمرٌو قائمان».

ثم رجَّح رأي سيبويه حيث قال: «... أنّ «إنّ» لها عملان؛ النصب والرفع على مذهب البصريين، وأنّ لها عملًا واحدًا عند الكوفيين، وهو النصب، إلا أن المذهب

(١) انظر من هذا الكتاب (٢: ٣٢٧)، الآية الأولى من سورة الكهف.
(٢) معاني القرآن للزجاج (٣: ٢٧٧).
(٣) الآية [٦٩].

إسلام ويب islamweb.net

الصحيح ما ذهب إليه سيبويه، وهذه الآية تدل عليه؛ لأنه قدَّم فيه ﴿ٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ والنية بها التأخير على مذهب سيبويه، وإنما قدَّم في اللفظ وأخَّر في النية؛ لأن التقديم الحقيقي التقديمُ لكتب الله المنزَّلة على الأنبياء عليهم السلام..»[(١)].

١٢ـ التركيز على نقد الآراء لا الأشخاص:

التزم المؤلف رحمه الله بأخلاق الإسلام، وأدب العلماء، وذلك بعدم التصريح باسم مَن ينقده، وإنما قصر كلامه على نقد الرأي في ذاته، كما نرى ذلك في الآية الأولى من سورة القمر حيث قال: «للسائل أن يسأل عن قوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر: ١٦] في ابتداء قصة عادٍ وتكريره في آخرها. وقد سئل عن ذلك بعض أهل النظر فأجاب بأن الأول ليس هو تخويفًا لعادٍ، وأن الثاني لها؛ فلا يكون تكريرًا؛ إذ جعل كل واحد من الخبرين خبرًا عن غير ما أخبر به عن الآخر. وهذا الذي ذهب إليه لا وجه له؛ لأنه قال: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ * إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ [القمر: ١٨، ١٩]، فلا يصح أن تدخل الفاء في قوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ﴾ عَقِيب إخباره عن عادٍ بأنها كذَّبت...»[(٢)].

وهذه أبرز السمات التي توضِّح لنا منهجَ الخطيب في كتابه «درة التنزيل وغرة التأويل»، ويتضح لنا أيضًا من هذا العرض أن الإمام الخطيب صاحبُ منهج راقٍ في التصنيف والتأليف، شأنه في ذلك شأن العلماء الأجلاء رضي الله عنهم أجمعين.

---

(١) انظر من هذا الكتاب (١: ٢٣٤).

(٢) انظر من هذا الكتاب (٣: ٢٠١). وانظر: (١: ٣٢٥)، حيث قال: «والجواب عندي»، (١: ٣٣٢) حيث قال: «ذلك سهو منه»، (١: ٤٠٩) حيث قال: «والذي أذهب إليه أنا»، (٣: ١٥٠)، حيث قال: «وإنما وجه الكلام ما ذكرنا»، (٣: ٢٠١) حيث قال: «وهذا الذي ذهب إليه لا وجه له»، (٣: ٢٠٦)»، حيث قال: «والجواب الذي يعتمد عليه».

إسلام ويب islamweb.net

المطلب السادس : مصادر المؤلف في الكتاب

يتبيَّن المطَّلع على كتاب «**درة التنزيل وغرة التأويل**» أن مؤلفه الخطيب رحمه الله تعالى على علم جمّ، وثقافة عالية، واطلاع واسع على الكتب والمؤلفات، إذ يقول في مقدمة الكتاب: «تأمَّلتُ أكثر كتب المتقدِّمين والمتأخِّرين... فما وجدتُ أحدًا من أهلها بلغ غاية كُنهها»(١).

والحقيقة أنْ ليس هناك تصريح ـ في مقدمة الكتاب ولا في داخله ـ بأيٍّ من أسماء المصادر التي قد يكون استقى منها مادّته في توجيه الآيات المتشابهة. لكننا إذا تتبَّعنا ما في الكتاب نلمح بوضوح أن المؤلف اعتمد ـ ولو قليلًا ـ على أقوال بعض المفسرين من الصحابة والتابعين، وكذلك اعتمد على أقوال بعض أئمة اللغة والنحو في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم.

وذكر الخطيب رحمه الله من المفسرين أسماءَ بعض أعلام الصحابة والتابعين، مثل ابن عباس رضي الله عنهما(٢)، والحسن(٣)، وقتادة(٤)، والسُّدِّي(٥)، ولم يذكر كتبًا معيَّنة.

أما في الجانب اللغوي والنحوي فقد ذكر الخطيب ـ على قلّة ـ عددًا من أسماء الأئمة المعروفين مثل: الخليل بن أحمد، وسيبويه، والزجّاج، والفرّاء، والمُبرِّد، وقد يصرِّح أحيانًا بأسماء كتبهم التي رجع إليها.

(١) انظر من هذا الكتاب (١: ٢٠٢).
(٢) انظر من هذا الكتاب (١: ٣٩٢)، وانظر أيضًا: الآية الأولى من سورة العنكبوت (٢: ١٢).
(٣) انظر من هذا الكتاب (١: ٣٩٤، ١: ٤٠٢).
(٤) انظر من هذا الكتاب (١: ٣٨٥، ٤٠٤).
(٥) انظر من هذا الكتاب (١: ٤٠٤).

إسلام ويب islamweb.net

فقد ورد ذكر «كتاب العين» للخليل بن أحمد في «درة التنزيل» مرة واحدة، وذلك عند بيان معنى اللهو، وفي هذا الموضع نقل عنه؛ قال: «واللهو، قال فيه صاحب العين: «ما شغل الإنسان من هوًى وطرب»»[١].

ومن مصادره النحوية: «الكتاب» لسيبويه، و«المتقضب» لأبي العباس المُبرِّد، و«معاني القرآن» للزجّاج، و«معاني القرآن» للفرّاء.

أما كتاب سيبويه[٢] فهو المصدر الأول للخطيب في قضايا النحو، كما أنه مصدر أساسي لمن بعده.

وكتاب «المقتضب» لأبي العباس المُبرِّد، هو مخصَّص للنحو فقط، وله كتاب آخر ألَّفه في النحو واللغة والأدب وهو «الكامل»، وقد وجدتُ أن الخطيب في «درة التنزيل» نقل عن المُبرِّد رأيًا واحدًا دون أن يذكر اسم الكتاب، وعثرت عليه في كتابه «المقتضب»[٣].

وكتاب «معاني القرآن» للزجّاج كان من المصادر الأولى التي اعتمد عليها الخطيب في كتابه «الدرة»، وكان تأثُّر الخطيب بكتاب الزجّاج واضحًا، رغم أنه رحمه الله صرَّح باسم الزجّاج مرة واحدة، ولكنني اكتشفت مواضع أخرى اتفقت فيها عبارات الخطيب مع العبارات التي وجدتها في «معاني القرآن» للزجّاج[٤] وإن لم يُشِر إليه الخطيب صراحةً.

---

(١) انظر من هذا الكتاب (٢: ٣٩)، وانظر: كتاب العين للخليل (٤: ٨٧).

(٢) انظر من هذا الكتاب (١: ٢٣٣، ٢٥٥).

(٣) انظر من هذا الكتاب (١: ٢٥٥).

(٤) انظر من هذا الكتاب (١: ٢٩٤)، وانظر لنفس الموضوع: معاني القرآن للزجاج (٥: ٢٩).

إسلام ويب islamweb.net

وكذلك «معاني القرآن» للفرّاء، كان الخطيب يرجع إليه في بيان مذهب أهل الكوفة النحوي[١]، ونلحظ أن الخطيب مع انتمائه للمذهب البصري في النحو يُجوِّز رأي الفرّاء الذي يُعَدُّ إمامًا في النحو الكوفي[٢]، ولا يدل هذا إلا على اهتمام الخطيب بآراء الفرّاء النحوية، وعلى سعة أفقه العلمي حيث لم يتعصَّب لمذهبه.

المطلب السابع: قيمة الكتاب العلمية، وأثره فيمن بعده

تأتي أهمية كتاب «درة التنزيل وغرة التأويل» من كونه أول كتاب وصل إلينا خالصًا لتوجيه الآيات المتشابهة في القرآن الكريم وتفسيرها. وقد أشار الخطيب في مقدمته إلى أنه لم يجد أحدًا من العلماء قبله، تناول هذا النوع من التأليف، وأقرَّه على ذلك ابن الزبير (ت٧٠٨هـ) في كتابه «ملاك التأويل»، وصرَّح بأن كتاب «درة التنزيل وغرة التأويل» للخطيب أولُ كتابٍ عُرِف مِن بين الكتب المؤلَّفة في توجيه الآيات المتشابهة لفظًا، ولم يُعرَف قبله كتابٌ آخر في موضوعه[٣].

هذا، ومن ناحية أخرى فإن أهمية كتاب الخطيب لا تقتصر على سبقِه وحسب، بل تظهر فيما انطوى عليه من توجيهاتٍ علمية سديدة، وفوائدَ نادرةٍ، تكشف عن كثير من جوانب الإعجاز في القرآن الكريم، وتُبرِز عظمة القرآن في مبانيه ومعانيه، وما أودعه الله تعالى فيه من دقائق الأساليب، وجوامع الإحكام والإتقان، ومراعاة أدق الفروق عند استعمال الألفاظ في القصص والأخبار المكرَّرة، التي طعن الملحدون في القرآن الكريم بها؛ لأنهم يجهلون أسرارها وما وراءها، ومن جهل شيئًا عاداه كما قيل بحقّ.

---

(١) انظر من هذا الكتاب (١: ٣٧٩) الحاشية (٦).

(٢) انظر من هذا الكتاب (١: ٢٣٣)، (٢: ٥٦) الحاشية (٨).

(٣) انظر: ملاك التأويل (١: ١٤٦).

إسلام ويب islamweb.net

وقد جاء هذا الكتاب فريدًا في شموله لكثير من الآيات التي تتكرَّر وتشتبه على بعض الناس، وفي منهج تأليفه التوجيهي الدقيق، وهو يضم في أعطافه وثناياه ما يَهَب القارئ ملكة التفهُّم لأسرار هذا الكتاب العظيم.

وإذا أراد الإنسان أن يتعلَّم الردّ على الطاعنين في أسلوب القرآن الكريم من ناحية اشتماله على الآيات التي تتكرَّر بألفاظ تتفق أحيانًا، وتختلف أحيانًا أخرى، فإنه يجد بُغيته في هذا الكتاب؛ لأنّ مؤلفَه رحمه الله تعالى قدَّم من خلال هذه الآيات حلولًا كثيرة لِما قد يثيره بعض الملحدين من مشكلاتٍ لغوية، ونحوية، وأسلوبية.

والكتاب أيضًا ذو فائدة كبيرة في بعض المسائل النحوية واللغوية، فإنه تطرَّق إلى شرح بعض الكلمات القرآنية الغريبة[(١)]، وذكرِ بعض قضايا النحو[(٢)].

---

(١) انظر من هذا الكتاب على سبيل المثال: معنى اللهو (٢: ٣٩)، ومعنى السِّمة في الآية الثانية من سورة الحجر (٢: ٢٨٧، ٢٨٨)، ومعنى الأشُدّ في الآية الأولى من سورة يوسف (٢: ٢٦٧)، ومعنى هلوع في الآية الأولى من سورة المعارج (٣: ٢٧٠)، وهذه الكلمة ليس لها ذِكر في كتاب المفردات للراغب، ولكننا نجد الخطيب قد توسَّع في شرحها، مما يزيد قيمة الكتاب من الناحية اللغوية.

(٢) من أمثلة ما ورد في الكتاب من المسائل النحوية:

أ ـ ذكر الفرق بين «ما» و«الذي» في الآية التاسعة من سورة البقرة، وانظر من هذا الكتاب (١: ٢٤٥).

ب ـ وقال في آخر الآية الأولى من سورة الأنعام: «ومن النحويين مَن ذهب إلى أنها ـ أي: السين ـ مأخوذة من «سوف»، وإن كان ذلك عندنا ليس بصحيح». وانظر من هذا الكتاب (٢: ٧).

ج ـ وذكر في الآية الرابعة من سورة هود قاعدة تتعلق بالأفعال الخمسة، حيث قال: «ولا يقال لهم في حال الجمع إلا: تدعوننا» عند الرفع، ولا تسقط النون إلا لناصب أو جازم، نحو: «لن تدعونا»، و«لم تدعونا». فأما إذا رفعتَ خطاب الجماعة لم تكن إلا «تدعوننا» وهذا من مبادئ هذا العلم». وانظر من هذا الكتاب (٢: ٢٣٨).

إسلام ويب islamweb.net

أثر الكتاب في اللاحقين عليه:

تقبَّل العلماء قديمًا وحديثًا كتاب «درة التنزيل وغرة التأويل» للخطيب بالقبول الحسن، وكان ولا يزال عمدة العلماء في موضوعه، بل هو أنموذج فريد لما جاء بعده؛ لأنه كتاب متمحِّض للبحث في توجيه الآيات المتكرِّرة والمشتبهة بحثًا شاملًا، فلا عجب أنْ ترك أثره الكبير فيمن صنَّف بعد الخطيب في هذا النوع من التأليف.

فلقد أفاد من «درة التنزيل» العلماءُ الذين داروا في فَلَك موضوع هذا الكتاب، ونهلوا منه، فأفاد منه أصحاب الكتب المتخصصة في توجيه الآيات المتشابهة إلى حد كبير، والمفسرون، وغيرهم، سواء ذكروا الكتاب ومؤلفه، أو تركوا ذلك؛ لأن كتاب «درة التنزيل» ـ كما أشرنا سابقًا ـ يُعَدُّ أساسًا للكتب المؤلَّفة في موضوعه، ولم نعرف إلى الآن مَن سبقه إلى التأليف فيه مستقلًّا.

وقد صرَّح بذلك الشهاب الخفاجي في حاشيته على تفسير البيضاوي وبيَّن ما قلناه من أصالة كتاب «الدرة» وأهميته في موضوعه، حيث يقول: «بقي هنا نكتة، وهو أنه جمع اللهو واللعب في آيات، فتارة قدَّم اللعب كما هنا[١]، وتارة قدَّم اللهو كما في العنكبوت[٢]، فهل لهذا التفنُّن نكتة خاصة أم لا؟ فأبدى بعضهم لذلك نكتة وزعم أنها من نتائج أفكاره، وليس كما قال؛ فإنها مذكورة في «درة التنزيل»[٣]، وهو أبو عُذرته[٤] في هذا الفن..»، ثم يقول: «وإن أردت التفصيل فطالِع درة التنزيل»[٥].

(١) أي: في الآية [٧٠] من سورة الأنعام. (٢) الآية رقم [٦٤].

(٣) في حاشية الشهاب الخفاجي: «درة التأويل»، ولعل الصواب ما أثبتُّه؛ إذ إن الشهاب نفسَه ذكر ما أثبتُّه بعد عدة أسطر.

(٤) العُذرة: البكارة، والمراد: أن كتاب درة التنزيل هو أول كتاب أُلِّف في هذا الفن.

(٥) حاشية الشهاب على البيضاوي (٤: ٤٩).

إسلام ويب islamweb.net

وقد ظهر أثر كتاب «درة التنزيل» في الكتب المؤلَّفة بعده واضحًا في صور:

أولها: اقتفاء أثره في التأليف في هذا الفن، ومتابعة خُطاه، والسير على طريقته التي ابتكرها، مع إضافة ما يفتح الله به على اللاحق، وللسابق فضلُ العلم والسبق، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

ثانيها: التأثُّر المصرَّح به؛ أي: نقل الرأي منسوبًا إلى الخطيب، وقد نقل الكرماني في كتابه «البرهان» عن الخطيب مصرِّحًا باسمه في ستة عشر موضعًا[(١)]، وأحيانًا ينقل عنه دون التصريح باسمه بعبارات متفقة في الكتابين[(٢)].

ثالثها: التأثُّر غير المصرَّح به؛ أي: نقل الرأي دون ما عزوٍ له إلى قائله. وبعد تقصٍّ وتمحيص ومقارنة تبيَّن لي أن جُلّ الآيات التي تناولتها الكتب المؤلَّفة بعد الخطيب تكاد تتفق في عناوينها ومضمونها مع ما جاء في «درة التنزيل»، بل إنّ قوة التشابه بلغت في بعض الأحيان حدَّ التطابق في العبارة؛ الأمر الذي يؤكِّد الشوط الكبير لتأثُّر الكتب بعد الخطيب بكتابه «درة التنزيل».

وأذكر هنا مثالًا من «الدرة» على صعيد التوجيه، ثم أنقل ما قاله أصحاب الكتب المؤلَّفة بعد «الدرة» لنتأكَّد أن الالتقاء بين كتاب الخطيب والكتب الأخرى المؤلَّفة بعده واضح إلى حدٍّ كبير، ولكي يتجلّى لنا أيضًا مدى أثر كتاب الخطيب في اللاحقين عليه، خلال بضعة قرون.

---

(١) هي في الصفحات الآتية: (١٢٠، ١٣٨، ١٤٠، ١٧٤، ١٨٤، ١٩٤) (مرتين)، (٢٠٠، ٢٠٤) (مرتين)، (٢٢٠، ٢٢٤، ٢٤٠، ٢٤٥، ٣٠١، ٣٢٠). وقد سها محقق كتاب البرهان حينما قال (ص٤٠): «وقد صرَّح الكرماني بالنقل عن الخطيب في كتابه البرهان في أربعة عشر موضعًا».

(٢) يُنظَر على سبيل المثال من كتاب البرهان للكرماني (ص٢٣٠، ٢٤٢، ٢٨٩، ٢٩٢، ٣٠٠، ٣٢٦، ٣٢٨، ٣٢٩).

إسلام ويب islamweb.net

يقول الخطيب: «الآية الحادية عشرة منها[١]: قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢]. وقال في سورة المؤمن[٢] [٦٢]: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾. للسائل أن يسأل فيقول: لماذا قدَّم في سورة الأنعام: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ على قوله: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾، وقدَّم في سورة المؤمن: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ على قوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾؟

والجواب أن يقال: لأنّ ما في هذه السورة جاء بعد قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتَۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٠]، فلما قال: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ أتى بعده بما يدفع قولَ مَن جعل لله شريكًا، فقال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، ثم قال: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾.

وفي سورة المؤمن جاء هذا بعد قوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧]، فكان الكلام على تثبيت خلق الإنسان، لا على نفي الشريك عنه هنا، كما كان في الآية الأولى، فكان تقديم: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ هاهنا أولى»[٣].

ويقول الكرماني (ت٥٠٥هـ) في هذا الموضع ـ وهو من أوائل من نقل عن «درة التنزيل» ـ: «قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠٢] في هذه السورة، وفي سورة المؤمن [٦٢]: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾. قدَّم: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ في هذه السورة؛ لأن فيما قبله ذكر الشركاء والبنين والبنات، فدفع قول قائليه بقوله: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، ثم قال: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾.

---

(١) أي: من سورة الأنعام.
(٢) أي: سورة غافر.
(٣) انظر من هذا الكتاب (٢: ٥٢، ٥٣).

إسلام ويب islamweb.net

وفي المؤمن قبله ذكر الخلق، وهو: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧]، فجرى الكلام على إثبات خلق الناس، لا على نفي الشريك، فقدَّم في كل سورة ما يقتضيه ما قبله من الآيات»(١).

وقال ابن الزبير (ت٧٠٨هـ) في نفس الموضع: «والجواب عن ذلك: أن آية الأنعام لمّا تقدَّم فيها قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٠]، وقولُه تعالى: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ [الأنعام: ١٠١]؛ كان الملائم نفي ما جعلوه وادَّعوه من الشركاء والصاحبة والولد، فقدَّم ما الأمرُ عليه من وحدانيته سبحانه وتعالى عن الشركاء والولد، فقال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، وعرَّف العبادَ بعدُ بأن كل ما سواه سبحانه خلقُه ومِلكُه، فقدَّم الأهم في الموضع.

وأما آية غافر فتقدَّمها قوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧]، ثم قولُه تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ [غافر: ٦١]، فلما تقدَّم ذِكر الخلق الأعظم ولم يتقدَّم هنا ما تقدَّم في آية الأنعام، ما أتبع بالتنبيه على أنه سبحانه خالق كل شيء؛ فكان تقديم هذا التعريف هنا أنسب وأهم، ثم أعقب بالتعريف بوحدانيته تعالى، فجاء كلٌّ على ما يجب ويناسب..»(٢).

وقال الحسين بن محمد النيسابوري (ت٧٢٨هـ) في تفسيره «غرائب القرآن»: «وإنما قال هاهنا: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، وفي المؤمن(٣) بالعكس؛ لأنه وقع هاهنا بعد ذكر الشركاء والبنين والبنات، فكان دفع الشرك أهم،

(١) البرهان للكرماني (ص١٧٦)، وانظر كتابه: غرائب التفسير (١: ٣٧٨).
(٢) ملاك التأويل (١: ٤٦٨، ٤٦٩).
(٣) هي الآية [٦٢] من سورة غافر.

إسلام ويب islamweb.net

وهنالك وقع بعد ذكر خلق السماوات والأرض، فكان تقديم الخالقية أهم»[١].

وقال ابن جَماعة (ت٧٣٣هـ) في الموضع السابق: «لما تقدَّم هنا: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٠]، فناسب تقديم كلمة التوحيد النافية للشرك ردًّا عليهم، ثم ذكر الخلق. ولما تقدَّم في المؤمن كونُه خالقًا بقوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧]، ناسب تقديم كلمة الخلق ثم كلمة التوحيد»[٢].

وقال الآلوسي[٣] (ت١٢٧٠هـ) رحمه الله تعالى في هذا الموضع: «قال بعض المحقِّقين: لأن هذه الآية جاءت بعد قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ [الأنعام: ١٠٠]، فلما قال جل شأنه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾، أتى بعده بما يدفع الشركة فقال عز قائلًا: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، ثم: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، وتلك جاءت بعد قوله سبحانه: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧]، فكان الكلام على تثبيت خلق الناس وتقريره، لا على نفي الشريك عنه جل شأنه كما كان في الآية الأولى، فكان تقديم ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ هناك أولى، والله تعالى أعلم بأسرار كلامه»[٤].

وقد نقل الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ) في تفسيره المسمى بـ«مفاتيح الغيب» عن كتاب «درة التنزيل» من غير عزو إليه باختلاف يسير في الألفاظ، حيث جاء فيه[٥]:

---

(١) غرائب القرآن للنيسابوري (٧: ١٧٩).

(٢) كشف المعاني في المتشابه من المثاني، لابن جماعة (ص١٦٤). قلت: لا يخفى أن ابن جماعة اختصر كلام صاحب الدرة.

(٣) هو محمود بن عبد الله الحسيني، وُلد في بغداد وتُوفي فيها (١٢١٧-١٢٧٠هـ).

(٤) تفسير الآلوسي (٧: ٢٤٤).

(٥) التفسير الكبير للرازي (٣: ٥٧).

إسلام ويب islamweb.net

«قولـه تعالـى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾ [البقـرة: ٤٨]. اعلـم أن اتقاء اليوم اتقاء لما يحصل فـي ذلـك اليـوم من العقاب والشـدائد؛ لأن نفس اليوم لا يُتَّقى، ولا بـد من أن يَرِدَه أهل الجنة والنار جميعًا، فالمراد ما ذكرناه.

ثم إنه تعالى وصف اليوم بأشـد الصفات وأعظمها تهويلًا؛ وذلك لأن العرب إذا دُفِـع أحدهـم إلى كريهـة وحاولت أعوانُه دفـاعَ ذلك عنه، بذلت ما في نفوسـها الأبيّـة مـن مقتضى الحميّة فذبَّت عنه كما يذبُّ الوالد عن ولده بغاية قُوّته، فإن رأى مَن لا طاقة له بمانعته[١] عاد بوجوه الضراعة وصنوف الشفاعة فحاول بالملاينة ما قصر عنه بالمخاشـنة، فإن لم تغنِ عنه الحالتان من الخشـونة واللِّيان، لم يبقَ بعده إلا فداء الشيء بمثله، إما مال أو غيره، وإن لم تغنِ عنه هذه الثلاثة تعلَّل بما يرجوه من نصر الأخلاء والإخوان؛ فأخبر الله سبحانه أنه لا يغني شيء من هذه الأمور عن المجرمين في الأخوة[٢]».

فلمـا رجعـتُ إلـى «درة التنزيل» وجدتُ أنّ هذه العبـارات التي ذكرها الرازي في هذه المسـألة متفقة في أكثرها مع عبارات الخطيب. وأرى من المناسـب ـ أيها القـارئ ـ أن أنقـل لـك كلام الخطيب في «درة التنزيل» حتى تقـارن بينه وبين كلام الرازي، فتعرفَ مدى تأثُّر الفخر الرازي بالخطيب الإسكافي.

قال الخطيب في «درة التنزيل»: «والوجه في الأول أنّه لمّا قال: ﴿لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا﴾ بمعنـى: لا يغنـي أحـد عـن أحـد فيما يلزمه من العقـاب، ولايكفِّر سـيِّئاتِه مـا له مـن الثواب، وهو كقوله عزَّ مـن قائـل: ﴿وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن

(١) لعل الصواب: «بممانعته»، كما في درة التنزيل.
(٢) هكذا في الكتاب، ولعل الصواب: «في الآخرة».

إسلام ويب islamweb.net

وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [لقمان: ٣٣]، فهذه الأشياء التي ذُكِر في هذه الآية امتناع وقوعها في الآخرة أربعة أنواع تُتَّقَى بها المكاره وتُتداوى بها الشدائد، ألا ترى العرب إذا دُفِع أحدهم إلى كريهة، وارتهنت نفسه بعظيمة، وحاولت أعزَّتُه دفاعَ ذلك عنه وتخليصه منه، بدأت بما في نفوسها الأبيّة من مقتضى الحميّة، فذبَّت عنه كما يذبُّ الوالد عن ولده بغاية قُوّته وجَلَدِه[١]، فإن رأى مَن لا قِبَل له بممانعته ولا يَدَ له بمدافعته، عاد بوجوه الضراعة وصنوف المسألة والشفاعة، فحاول بالملاينة ما قصر عنه بالمخاشنة، فإن لم تغنِ عنه الحالتان ولم تُنجِهِ الخَلَّتان[٢] من الخشونة واللين، لم يبقَ بعدهما إلا فداء الشيء بمثله، وفكُّه من الأسر بعدْله[٣]، إمّا بمال وإمّا بغيره، فإن لم تغنِ هذه الثلاثة في العاجلة، تعلَّل بما يرجوه من نصر في الآجلة، وإدالة[٤] في الخاتمة، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ [الحج: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣] على أحد وجوه التفسير، فأخبر الله تعالى أن ما يغني في هذه الدنيا عن المجرمين، وترتُّب هذه المراتب بين العالمين، لا يغني منه شيء في الآخرة عن الظالمين»[٥].

هذه أمثلة[٦] مما نقله هؤلاء العلماء من «درة التنزيل» وما ضمَّنوه من نصوص في مؤلَّفاتهم. وهكذا نرى التأثير الواضح لكتاب «درة التنزيل» فيمَن بعده، واستمرار

(١) الجَلَد: الشدة والقوة.
(٢) الخَلَّة: الخَصلة.
(٣) العدْل: الفداء.
(٤) الإدالة: الغلبة.
(٥) انظر من هذا الكتاب (١: ٢٠٩، ٢١٠).
(٦) من أراد المزيد من الأمثلة فليراجع: درة التنزيل (٢: ٩٤) عند الكلام على الآية الخامسة من سورة الأعراف، ويقابله كلام الكرماني في «البرهان» (ص١٨٦)، وكلام ابن جماعة في «كشف المعاني» (ص١٧٦)، وكلام زكريا الأنصاري في كتابه «فتح الرحمن» (ص١٩٤). وانظر لمثالٍ آخر: درة التنزيل عند الكلام على الآية السابعة من سورة التوبة (٢: ٢١٢)، ويقابله كلام الكرماني (ص٢١٢)، وكلام ابن جماعة (ص٢٠١)، وكلام زكريا الأنصاري (ص٢٤١).

إسلام ويب islamweb.net

هـذا التأثيـر عبر القرون المتتالية، ونفوذه إلى أئمـة التأليف في هذا الفن، وإلى أئمة التفسير، وما ذلك إلا لأصالة ما حواه كتاب «درة التنزيل» من علم مكين، وما سطَّره الخطيب من تحقيق وتحرير، فرحم الله أئمتنا الأعلام، ورضي عنهم أجمعين.

المطلب الثامن: المآخذ على الكتاب

أشـرت من قبل إلى أهمية الكتاب وسـعة انتشـاره وتداوله بين الناس، ولْأذكرِ الآن ما يؤخذ عليه استكمالًا لدائرة دراسته؛ لأن كل عمل بشري من غير المعصوم ﷺ لا بد أن يكون فيه نقص وعليه مآخذ. ومما يؤخذ على هذا الكتاب ما يأتي:

١ـ مبالغـة المؤلـف رحمـه الله وتوسُّـعه فـي القضايـا النحويـة[(١)]، والقضايـا اللغويـة[(٢)]، وعـدم اقتصـاره على مـا هو بصدده مـن توجيهِ الآيات التي فيها تشـابه

(١) من الأمثلة على التوسُّع في القضايا النحوية مما هو زيادة على ما يبحث عنه:
أ ـ في الآيـة الرابعـة مـن سـورة آل عمران بحـث عن الحكمة فـي اختصاص ما في سـورة آل عمـران بقولـه: ﴿بِأَنَّا﴾، وفـي سـورة المائـدة بقولـه: ﴿بِأَنَّنَا﴾. ثـم قال: «مسـألة: اعلم أن النـون التـي حُذِفـت من (أنّـا) غير النون التـي حُذِفت مـن (أنّي)، وقد جـاء القرآن بهما جميعًا...»، وانظر من هذا الكتاب (١: ٣٤٠).
ب ـ توسَّع رحمه الله في ذكر وجهات البصريين والكوفيين من النحاة في مسألة الكاف، هل هي للخطاب أو هي اسم؟ وذلك في الآية السابعة من سورة الأنعام، في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ﴾ [الأنعام: ٤٠].
ج ـ ذكر رحمه الله الفرق بين لام الجحود ولام كي وتوسَّع فيه كثيرًا، وذلك في الآية العاشرة من سورة هود (٢: ٢٥٦).
(٢) انظر من هذا الكتاب لمعرفة توسُّع المؤلف في شرحه للكلمات الغريبة الآتية:
أ ـ الوليجة، توسَّـع في شـرح معناها في الآية العشـرين من سـورة البقرة، مع أن معناها بهذا التوسُّـع لايرتبـط بتوجيه تلك الآيات التي تناولها في هـذا الموضع. وانظر من هذا الكتاب (١: ٣٠٠). =

إسلام ويب islamweb.net

من تقديم وتأخير، أو تعريف وتنكير، أو زيادة وحذف... وبيانِ الحكمة في تكرير بعض الآيات بالكلمات المتفقة أو المختلفة.

ولا شك أن هناك قضايا نحوية يضيفها الشيخ في كتابه، القصد منها توجيه ما يراه من تشابه واشتباه في بعض الآيات القرآنية، ومثل هذه الأمور يجدها القارئ في ثنايا الكتاب، وهي زيادات تُنبئ عن شخصية المؤلف العلمية، وتدل على مدى تعمُّقه في اللغة والنحو. لكن محل النقد هو توسُّعه واستطراده في هذا اللون، زيادةً على المطلوب في الموطن الذي يبحثه.

٢ـ التكرار، وهو قليل، ولم يكن إلا مرتين أو ثلاثًا، فقد درج الخطيب على التزام ترتيب السور والآيات، وهذه الطريقة إذا كان لها كثير من المزايا فإنها في بعض الأحيان توقعه في التكرار، بأن يتناول الآية مع ما يشبهها من آية أو آيات في موضعين، حيث يعيد في الموضع الثاني بعض الآيات التي تناولها في الموضع الأول، بألفاظ متقاربة[(١)].

= ب ـ السلطان، توسَّع في بيان معناها أيضًا، وذلك في الآية التاسعة من سورة هود. وانظر من هذا الكتاب (٢: ٢٥٥).

(١) انظر من هذا الكتاب على سبيل المثال (١: ٣٤٨) الآية السادسة من سورة آل عمران في ترتيب المؤلف وهي قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٦]، وبحث فيها رحمه الله عن وجه ذكر الواو في قوله تعالى: ﴿وَنِعْمَ﴾، ووجه حذفها من قوله تعالى في سورة العنكبوت [٥٨]: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾، وقد تناول نفس المسألة في سورة العنكبوت في الآية الخامسة منها حسب ترتيب المؤلف بألفاظ متقاربة (٣: ٢٨). وكذلك الأمر في الآية الرابعة من سورة المائدة (١: ٢٧٣)، حيث تناول فيها وجه الحكمة في حذف ﴿لَكُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ١٧]، وقد تناول نفس المسألة في الآية الثانية من سورة الفتح =

إسلام ويب islamweb.net

٣ـ تناوله بعضَ الآيات بتطويل يُخرجه عن نطاق الموضوع، وهو توجيه الآيات المتشابهة لفظًا. فقد تطرَّق رحمه الله ـ على سبيل المثال ـ إلى معنى قوله عز وجل: ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥]، وكذلك معنى قوله تعالى: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟﴾ [النساء: ١٣٥]، في الموضع الذي لا يستدعي المقام ذِكر هذا كله، حيث إنه كان يتحدث في هذا الموضع عن الفائدة في تقديم ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ على ﴿شُهَدَآءَ﴾ في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ [النساء: ١٣٥]، وتأخيره عنه في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ﴾ [المائدة: ٨][(١)].

٤ـ وهناك جانب آخر وهو الإطناب في الجواب، وهو ما يسبِّب أحيانًا اضطرابًا في الكلام. فهو رحمه الله على سبيل المثال يبحث في الآية العشرين من سورة البقرة[(٢)] عن الحكمة في كيفية اختلاف اللفظ في المواضع الثلاثة[(٣)] التي موضوعُ كلٍّ منها واحد، وهو البعث والحثّ على الجهاد، في حدود أربع صفحات.

= حسب ترتيبه من هذا الكتاب (٣: ١٧٠). وكذلك الأمر في الآية الأولى من سورة يونس (٢: ٢٣٢)، حيث تناول فيها تقديم ﴿يَضُرُّهُمْ﴾ على ﴿يَنفَعُهُمْ﴾ في آية سورة يونس، وكرَّر هذه المسألة بألفاظ متقاربة في الآية الثانية حسب ترتيبه من سورة الفرقان. وانظر من هذا الكتاب (٢: ٣٩٨).

(١) انظر من هذا الكتاب (١: ٣٦٨).

(٢) انظر من هذا الكتاب (١: ٢٩٥).

(٣) المواضع الثلاثة هي: قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]. وقال في سورة آل عمران [١٤٢]: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾. وقال في سورة التوبة [١٦]: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

إسلام ويب islamweb.net

ويأتي الكرماني صاحب كتاب «متشابه القرآن» ويستخلص كلام الخطيب فيقول: «أطنب الخطيب في هذه الآيات، ومحصول الكلام: أن الأول للنبي والمؤمنين، والثاني للمؤمنين، والثالث للمخاطبين»[(١)].

٥ـ عدم وضوح العبارة في بعض الأحيان، فإن الخطيب قد تبدر منه أحيانًا بعض العبارات الغامضة، فقد يقدِّم ما يستحقُّ التأخير، وقد يختصر في العبارة، الأمر الذي يخلُّ بالمعنى، ولكن يخفِّف من حدّة هذا أن عبارته مستقيمة في أكثر الأحيان، ولعل هذا المأخذ راجع إلى أخطاء النُّسّاخ.

٦ـ عدم تصريح الخطيب بمن يأخذ عنه، أو يذكر رأيه أحيانًا، حيث يقول مثلًا: قال «بعض أهل النظر»[(٢)]، و«أكثر أهل التفسير»[(٣)]... ولم يوضِّح أسماء من نقل عنهم.

وهذه بعض الأمور التي لحظتها خلال دراستي لكتاب «درة التنزيل» لأبي عبد الله الخطيب، منها ما تكون في صميم جوهر العمل، ومنها ما تكون جانبية أو شكلية لا تقلِّل من قيمة الكتاب، ولا تُضعِف الثقة به، بل سيظلُّ مصدرًا أساسيًّا مهمًّا لمن يصنِّف في توجيه الآيات المتشابهة لفظًا. والله أعلم.

(١) البرهان للكرماني (ص١٣٨).
(٢) انظر من هذا الكتاب على سبيل المثال (١: ٣٣١).
(٣) انظر من هذا الكتاب: الآية الثانية من سورة المائدة (١: ٣٨١).

إسلام ويب islamweb.net

الفصل الثالث
وصف النسخ ، ومنهج التحقيق

فيه مبحثان:

المبحث الأول: وصف النسخ.

فيه مطلبان:

المطلب الأول: وصف النسخ المطبوعة.

المطلب الثاني: وصف النسخ المخطوطة.

المبحث الثاني: منهج التحقيق.



إسلام ويب
islamweb.net

المبحث الأول
وصف النسخ

المطلب الأول : وصف النسخ المطبوعة

اقتضاني تحقيق كتاب «**درة التنزيل وغرة التأويل**» أن ألقي ضوءًا على تاريخ نشره في تفصيل عملي.

وقد ظهر الكتاب قبل تحقيقي عن طريق المطبعة في أربع طبعات، هي كما يأتي:

الطبعة الأولى:

لقد طُبِع هذا الكتاب القيم سنة (١٣٢٦هـ = ١٩٠٨م) في مطبعة السعادة بمصر باعتناء الشيخ عبد المعطي السقا، أحد علماء الأزهر الشريف رحمه الله وأجزل مثوبته.

وقد اعتمد محقق هذه الطبعة في تصحيح الكتاب على مخطوطتين، حيث جاء في غلاف النسخة المطبوعة: «تنبيه: صُحِّح هذا الكتاب على نسختين: الأولى محفوظة برواق السادة الأتراك، والثانية بالكتبخانة الخديوية بمصر، باعتناء حضرة الفاضل الشيخ عبد المعطي السقا، أحد علماء الأزهر الشريف».

ولكن ليس هناك وصف لهاتين النسختين اللتين ذكرهما، وأستطيع القول: إن مصحح هذا الكتاب ربما لم يقف على نسخة كاملة من مخطوطاته؛ ولذا فالكتاب

إسلام ويب
islamweb.net

المطبوع فيه سقط كبير مهم، يبدأ من النصف الأخير للآية الرابعة من سورة البقرة، والجزء الكبير من الآية الخامسة، والمصحح أشار إليه في موضعه بوضع نقاط كثيرة هكذا[١]: (.....).

وهذه الطبعة في مجلد واحد في (٣٩٨) صفحة، بغير مقدمة عن الكتاب أو عن المؤلف، وقد جاءت خالية أيضًا من أيّ تعليق، أو تخريج، أو توضيح في المواضع التي تحتاج إلى ذلك، ومع هذا نلحظ فيها أحيانًا ذِكر بعض الفروق بين النسخ في أثناء الكتاب.

وجاء عنوان الكتاب في هذه الطبعة هكذا: «كتاب درة التنزيل وغرة التأويل» في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، للشيخ الإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي المتوفى سنة (٤٢١هـ)، رواية الإمام إبراهيم بن علي بن محمد، المعروف بابن أبي الفرج الأردستاني.

الطبعة الثانية:

ظهرت الطبعة الثانية لهذا الكتاب بعد سنة من ظهور الأولى، حيث كانت في سنة (١٣٢٧هـ = ١٩٠٩م)، في مطبعة محمد محمد مطر الوراق بمصر أيضًا.

وكلتا الطبعتين الأولى والثانية طُبِعت على نفقة أحمد ناجي الجمالي، ومحمد أمين الخانجي الكتبي وأخيه، وقد تيسَّر لي الحصول عليهما عن طريق شقيقي سليمان حفظه الله تعالى.

---

(١) يشير في الحاشية إلى هذا السقط الكبير قائلًا: «هنا سقط في النسخ التي بأيدينا، ولذا تركنا هذا البياض علامة عليه». انظر: درة التنزيل، طبعة مصر (ص١٢)، وانظر كذلك: طبعة دار الآفاق الجديدة بلبنان (ص١٩)، إذ كرَّرت ما في طبعة مصر دون إشارة إلى ذلك.

إسلام ويب islamweb.net

والحقيقة أن هاتين الطبعتين نسخة واحدة، إلا أن في الثانية استدراكًا للسقط الموجود في الآية الرابعة والخامسة من سورة البقرة، وليس فيها إضافة أخرى.

وجاء في ورقة العنوان من هذه الطبعة: «كتاب درة التنزيل وغرة التأويل» في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، للشيخ الإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي المتوفى سنة (٤٢١هـ)[1]، رواية الإمام إبراهيم بن علي بن محمد، المعروف بابن أبي الفرج الأردستاني.

«تنبيه: صُحِّح هذا الكتاب على ثلاث نسخ: الأولى محفوظة برواق السادة الأتراك، والثانية بالكتبخانة الخديوية بمصر، والثالثة منسوخة من نسخة من المكتبة الحنبلية بالقدس الشريف».

ولم يُذكَر في هذه الطبعة من اعتنى بإخراجها.

الطبعتان الثالثة والرابعة:

بعد الطبعتين المصريتين السابقتين أعيد طبعُ هذا الكتاب في بيروت في دار الآفاق الجديدة مرتين؛ أولاهما في سنة (١٩٧٣م)، والأخرى في سنة (١٩٧٩م).

وهاتان الطبعتان لا تختلف إحداهما عن الأخرى، وكلتاهما مأخوذة بحروفها عن الطبعة الأولى المصرية التي طُبعت بعناية الشيخ عبد المعطي السقا رحمه الله، وكُتِب على الطبعتين الأخيرتين في ورقة العنوان: «طبعة مصححة ومقابلة على عدة مخطوطات ونسخ معتمدة».

وجاءت في مقدمة الناشر العبارة الآتية: «ودرة التنزيل وغرة التأويل، وهو هذا الكتاب الذي يسرُّ دار الآفاق الجديدة ببيروت أن تقدِّمه للقراء وللباحثين في

(١) في الأصل: (٤٣١)، وهو خطأ مطبعي.

إسلام ويب islamweb.net

الدراسات القرآنية، بعد أن صحَّحه وقابله على عدة مخطوطات ونسخ معتمدة الأستاذ عادل نويهض..»[١]، من غير إشارة إلى الطبعة المصرية، مما يوهم أن عملًا جديدًا تمَّ فيها.

ولكن الحقيقة أن طبعتَي «دار الآفاق الجديدة» هما طبق الأصل من الطبعة المصرية الأولى، على ما فيها من أوهام وأخطاء وتصحيفات ونقص، مع إضافة نحو صفحة ونصف صفحة عن ترجمة الخطيب، وعدد من الحواشي التي فيها عزو بعض الآيات، ولم يضيفوا أي مخطوطة جديدة لتسدّ السقط الموجود في الطبعة المصرية الأولى التي أعادوا طبعها.

كما أن جميع التعليقات التي يُشار إليها في الطبعة المصرية الأولى موجودة بعينها في الطبعتين (١٩٧٣، ١٩٧٩م)، وهو ما يدلنا على أن الكتاب أعيد طبعه فعلًا في بيروت بصفِّ حروف جديدة، دون إشارةٍ قط إلى أن هذا الكتاب قد طُبِع بمصر.

ومما يجدر ذكره أن طبعتَي بيروت لم ينتبه مُخرِجهما إلى التصحيح الذي جاء في الطبعة الثانية للكتاب، والذي ذكرناه من قبل؛ ولهذا جاءت طبعتا بيروت أيضًا تحملان السقط الذي كان في الطبعة المصرية الأولى، وهذا يؤكِّد ـ مع الأسف ـ ظننا في نقلهم الحرفي للطبعة المصرية الأولى، بلا جهد جديد يستحق ادعاء ما ادعوه حين إخراج الكتاب في طبعتَيه الأخيرتين (١٩٧٣، ١٩٧٩م).

جزى الله الشيخ عبد المعطي السقا خيرًا على ما بذل من جهد في إخراج الكتاب لأول مرة، فقد أحيا كنزًا من تراثنا العلمي، وجزى الله ناشري الكتاب أيضًا خيرًا على ما بذلوا في هذا السبيل.

(١) مقدمة الناشر من النسخة المطبوعة (ص٥، ٦).

إسلام ويب islamweb.net

غير أننا لحظنا وجود أخطاء كثيرة جدًّا في المطبوع، سواء في الطبعتين المصريتين القديمتين، أو في طبعتَي بيروت اللتين كرَّرتا كل الأخطاء السابقة بلا أدنى تغيير تقريبًا، وهي أخطاء شائعة في اللغة، وألفاظ الآيات، وتصحيف الكلمات، وإسقاط ألفاظ أو جمل من النص الأصلي، وهو ما يفسد المعنى في كثير من الأحيان، بل يقلبه قلبًا، ويفيد نقيض المقصود.

جداول لبعض الأخطاء التي وقعت في النسخة المطبوعة[١] :

جدول رقم (١)
بعض الأخطاء التي وقعت في كتابة الآيات القرآنية

التسلسل	الخطأ في النسخة المطبوعة	الصفحة	السطر	صوابه في نسختنا المحققة	الصفحة	السطر
١	فكلوا منها	١٠	١٣	﴿وَكُلُواْ﴾	١: ٢١٥	٤
٢	إن الذين آمنوا من آمن بالله واليوم الآخر	٢١	٢	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ إلى قوله: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾	١: ٢٣٠	٣
٣	أن تشركوا به شيئًا	١٣٤	٤	﴿أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾	٢: ٦٨	٣
٤	إلا أن امرأته قدرناها من الغابرين	١٦١	١٧	﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾	٢: ١٣٠	٩
٥	نزل الفرقان على عهده..	٣٩١	١٦	﴿نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾	٣: ٨٦	١٠
٦	أم تسألهم أجرا فمنهم من مغرم مثقلون	٤٥٣	٣	﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾	٣: ١٨٨	٣

(١) في الأمثلة الآتية سأذكر أرقام الصفحات من طبعة دار الآفاق الجديدة؛ لأنها هي المتداولة بين الناس.

إسلام ويب
islamweb.net

جدول رقم (٢)

بعض الأخطاء التي وقعت بسبب تغيير وتحريف

التسلسل	الخطأ في النسخة المطبوعة	الصفحة	السطر	صوابه في نسختنا المحققة	الصفحة	السطر
١	وقد غير فيها لفظة كما كانت عليه في الأولى	٢٠	١٦	وقد غيّر فيها لفظة **عما** كانت عليه في الأولى	١: ٢٢٩	١٤، ١٥
٢	وليس في لفظه معنى التأييد	٢٥	٧	وليس في لفظه معنى **التأبيد**	١: ٢٤٤	٤، ٥
٣	أن يقال نبين الأول الفرق بين..	٢٥	٢٠	أن يقال نبين **أوّلًا** الفرق بين..	١: ٢٤٥	١٤
٤	**وإذ قيل جاز** أن يقول..	١٠٧	١٣	**وإذا قيّد جاز** أن يقول	٢: ٦	٦
٥	**أي في** فرقة الإسلام أو في فرقة الكفر	١٢٩	١٥	**أفي** فرقة الإسلام أم في فرقة الكفر..	٢: ٥٨	٤، ٥
٦	مما **رواه** الكفار جوابه له..	١٥١	٢٢	مما **رآه** الكفار جوابًا له..	٢: ١٠٥	٥
٧	كرر عليهم لوط الإنكار **وأعادوا** إليهم	١٦٤	٩	كرر عليهم لوط الإنكار **وأعاد** إليهم	٢: ١٣٨	٨
٨	أشبه بما **بينت** عليه الآيات المتقدمة	١٦٦	١٨	أشبه بما **بُنيت** عليه الآيات المتقدمة	٢: ١٤٣	٤
٩	فلا يصلح أن تدخل الفاء **في قوله فكان**	٤٥٩	١٢	فلا يصح أن تدخل الفاء **في قوله:** ﴿فَكَيْفَ كَانَ﴾	٣: ٢٠١	٣، ٤
١٠	كما يجعل **أمر الولاة** سهلا..	٤٩٠	٢٢	كما يجعل **أمر الولادة** سهلًا..	٣: ٢٥٤	٦، ٧

إسلام ويب
islamweb.net

جدول رقم (٣)
بعض الأخطاء التي تُفسد المعنى بسبب السقط[١]

التسلسل	السقط في النسخة المطبوعة	الصفحة	السطر	تمامه في نسختنا المحققة	الصفحة	السطر
١	ألحق بما في واحده علامة التأنيث في الجمع..	٢٣	٢١	ألحـــق بما فـــي واحده علامة التأنيث لاستوائهما في الجمع	١: ٢٤٠	٣،٢
٢	وبيّنّا ما يليق من الاسمين بكل آية **فقلنا قوله تعالى:** ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ﴾	٢٦	١٧	وبيّنّا ما يليق من الاسمين بكل آية **فكان قوله تعالى:** ﴿بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ **واقعًا بعد خبر الله تعالى:** ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ﴾	١: ٢٤٨	٥،٤
٣	وأمرتَ بالتوجه نحوها من الظالمين	٢٨	٥	وأمرتَ بالتوجه نحوها **صرتَ** من الظالمين	١: ٢٥٢	١
٤	ثلاثة أفعال لا تكون إذن بإذن الله	٦٧	١٠	ثلاثة أفعال لا تكون **إلا بإذن الله**	١: ٣٣٣	١٠،٩
٥	لأن أولها افتتح إلى قصة نوح..	١٤٩	١٤	لأن أولها افتتح **إلى أن انتهى** إلى قصة نوح	٢: ٩٩	٨،٧
٦	وغيرها من الفكر والتنبيه على..	٢٥٨	٧	وغيرها **من النعم التي تبعث على الفكر**	٢: ٢٩١	٣،٢
٧	ما لا يتسهل على الفاعلين	٣٢٨	١٤	ما لا يتسهل **عليه نفعه؛ أي: يعبدون أصنامًا لا تقدر على ما يتسهَّل** على الفاعلين	٢: ٣٩٩	٦،٥

(١) هناك سقط في النسخة المطبوعة المتداولة بين الناس في سورة البقرة بلغ صفحتين، وذلك من آخر الآية الرابعة والجزء الكبير من الآية الخامسة حسب ترتيب المؤلف، حيث جاءت فيها سورة البقرة على النحو الآتي: الآية الأولى... الآية الثانية... الآية الثالثة... الآية الرابعة... الآية السادسة... وانظر النسخة المطبوعة (ص١٩).

إسلام ويب
islamweb.net

المطلب الثاني : وصف النسخ المخطوطة

بين أيدينا ثلاث عشرة نسخة خطية، واعتمدتُ على ثلاث منها اعتمادًا تامًّا، وهي نسخة مكتبة أحمد الثالث (أ)، ونسخة مكتبة بايزيد (ب)، ونسخة مكتبة كوبريلي (ك)؛ لأنها فقط التامة من بين النسخ كلها، صريحة النسبة إلى محمد بن عبد الله، أبي عبد الله الخطيب، وصريحة في عنوان الكتاب.

وقفتُ عندها طويلًا لاختيار نسخة الأصل، وبعد دراسة ومقارنة طويلة اخترت نسخة أحمد الثالث (أ) أصلًا، وجعلتها معتمدي الأول في التحقيق، ولكني أعدل عنها إذا ظهر لي وجه الحق في النسختين الأخريين (ب، ك)، وقد أنتقل ـ عند الضرورة ـ إلى نسخة أخرى غير الثلاثة المذكورة (أ، ب، ك)؛ ولذا يجد القارئ حواشي كثيرة مما يدل على كثرة الفروق بين النسخ.

وأقل النسخ تصحيفًا بعد نسخة أحمد الثالث هما نسختا بايزيد (ب) وكوبريلي (ك)، وقابلت النص عليهما، وكثيرًا ما رجعت إلى النسخ الباقية لبيان فروق جوهرية.

ولقد كان همي الأول في مقابلة هذه النسخ الثلاث مقابلة دقيقة مع كثرة الرجوع إلى النسخ الأخرى: استكمال النقص، وتصحيح الخطأ، وتدارك السهو.

وفيما يأتي تفصيل وصف النسخة التي جعلتها معتمدي في التحقيق، والنسخ الباقية التي جعلت اثنتين منها للمقابلة، والأُخر للمراجعة عند الحاجة.

١ـ نسخة مكتبة أحمد الثالث:

توجد هذه النسخة في مكتبة أحمد الثالث التابعة لمتحف طوب قبو بإستانبول ـ أعاد الله عزها وأمجادها بالإسلام ـ تحت رقم (٨٥) تفسير، وهي التي جعلتها الأصل، وقد حصلت على صورة منها بواسطة الأخ حسن كوك بولوت، وتتكون

إسلام ويب islamweb.net

هذه النسخة من ثماني ومئة لوحة (١٠٨)، وكل لوحة فيها صفحتان، وكل صفحة فيها خمسة وعشرون سطرًا.

وفي مقدمة الشروط التي يجب أن تتوافر في النسخة الأم: الأقدمية، والضبط؛ بمعنى أن تكون من الناحية التاريخية أقرب إلى عصر المؤلف، ومن الناحية العلمية تكون أقرب النسخ إلى كلام المصنف.

وبعد دراسة دقيقة وفحص عميق لما لدينا من النسخ لم يبقَ أمامنا إلا اختيار نسخة مكتبة أحمد الثالث لتكون أساسًا للتحقيق؛ وذلك للاعتبارات الآتية:

الأول: أنها أقدم الأصول المخطوطة وأقربها إلى عصر المؤلف، إذ كُتِبت في القرن السابع، كتبها ياقوت الحموي المتوفى سنة (٦٢٦هـ).

الثاني: أنها أضبط النسخ من حيث استقامة العبارة، وأتقنها، وأقلها تصحيفًا، ويرجع ذلك إلى أن ناسخها من العلماء المعروفين، وهو ياقوت الحموي كما ذكر ذلك في ورقة العنوان.

الثالث: أنها تامة، ليست فيها مخرمة، وهي مأخوذة من نسخة على نسخة المؤلف وعليها تمليكات ومطالعات.

الرابع: عند مقابلتها مع النسخ الأخرى ـ خصوصًا النسختين (ب، ك) ـ وجدتها قليلة السقط والأغلاط، فقد كُتِب في حواشي بعض صفحاتها في مقابل السطر ما فات ناسخها من كلمات، ووُضِع إلى جانبها إشارة (صح)، ومن السطر إشارة إلى مكانها.

ولهذا اتخذت هذه النسخة أصلًا في التحقيق، فنقلت النص منها، وحدَّدت أرقام أوراقها في الهامش، وبعد ذلك عارضت النص ـ كما قلت سابقًا ـ بنسختَي (ب، ك) لجمع الفروق، وجعله أقرب ما يكون إلى الصورة التي أرادها المؤلف، وكثيرًا ما استعنت بالكتاب المطبوع في قراءة بعض الكلمات.

إسلام ويب
islamweb.net

ورمزت إليها بالحرف (أ)، وفي السطر الواحد (١٥) كلمة تقريبًا، وهي كاملة في مجلد واحد، وخطها مقروء نسخي معتاد، واضح إلى حد كبير، وقد كُتِبت فيها أسماء السور والرؤوس مثل: «الآية الأولى»، و«الآية الثانية»، وبعض الكلمات مثل: «للسائل أن يسأل فيقول» بالمداد الأحمر، وكذلك الآيات القرآنية التي يريد المؤلف أن يتناولها من نوع التشابه اللفظي.

وفي الصفحة الأولى عنوان الكتاب واسم مؤلفه هكذا: «درة التنزيل وغرة التأويل، إملاء الشيخ الإمام العالم أبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الأصبهاني رحمه الله تعالى».

وفي مقدمة هذه النسخة أن الراوي الذي كتبها هو إبراهيم بن علي بن محمد، المعروف بابن أبي الفرج الأردستاني، حيث صرَّح بأن أبا عبد الله الخطيب قد أملاها عليه في القلعة الفخرية لما خلا فيها ولم يحضره غيره.

وعلى الجانب الأيمن من ورقة العنوان كتابة قليلة، وهي: «الحمد لله وحده، باسم العبد الفقير إلى الله..»، وباقي الكتابة غير مقروء، وعلى الجانب الأيسر كُتِب اسم متملِّكه بخط مغاير لخط الناسخ هكذا: «الحمد لله ملكَه من فضل الله ذي اللطف الحفيّ محمد بن إبراهيم العزي الحنفي في رجب سنة خمس وتسعين».

وتحت كتابة التمليك كتابة أخرى بخط مغاير أيضًا هكذا: «بخط ياقوت الحموي لا ياقوت المستعصمي رحمهما الله... وسائر المسلمين».

ويبدو ـ والله أعلم ـ أن هذه التفرقة بسبب خلط بعض الباحثين بين ياقوت بن عبد الله الرومي الجنس والمولد الحموي (ت٦٢٦هـ)، وياقوت المستعصمي[١]

(١) نسبة إلى الخليفة المستعصم بالله، آخر خلفاء بني العباس، المقتول على أيدي التتار سنة (٦٥٦هـ). انظر تفصيل ذلك في البداية والنهاية (١٣: ٢٠٠).

إسلام ويب islamweb.net

(ت٦٩٧هـ)، ونسبوا إلى أحدهما ما للآخر، حيث إن الخط العربي عرف أربعة من كبار الخطّاطين تشاركوا في اسم واحد هو «ياقوت»[١]، وكانوا جميعًا في عصر واحد هو القرن السابع، وقد ميَّز بينهم نسبتهم أو لقبهم[٢].

وفي الصفحة الأولى أيضًا عبارة بخط ناسخ الكتاب في عرض الصفحة تشير إلى أن هذه النسخة قد قُوبلت بالأم، وهي: «شاهدت على الأصل المنقول منه هذا الكتاب ما صورته: شاهدت على الأصل المنقول منه: أبو عبد الله الخطيب مصنف هذا الكتاب أديب مشهور من أهل أصبهان، له تصانيف حسنة مفيدة يعرف بفضلها أهلُ أصبهان والري[٣]، وكان في أيام الصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد، يقرأ عليه الآداب بأصبهان، وكان الصاحب يقول: تعيَّنت[٤] فضائل أصبهان لرجلين: حائك وإسكاف، يريد بالإسكاف أبا عبد الله الخطيب هذا، ولذلك يُعرَف بالإسكافي، ويريد بالحائك أبا الحسن أحمد بن محمد المرزوقي مصنف شرح الحماسة، وشرح المفضليات، وكتاب الأزمنة وغير ذلك. كتب عبد الله الفقير إليه ياقوت بن عبد الله الرومي ثم الحموي أبو عبد الله رفَق الله تعالى به».

كما جاء في الصفحة الأولى:

«فائدة: لا تكمل مروءة المرء حتى تُستكمَل فيه اثنا عشر خصلة من خصائل الطير:

---

(١) ياقوت: اسم مختص بمن كان من الرقيق، والذين يشتركون في هذا الاسم يُميَّزون بالنسبة إلى رجل (مثل: المالكي، المستعصمي)، أو لبلدٍ (مثل: الموصلي، الحموي). انظر: كتاب ياقوت المستعصمي (ص٧)، تأليف الدكتور صلاح الدين المنجد.

(٢) انظر: كتاب ياقوت المستعصمي، تأليف الدكتور صلاح الدين المنجد (ص٧).

(٣) هنا كلمة غير مقروءة.

(٤) في الأصل: «تعيدت»، ولعل الصواب ما أثبتُّه.

إسلام ويب
islamweb.net

الأولى: الديك: الكرم، والعزلة، ومعرفة أوقات الصلوات.

الثاني: الغراب: البكورة إلى المعاش، والحذر من الشدائد، وإخفاء النكاح.

والثالث: البوم: القناعة، والعزلة، والصمت.

والرابع: الحمام: حب الوطن، والتآلف، والصبر على الشدائد».

وهذا كلام يبدو لي ـ والله أعلم ـ أنه من إضافات النُّسّاخ للطرافة، ولا تعلُّق له بالموضوع.

٢ـ نسخة مكتبة بايزيد:

هذه النسخة تامة أيضًا، كُتِبت بخط نسخ معتاد، وعلى الورقة الأولى كُتِب: «درر التنزيل وغرر التأويل» وهو غير العنوان الحقيقي للكتاب؛ لأن عنوان الكتاب في مقدمة هذه النسخة لا يختلف عن سابقتها، إذ فيها تصريح المؤلف بتسمية الكتاب أيضًا إذ يقول فيها: «وسمَّيته درة التنزيل وغرة التأويل»[(١)].

ونسبت هذه النسخةُ الكتابَ إلى أبي عبد الله الخطيب حيث جاء في الغلاف: «كتاب درر التنزيل وغرر التأويل، تأليف الشيخ الإمام العالم الأوحد الزاهد الورع أبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب، تغمده الله تعالى بفضله ورحمته».

وهذه النسخة لا تقل عن نسخة أحمد الثالث (أ) في الجودة والإتقان، وهي تُعَدُّ أصوب النسخ الموجودة بغض النظر عن نسخة أحمد الثالث، لولا أن كاتبها رحمه الله شطح قلمُه فأسقط في غير ما موضع منها كلمة أو جملة.

ورمزت إليها بالحرف (ب)، وهي مصورة من المكتبة العمومية بإستانبول «بايزيد» تحت رقم (٣٦٥)، وتقع في (١٤٧) ورقة، وفي كل ورقة صفحتان، وفي

(١) مقدمة المؤلف في (ب).

إسلام ويب islamweb.net

كل صفحة (٢١) سطرًا، وفي السطر الواحد من (١٦) إلى (١٨) كلمة.

وعلى الصفحة الأولى عدة تمليكات، وهو ما يدل على أن الكتاب تداولته أيدٍ كثيرة، حيث انتقل من واحد إلى آخر بالشراء الشرعي، ومن عبارات التمليك المقروءة: «هو الباقي[١] بحمد الله ومنِّه للعبد الضعيف محمد بن الحسين[٢] عفا الله عنهما بحكم التمليك في نصف شعبان من...[٣]».

وفي أعلى عنوان الكتاب وأسفله توجد كتابات كثيرة، والذي يبدو لي أنها مِن قِبَل النُّسّاخ، وأكثرها غير مقروء.

وفي الصفحة الأخيرة: «والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وآله الأخيار المنتخبين[٤]، وسلَّم تسليمًا كثيرًا، وفرغ من كتبه: العبد الراجي عفو الله تبارك وتعالى عبد الله بن أبي البدر بن علي بن علي بلَّغه الله أمانيه، وغفر له ولوالديه وللمسلمين، وذلك في شهر جمادى الآخرة من سنة خمس وسبعين وستمئة»[٥].

٣ـ نسخة مكتبة كوبريلي الأولى:

ورمزت إليها بالحرف (ك)، وهي من مكتبة كوبريلي بإستانبول، تحت رقم (١٥٤)، وهي ذات خط واضح في عمومه، تعتريها بعض الأخطاء، وكُتِبت بخط النسخ القديم في مئتين وتسع وثلاثين ورقة، وفي كل ورقة صفحتان، وأسطر صفحاتها (١٧) سطرًا، بمعدل (١٥) كلمة في كل سطر.

---

(١) هنا كلمة غير مقروءة.
(٢) هنا أيضًا كلمة غير مقروءة.
(٣) كلمة غير مقروءة.
(٤) المنتخبين: المختارين.
(٥) (ب) (١٤٧/ ب).

إسلام ويب islamweb.net

ونسبت هذه النسخةُ هذا الكتابَ في الغلاف إلى راويه حيث جاء فيه: «كتاب درة التنزيل وغرة التأويل لأبي الفرج الأردستاني رحمه الله تعالى آمين».

وأما في مقدمة الكتاب فجاءت النسبة صريحة إلى أبي عبد الله الخطيب، هكذا: «قال الشيخ الإمام إبراهيم بن علي بن محمد المعروف بابن أبي الفرج الأردستاني: هذه المسائل في بيان الآيات المتشابهة لفظًا بأعلامٍ نصبت عليها من المعنى، أملاها أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب رحمه الله في القلعة الفخرية إملاءً لمّا خلا فيها، ولم يحضره غيري ممَّن يسوغ له حمل ما يُكتَب فيه ويُكتَب به، فكتبت عن لفظه المسائل والأجوبة...»[(١)].

وليس في هذه النسخة ما يشير إلى تاريخ نسخها، وربما تكون من القرن السابع، واتخذتُها من الأصول لقِدَمها، ودقة ضبطها، وقلة سقطها.

وعلى صفحة هذه النسخة ختم تملُّك غير مقروء، كما يوجد في أقصى يسار صفحة العنوان: «من نعم الله سبحانه على الراجي رحمته محمد الحافظ ابن جمال الدين القدسي عفا عنهما بمنِّه وكرمه».

أما الصفحة التي تلي صفحة العنوان ففي أعلاها كُتِب: «بسم الله الرحمن الرحيم، ربِّ يسِّر وأعِن يا كريم، قال الشيخ الإمام إبراهيم بن علي المعروف بابن أبي الفرج الأردستاني...».

٤ـ نسخة مكتبة كوبريلي الثانية:

ورمزت إليها بالحرف (ق)، وهي في مكتبة كوبريلي بإستانبول تحت رقم (١٥٥)، عدد أوراقها (١٤٦) ورقة، وفي كل ورقة صفحتان، وفي كل صفحة (٢١)

(١) مقدمة (ك).

إسلام ويب islamweb.net

سطرًا، وفي السطر (١٥) كلمة تقريبًا.

وجاء في غلاف هذه النسخة: «كتاب درة التنزيل وغرة التأويل، إملاء الشيخ الإمام العالم العامل العارف أبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الرازي رحمه الله تعالى بالقلعة الفخرية، كُتِب برسم ولد العزيز ملا عثمان حفظه الله تعالى، آمين يا رب العالمين»، إلّا أن خطبة الراوي التي جاءت في النسخ السابقة (أ، ب، ك) غير موجودة في هذه النسخة.

وكُتِب أيضًا في الورقة الأولى تحت العنوان: «قال العلامة الجلال السيوطي في كتابه الإتقان في علوم القرآن: النوع الثالث والستون في الآيات المتشابهات، أفرده بالتصنيف خلق، أولهم فيما أحسب الكسائي، ونظَمه السخاوي، وألَّف في توجيهه الكرماني كتابه البرهان في متشابه القرآن، وأحسنُ منه درة التنزيل وغرة التأويل لأبي عبد الله الرازي... إلخ»[(١)].

وهي نسخة كاملة، ولكنها قليلة الإتقان، كثيرة الأغلاط، وخطها نسخي معتاد، واضح مقروء، وعلى الورقة الأخيرة كتب: «وتم الفراغ منه ليلة الثلاثاء (٢٣) جمادى الأولى سنة إحدى وسبعين وستمئة للهجرة النبوية صلى الله على صاحبها وسلم تسليمًا كثيرًا آمين. كُتِب برسم ولد العزيز بن ملا عثمان حفظه الله تعالى آمين، سنة إحدى وستين بعد الألف، عافانا الله من الفتن، وأعاذنا بفضله من المحن، إنه ذو الطَّول... فمن استرحم لصاحبه وكاتبه غُفِر له آمين. كتبه: أحمد بن ملا عثمان الكردي الشافعي عُفِي عنهما. آمين».

(١) انظر للتثبت: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٣: ٣٣٩).

إسلام ويب
islamweb.net

٥ـ نسخة دار الكتب المصرية:

توجد هذه النسخة بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة تحت رقم (٤٤٠) تفسير، وبهذه النسخة نقص غير قليل في المقدمة، وهو مما يدل على أنها لم تُقابَل بنسخ أخرى، والورقة الثالثة منها غير موجودة عندي، وهي إما ساقطة من الأصل، وإما غير موجودة نهائيًا، وإلى جانب ذلك فإن آخر الآية الرابعة والجزء الكبير من الآية الخامسة في سورة البقرة سقط من هذه النسخة كالمطبوعة، وهي تتكون من (٢٤٧) ورقة، وفي كل ورقة صفحتان، وفي كل صفحة (٢١) سطرًا، وقد رمزت لهذه النسخة بالحرف (د).

وقد أطلقت هذه النسخة على الكتاب اسم «درة التنزيل وغرة التأويل»، إلا أنها نسبته إلى راويه المشار إليه، وهو إبراهيم بن علي بن محمد المعروف بابن أبي الفرج الأردستاني، ولكنه للخطيب الإسكافي بدليل ما كُتِب في المقدمة من أنه أملاه عليه أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب في القلعة الفخرية لما خلا فيها...[١].

وعلى الورقة الأخيرة ختم غير مقروء، وفيها تاريخ النسخ واسم الناسخ، حيث جاء فيها: «والحمد لله وحده، وصلوات الله وسلامه على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، وكان الفراغ من كتابة هذا في ثالث شهر محرم الحرام سنة تسع وتسعين وتسعمئة على يد العبد الفقير الراجي عفو ربه الباري الفقير يوسف بن سراج[٢] الحنفي الأزهري، غفر الله له ولوالديه ولمن دعا له بالمغفرة وجميع المسلمين. آمين».

---

(١) يُنظَر: مقدمة نسخة دار الكتب المصرية.

(٢) هنا كلمة غير مقروءة.

إسلام ويب islamweb.net

٦ـ نسخة مكتبة راغب باشا:

هذه النسخة، وكذلك التي بعدها، منسوبة في أغلفتها إلى الراغب الأصبهاني، وهي مثل مضمون النسخ المتقدمة المنسوبة إلى الخطيب، إلا أنها جاءت باختصار ذكر الأسئلة التي كان المؤلف يصوغها على ألسنة السائلين ليجيب عنها، كما أن مقدمة المؤلف فيها نقص عن النسخ المنسوبة إلى الخطيب، بالإضافة إلى سقط بعض الآيات تمامًا، مثل الآية التاسعة من سورة الأنعام، وهو ما يجعل النسخ التي اعتمدت عليها أتمَّ وأكمل من النسخ المنسوبة إلى الراغب.

وبالنظر لشدة التشابه والتقارب بين النسخ المنسوبة للراغب، نستطيع أن نقول: إنها قد نُقِلت عن أصل واحد، وأما الاختلافات الموجودة بينها، وهي قليلة، فمردُّها إلى الناسخ في كل منها، إما لنسيانه نسخ بعض الكلمات والعبارات أو لعدم استطاعته قراءة الأصل.

والخط الذي كُتِبت به النسخ المنسوبة إلى الراغب، من حيث نوعه ووضوحه، يجعلنا نرجِّح أنها كُتِبت مؤخَّرًا.

ومع ذلك كنت جادًّا في الاطلاع على النسخ المنسوبة إلى الراغب بغض النظر عن كونها ناقصة بالمقارنة مع النسخ المنسوبة إلى الخطيب، المعتمدةِ في التحقيق، وكنت أشير إلى الفروق بين تلك النسخ في مواقعها عند الضرورة.

ونسخة راغب باشا رمزت لها بالحرف (ر)، وعنوان هذه النسخة: «حل متشابهات القرآن» للراغب الأصفهاني، وقد كُتِبت بخط جميل مضبوط بالشكل أحيانًا، والنسخة مصححة ومقابلة على بعض النسخ الأخرى.

وهي مصورة عن مخطوطة في مكتبة راغب باشا، التابعة للمكتبة السليمانية بإستانبول، وقد جاءت هذه النسخة ضمن مجموع تحت رقم (١٨٠)، وتقع في

إسلام ويب
islamweb.net

(١٥٣) ورقة، وهي الكتاب الثاني في هذا المجموع، حيث تبدأ من الورقة (١٢٨)، وتنتهي في (٢٨١).

وهذا المجموع يشمل ستة كتب، وهي بالترتيب:

١ـ حل متشابهات الحديث لابن فورك.

٢ـ حل متشابهات القرآن للراغب الأصفهاني.

٣ـ تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين للراغب الأصفهاني.

٤ـ لمع في الاعتقاد للشيخ أبي القاسم القشيري.

٥ـ بغية المقاصد للشيخ...[١].

٦ـ الفصول في أصول التوحيد للشيخ الكامل المرقوم.

والناسخ لم يذكر اسمه في آخر المخطوطة كما هو المعتاد، بل اكتفى بقوله: «والحمد لله على إنعامه، وصلواته على النبي محمد وآله. فرغ من كتابته في اليوم الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول لسنة ثلاث وستين ومئة وألف».

٧ـ نسخة مكتبة أحمد الثالث الثانية:

ليس في هذه النسخة ورقة العنوان، وفي الصفحة الأولى منها فهرسة للسور القرآنية حسب أرقام الصفحات للمخطوطة، على سبيل المثال: [سورة الكهف: ١٠١]، و[سورة الأنبياء: ١٠٣]، وهكذا.

وهي منسوبة إلى الراغب الأصبهاني بعنوان: «درة التأويل في متشابه التنزيل»، تحت رقم (١٨٣) في فهرسة مكتبة أحمد الثالث التابعة لقصر طوب قبو سَراي بإستانبول، وتقع في (١٧٧) ورقة، وليس بها تاريخ للنسخ، ولا اسم ناسخها، وقد رمزت لها بالحرف (ح).

---

(١) الاسم غير مقروء.

إسلام ويب islamweb.net

٨ـ نسخة أسعد أفندي:

وهي النسخة الخطية المحفوظة بمكتبة أسعد أفندي التابعة للمكتبة السليمانية تحت رقم (١٧٦) تفسير، وخطها مقروء، ولكنها مضغوطة الكتابة، وهي تقع في (١٠٧) ورقات، وفي كل ورقة صفحتان، وفي كل صفحة (٢٥) سطرًا، ولا نجد اسمًا لناسخها، ولا تاريخًا لنسخها، وقد رمزت لها بالحرف (س).

واسم الكتاب كما جاء في صفحة العنوان: «كتاب درة التأويل وغرة التنزيل في الآيات المتشابهة والمكررة، تصنيف الإمام البارع الوارع أبي القاسم الحسين بن محمد بن الفضل الأصفهاني، المعروف بالراغب برَّد الله مضجعه وجعل الجنة مأواه».

٩ـ نسخة خسرو باشا:

كُتِبت هذه النسخة بخط النسخ الجميل، بمداد أسود ثابت، عدا العناوين كُتِبت بالمداد الأحمر، وعلى الورقة الأولى كُتِب: «تفسير درة التأويل في متشابه التنزيل للراغب الأصفهاني عليه رحمة الباري».

وهي مصورة عن مكتبة خسرو باشا، التابعة للمكتبة السليمانية بإستانبول، تحت رقم (٢٥)، وهي تقع في (١٨٥) ورقة، وفي كل ورقة صفحتان، وفي كل صفحة (٢١) سطرًا.

وجاء في نهاية المخطوطة: «قد وقع الفراغ والاختتام بلطف الله على وجه الاهتمام في المدرسة المسماة بدار الحديث السليمانية في شهر إسلامبول على يد أضعف العباد حال تشتيت الفؤاد، المحتاج إلى رحمة ربه الرحمن، في اليوم السابع من شهر رمضان من سنة ست وسبعين ومئة وألف، مصطفى بن إبراهيم بن محمد، أحسن إليه وإليهما الصمد».

إسلام ويب
islamweb.net

١٠ـ نسخة المتحف البريطاني:

وهي مثل النسخ المنسوبة إلى الراغب، توجد في المتحف البريطاني تحت رقم (٥٧٨٤)، وتشتمل على (٢٣٤) ورقة، بعنوان: «كتاب أسرار التأويل وغرة التنزيل»، واسم المؤلف غير واضح؛ لوجود طمس في ورقة العنوان، إلا أنه نُسِب إلى الراغب الأصفهاني في فهرسة معهد إحياء المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة.

وقد حصلت على نسخة منها مصورة من المتحف البريطاني بواسطة أخي الدكتور حنيف القاسمي حفظه الله تعالى.

وخط هذه النسخة واضح إلى حد كبير، ولكنها كثيرة الطمس فصعُبت قراءتها، مع أنها حديثة العهد، وقد رمزت لها بالحرف (ل).

١١ـ نسخة مكتبة ولي الدين:

هذه النسخة محفوظة في مكتبة ولي الدين التابعة للمكتبة السليمانية بإستانبول تحت رقم (٢٥٣)، وتقع في (١١٨) ورقة، وهي مسجلة في فهرسة تلك المكتبة بعنوان: «تفسير متشابهات القرآن»، من غير ذكر اسم المؤلف، ولكنها عين إحدى النسخ المتقدمة المنسوبة إلى الراغب الأصفهاني، ورمزت لها بالحرف (و).

١٢ـ نسخة دار الكتب المصرية الثانية:

هذه النسخة حديثة العهد، كُتِبت في سنة (١٣١٧هـ)، وهي محفوظة في دار الكتب المصرية تحت رقم (٦٦٠)، وتقع في (٥٢٧) صفحة، ورمزت لها بالحرف (م).

إسلام ويب islamweb.net

وليس بها ورقة العنوان، إلا أن الكتاب في الصفحة الأولى بعد ورقة العنوان منسوب إلى الراغب الأصفهاني كسابقتها.

ولا بد لي من التنويه هنا قبل أن أختم القول في هذه الفقرة: أنه يوجد للكتاب مخطوطتان أخريان لم أقف عليهما، وهما:

١٣ـ نسخة جوتا:

جاء في فهرس جوتا[١]: «درة التنزيل وغرة التأويل» لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب فخر الدين الرازي.

وفي نسبة الكتاب إلى الفخر الرازي خطأ؛ إذ إن فخر الدين الرازي ليس هو محمد بن عبد الله الخطيب، وإنما هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الخطيب.

١٤ـ نسخة إيران:

لم أستطع الحصول عليها حتى ساعة تقديم الرسالة للمناقشة، مع بذل كل الجهود الممكنة عن طريق مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، ومركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي.

وهي مذكورة في فهرسة الكتب الخطية الموجودة بالمكتبة المركزية بجامعة طهران، في المجلد الثالث عشر (٣٣٩٣، ٣٣٩٤) ضمن مجموعة برقم (٤٤٣٤)، وتقع المجموعة في (١٣٦) ورقة، وفي كل ورقة صفحتان، وفي كل صفحة (١٥) سطرًا، والمقاس: (١٣×١٨)، وذكر المفهرس أن تاريخ النسخ يرجع إلى القرنين التاسع والعاشر، وأنها نسخة مصحَّحة وفيها مقابلات.

(١) الديباجة (ص١٠)، وجوتا مدينة بألمانيا الشرقية سابقًا.

إسلام ويب
islamweb.net

ولما كانت الفهرسة باللغة الفارسية ترجم أحد الإخوة جزاه الله خيرًا الجزء المطلوب.

يقول المفهرس: **الكتاب الأول** من هذه المجموعة هو: درة التنزيل وغرة التأويل (١-٦٤/ ب)؛ من تأليف محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي المتوفى سنة (٤٢١هـ)، وقد طُبِع بمصر سنة (١٣٢٦هـ)، وليس بـ«درة التأويل في متشابه التنزيل» للراغب الأصبهاني، وليس بـ«درة التنزيل وغرة التأويل» للإمام الفخر الرازي.

ثم يقول: الكتاب يختص بآيات جاءت في القرآن متشابهة ومكررة مع اختلاف يسير، وأصبحت حُجّة للملحدين الذين يريدون الطعن في القرآن.

وهذا القسم يشمل المقدمة إلى الآية السابعة من سورة المائدة، وفي أوله وآخره سقط، ويبدأ من قول المؤلف في مقدمة الكتاب: «في حالة توزع الرأي فيها مذاهب..»، وينتهي عند قوله: «وقال في سورة المجادلة: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [المجادلة: ٢٢]».

ويُرى في هذه النسخة عدة أسطر في المقدمة، ليست موجودة في النسخة المطبوعة بمصر.

والكتاب الثاني من هذه المجموعة هو: تفسير المتشابهات، من ص(٦٥/ أ-١٣٤/ ب)، ومن الممكن أن يكون للإمام الرازي أو للراغب، وهو غير «تنزيه القرآن عن المطاعن» لعبد الجبار الرازي، الذي طُبِع في مصر (١٣٢٤هـ)، والذي عناوينه: مسائل وأجوبة، ويشبه تمامًا كتاب «درة التنزيل وغرة التأويل» للإسكافي، ويمكن أن يقال: إنه زبدة الكتاب ومختصره.

إسلام ويب islamweb.net

وصفه: خطه قديم، ويبدأ من سورة البقرة إلى سورة التحريم.

أولـه: «في التأكيد بتكرار الأمر. مسألة: قولـه تعالـى: ﴿قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ [البقرة: ١٧٠]، جوابه: أن «ألفينا» و«وجدنا» معناهما واحد».

وآخره: «مسألة: قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ [الملك: ١٦]، جوابه: لما تقدم هنا: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا﴾ [الملك: ١٥] الآية».

١٥ـ نسخة مجمع الملك عبد العزيز:

لقـد حصلـت مؤخـرًا على نسـخة خطيـة بواسـطة أخـي الدكتور إيـاد الغوج حفظـه الله تعالـى، وهي نسـخة مصـورة من مجمع الملـك عبد العزيـز للمكتبات الوقفية، المدينة المنورة، مكتبة رباط قراء باش، تحت رقم (١١١/ ٢٧٥)، ورمزت إليهـا بالحـرف (ع)، وهـي ذات خـط واضـح في عمومـه، وقد ضُبِطت بالشـكل، وكُتِبت بخط النسخ في مئة وأربع وثلاثين ورقة، وفي كل ورقة صفحتان، وأسطر صفحاتهـا ١٧ سـطرًا، بمعـدل ١٠ كلمـات فـي كل سـطر، وعنـوان الكتـاب على غلافها: «الجزء الأول من درّ التنزيل وغرّة التأويل»، وجاء في نهايتها ما يشير إلى نسـخها في القرن السـابع الهجـري، قال: «تم الجـزء الأول مـن درة التنزيل وغرة التأويل لثمانٍ خلون من ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين وستمئة»، وعلى صفحتيها الأولى والأخيرة ختم تملُّك جاء فيه: «وقف محمود آغا عزبان بشرط رباط جديد مدينة منورة سنة ١١٣٨»، وهي نسخة ليست كاملة، إذ يوجد منه الجزء الأول فقط، والذي اختُتم بنهاية سورة هود، قال: «تم الجزء الأول... يتلوه إن شاء الله في أول الجزء الثاني سـورة يوسـف عليه السـلام أربع آيات»، وأما الجزء الثاني الذي يبدأ

إسلام ويب islamweb.net

بسورة يوسف فمفقود، كما سقط من هذه النسخة جزء من بداية المقدمة، وجزء من الآية الرابعة من سورة البقرة إلى منتصف الآية العاشرة من السورة نفسها، وكذلك جزء من الآية الثانية من سورة المائدة، وجزء من الآية السابعة من سورة الأنعام إلى أوائل الآية السادسة عشرة من السورة نفسها، مع وجود طمس كثير وأسقاط ألفاظ من النص الأصلي، وهو ما أدى إلى صعوبة قراءتها، وهي أيضًا في مضمونها لا تخرج عن النسخ الموجودة عندي، ولم أعوّل على إثبات الفروق بينها وبين النسخ الأخرى، إلا فيما أثبته منها، ونبهت عليه في موضعه.

إسلام ويب
islamweb.net

المبحث الثاني
منهج التحقيق

يتلخَّص عملي في تحقيق هذا الكتاب فيما يأتي:

١ـ اعتمدت على نسخة مكتبة أحمد الثالث (أ)، واتخذتها أصلًا للاعتبارات التي تقدَّم ذكرها في مبحث وصف النسخ، وأثبتُّ أرقام المخطوطة إلى جانبها، ورمزت لصورة الصفحة اليمنى بـ(أ)، ولصورة الصفحة اليسرى بـ(ب)، وأشرتُ بخط مائل في وسط الكلام إلى انتهاء صفحة من الأصل المخطوط، وابتداء صفحة جديدة.

وبعد أن انتهيت من النَّسْخ قابلت نسخة أحمد الثالث (أ) بنسختَي بايزيد (ب) وكوبريلي (ك) المعتمَدتين، وأشرت إلى ما كان بينها من فروق في الحواشي، وكثيرًا ما رجعت إلى سائر النسخ الأخرى غير الثلاثة، وربما أثبتُّ منها في المتن ما رأيته صوابًا من حيث المعنى مع الإشارة إلى ذلك في الحاشية، ولم أضع المُثْبَت من النسخ الأخرى بين حاصرتين في المتن، وإنما كتبته في الحاشية بين علامتَي التنصيص هكذا: «...»؛ تحاشيًا عن التشويش.

وكنت أريد أن أجعل النسخة المطبوعة المتداولة بين الناس واحدة من النسخ التي أقابل عليها، لكن وجدت بها جملة وافرة من الأخطاء والتصحيفات

إسلام ويب
islamweb.net

والأسقاط، وهي أيضًا في مضمونها لا تخرج عن النسخ الموجودة عندي، ولم أعوِّل على إثبات الفروق بين النسخ المخطوطة وبين المطبوع، إلا فيما أثبتُّه من المطبوع بخلاف المخطوطات، ونبَّهت عليه في موضعه.

٢ـ اعتمدت في نَسْخ الكتاب الرسمَ الإملائي المتعارف عليه في عصرنا، واستعملت علامات الترقيم كالنقطة، والفاصلة، وعلامة الاستفهام، والتعجب، وقسمت الجُمل والفقرات حسب إرادة المعنى المقصود منها.

٣ـ إذا اقتضى المقام زيادة كلمة أو عبارة، زدتُها ووضعتُها بين معقوفين هكذا [...]، وهو يرمز لزيادة مني يقتضيها السياق.

٤ـ ضبطت من الألفاظ ما يحتاج إلى ضبط حتى لا تلتبس قراءته على القرّاء، مع شرح الغريب منها، معتمِدًا في ذلك على المصادر الموثوق بها عند أهل اللغة، وشرحت أيضًا بعض العبارات الغامضة في الكتاب بما يكشف غموضها ويوضح مراد المؤلف قدر المستطاع.

٥ـ لم ألتزم ذكر الاختلاف بين النسخ في عبارات الترحُّم والترضِّي والثناء، مثل عبارة «تعالى» و«عز وجل» بعد لفظ الجلالة، ومثل عبارة «عليه السلام» و«ﷺ» و«صلوات الله عليه وسلامه» بعد ذكر الرسول أو النبي، ومثل «رضوان الله عليه»، و«رضي الله عنه» بعد ذكر اسم الصحابي؛ لأنها كثيرة أولًا، ولا تؤثِّر في النص ثانيًا، ولأنها من تصرُّف النُّسّاخ غالبًا.

٦ـ جعلت الآيات القرآنية بين هلالين مزهَّرين مع عزوها إلى سورها في القرآن الكريم، واضعًا رقمها مع اسم سورتها إلى جانبها بين معقوفين في داخل النص، هكذا: [ ]، وذلك حسب ورودها في المصحف الشريف، وكذلك الآيات

إسلام ويب islamweb.net

المستشهد بها من سور أخرى، فكنت أعزوها وأكتب اسم السورة ورقم الآية بعد كتابة الآية؛ منعًا للتشويش وتكثير الحواشي بما لا طائل تحته.

٧ـ وضعت أمام كل آية أراد المؤلف توجيهها رقمًا متسلسلًا بين معقوفين هكذا [١]، [٢]، مثل: «[١] الآية الأولى من سورة البقرة قوله تعالى... [٢] الآية الثانية منها قوله تعالى... [٣] الآية الثالثة منها قوله تعالى...، وهكذا حسب ترتيب المؤلف، للتنبيه على بدء آية جديدة، وانتهاء آية سابقة؛ ليسهل على الباحث الرجوع إلى ما يريد عند الحاجة بيسر وسهولة؛ وذلك من أول سورة البقرة إلى آخر سورة الناس، وقد بلغ عدد الآيات التي تناولها المؤلف بالتوجيه (٢٧٤) آية، فضلًا عن نحو (٤٠٠) آية قارن بها الآيات الأصول.

٨ـ إذا كان في المخطوط في كتابة الآيات القرآنية خطأ صوَّبته من المصحف الشريف من غير تنبيه إلى ذلك في الحاشية في أكثر الأحيان، ومسترشدًا في ذلك بـ«المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم» لمحمد فؤاد عبد الباقي رحمه الله تعالى.

٩ـ علَّقت على بعض التوجيهات التي ذكرها المؤلف بالرجوع إلى المؤلَّفات الأخرى في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، مثل كتاب «البرهان في متشابه القرآن» للكرماني، و«ملاك التأويل» لابن الزبير، و«فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن» للأنصاري؛ وذلك لتوضيح ما أبهم من كلام المؤلف، أو إبداء توجيه آخر لم يذكره المؤلف، أو الإشارة إلى بعض الفروق التي لمستها بين ما أورده الخطيب من توجيهات وما ذكره غيره، وأشرت لذلك في الحواشي.

إسلام ويب islamweb.net

وقد حاولت أيضًا أن أرجع في تحقيق بعض النصوص التي فيها تصحيف أو اضطراب إلى الكتب التي نقلت عن كتابنا «درة التنزيل» لمقابلتها وتصحيحها بحسب ما جاءت في تلك النقول، وقد أشرت في الحاشية إلى كل تصويب من هذا القبيل.

١٠ـ خرَّجت ما في الكتاب من الأحاديث والآثار، وذلك بالرجوع إلى كتب الأحاديث المعروفة، مشيرًا إلى الكتاب، والباب، ورقم الصفحة، ورقم الحديث أو الأثر إن وُجِد، وإن لم أجد في كتب الحديث رجعت إلى التفاسير المهتمة بالروايات، وذكرت حكم ما توصَّل إليه السابقون إن وُجِد.

١١ـ عُنِيت بتخريج الشواهد الشعرية المستشهَد بها من الدواوين، والمعاجم، وكتب النحو والأدب واللغة، وبعض المصادر الأخرى، وضبطتها وشرحت ألفاظها الغريبة، وبيَّنت موضع الشاهد إن كان غامضًا.

١٢ـ ترجمت للأعلام الواردة في النص، مع مراعاة الإيجاز، وقد لا أعرِّف ببعض مشاهيرهم، وإذا تكرَّر العلم في موضع آخر ـ وهذا ما يحصل كثيرًا ـ اكتفيت بترجمته في الموضع الأول.

١٣ـ أشرتُ ـ في حدود الإمكان ـ إلى مواضع النصوص النحوية واللغوية في كتب أصحابها، أو في الكتب التي فيها، ككتاب سيبويه، و«العين» للخليل، و«المقتضب» للمُبرِّد، و«جمهرة اللغة» لابن دريد.

١٤ـ عرَّفت الأماكن المذكورة في الكتاب معتمدًا على المعاجم المتخصصة في البلدان.

١٥ـ وأخيرًا ألحقت بالكتاب عددًا من الفهارس الفنية التي تساعد الباحث على الحصول على طلبه من الكتاب بسهولة وسرعة، وكان فيها فهرس للآيات

إسلام ويب islamweb.net

المتشابهة التي تناولها المؤلف بالتوجيه، وثانٍ للآيات التي استشهد بها المؤلف في غير موضعها، وثالث للأحاديث والآثار، ورابع للأعلام الواردة في النص، وخامس للأبيات الشعرية، وسادس للأماكن، وسابع للقبائل والأمم، وثامن للمذاهب والفِرَق، وتاسع للمراجع والمصادر.



إسلام ويب
islamweb.net

مفتاح رموز التحقيق

الدرة: **درة التنزيل وغرة التأويل** لأبي عبد الله الخطيب.

البرهان: المراد به **البرهان في متشابه القرآن** للكِرماني.

الملاك: المراد به **ملاك التأويل** لابن الزبير الغِرناطي.

كشف المعاني: المراد به **كشف المعاني في المتشابه من المثاني** لابن جماعة.

فتح الرحمن: **فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن** لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري.

اللسان: **لسان العرب** لابن منظور.

السير: **سير أعلام النبلاء** للذهبي.

المفردات: المراد به **مفردات ألفاظ القرآن** للراغب.

عمدة الحفاظ: **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ** للسمين الحلبي.

الخطيب: المراد به **أبو عبد الله محمد بن عبد الله** مؤلف كتاب درة التنزيل.

الكرماني: المراد به **صاحب البرهان في متشابه القرآن** وليس الكرماني شارح البخاري.

(٣: ١٢٣): أقصد بالرقم الأول الجزء أو المجلد، وبالرقم الثاني الصفحة.

(أ): نسخة أحمد الثالث.

(ب): نسخة بايزيد.

(حـ): نسخة أحمد الثالث الثانية.

إسلام ويب islamweb.net

(خـ): نسخة خسرو باشا.

(د): نسخة دار الكتب المصرية.

(ر): نسخة راغب باشا.

(س): نسخة أسعد أفندي.

(ك): نسخة مكتبة كوبريلي الأولى.

(ق): نسخة مكتبة كوبريلي الثانية.

(ل): نسخة المتحف البريطاني.

(و): نسخة ولي الدين.

(ع): نسخة مجمع الملك عبد العزيز

[ ]: حصرت بهما **أرقام الآيات**، ووضعت بينهما أيضًا **ما أضفتُه للضرورة**.

﴿ ﴾: حصرت بهما **الآيات القرآنية الكريمة**.

« »: حصرت بهما **الأحاديث والآثار والأقوال المنقولة بنصها**.

/ : خط مائل: فصلت به **بين رقم الورقة من المخطوط وبين الرمز المشير إلى الصفحة**، وكذلك يشير هذا الخط إلى بداية **صفحة جديدة من الأصل**.

(ص): اختصار كلمة **صفحة**.

(ط): اختصار كلمة **طبعة**.



إسلام ويب
islamweb.net

إسلام ويب
islamweb.net

نماذج من صفحات
المخطوطات المعتمدة في التحقيق

إسلام ويب
islamweb.net

إسلام ويب
islamweb.net



صفحة العنوان من الأصل (أ)

إسلام ويب
islamweb.net



الصفحة الأولى من الأصل (أ)

إسلام ويب
islamweb.net



الصفحة الأولى من النسخة (ب)

إسلام ويب
islamweb.net



الصفحة الأخيرة من النسخة (ب)

إسلام ويب
islamweb.net

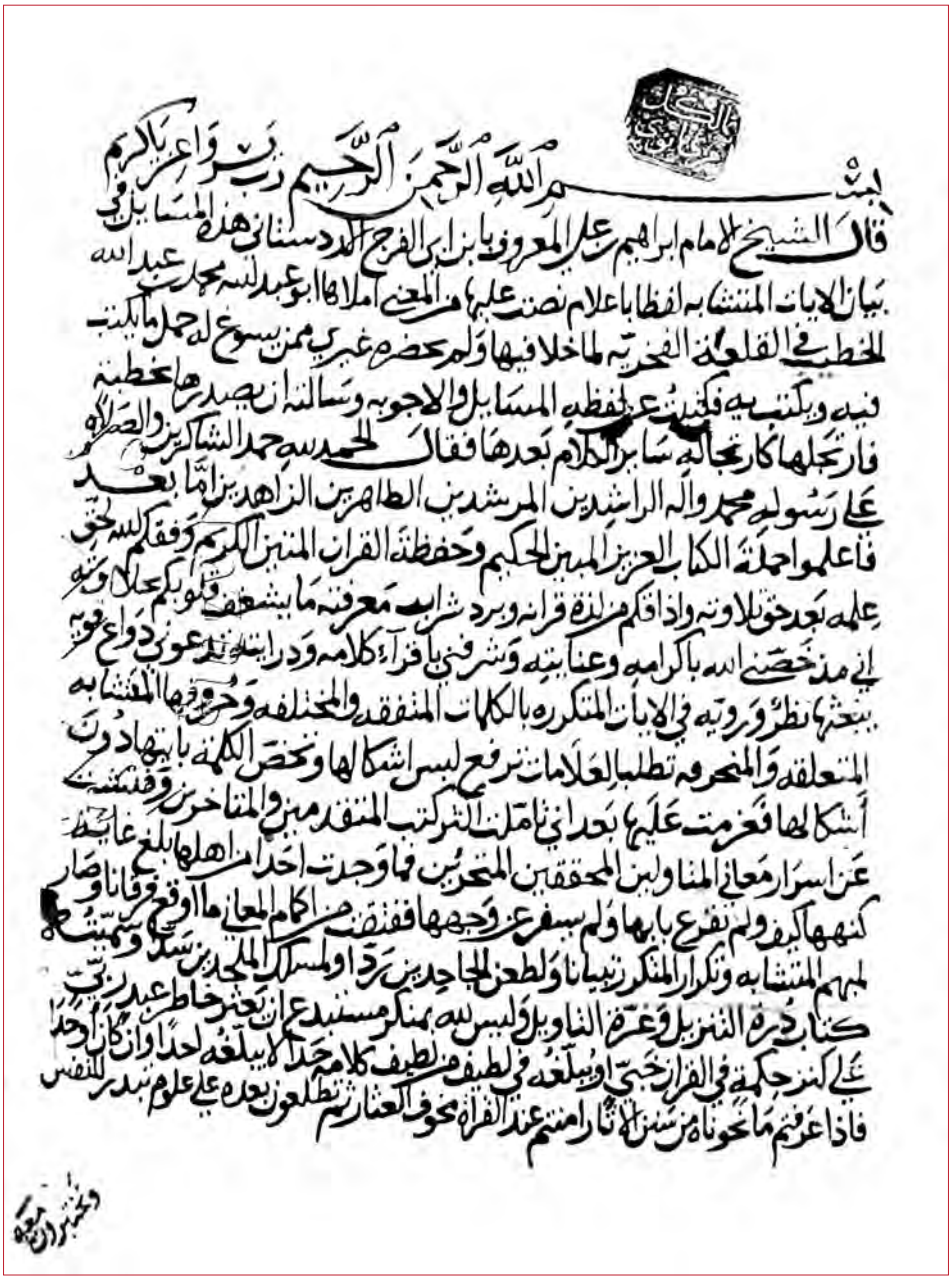

الصفحة الأولى من النسخة (ك)

إسلام ويب
islamweb.net

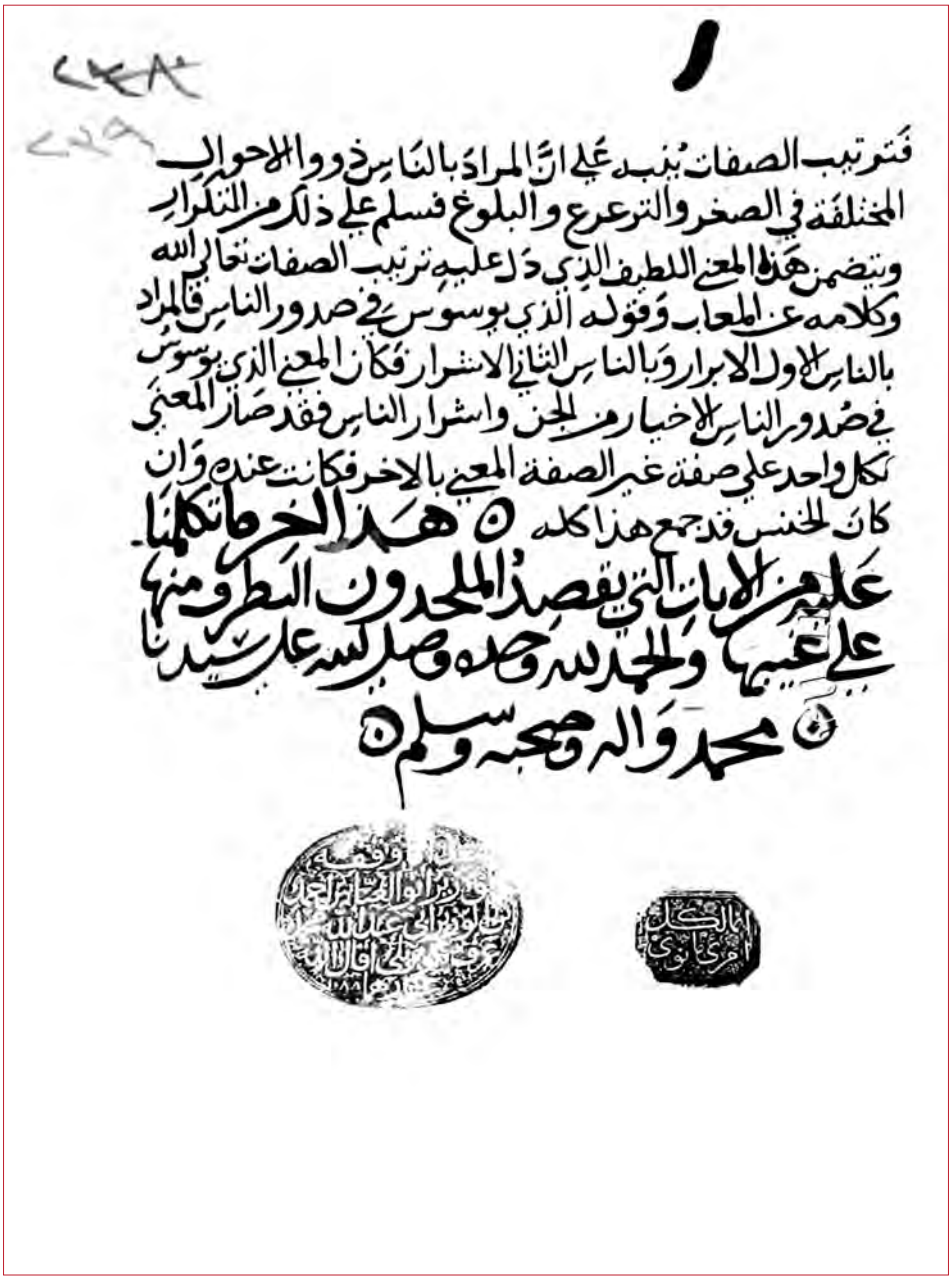

فترتيب الصفات ينبه على ان المراد بالناس ذوو الاحوال
المختلفة في الصغر والترعرع والبلوغ فسلم على ذلك من التكرار
ويتضمن هذا المعنى اللطيف الذي دل عليه ترتيب الصفات تعالى الله
وكلامه عن العبث وقوله الذي يوسوس في صدور الناس فالمراد
بالناس الاول الابرار وبالناس الثاني الاشرار فكان المعنى الذي يوسوس
في صدور الناس الاخيار من الجن واشرار الناس فقد صار المعنى
لكل واحد على صفة غير الصفة المعنى بالاخر فكانت عند وان
كان الجنس فقد جمع هذا كله ۞ هذا آخر ما تكلمنا
عليه من الآيات التي يقصد الملحدون الطعن ومنها
على غيرها والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا
۞ محمد وآله وصحبه وسلم ۞

الصفحة الأخيرة من النسخة (ك)

إسلام ويب islamweb.net


١

كتاب الدرة التنزيل

وغرة التاويل تاليف الشيخ الامام العالم

ابو عبد الله محمد بن عبد الله الخطب رضي

الله عنه في بيان الايات المتشابهات في

كتاب الله العزيز

صفحة العنوان من النسخة (د)

إسلام ويب
islamweb.net

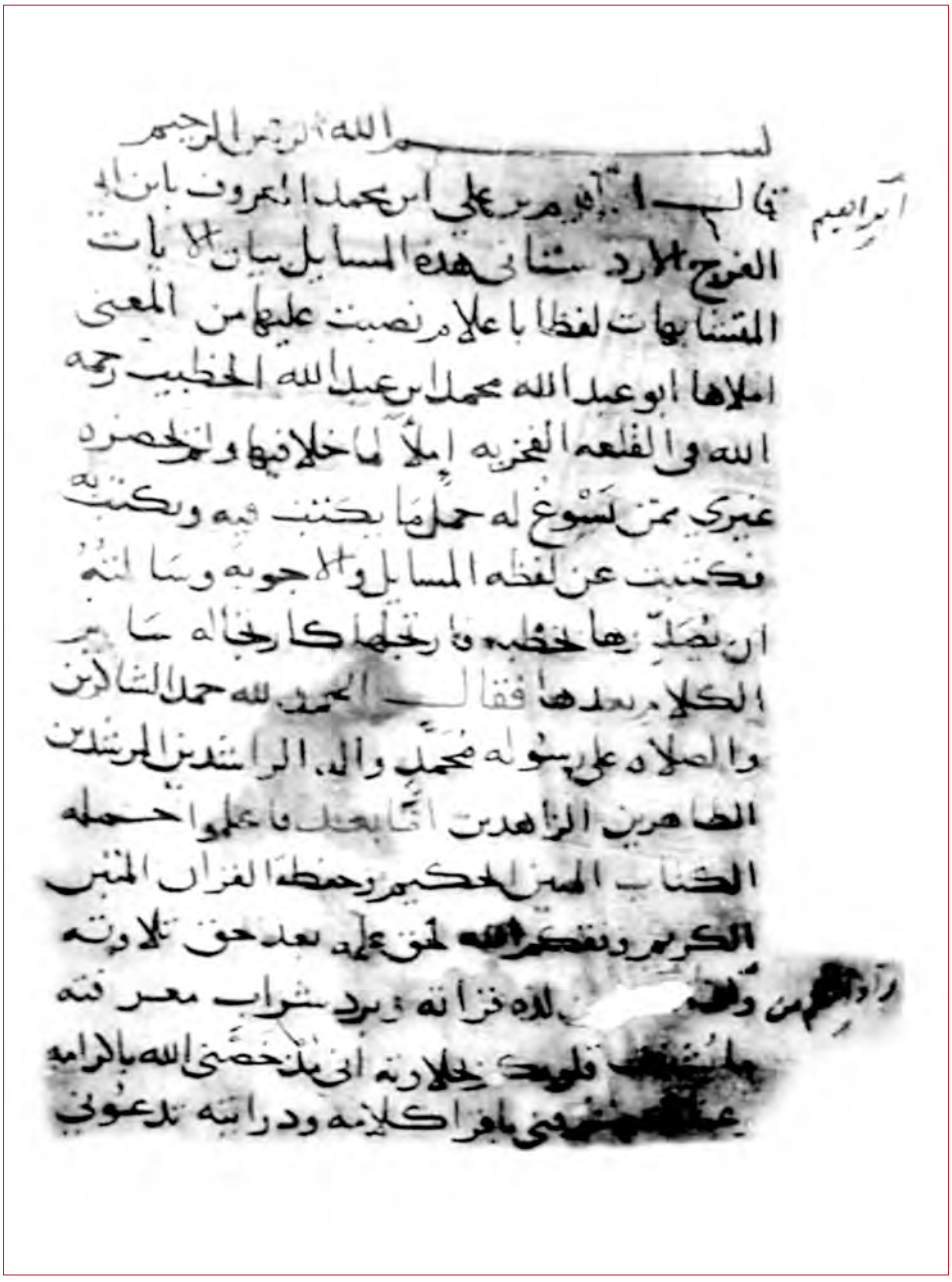

الصفحة الأولى من النسخة (د)

إسلام ويب
islamweb.net

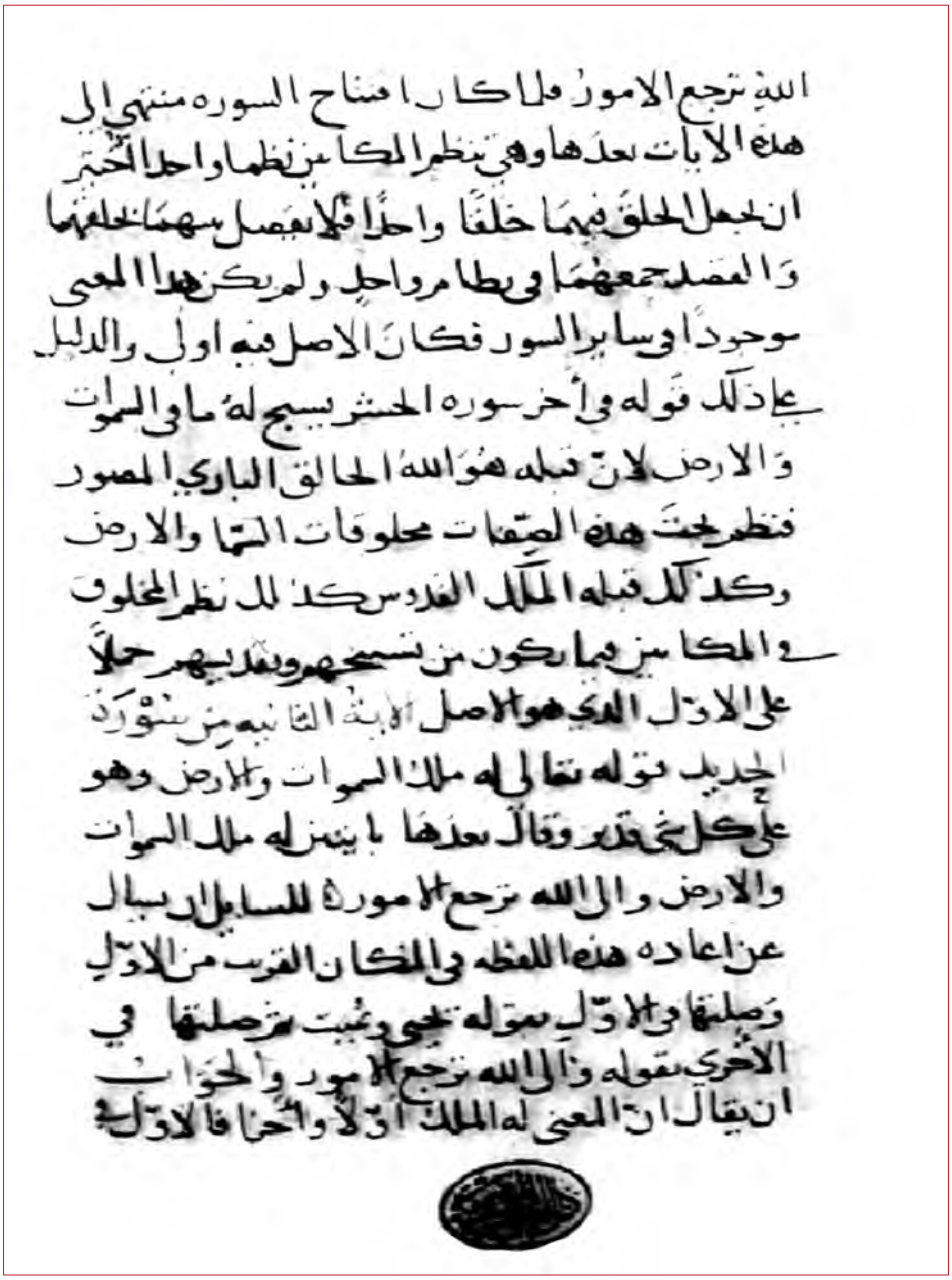

الصفحة الأخيرة من النسخة (د)

إسلام ويب
islamweb.net



بسم الله الرحمن الرحيم

اعلموا حملة الكتاب الحكيم وحفظة القرآن الكريم وفقكم الله لحق علمه
بعد حق تلاوته واذاقكم من تاويله ما يشعف قلوبكم بحلاوته انى مذ
خصنى الله باكرامه وشرفنى بدراسة كلامه تدعونى دواع قوية يبعثها
نظر وروية فى الآيات المتكررة بالالفاظ المختلفة فى اماكنها المتشابهة
تطلب العلامات تدفع لبس اشكالها وتخص اللفظة بآيتها دون اشكالها
فلم تزل تلك الدواعى تزيد وتنمى منذ الصبى وثوبه القشيب الى ان
عوضت منه ريطة المشيب فاتفقت خلوة سطوت على وحشتها بالقرآن
ولولا انسه لم يكن لى بها يدان وذلك بعد ما عملت من كتاب المعانى
الاكبر واميت من احتجاج القراآت المختصة وكانت هذه الخلوة خلوة
عين لا خلوة قلب واضطرار لا عن اختيار بل لقهر وغلب فى حالة
توزع الرأى فيها مذاهب واقتسم الهم لها مطالب ففتقنا من اكمام
المعانى ما وقع فرقانا وصار لمبهم المتشابه تبيانا فاذا عرفت ما لجناه
من الاثار امنت عند القراءة مخوف العثار ثم تطلع بعده على علوم
تبدو للنفس وتحتقر معها بيان اللبس وترى ممالك لم تملكها قبلك امة
ومسالك لم تجل فى مدارجها همة فتعلم ان كلام الله جل ذكره وعلا شانه
وامره بحر لا تستنقد جواهره وذو عمق لا يدرك آخره وحق من
ذلك عليه ان تدعو له بالرحمة والمعونة على شكر ما اولى من النعمة
وتبلغه من حسن الجزاء غاية بان تقرا له فى كل يوم آية يفر عليه
اجرها ولا يجنبك ويزيده ثوابها ولا ينقصك فهو الغنم الذى من

الصفحة الأولى من النسخة (ر)

إسلام ويب
islamweb.net

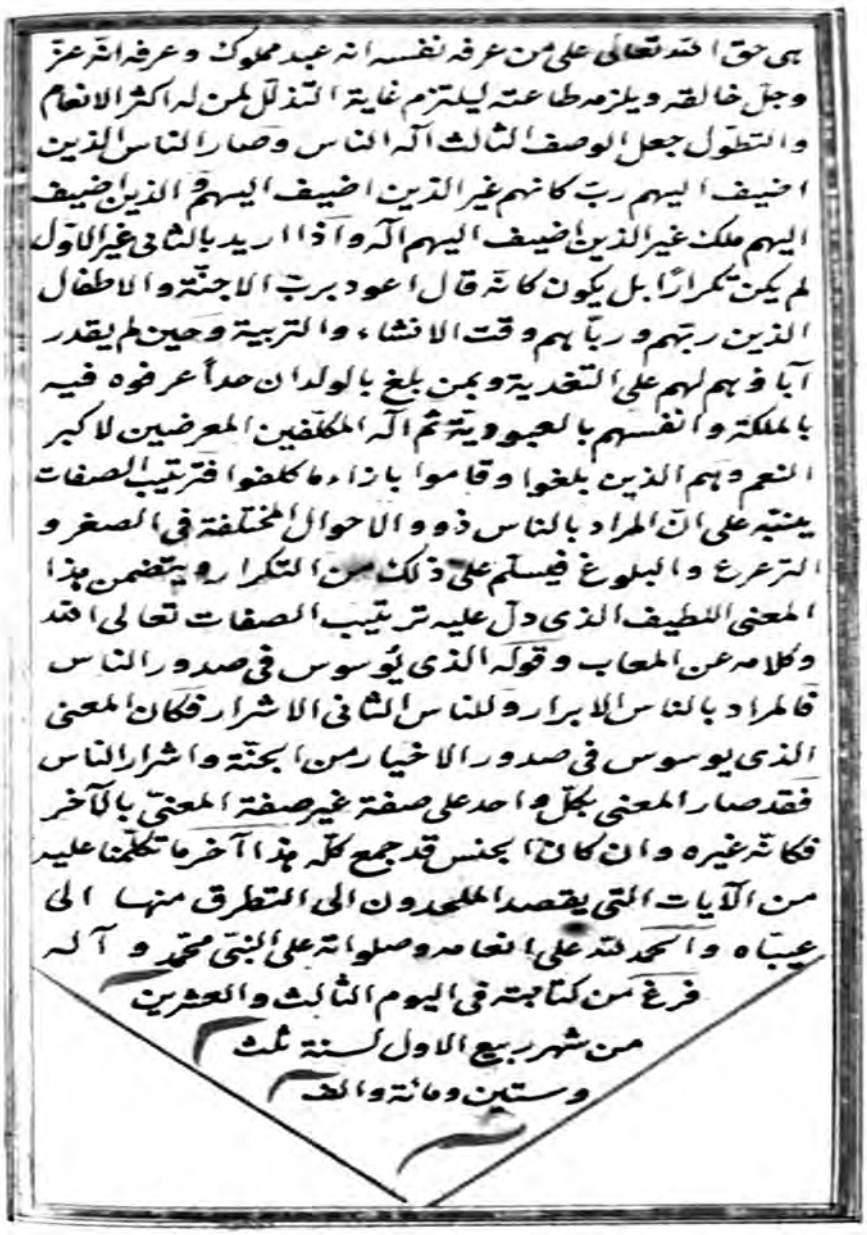
هي حق الله تعالى على من عرفه نفسه انه عبد مملوك وعرفه انه عز
وجل خالقه ويلزمه طاعته ليلتزم غاية التذلل لمن له اكثر الانعام
والتطول جعل الوصف الثالث آله الناس وصار الناس الذين
اضيف اليهم رب كانهم غير الذين اضيف اليهم والذين اضيف
اليهم ملك غير الذين اضيف اليهم آله واذا اريد بالثاني غير الاول
لم يكن تكرارا بل يكون كانه قال اعود برب الجنة والاطفال
الذين ربتهم وربا بهم وقت الانشاء والتربية وحين لم يقدر
آباؤهم لهم على التغذية وبمن بلغ بالولدان حداً عرفوه فيه
بالملكة وانفسهم بالعبودية ثم آله المكلفين المعرضين لاكبر
النعم وهم الذين بلغوا وقاموا بازاء ما كلفوا فترتيب الصفات
ينبه على ان المراد بالناس ذوو الاحوال المختلفة في الصغر و
الترعرع والبلوغ فيسلم على ذلك من التكرار ويتضمن هذا
المعنى اللطيف الذي دل عليه ترتيب الصفات تعالى الله
وكلامه عن المعاب وقوله الذي يوسوس في صدور الناس
فالمراد بالناس الابرار وللناس الثاني الاشرار فكان المعنى
الذي يوسوس في صدور الاخيار من الجنة واشرار الناس
فقد صار المعنى بكل واحد على صفة غير صفة المعنى بالآخر
فكانه غيره وان كان الجنس قد جمع كلا هذا آخر ما تكلمنا عليه
من الآيات التي يقصد الملحدون الى التطرق منها الى
عيابه والحمد لله على انعامه وصلواته على النبي محمد وآله
فرغ من كتابته في اليوم الثالث والعشرين
من شهر ربيع الاول لسنة ثلث
وستين وماية والف

الصفحة الأخيرة من النسخة (ر)

إسلام ويب
islamweb.net



الصفحة الأولى من النسخة (س)

إسلام ويب
islamweb.net



الناس ولما كان بعد ذلك تكليف العبادات التي هي حق الله تعالى على من عرفه نفسه انه
عبد مملوك وعرفهم انه عز وجل خالقه ويلزمه طاعته ليلتزم غاية التذلل لمن له أكثر الانعام
والتطول جعل الوصف الثالث الله الناس وصار الناس الذين اضيف اليهم رب كانهم غير الذين
اضيف اليهم ملك والذين اضيف اليهم ملك غير الذين اضيف اليهم اله واذا اريد بالثاني
غير الاول لم يكن تكرارا بل يكون كانه قال اعوذ برب الاجنة والاطفال الذين ربيهم
ورباهم وقت الانشاء والتربية وحين لم يقدر اباؤهم لهم على التغذية وبمن بلغ بالولادات
حد عرفوه فيه بالملكة وانقسهم بالعبودية ثم اله المكلفين المعرضين لاكبر النعم وهم الذين
بلغوا وقاموا باداء ما كلفوا فترتيب الصفات ينبيه على ان المراد بالناس ذوو الاحوال
المختلفة في الصغر والترعرع والبلوغ فيسلم على ذلك من التكرار ويتضمن هذا المعنى
اللطيف الذي دل عليه ترتيب الصفات تعالى الله وكلامه عن المعارب وقوله
الذين يوسوس في صدور الناس فالمراد بالناس الابرار وللناس الثاني الاشرار
فكان المعنى الذي يوسوس في صدور الاخيار من الجنة والاشرار الناس
فقد صار المعنى بكل واحد على صفة غير صفة المعنى بالاخر فكانه غيره وان كان
الجنس قد جمع كله هذا اخر ما تكلمنا عليه من الايات التي يقصد الملحدون
الى التطرق منها الى عيبه والحمد لله على اتمامه وصلواته على النبي محمد واله
وصحبه اجمعين

الصفحة الأخيرة من النسخة (س)

إسلام ويب
islamweb.net

إسلام ويب
islamweb.net

القسم الثاني
النص المحقق

إسلام ويب
islamweb.net

إسلام ويب
islamweb.net

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وما توفيقي إلا بالله عليه توكَّلت وإليه أنيب[١]

قال[٢] إبراهيم بن علي بن محمد، المعروف بابن أبي الفرج الأرْدَسْتاني: هذه المسائل في[٣] بيان الآيات المتشابهة لفظًا بأعلام نُصِبت عليها من المعنى، أملاها أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب رحمه الله في القلعة الفخرية[٤] إملاءً[٥] لمّا خلا فيها، ولم يحضُره غيري[٦] ممّن يسُوغ له حملُ ما يُكتَبُ فيه[٧]، ويُكتَبُ به[٨]، فكتبتُ عن لفظه المسائلَ والأجوبة، وسألتُه أن

(١) بدل هذه الجملة جاء في (ك): «ربّ يسّر وأعن يا كريم».

(٢) في (ك): «قال الشيخ».

(٣) «في» أُثبِتت من (ك).

(٤) هذه القلعة بناها فخر الدولة (ت٣٨٧هـ)، قال ياقوت الحموي في معجم البلدان (٤: ٢٣٨): كان فخر الدولة ابن ركن الدولة ابن بُوَيْه الديلمي قد استأنف عمارة قلعة الرَّيّ ـ بفتح الراء وتشديد الياء ـ القديمة، وأحكم بناءها، وعظّم قصورها، وخزائنها، وحصّنها، وشحنها بالأسلحة والذخائر، وسمّاها «فخراباذ»، وهي مُشرِفة على البساتين والمياه الجارية، أنزه شيء يكون، وأظنها قلعة طبرك، والله أعلم.

(٥) هذا ليس بغريب؛ لأن علماءنا السابقين رحمهم الله نُقِلت معظمُ كتبِهم إلينا بهذه الطريقة، حيث إن كثيرًا منهم أملَوا كتبهم من خواطرهم من غير مراجعة.

(٦) ولعل هذا يدلّ على أنّ وجود عدد كبير من الناس في مثل هذا المجلس يعوق المؤلف الذي يملي من ذهنه على البديهة، ولا يفيد الحضورُ شيئًا.

(٧) يريد الورق.

(٨) يريد القلم والدواة.

إسلام ويب
islamweb.net

يصدِّرها بخُطبة، فارتجلها كارتجاله سائر الكلام بعدها[١]، فقال:

الحمد لله حمد الشاكرين، والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله الراشدين المرشدين الطاهرين الزاهدين[٢].

أما بعد،

فاعلموا[٣] .....

(١) مقدمة الراوي هذه ليست في (ح، خ، ر، ز، س).

(٢) في (د، ط): «الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم».

(٣) مقدمة المؤلف هذه تختلف في بعض جزئياتها في (ح، خ، ر، س) التي نُسِبت في أغلفتها إلى الراغب الأصبهاني دون ذكر اسمه في المقدمة، وهي كما يأتي:
«بسم الله الرحمن الرحيم، اعلموا حملة الكتاب الحكيم، وحفظة القرآن الكريم، وفّقكم الله لحقّ علمه بعد حق تلاوته، وأذاقكم من تأويله ما يشغف قلوبكم بحلاوته، أني مذ خصّني الله بإكرامه، وشرّفني بدراسة كلامه، تدعوني دواعٍ قوية، يبعثها نظر وروية، في الآيات المتكررة، بالألفاظ المختلفة، في أماكنها المتشابهة، تطلُّبًا لعلاماتٍ تدفع لبس إشكالها، وتخصّ اللفظة بآيتها دون أشكالها، فلم تزل تلك الدواعي تزيد وتنمو منذ الصِّبا وثوبه القشيب، إلى أن عُوِّضت منه ريطة المشيب، فاتفقت خلوة سطوت على وحشتها بالقرآن، ولولا أنسه لم يكن لي بها يدان، وذلك بعدما عملت من كتاب المعاني الأكبر، وأمليت من احتجاج القراءات المختصة، وكانت هذه الخلوة خلوة عين، لا خلوة قلبٍ، واضطرارٍ لا عن اختيار، بل لقهر وغلب، في حالة توزَّع الرأي فيها مذاهب، واقتسم المهمّ لها مطالب، ففتقنا من أكمام المعاني ما وقع فرقانًا، وصار لمبهم المتشابِه تبيانًا، فإذا عرفتَ ما لَحَبْناه من الآثار أمنتَ عند القراءة مخوف العثار، ثم تطلع بعده على علوم تبدو للنفس، وتحقر معها بيان اللبس، وترى ممالك لم تملكها قبلك أمة، ومسالك لم تجُل في مدارجها همة، فتعلم أن كلام الله جل ذكره وعلا شأنه وأمره بحر لا تُستنفَد جواهره، وذو عمقٍ لا يُبلَغ آخره، وحقُّ مَن دلّك عليه أن تدعو له بالرحمة والمعونة على شكر ما أولى من النعمة، وتبلِّغه من حسن الجزاء غاية، بأن تقرأ له في كل يوم آية، يقرّ عليه أجرها =

إسلام ويب islamweb.net

حَمَلَة الكتاب المبين الحكيم[١]، وحَفَظة القرآن المتين[٢] الكريم، وفَّقكم الله تعالى لحقِّ علمه، بعد حقِّ[٣] تلاوته، وأذاقكم من لذّة قراءته[٤]، وبَرد شراب معرفته[٥]، ما[٦] يشغَف قلوبكم بحلاوته، أنِّي مذ خصَّني الله تعالى بإكرامه وعنايته، وشرَّفني بإقراء كلامه ودراسته[٧]، تدعوني دواعٍ قويّةٌ، يبعثها نظرٌ ورَوِيّةٌ[٨]، في الآيات المتكرِّرة، بالكلمات المتَّفِقة والمختلفة، وحروفها المتشابهة المتعلِّقة[٩] والمنحرِفة[١٠]، تطلُّبًا لِعلاماتٍ ترفع لُبس إشكالها،

= ولا يبخسك، ويزيدها ثوابها ولا ينقصك، فهو الغُنم الذي من حازه ظفِرت يداه، ولم يجزع لفوت ما عداه، فالدنيا قد تتبرَّج بزخارفها، وتخدع نفس عارفها، إلا نفسًا غلب نورُ قلبها ضياءَ بصرها، وتصوَّر العواقب لا البوادي من زهرها، وشوهت ما تناظر منها وتوالى، بالفكر في قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾ الآية [يونس: ٥٨]، فلا يحزن إن أجدبت مراعيها المنتجَعة، ولا إن زُوِيت عنه عواريها المرتجَعة. شغلنا الله بالحق عما يلهي من أحوال العاجلة، وبالعمل على ما يهوِّن أهوال الآجلة، إنه سميع قريب».

قلت: يُنظَر لوصف النسخ المنسوبة إلى الراغب الأصبهاني من هذا الكتاب (١: ١٦٦).

(١) في (ك): «الكتاب العزيز المبين»، وفي (د): «القرآن المبين الحكيم»، وفي (ط): «الكتاب المتين الحكيم».

(٢) في (د): «المبين».

(٣) «حق» أُثبِتت من (ب، ك).

(٤) في (ك): «قرآنه».

(٥) من هنا إلى قوله: «وسميته درة التنزيل وغرة التأويل» سقط من (د).

(٦) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «ممّا».

(٧) في (ب، ك): «درايته».

(٨) أي: نظرٌ وتفكيرٌ، قال في اللسان (١٤: ٣٥٠ روي): «الرَّويّة في الأمر: أن تنظر ولا تعجل... والروية: التفكير في الأمر».

(٩) هكذا في (أ)، وفي النسخ الأخرى: «المنغلقة».

(١٠) لعلّ المؤلف رحمه الله يريد إذا ورد في الآيات المتكرّرة من القرآن كلماتٌ حروفُها متشابهة، إلا أنها تتّفق أحيانًا، وتختلف أحيانًا أخرى، فإن بعض هذه الكلمات قد يتعلَّق بالمعنى الأصلي للآية، والبعض الآخر قد يُعدَل به عن هذا المعنى إلى معنًى آخر يراد =

إسلام ويب
islamweb.net

وتخصُّ الكلمة[١] بآيتها دون أشكالها[٢]، فعزمتُ عليها بعد أن تأمَّلتُ أكثر كُتُب المتقدِّمين والمتأخِّرين، وفتَّشتُ عن أسرار معاني المتأوِّلين[٣] المحقِّقين المتبحِّرين[٤]، فما وجدتُ أحدًا مِن أهلها بلغ غايةَ كُنْهها، كيف ولم يقرَع بابَها[٥]، ولم يَفْترَّ عن نابها[٦]، ولم يَسفِر عن وجهها؟[٧] ففتقتُ من أكمام[٨]

= أيضًا من الآية، وقد أشار المؤلف إلى النوع الأول من ذلك بقوله: «المتعلِّقة»، كما أشار إلى النوع الثاني منه بقوله: «المنحرفة»؛ أي: المعدول بها عن معنًى إلى معنًى آخر. قال في اللسان (٩: ٤٣ حرف): «حرف عن الشيء يحرِف حَرْفًا وانحرف وتحرَّف واحرَوْرَف: عدل... وإذا مال الإنسان عن شيء يقال: تحرَّف وانحرف واحرورف».

(١) في (ح، خ، ر): «اللفظة».

(٢) يعني أن يكون ذلك مجرى علاماتٍ تزيل إشكالها، وتمتاز بها عن أشكالها.

(٣) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «المؤلفين»، وفي (ع): «المؤوِّلين». ومعنى المتأوِّلين: المفسِّرين، يقال: أوَّلَ الكلامَ، وتأوَّله: فسَّره. لسان العرب (١١: ٣٣ أول).

(٤) أي: المتوسِّعين في العلم، والمتعمِّقين فيه، والمكثرين منه، يقال: استبحر الرجل في العلم والمال وتبحَّر: اتّسع وكثر ماله، وتبحّر في العلم: اتّسع. اللسان (٤: ٤٤ بحر)، والمعجم الوسيط (ص٤٠).

(٥) «ولم يقرع بابها» أُثبِتت من (ك).

(٦) في (ب): «ولم يفترَّ نابها». وهذه الجملة ليست في (ع).

(٧) يقال: افترَّ فلان ضاحكًا؛ أي: أبدى أسنانه، وافترّ عن أسنانه: إذا كشَر ضاحكًا. اللسان (٥: ٥١ فرر)، والنَّاب: السِّنّ بجانب الرَّباعية. ولم يَسفِر عن وجهها؛ أي: ولم يَكشفها. وفي هذه العبارة يريد المؤلف رحمه الله أن يعرِّفنا أنّ ما قام به في كتابه «درة التنزيل» باب لم يقرعه أحد قبله على هذا الوجه من التأليف.

(٨) أي: من المعاني المستترة، قال في اللسان (١٢: ٥٢٦ كمم): «والكُمّة: كلُّ ظرف غَطَّيت به شيئًا وألبسته إياه، فصار له كالغلاف، ومن ذلك أكمام الزرع: غُلُفها التي تخرج منها.. وأكمام النخلة: ما غطّى جُمّارَها من السعف والليف والجِذع».

إسلام ويب islamweb.net

المعاني ما أوقع[١] فرقانًا، وصار لِمُبهَم[٢] المتشابِه وتكرارِ المتكرِّر تبيانًا، ولِطعن الجاحدين ردًّا، ولِمسلك المُلحِدين سدًّا، وسمَّيتُه «درة التنزيل وغرة التأويل»[٣].

وليس على الله بأمر مُنكَر[٤] مُستبدَع أن يُعثِر خاطرَ عبدٍ ربيءٍ[٥]، على كَنز حكمةٍ في القرآن خبيءٍ[٦]، أو يبلِّغه في لطيف من لطائف[٧] كلامه حدًّا، لا يبلغه أحدٌ[٨]، وإن كان أوحدا[٩]. فإذا عرفتم ما نحوناه من سَنَن الآثار أمنتُم عند القراءة مخاوف[١٠] العِثار، ثمّ تطَّلعون بعده على علومٍ تبدو[١١] للنفس، وتحتقرون معها بيان اللَّبس، وترون ممالك لم تملكها قبلكم أمّة، ومسالك لم تجُلْ في مدارجها همّة، فتعلمون أنّ كلام الله ـ جلَّ ذكره وعلا شأنُه وأمرُه ـ بحرٌ لا تُستنفَد[١٢] جواهره، وذو عجائب لا تُستدرَك بواطنه وظواهره، وذو

---

(١) في (ح، خ، ر): «وقع».

(٢) في (أ، ب، ك): «المبهم»، وفي (ع): «وأصار المبهمَ»، والمثبت من (ح، خ، ر، س).

(٣) في (ك): «كتاب درة التنزيل وغرة التأويل».

(٤) في (أ، ب، ك، ع): «وليس لله بمنكر»، والمثبت من (د).

(٥) الربيء: الطليعة الذي يرقب العدوَّ من مكانٍ عالٍ لئلا يدهَم قومَه، وحكى سيبويه في العين الذي هو الطليعة: أنه يُذكَّر ويُؤنَّث، فيقال: ربيءٌ، وربيئةٌ. يُنظر: لسان العرب (١: ٨٢ ربأ)، والمعجم الوسيط (ص٣٢١).

(٦) أي: خفيّ ومستتر.

(٧) في (ك): «من لطيف».

(٨) في (ع): «لا يبلِّغه أحدًا».

(٩) الألف هنا للإطلاق.

(١٠) في (أ، ك): «مخوف»، والمثبت من (ب). وفي (د): «مخوف العثار، وسألت الله تعالى لإتمامها، وبالله التوفيق». والكلام بعد هذا إلى الآية الأولى من سورة البقرة سقط من (د). والعِثار مصدر عثر، بمعنى الكبوة. القاموس المحيط (ص٥٦٠).

(١١) في (ك): «تبدر».

(١٢) في (ب): «لا تستعدّ».

إسلام ويب islamweb.net

عمقٍ لا يُبلَغ آخرُه، وذو طُولٍ[١] وعرضٍ لا يقطَعه[٢] مُزاخِرُه[٣]، وهو المَغْنم[٤] الذي مَن حازه ظفِرت يداه، ولم يجزَع لفوت ما عداه، فالدنيا قد تتبرَّج[٥] بزخارفها، وتخدَع نفسَ عارفها، إلا نفسًا غلب نورُ قلبها[٦] ضياءَ بصرها، وتصوَّرت[٧] العواقبَ من ثمرها، لا البواديَ من زهرها، وشوَّهتْ[٨] ما تناظر منها بالفكر في قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]، فلا تحزنُ إن أجدبت[٩] مراعيها المنتجَعة[١٠]، ولا إن زُوِيت[١١] عنها عواريها المرتجَعة.

فحقُّ مَن دلَّكم عليه أن تدعوا[١٢] له بالمغفرة[١٣] والرحمة، والمعونة

---

(١) من هنا إلى قوله: «وحقّ مَن يدلك..» سقط من (ك).

(٢) في (أ): «لا تقطعه»، والمثبت من (ب).

(٣) أي: مُفاخِره، والمُزاخِر اسم فاعل من زاخره، قال في اللسان (٤: ٣٢١ زخر): «زاخَرْتُه فزخرْتُه، وفاخرتُه ففخرْتُه»، وفي (أ): «لا تقطعه»، وفي (ك) نقص في العبارة.

(٤) أي: الغنيمة، وفي (ب): «الغيم»، وهو خطأ، وفي (ط، ع): «الغنم».

(٥) في (ب): «تبرَّج».

(٦) «نور قلبها» ليست في (ب، ك)، وفي (أ): «نوم»، والمثبت من (خ، ر).

(٧) في (ب): «ونصرت»، وهو خطأ، وفي (ع): «وتصوَّر».

(٨) أي: النفس، والتشويه: التقبيح. وفي (ع): «وشوَّه».

(٩) أي: يَبست لعدم وجود الماء.

(١٠) هكذا في (ب، ك)، وفي (أ): «المنجعة». قلت: والمراعي جمع المرعى، والمرعى: موضِع الرعي. وأما المنتجعة فقال في اللسان (٨: ٣٤٧ نجع): «التنجُّع والانتجاع والنُّجْعة: طلبُ الكلأ ومساقطِ الغيث، وفي المثل: من أجدب انتجع... ويقال: نجعتِ الإبلُ والغنمُ المرتعَ وانتجعته». والمعنى: المراعي التي كانت مطلوبة لخضرتها قبل ذلك.

(١١) أي: نُحِّيت عنها وأُبعِدت منها.

(١٢) في (ب): «أن يدعوا».

(١٣) في (أ): «بالمغفرة عنه».

إسلام ويب islamweb.net

على شكر ما أَوْلى من النعمة، شغلنا الله بالحقِّ عمّا يُلهي من أحوال العاجلة، وبالعمل على ما يهوِّن أهوال الآجلة، إنّه لطيف قريب، سميع مجيب.

ومن الآن أبيِّن الطريق الذي سلكتُه، وأُفضِي به[١] إلى عِلمِ ما عرفتُه، وأذكر ما نبَّهني على علمٍ[٢] ما ادَّعيتُه، لأُريكم مثل ما رأيتُه، وبالله التوفيق، وبه أستعين[٣]، وهو حسبي ونعم الوكيل.

(١) في (ع): «بي».
(٢) ليست في (ع).
(٣) في (ع): «وبالله أستعين» بدل «وبالله التوفيق، وبه أستعين».

إسلام ويب
islamweb.net

[سورة البقرة](١)

[١] [الآية الأولى](٢):

فأول آية ابتدأتُ بها قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾(٣) [البقرة: ٣٥].

وقال في سورة الأعراف [١٩]: ﴿وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾(٤).

فعطف ﴿كُلَا﴾ على ﴿ٱسْكُنْ﴾ بالفاء في هذه السورة(٥)، وعطفها عليه في سورة البقرة بالواو.

والأصل في ذلك أنّ كلَّ فعل عُطِف عليه ما يتعلَّق به تعلُّقَ الجواب بالابتداء، وكان الأول مع الثاني بمعنى الشرط والجزاء، فالأصل فيه عطفُ

(١) هذه الزيادة غير موجودة في النسخ المعتمدة، وقد جاء في (خ، ر): «فأول ذلك في سورة البقرة: الآية الأولى قوله تعالى:..»، وفي (ع): «سورة البقرة ثلاث وعشرون آية». قلت: يقصد المؤلف بالآية الأولى الآيةَ الأولى في تناوُله، لا في موقعها من السورة.

(٢) هذه الزيادة أيضًا غير موجودة في النسخ المعتمدة، وقد أثبتُّها لكون المؤلف رحمه الله درج عليها فيما بعدُ.

(٣) في (ك): «﴿وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾».

(٤) «﴿وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾» ليست في (ك).

(٥) أي: في سورة الأعراف.

إسلام ويب islamweb.net

الثاني على الأول بالفاء دون الواو[١]، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ [البقرة: ٥٨]، فعطف ﴿كُلُواْ﴾ على ﴿ٱدْخُلُواْ﴾ بالفاء لمّا كان وجود الأكل منها متعلِّقًا بدخولها، فكأنّه قال: إن دخلتموها أكلتم منها، فالدخول مُوصِّل إلى الأكل، والأكل متعلِّقٌ وجودُه بوجوده. يبيِّن ذلك قوله تعالى في مثل هذه الآية من سورة الأعراف: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ [الأعراف: ١٦١]، فعطف ﴿كُلُواْ﴾ على قوله: ﴿ٱسْكُنُواْ﴾ بالواو دون الفاء؛ لأن ﴿ٱسْكُنُواْ﴾ من السُّكنى، وهي المقام مع طول لُبْث. والأكل لا يختصُّ وجودُه بوجوده؛ لأنّ من يدخل[٢] بستانًا قد يأكل منه وإن كان مُجتازًا، فلما لم يتعلَّق الثاني بالأول تعلُّقَ الجواب بالابتداء، وجب[٣] العطف بالواو دون الفاء، وعلى هذا قولُه تعالى في الآية التي بدأتُ[٤] بذكرها: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾[٥].

وبقي أن نُبيِّن[٦] المراد بالفاء في قوله تعالى: ﴿فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾[٧] مِن سورة الأعراف [١٩] مع عطفه على قوله: ﴿ٱسْكُنْ﴾ وهو أنّ «اسكن» يقال[٨] لمن دخل مكانًا، فيراد به[٩]: الزَم المكان الذي دخلْتَه ولا تنتقل منه[١٠]،

(١) «دون الواو» أُثبتت من (ك).
(٢) في (ب، ك): «دخل».
(٣) في (أ): «فوجب».
(٤) في (ب، ك): «بدأنا».
(٥) «﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾» ليست في (ب، ك، ع).
(٦) «نبين» غير واضحة في (ب).
(٧) أول الآية: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾.
(٨) في (ب): «ويقال».
(٩) في (ك): «منه».
(١٠) في (ك): «عنه».

إسلام ويب islamweb.net

ويقال أيضًا لمن لم يدخله[١]: اسكن[٢] هذا المكان، يعني: ادخلْه واسكنه، كما تقول لمن تعرض عليه دارًا ينزلها[٣] سكنى فتقول: اسكُن هذه الدار فاصنع[٤] فيها ما شئتَ من[٥] الصناعات، معناه: ادخلْها ساكِنًا لها فافعل فيها كذا وكذا، فعلى هذا الوجه قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا﴾ بالفاء. فالحمل[٦] على هذا المعنى في هذه[٧] الآية أولى؛ لأنّه ـ عزَّ من قائل وجلَّ ـ قال لإبليس: ﴿ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الأعراف: ١٨]، فكأنه قال لآدم: اسكُنْ[٨] أنت وزوجُك الجنة؛ أي: ادخل[٩]، فيقال[١٠]: اسكن، يعني: ادخل ساكنًا؛ ليوافق الدخولُ الخروجَ، ويكون أحد الخطابين لهما قبل الدخول، والآخر بعده[١١]؛ مبالغةً في الإعذار، وتأكيدًا[١٢] للإنذار، وتحقيقًا لمعنى قوله[١٣] عز وجلَّ: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥].

---

(١) في (ب، ع): «لمن يدخله».
(٢) في (ب): «ادخل»، وهو خطأ.
(٣) في (ب): «سواها» بدلًا من «ينزلها»، وهو خطأ.
(٤) في (ك): «واصنع».
(٥) «فيها ما شئت من» ليست في (ب).
(٦) في (أ، ب، ع): «الحمل»، والمثبت من (ح، خ، ر، س).
(٧) في (ب): «سورة» بدل «هذه»، وهو خطأ.
(٨) في (ب، ك، ع): «ادخل».
(٩) «أي: ادخل» ليست في (ب، ك، ع).
(١٠) في (ب، ك، ع): «فقال».
(١١) هنا ذكر الكرماني في كتابه البرهان (ص١٢٠) رأيَ الخطيب، وقال: «والخطيب ذهب إلى أن ما في الأعراف خطاب لهما قبل الدخول، وما في البقرة بعد الدخول».
(١٢) في (ع): «وتوكيدًا».
(١٣) في (أ، ع): «وتحقيقًا لقوله عز وجل»، والمثبت من (ب، ك).

إسلام ويب islamweb.net

[٢] الآية الثانية:

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٤٨].

وقال في هذه السورة بعد العشرين والمئة[١]: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ١٢٣].

فقدَّم في الأولى قبول الشفاعة على أخذ الفِدية، وفي الثانية قبول الفِدية على نفع الشفاعة.

والوجه في الأول[٢] أنّه لمّا قال: ﴿لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا﴾ بمعنى: لا يغني أحد عن أحد فيما يلزَمه من العقاب، ولا يكفِّر سيئاتِه ما له من الثواب، وهو كقوله عزَّ من قائل: ﴿وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [لقمان: ٣٣]، فهذه[٣] الأشياء التي ذُكِر في هذه الآية امتناعُ وقوعها في الآخرة أربعة أنواع تُتَّقَى[٤] بها المكاره، وتُتداوى[٥] بها الشدائد، ألا ترى العرب إذا دُفِع أحدهم[٦] إلى كريهة، وارتهنت نفسُه بعظيمة، وحاولت أعِزَّتُه دفاعَ ذلك عنه[٧]، وتخليصَه[٨] منه، بدأت[٩] بما في

(١) في (ك): «بعد المئة والعشرين».
(٢) في (ح): «في الأولى».
(٣) في (ك): «وهذه».
(٤) في أكثر النسخ: «تتلقى»، والمثبت من (ح، خ، ر، س).
(٥) في (أ، ب، ك): «تداوى»، والمثبت من (ح، خ، ر، س).
(٦) في (ك): «إذا وقع أحدها».
(٧) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «منه».
(٨) في (ب): «وتخلصه».
(٩) في (ط): «بذلت».

إسلام ويب
islamweb.net

نفوسها الأبيّة[١]، من مقتضى الحَمِيّة، فذبَّت عنه كما يذُبُّ الوالدُ عن ولده، بغاية قُوّته وجَلَدِه[٢]، فإن رأى مَن لا قِبَل له بممانعته، ولا يَدَ له بمدافعته، عاد بوجوه الضراعة، وصنوف المسألة والشفاعة، فحاول بالمُلاينة[٣] ما قصُر عنه بالمُخاشنة[٤]، فإن لم تُغنِ عنه الحالتان[٥]، ولم تُنجِه[٦] الخَلَّتان[٧] من[٨] الخشونة واللين[٩]؛ لم يبقَ بعدهما إلا فداء الشيء بمثله، وفكُّه من الأسر[١٠] بعدْله[١١]، إمّا بمال[١٢] وإمّا بغيره[١٣].

فإن لم تُغنِ عنه[١٤] هذه الثلاثة[١٥] في العاجلة، .....

(١) قال في المصباح (١: ٣): «أبى الرجل يأبى إباءً وإباءةً: امتنع، فهو آبٍ وأبيٌّ».
(٢) الجَلَد ـ محركة ـ: الشِّدة والقوة. القاموس المحيط (ص٣٤٩ جلد).
(٣) أي: باللين، وفي القاموس المحيط (ص١٥٩٠ لين): «لاينه ملاينة ولينًا: لان له».
(٤) أي: بالخشونة، وفي المصدر السابق: «وخاشنه: ضد لاينه».
(٥) هما الدفاع بواسطة النفس، والدفاع بواسطة الشفاعة.
(٦) «ولم تنجه الخلتان» ليست في (ك).
(٧) الخَلَّة: الخَصلة، وجمعها: خِلال. القاموس المحيط (ص١٢٨٥ خلل).
(٨) في (ب): «بين»، وهو خطأ.
(٩) في (أ، ر، ع): «والليان»، والمثبت من (ب، ك).
(١٠) في (ب): «من الأسرة».
(١١) أي: بفدائه، والعدل: الفداء. القاموس المحيط (ص١٠٣٠ عدل).
(١٢) في (ك): «إمّا مال».
(١٣) في (أ): «غيره».
(١٤) «عنه» ليست في (ب، ك).
(١٥) الثلاثة هي: **أولًا**: أن يغني أحد عن أحد، وذلك في قوله تعالى: ﴿لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا﴾ وعبَّر عن ذلك بالخشونة، وهذا أول أسلوب يُستخدَم في الذب عمن يراد الذب عنه. **وثانيًا**: أن يسأل شفاعة الشافعين، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ﴾ وعبَّر عن ذلك باللين. **وثالثًا**: أن يختار طريق الفداء، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ﴾ =

إسلام ويب islamweb.net

تعلَّل بما يرجوه من[١] نصر في الآجلة، وإدالة[٢] في الخاتمة، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ [الحج: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣] على أحد وجوه التفسير[٣]، فأخبر الله تعالى أن ما يغني في هذه الدنيا[٤] عن المجرمين، ويترتَّب[٥] هذه المراتب بين العالمين، لا يغني منه[٦] شيء في الآخرة عن الظالمين.

والفائدة في قوله تعالى في الآية الثانية وتقديم الفِدية[٧] على نفع[٨] الشفاعة هي: أنه لمّا قال: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ ـ ومعناه ما ذكرنا ـ عقَّبه[٩] بنفي الفداء؛ لأن النفس تجزي عن النفس بفداءٍ مؤقَّت يرتهن[١٠] عنها مدةً معلومة، ولا يكون[١١] بعد ذلك فداءٌ يفكُّ الرهن ويخلِّصه من التَّبِعات[١٢]، فيكون معنى ﴿لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾: لا تغني عنها

= وعبَّر عن ذلك بفداء الشيء بمثله.

(١) في (أ): «في».

(٢) الإدالة: الغلبة. القاموس المحيط (ص١٢٩٣ دول)، وفي (أ): «وإذالة».

(٣) في ذلك وجهان: نصره في الدنيا، ونصره في الآخرة.

(٤) في (أ): «الدار».

(٥) في (ك): «ومرتب»، وفي (أ، د): «وتترتب»، وفي (ب): «وترتّب»، والمثبت من (خ، ر).

(٦) في (أ): «شيء منه».

(٧) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «وتقديم قول الفدية».

(٨) في (ب): «نفي».

(٩) جواب «لمّا قال».

(١٠) في (ر): «ترتهن».

(١١) في (ع): «ويكون»، وفي (أ، ب، ك): «ويكون بعد ذلك قد انفك الرهن وتخليصه من التبعات». وفي (ب): «تخلصه»، والمثبت من (ر، س).

(١٢) التَّبِعات جمع التَّبِعة ـ على وزن كَلِمة ـ: ما اتَّبعتَ به صاحبَك من ظُلامة ونحوها، =

إسلام ويب islamweb.net

بفداء محصور بوقت، ولا بفداء يخلِّصه[١] على وجه الدهر[٢]، ويكون بعد ذلك ﴿وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ﴾ معناه: ولا تخفِّف[٣] مسألةٌ من عذابها، ولا ينقُص شفيعٌ من عقابها، ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾[٤]، وهو الوجه الرابع الذي ذكرناه[٥] أخيرًا في شرح الآية المتقدِّمة.

[٣] الآية الثالثة:

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٩].

وقوله عزَّ من قائل في سورة إبراهيم عليه السلام [٦]: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾.

فأدخل الواو في قوله[٦]: ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾[٧] في سورة إبراهيم، وحذفها منه في سورة البقرة، [و][٨] جعل ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ بدلًا من قوله: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾.

= والتَّبِعة والتِّباعة: ما فيه إثم يُتَّبع به. لسان العرب (٨: ٣٠ تبع).

(١) في (ب): «مخلّصه».

(٢) في (أ، ب، ع): «على وجه الرهن»، والمثبت من (ق، ك).

(٣) في (أ): «ولا تخفف عنها».

(٤) «﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾» ليست في (ع).

(٥) في (أ، ب): «ذكرنا»، والمثبت من (ك).

(٦) «قوله» أُثبِتت من (ك).

(٧) في (ك): «ويذبحون» وليس فيها «أبناءكم».

(٨) زيادة يقتضيها المقام.

إسلام ويب islamweb.net

والقول في ذلك: أنّه إذا جعل ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ بدلًا من قوله: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ لم يحتَج إلى الواو، وإذا جُعِل[١] قوله[٢]: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ عبارةً عن ضروبٍ[٣] من[٤] المكروه هي غير[٥] ذبح الأبناء، لم يكن الثاني إلا بالواو، وفي الموضعين يُحتمَل الوجهان[٦]، إلا أنّ الفائدة التي تجوز[٧] أن تكون[٨] خُصِّصت لها الآية في سورة إبراهيم بالعطف[٩] بالواو[١٠]، هي[١١] أنّها[١٢] وقعت هنا[١٣] في خبر قد[١٤] ضُمِّن خبرًا متعلِّقًا به؛ لأنّه قال قبله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥]، ثم قال: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ فضَمَّن[١٥] إخبارَه[١٦] عن

---

(١) في (ر): «ولما جُعل».
(٢) «قوله» زِيدت من (ك، ر).
(٣) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «ضرر»، وهو خطأ.
(٤) «مِن» أُثبِتت من (ك).
(٥) «غير» ساقطة من (أ). وفي (ع): «من» بدل «هي غير».
(٦) في (أ، ب، ع): «الوجهين»، والمثبت من (ك).
(٧) في النسخ المعتمدة: من دون التحتانية والفوقانية، وفي (ح، ع): «يجوز».
(٨) في (ع): «يكون».
(٩) هكذا في أكثر النسخ، وفي (ب): «العطف» من دون حرف الجر.
(١٠) قال السمعاني في تفسيره (ص٦٣): «قال في موضع بغير الواو وقال هاهنا بالواو؛ ذِكرُ الواو يقتضي أنه سبق الذبحَ عذابٌ آخر، وتركُ الواو يقتضي أن العذاب هو الذبح». وقد أشار إلى هذا المعنى الفراء في معاني القرآن (٢: ٦٩).
(١١) في (ب، ك): «وهي».
(١٢) في (ك): «أنما».
(١٣) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «نفيًا»، ولا وجه له.
(١٤) «قد» ليست في (أ).
(١٥) في (ك): «وضمن».
(١٦) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «وإخباره»، وفي (ب): «إخبار»، بإسقاط الهاء، =

إسلام ويب islamweb.net

إرساله[١] موسى بآياته إخبارَه[٢] عنه[٣] بتنبيهه[٤] قومه على نعمة الله ودعائهم إلى[٥] شكرها، فكان قوله: ﴿وَيُذَبِّحُونَ﴾ في هذه السورة[٦] في قصة مُضمَّنة قصةً تتعلَّق بها، هي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾.

و[٧] القصة المعطوفة على مثلها يَقْوَى[٨] معنى العطف فيها فيُختار[٩] فيما كان يجوز فيه العطفُ[١٠] على سبيل الإيثار، لا على سبيل الجواز، وليس كذلك موقع ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ في الآية التي في سورة البقرة؛ لأنه تعالى أخبر عن نفسه بإنجائه بني إسرائيل، وهناك[١١] أخبر عن موسى عليه السلام أنه قال لقومه كذا، بعد أن أخبر عنه أنه أرسله إليهم بآياته؛ فافترق الموضعان من هذه الجهة[١٢].

[٤] الآية الرابعة:

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ۞

= وفي (ر): «إيثاره».

(١) في (أ، ب): «عن إرسال»، والمثبت من (ك، ح، ر).

(٢) «إخباره» غير واضحة في (أ)، وقوله: «إخباره عن» ساقط من (ك).

(٣) في (أ، ب، ع): «عن»، والمثبت من (ر).

(٤) في (ب، ك، ع): «تنبيهه»، والمثبت من (ح، ر)، وهي غير واضحة في (أ).

(٥) في (ب): «على».

(٦) أي: في سورة إبراهيم.

(٧) «الواو» ليست في (ب).

(٨) في (أ، ب، ك): «تقوى»، والمثبت من (ق).

(٩) أي: العطفُ.

(١٠) في (ب، ك): «العطف العطف».

(١١) أي: في الآية [٦] من سورة إبراهيم.

(١٢) في (ك): «من هذا الوجه»، وفي (ر): «من هذه الوجوه».

إسلام ويب islamweb.net

فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا﴾[١] [البقرة: ٥٨، ٥٩].

ففي[٢] هذه الآية ـ إذا ما ذُكِرت[٣] ـ ست مسائل إذا قوبلت بالآية التي[٤] تشابهها[٥] من سورة الأعراف، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قِيلَ لَهُمُ ٱسۡكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ وَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ وَقُولُواْ حِطَّةٞ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطِيٓـَٰتِكُمۡۚ سَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۞ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ قَوۡلًا﴾[٦] [الأعراف: ١٦١، ١٦٢].

فالمسألة الأولى عطف[٧] ﴿كُلُواْ﴾ على ما قبله بالفاء في سورة البقرة، وبالواو في سورة الأعراف، وهذه قد مرَّ الكلام[٨] فيها مستقصًى في قوله تعالى: ﴿وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾[٩] [البقرة: ٣٥].

وأمّا **المسألة الثانية**[١٠] فجمعه[١١] للخطيئة[١٢] على «الخطايا» في سورة البقرة، وعلى «الخطيئات» في سورة الأعراف على قول أكثر القراء[١٣].

---

(١) «﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا﴾» سقطت من (ك). والآية في (ع) من أول قوله: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٞ﴾.

(٢) في (ك): «في هذه الآية» من دون الفاء. (٣) «إذا ما ذكرت» ليست في (ك، ر).

(٤) في (ك): «بالتي». (٥) هكذا في أكثر النسخ، وفي (ب): «تشبهها».

(٦) في (أ): «ظلموا قولًا»، بإسقاط «منهم»، والمثبت من (ح).

(٧) في (ب، ع): «عطفه». (٨) انظر من هذا الكتاب (١: ٢٠٦).

(٩) من قوله: «في قوله تعالى: ﴿وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ﴾» أُثبت من (ك).

(١٠) في (أ): «والمسألة الثانية»، والمثبت من (ب، ك).

(١١) «فجمعه» سقطت من (ك). (١٢) في (ح، ك، ع): «الخطيئة».

(١٣) هم ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي كما في زاد المسير (٢: ٢٧٦)، وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب بجمع السلامة ورفع التاء: ﴿خطيئاتُكم﴾، وقرأ أبو عمرو: ﴿خطاياكم﴾ على وزن عطاياكم. يُنظَر: كتاب السبعة لابن مجاهد (ص٢٩٥)، وكتاب الإقناع في القراءات =

إسلام ويب islamweb.net

وأما[١] **المسألة الثالثة:** زيادة[٢] ﴿رَغَدًا﴾ في سورة البقرة، وحذفه له[٣] في سورة الأعراف.

وأما **المسألة الرابعة:** تقديم[٤] ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ في سورة الأعراف، وتأخيره في سورة البقرة.

والمسألة الخامسة: إدخاله الواو على ﴿سَنَزِيدُ﴾[٥] في هذه السورة، وإسقاطها منها في سورة الأعراف.

والمسألة السادسة: زيادة ﴿مِنْهُمْ﴾ في سورة[٦] الأعراف في قوله[٧]: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾[٨]، وسقوطها[٩] من الآية في سورة البقرة[١٠].

فأمّا الكلام في «الخطايا» واختيارها في سورة البقرة فلأنها[١١] بناءٌ موضوع[١٢] للجمع الأكثر، و«الخطيئات» جمع السلامة وهي للأقل. الدليل على ذلك أنك إذا صغَّرت الدراهم قلت: دُرَيْهمات، فتردُّها إلى الواحد، وتصغِّره ثم تجمعه على لفظ القليل الملائم للتصغير، وكذلك الخطايا،

= السبع لابن خلف (٢: ٦٥٠)، والكشف عن وجوه القراءات السبع للقيسي (١: ٤٨٠)، والنشر في القراءات العشر لابن الجزري (٢: ٢٧٢).

(١) في (ك) تقديم وتأخير هنا.
(٢) في (ب): «زيادته»، وفي (ع): «فزيادة».
(٣) «له» أُثبتت من (ك).
(٤) في (ع): «فتقديم».
(٥) في (ك): «سنزيد المحسنين».
(٦) «سورة» أُثبتت من (ك).
(٧) «قوله» أُثبتت من (ك).
(٨) في (ك): «﴿مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾».
(٩) في (أ، ع): «وسقوطه»، والمثبت من (ق)، وهي سقطت من (ب، ك).
(١٠) في (أ، ع): «في سورة البقرة منها»، وفي (ب): «وسورة البقرة منها»، والمثبت من (ك، ح، ر).
(١١) في (ر): «فإنها».
(١٢) في (أ): «معوض»، وهو خطأ.

إسلام ويب islamweb.net

لو صُغِّرتَ[١] لَقلتَ: خُطَيْئات[٢]، فرددتَها إلى «خَطِيئة» ثم صغَّرتها على «خُطَيْئة»[٣] ثم جمعتها[٤] جمع السلامة الذي هو على حدِّ التثنية المُنبئ[٥] عن العدد الأقل[٦] من الجمع، فإذا ظهر الفرق بين الخطايا والخطيئات، وكان هذا الجمع المكسَّر موضوعًا[٧] للكثير، والمسلَّم[٨] موضوعًا[٩] للقليل؛ استعمل[١٠] لفظ الكثير في الموضع الذي جعل الإخبار فيه عن نفسه بقوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ﴾، وشرَط لمن قام بهذه الطاعة ما يشرِطه[١١] الكريمُ إذا وعد من مغفرته[١٢] الخطايا كلَّها، وقرَن إلى الإخبار عن نفسه ـ جلَّ ذكره ـ ما يليق بجُوده وكرمه، فأتى[١٣] باللفظ الموضوع للشمول فيصير كالتوكيد بالعموم لو قال: نغفر[١٤] لكم خطاياكم كلَّها أجمع[١٥].

ولمّا لم[١٦] يُسنِد الفعلَ في سورة الأعراف إلى نفسه ـ عزَّ اسمه ـ وإنما قال: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ فلم يُسمِّ الفاعل؛ أتى بلفظ

---

(١) في (ك): «لو صغرتها».
(٢) في (ع): «خُطَيَّات».
(٣) في (ع): «خُطَيِّة».
(٤) في (ر): «تجمعها».
(٥) في (أ، ع): «المبنية على العدد..»، وفي (ك): «المبني..»، والمثبت من (ح، خ).
(٦) هكذا في أكثر النسخ، وفي (ب): «الأول».
(٧) في (أ، ب، ك): «موضوعه»، والمثبت من (ح، خ، ر).
(٨) يعني جمع المؤنث السالم.
(٩) في (أ، ب، ك، ع): «موضوعه»، والمثبت من (ح، خ، ر).
(١٠) «استعمل» جواب إذا.
(١١) في (ر): «ما يشترطه».
(١٢) في (ب، ع): «مغفرة».
(١٣) في (أ، ع): «وأتى».
(١٤) في (أ، ب): «يغفر»، والمثبت من (ر).
(١٥) في أكثر النسخ: «جُمَع»، وفي (ك): «جُمَعًا»، والمثبت من (خ).
(١٦) «لم» سقطت من (ر).

إسلام ويب islamweb.net

«الخطيئات»، وإنْ كان المراد بها الكثرة[١] كالمراد[٢] بالخطايا، إلا أنه أتى في الأول لمّا ذُكِر الفاعل بما[٣] هو لائق بضمانه من اللفظ، ولما لم يُسمِّ الفاعل في الثاني في[٤] سورة الأعراف، وضَع اللفظ[٥] غير موضعه للفرقان بين ما يؤتى به على الأصل وبين ما يُعدَل عنه إلى الفرع.

والمسألة الثالثة[٦] في الإتيان بقوله: ﴿رَغَدًا﴾ في هذه السورة، وحذفها في سورة الأعراف؛ فالجواب[٧] عنها كالجواب[٨] في الخطايا والخطيئات؛ لأنه لما أسند الفعلَ إلى نفسه تعالى كان اللفظ بالأشرف الأكرم[٩]، فذكر معه الإنعام الأجسم، وهو أن يأكلوا رغدًا[١٠]، ولما لم يُسنِد الفعلَ في سورة الأعراف إلى نفسه، لم يكن مِثلَ الفعل الذي في سورة البقرة، فلم يذكُر معه ما ذكَر فيها من الإكرام الأوفر، وإذا[١١] تقدَّم اسمُ[١٢] المُنعِم الكريم اقتضى ذِكرَ

---

(١) في (ع): «الكثيرة».
(٢) في (أ، ع): «كما المراد».
(٣) في (ر): «ما».
(٤) في (ك): «من».
(٥) هو لفظ «الخطيئات».
(٦) في (ك): «المسألة الرابعة في هذه الآية حذف قوله: ﴿رَغَدًا﴾ في سورة الأعراف، والإتيان به في سورة البقرة».
(٧) في (ك، ع): «والجواب».
(٨) في (ك): «نحو الجواب».
(٩) في (أ): «كان اللفظ الأشرف الأكرم»، وفي (ك): «كان اللفظ اللفظ الأشرف»، وفي (خ): «كان اللفظ لفظ الأشرف الأكرم»، وفي (ع): «كان اللفظ اللفظ الأشرف الأكرم»، والمثبت من (ح).
(١٠) أي: أكلًا واسعًا طيبًا، وفي المفردات للراغب (ص١٩٨): «عيش رغد ورغيد: طيب واسع».
(١١) في (ك): «فإذا».
(١٢) يعني بالاسم هنا نون العظمة «نا» في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ﴾؛ لأنه لم يتقدَّم شيء من الأسماء الحسنى.

إسلام ويب islamweb.net

نعمته الكريمة[١].

والمسألة الرابعة[٢] في هذه الآية[٣]: تقديم قوله عزَّ من قائل: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾، وتأخيره في سورة البقرة عن قوله: ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا﴾[٤]، والجواب عن ذلك مما يُحتاج إليه في مواضع من القرآن في مِثل[٥] هذه الآية[٦] التي قصَدنا الفرق[٧] بين مُختلِفاتها: وهو أن ما أخبر الله تعالى به من قصة موسى عليه السلام وبني إسرائيل وسائر الأنبياء صلوات الله عليهم، وما حكاه[٨] من قولهم و[٩] قوله عز وجل لهم، لم يقصِد إلى حكاية الألفاظ بأعيانها، وإنما قصَد إلى اقتصاص معانيها، وكيف لا يكون كذلك واللغةُ التي خُوطبوا بها غيرُ العربية؟ فإذًا حكاية اللفظ زائلة وتبقى حكاية المعنى، ومَن قصَد حكاية المعنى[١٠] كان مخيَّرًا بأن يؤدِّيه بأيِّ لفظ أراد، وكيف شاء من تقديم وتأخير بحرف لا يدل على ترتيب كالواو، ولو[١١] قصد حكاية اللفظ ثم وقع في المحكيِّ اختلافٌ لم يجُز، ولو قال قائل حاكيًا عن غيره: قال فلان: زيد وعمرو ذهبا، وكان هذا لفظًا محكيًّا، ثم قال ثانيًا قاصدًا إلى حكاية هذه اللفظة من كلامه: عمرو وزيد ذهبا؛ لم يجُز له ذلك؛ لأنه غيَّر قوله وأخَّر ما

---

(١) من قوله: «وإذا تقدَّم اسم المنعم» إلى هنا أُثبِت من (ب، ك).
(٢) في (ك): «والمسألة الخامسة».
(٣) أي: آية سورة الأعراف.
(٤) من قوله: «وتأخيره...» إلى هنا سقط من (أ، ب)، والمثبت من (ك).
(٥) «مثل» أُثبِتت من (أ).
(٦) في (ك): «الآيات».
(٧) في (ك): «للفرق».
(٨) في (ك): «وحكاه»، وفي (أ): «ومما حكاه».
(٩) الواو أُثبِتت من (ك).
(١٠) «المعنى» ليست في (أ).
(١١) «ولو» سقطت من (ب).

إسلام ويب islamweb.net

قدَّمه، وإن[١] قصَد حكاية المعنى كان ذلك[٢] مرخِّصًا له.

والمسألة الخامسة[٣] في هذه الآية: إثبات الواو في قوله: ﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٤] في هذه السورة، وحذفها في سورة الأعراف منها، فالفرق[٥] بين الموضعين المؤثِّرُ في الموضع الذي يُقصَد[٦] الفرقُ فيه[٧] دقيقٌ، وهو أن قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ ﴿ٱدْخُلُواْ﴾ في موضع المفعول من ﴿قُلْنَا﴾، والمفعول يكون مفردًا، ويكون مكانَه جملةٌ، والفاعل عند البصريِّين لا يكون إلا مفردًا، ولا تصح الجملةُ مكانَه[٨]، وكذلك[٩] يقولون في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُاْ ٱلْأَيَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ﴾ [يوسف: ٣٥] إن فاعل ﴿بَدَا﴾ هو البَداء الذي دلَّ عليه الفعل؛ لأن الفعل دالٌّ على مصدره[١٠]، وكذلك[١١] قوله: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ [السجدة: ٢٦]، فاعل ﴿يَهْدِ﴾ عندنا مفرد محذوف[١٢]، وعند الكوفيِّين تصح الجملة أن تقوم مَقام الفاعل.

---

(١) في (ك): «فإن».
(٢) «ذلك» سقطت من (أ).
(٣) في (ك): «والمسألة الثالثة في هذه الآية حذف الواو من قوله: ﴿سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ في سورة الأعراف، وإثباتها في سورة البقرة».
(٤) في (أ): «سنزيد المحسنين» من دون الواو.
(٥) في (أ): «والفرق».
(٦) في (ر): «نقصد».
(٧) في (ح، خ، ر): «منه».
(٨) هذا رأي المؤلف رحمه الله، وهو اختيار ابن هشام في كتابه شرح شذور الذهب، إذ يقول فيه (ص١٦٧): «أنهما ـ أي: الفاعل ونائب الفاعل ـ لا يكونان جملة، هذا هو المذهب الصحيح».
(٩) في (ح، ر): «ولذلك»، وفي (أ): «كذلك»، والمثبت من (ب).
(١٠) في (أ): «مصدر»، والمثبت من (ك)، وفي (ر): «المصدر».
(١١) في (ر): «كذلك».
(١٢) هو لفظ «الهدي»، والتقدير: أوَلم يهدِ لهم الهدي.

إسلام ويب islamweb.net

فعلى مذهبنا ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ﴾: الذي أُقيم مُقام فاعل ﴿قِيلَ﴾ مفرد لا يصحُّ أن يكون جملة، ولا يجوز أن يكون ﴿ٱسْكُنُواْ﴾ مكانَ الفاعل كما كانت مكانَ المفعول في قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ﴾، فيكون في هذا المقام الفاعلُ لفظًا مفردًا[١] هو «القول» كما كان البَداءُ فاعلَ قوله: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم﴾[٢]، وإذا خرج قوله: ﴿ٱسْكُنُواْ﴾ عن أن يكون فاعلًا، وكان[٣] لفظه[٤] في موضع[٥] الفاعل ولم[٦] يتعلَّق بالفعل الذي قبله تعلُّقَ الفاعل بفعله معنًى[٧]، ولا تعلُّقَ المفعول بفعله الواقع به[٨] في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ﴾؛ صار[٩] كأنه منفصل عن الفعل في الحكم وإن كان متصلًا به في اللفظ. وجواب الأمر الذي هو ﴿ٱسْكُنُواْ﴾ قولُه: ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾، والجواب في حكم الابتداء ينفصل[١٠] كما ينفصل[١١]، ولا دليلَ في اللفظ[١٢] على انفصاله إلا بفصلِ[١٣] ما أصلُه أن يكون متعلِّقًا به بحرف عطف وهو: ﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[١٤]، وحذفِ[١٥] الواو منه واستئنافِه خبرًا مفردًا. وهذه المسألة هي التي غلِط فيها

(١) في (ب): «فعلى هذا التقدير يكون لفظًا مفردًا»، وفي (ك): «فعلى هذا التقدير يكون المقام مقام الفاعل لفظًا مفردًا».
(٢) في (ك): «﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُاْ ٱلْأَيَٰتِ﴾».
(٣) في (ر): «كان».
(٤) في (ك): «لفظ».
(٥) في (ب، ك): «موقع».
(٦) في (ح): «فلم».
(٧) «معنى» سقطت من النسخ المعتمدة، وأُثبتت من (ر).
(٨) هكذا في أكثر النسخ، وفي (ح): «فيه».
(٩) «صار» سقطت من (ب).
(١٠) أي: الجواب.
(١١) أي: الابتداء.
(١٢) «في اللفظ» أُثبتت من (ك).
(١٣) في (ب): «انفصال».
(١٤) في (ب، ك): «سنزيد».
(١٥) في (ك): «وتحذف».

إسلام ويب islamweb.net

أبو سعيد السِّيرافي[١] في أول ما شرَحه من ترجمة «الكتاب»[٢]، وهي قوله: «هذا باب عِلمِ ما الكَلِمُ من العربية»[٣]، وعدّة[٤] الوجوه التي تحتملها هذه اللفظة، وذِكرُه في جملتها: هذا باب أن يعلَم ما الكَلِمُ من العربية، فجعل «ما الكَلِمُ» ـ وهي جملة ـ في موضع الفاعل من[٥] «يعلَم»[٦]، وهذا ما يأباه مذهبُه[٧] ومذهبُ أهل البصرة. وقد أومأتُ[٨] إلى غرضي فيما يجوز أن تكون[٩] الواوُ فيه[١٠] محذوفةً من قوله: ﴿سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ في سورة الأعراف، وثابتةً فيه[١١] في سورة البقرة، فتأمَّلوه[١٢] فإنه مسألةٌ مُشكِلةٌ في النحو؛ تفهَموه إن شاء الله[١٣].

---

(١) هو الحسن بن عبد الله السيرافي، أبو سعيد، إمام النحو، صاحب التصانيف، وله: «أخبار النحويين البصريِّين»، و«شرح كتاب سيبويه» طُبِع منه جزء، توفي سنة (٣٦٨هـ). سير أعلام النبلاء (١٦: ٢٤٨)، والأعلام (٢: ١٩٥).

(٢) أي: كتاب سيبويه، وهو عُرِف بهذا الاسم من قديم الدهر إلى يومنا هذا، قال السيرافي: «وكان كتاب سيبويه لشهرته وفضله عَلَمًا عند النحويِّين، فكان يقال بالبصرة: قرأ فلان الكتاب، فيُعلَم أنه كتاب سيبويه». يُنظَر: أخبار النحويين البصريِّين (ص٥٠)، ونزهة الألباء (ص٧٥).

(٣) ما بين « » كلام سيبويه، وانظر: الكتاب لسيبويه (١: ١٢).

(٤) في (ق): «وعدّه».

(٥) في (أ): «ومن»، بزيادة الواو، وهو خطأ.

(٦) من أول «وعدة الوجوه التي تحتملها» إلى هنا، الكلامُ لأبي سعيد السيرافي، يُنظَر: شرح كتاب سيبويه لأبي سعيد السيرافي (١: ٤٥، ٤٦)، وانظر: كتاب سيبويه (١: ١٢).

(٧) أي: مذهب أبي سعيد السيرافي.

(٨) في (ر): «أومأنا».

(٩) في (أ): «أن تكون له».

(١٠) «فيه» أُثبِتت من (ب).

(١١) «فيه» ليست في (ب).

(١٢) في (ك): «فتأمله إن شاء الله»، وليس فيها: «فإنه مسألة مشكلة في النحو تفهموه».

(١٣) هذا التعليل الذي ذكره المؤلف لا يشفي الغليل في زيادة الواو في سورة البقرة وحذفها =

إسلام ويب islamweb.net

المسألة[١] السادسة في هذه الآية[٢]: قوله تعالى في سورة البقرة[٣]: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ﴾، وفي سورة الأعراف [١٦٢] في هذه القصة: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ﴾.

وللسائل[٤] أن يسأل فيقول: هل في زيادة ﴿مِنۡهُمۡ﴾ في هذه الآية في سورة الأعراف حكمة وفائدة تقتضيانِها ليستا في سورة البقرة؟

والجواب أن يقال: إن قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ وإن لم يذكر فيه «منهم» معلومٌ أن المراد[٥] بالظالمين: الذين ظلَموا من المخاطَبين بقوله: ﴿ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾، ﴿فَكُلُواْ﴾، ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٞ﴾[٦]، فالذين ظلموا من هؤلاء هم الموصوفون بالتبديل، والمغيِّرون لِما قدَّم إليهم من القول، إلا أن في سورة الأعراف معنًى يقتضي زيادة «منهم» هناك ولا يقتضيها هنا[٧]، وهو أن أول القصة في سورة[٨] الأعراف مبنيٌّ[٩] على التخصيص والتمييز بدليل لفظة[١٠]

= في سورة الأعراف، فإنه رحمه الله تعالى ربط هذا الموضوع بمسألة نحوية كانت موضوع جدل بين البصريِّين والكوفيِّين، وهي جواز وقوع الجملة فاعلًا وعدم جواز ذلك، وأرى أن التعليل الذي ذكره المؤلف لحذف الواو في سورة الأعراف إنما بناه على مذهب البصريِّين. وفي هذا نظر؛ لأن القرآن الكريم فيه ما يُستدَلُّ به على مذهب البصريِّين وفيه ما يُستدَلُّ به على مذهب الكوفيِّين. والله أعلم.

(١) في (ك): «المسألة» من دون الواو.
(٢) في (ك): «في هذه الآي».
(٣) في (أ): «في هذه السورة».
(٤) في (ب): «للسائل»، وفي (ك): «فللسائل».
(٥) في (أ): «من المراد».
(٦) هكذا في أكثر النسخ، وفي (ب): «وقوله: حطة»، وهو خطأ.
(٧) في (ك): «في سورة البقرة».
(٨) «سورة» أُثبتت من (ك).
(٩) في (ق): «بني».
(١٠) في (ب، ك): «بلفظة» من دون لفظ «بدليل».

إسلام ويب
islamweb.net

«مِن»؛ لأنه قال تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩]، فذكَر[١] أنّ منهم من يفعل ذلك، ثم عدَّ صنوف إنعامه عليهم، وأوامره لهم، فلما انتهت قال: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾، فأتى في آخر ما حَكى عنهم من مقابلة نِعَم[٢] الله عليهم بتبديلهم[٣] ما قدَّم به القولَ إليهم، فأتى بلفظة «مِن» التي هي للتخصيص والتمييز بناءً على أول القصة التي هي: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ﴾؛ ليكون آخرُ الكلام[٤] لأولِه مُساوِقًا[٥]، وعَجُزُه[٦] لصدره مُطابِقًا، فيكون الظالمون من قوم موسى بإزاء الهادِين منهم، وهناك ذكَر أُمّة هادية عادلة، وهنا ذكَر أُمّة مبدِّلة عادِية مائلة[٧]، وكلتاهما من قوم موسى، فاقتضت التسويةُ في المقابَلة[٨] ذِكرَ[٩] ﴿مِنْهُمْ﴾ في سورة الأعراف.

وأما في سورة البقرة فإنه[١٠] لم تَنبنِ[١١] الآياتُ التي قبل قوله: ﴿فَبَدَّلَ

---

(١) في (ب): «فذكر».
(٢) في (ب): «نعمة».
(٣) في (ب): «تبديلهم».
(٤) من بعد قوله: «ليكون آخر الكلام» إلى آخر الآية الرابعة سقط من نسخة دار الكتب المصرية، والنسخة المطبوعة.
(٥) أي: متابعًا ومسايرًا، وفي اللغة: المساوقة: المتابعة، كأن بعضه يسوق بعضًا. لسان العرب (مادة سوق).
(٦) العجز ـ مثلثة الجيم ـ: مؤخر الشيء. القاموس المحيط (مادة عجز).
(٧) في (ب): «أمة عادية مبدلة مائلة»، وفي (ك): «أمة جائرة عادية».
(٨) المقابلة هي إيراد الكلام، ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة. كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري (ص٣٧١).
(٩) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ، ب): «وذكر».
(١٠) في (أ): «فإن».
(١١) في (ب): «لم نبين»، وفي (خ): «لم يبن»، وفي (ك) من دون نقط، والضبطُ المُثبَت =

إسلام ويب islamweb.net

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا﴾ على تخصيص وتبعيض، فتُحمَلَ الآيةُ الأخيرة على مِثل حالها، ألا ترى أنه قال: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾ [البقرة: ٤٠] ثم تكرَّر[١] الخطابُ لهم إلى أن انتهى إلى قولِه: ﴿وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ﴾ [البقرة: ٥٧]، وقولِه[٢]: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾ [البقرة: ٥٨]، وتعقَّبه[٣] بقوله: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾[٤]؛ فلم يحتَج إلى «منهم» لأنه لم يتقدَّمه ما تقدَّم في سورة الأعراف مما يقتضيها.

[٥] الآية الخامسة:

قوله تعالى في سورة البقرة [٦١]: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ بالألف واللام.

وقال في سورة آل عمران [٢١][٥]: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ﴾ نكرة غير معرفة.

وكذلك[٦] في هذه السورة: ﴿وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٗۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾[٧] [آل عمران: ١١٢].

= بالحركات هو ما يناسب المتعلِّق، وهو قوله: «على تخصيص».

(١) في (أ، ب): «يكون»، وفي (خ): «كرر»، وما أثبتُّه من (ر، ك).

(٢) «وقوله» أُثبِتت من (ك).

(٣) في (ك): «وتعقيبه»، وفي (ح): «ويعقبه».

(٤) في (أ): «﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ﴾» من دون «﴿ظَلَمُواْ﴾».

(٥) في (أ، ب، ك): «وفي سورة آل عمران»، والمثبت من (ر).

(٦) في (ب): «كذلك» من دون الواو.

(٧) في (أ، ب): «﴿وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ﴾»، والتتمة من (ك).

إسلام ويب islamweb.net

والجواب عن ذلك: أن الآية الأولى في سورة البقرة خبرٌ عن قوم عُرِفوا وعُرِفت أفعالهم ومضت[١] أزمنتهم وأحوالهم[٢]، فلما شُهِروا شُهِر[٣] فِعلُهم بوقوعه منهم.

وقيل: «الحق» هو ما قاله الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١٥١]، والحق هو[٤] أن يكون[٥] قتَل نفسًا مؤمنة لم يجب عليها القتل، والقاتلُ[٦] مكلَّف، أو[٧] أن يرتدَّ أو يزني[٨] وهو مُحصَن، فهذا معلوم مُخبَر عنه بلفظ المعرفة، والقتل وقع منهم من غير أن يكون[٩] على الأوجُه الثلاثة المعلومة.

على أن هذه الآية يُسأل عنها[١٠] فيقال: قد كان في قوله: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ كفايةٌ؛ لأنه لا يُقتَل نبي بحق؛ لأنه لا يرتكب واحدًا من الأوجُه[١١] الثلاثة التي تُوجِب القتل.

---

(١) في (خ): «وانقضت».
(٢) «أحوالهم» ليست في (ك).
(٣) في (ب، ك): «وشهر»، وهو خطأ؛ لأن «شهر» جواب «فلمّا»، والمثبت من (خ، س).
(٤) في (أ): «وهو»، والمثبت من (ب، ك).
(٥) أي: القاتل.
(٦) في (أ): «فالقاتل».
(٧) في (ب): «وأن».
(٨) في (أ): «ويزني».
(٩) في (أ): «كان».
(١٠) في (ك): «فيها».
(١١) «الأوجُه» ليست في (أ، ب)، والمثبت من (خ، ر).

إسلام ويب islamweb.net

وعن هذا أجوبة، منها: ما ذكرنا[١]، والآخر أن يقال[٢]: إن المعنى[٣]: أنهم كانوا يقتلونهم من غير أن يقع[٤] منهم ما يُوجِب[٥] عليهم القتلَ عندهم، وفي دينهم، وليس هذا موضعَ ذِكرِ هذه الوجوه، وإنما القصد في هذا المكان إلى التفرقة[٦] بين لفظ[٧] المعرفة والنكرة في الآيتين.

والموضع الثاني الذي نُكِّر[٨] فيه «حق» هو خبرٌ عن قوم يرون ذلك ويعتقدونه ويدينون به، ألا تراه قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١]، هؤلاء قوم لم يَمضُوا ولم ينقرضوا؛ فلذلك قال: ﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٩].

وقال في أول الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ﴾ ولم يقل: «إن الذين كفروا»[١٠]،

---

(١) في (خ): «ما مر».

(٢) على هذا الوجه اقتصر الزمخشري في تفسيره فقال (١: ٢٨٥): «فإن قلت: قتل الأنبياء لا يكون إلا بغير الحق، فما فائدة ذكره؟ قلت: معناه أنهم قتلوهم بغير الحق عندهم؛ لأنهم لم يَقتلوا ولا أفسدوا في الأرض فيُقتَلوا، وإنما نصحوهم ودعوهم إلى ما ينفعهم فقتلوهم، فلو سُئلوا وأنصفوا من أنفسهم لم يذكروا وجهًا يستحقُّون به القتل عندهم». وذهب ابن عطية في تفسيره (١: ٣٢٢) إلى أنَّ في التصريح بقوله: ﴿بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ تعظيمًا لِما فعلوه، وتشنيعًا عليهم.

(٣) «إن المعنى» سقطت من (ب)، وفي (ك): «المعنى»، وفي (خ): «والآخر أن المعنى».

(٤) في (و): «وقع».

(٥) في (ك): «يجب».

(٦) في (ر): «الفرق».

(٧) «لفظ» سقطت من (أ، ب)، وأُثبِتت من (ك).

(٨) في (أ): «تكرر»، وهو خطأ، وفي (ب): «ذكر»، وهو خطأ، والمثبت من (ح، خ، ر، ك).

(٩) من قوله: «هؤلاء قوم لم يمضوا» إلى هنا سقط من (ك).

(١٠) من قوله: «الآية الخامسة» إلى هنا سقط من نسخة دار الكتب المصرية، ومن النسخة =

إسلام ويب islamweb.net

فلمّا لم تكن هذه الحال واقعةً منهم كانت مُخالِفةً للحال الواقعة(١) التي جُعِلت خبرًا عن قوم(٢) مضَوا على هذه الأفعال، فقال فيهم: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾.

فأما قوله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٢] فهو خبر عن قوم كانوا في عصر النبي ﷺ، فقال: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [آل عمران: ١١٢] فكان(٣) خبرًا عن اعتقادهم؛ لأنه لا يجوز أن يُعاقَبوا وتُضرَب عليهم الذلة والمسكنة بذنوب وقعت من آبائهم لا(٤) منهم، فيصيرون مِثلَ الأوَّلين الذين أخبَر عنهم بقوله(٥): ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [آل عمران: ٢١] في تمييزه إياهم(٦) عن القوم الذين كانوا في عصر موسى صلى الله على نبينا وعليه، فقال لهم: ﴿ٱهْبِطُواْ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ [البقرة: ٦١]، فاختير لفظُ المعرفة في القصة التي وقعت ووقع الإخبارُ عنها، ولفظُ(٧) النكرة في القصة التي وقع التهديدُ(٨) مُقارِنًا لها ليمنع من وقوعها، وما كان في خبرِ ما لم يقع فالذنبُ في حيِّز(٩) المذكور، والعقاب عليه مِثلُه كالمذكور.

= المطبوعة أيضًا.

(١) «الواقعة» سقطت من (أ).
(٢) في (ك): «عنهم قوم»، وهو خطأ.
(٣) في (أ): «وكان».
(٤) «لا» غير واضحة في (ب).
(٥) «بقوله» ليست في (ح).
(٦) «إياهم» ليست في (ب، ك).
(٧) قوله: «ولفظ» معطوف على «لفظ المعرفة».
(٨) في (د، ر): «التهدد».
(٩) في (أ، ك): «خبر»، والمثبت من (ب، د، س).

إسلام ويب islamweb.net

[٦] الآية السادسة :

قولـه تعالـى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[١] [البقرة: ٦٢].

وقـال فـي سـورة المائـدة [٦٩]: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٢].

وقـال فـي سـورة الحـج [١٧]: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[٣].

للسـائل أن يسـأل فيقول: هل في اختـلاف هذه الآيات بتقديـم[٤] الفِرَق وتأخيرها، ورفعِ «الصابئين» في آية ونصبِها في أخرى غرضٌ يقتضي ذلك؟

فالجـواب أن يقـال: إذا أورد الحكيم ـ تقدَّسـت أسـماؤه ـ آيـةً على لفظة مخصوصـة ثـم أعادهـا فـي موضع آخر مـن القـرآن وقد غيَّـر فيها لفظـةً عما كانـت عليه في الأولـى[٥]، فلا بدَّ من حكمة هناك تُطلَب، وإن أدركتموها فقد

(١) في (ب): «إلى ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾»، وفي (ك): «إلى ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾».
(٢) في (ب): «﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾»، والمثبت من (أ، ك).
(٣) في (أ، ب): «﴿يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾»، وتمام الآية من (ك).
(٤) في (ب): «هـل فـي الاختلاف هذه الآيـة تقديم..»، وقولـه: «هذه الآيات» سـقط من (أ)، والمثبت من (ر، س، ك).
(٥) في (ب): «في الأول».

إسلام ويب islamweb.net

ظفِرتم[١]، وإن لم تدركوها فليس لأنه لا حكمةَ هناك، بل جهِلتم[٢].

فأما[٣] الآية الأولى في هذه السورة ففيها[٤] مسائل، ليس هذا المكانُ مكانَها؛ لأنه يقال: كيف قال الله تعالى[٥]: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ إلى قوله[٦]: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾؟ أي: مَن آمن منهم بالله واليوم الآخر، وإذا وُصِفوا بأنهم آمنوا فقد ذكَر أنهم آمنوا بالله واليوم الآخر، إلا أن الذي نذكُره[٧] في هذا المكان هو[٨] أن المعنى: إن الذين آمنوا بكتب الله المتقدِّمة مِثلِ صُحُف إبراهيم، والذين آمنوا بما نطقت به التوراة وهم اليهود[٩]، والذين آمنوا بما أتى به[١٠] الإنجيل وهم النصارى، فهذا ترتيب على حسب ما ترتَّب عليه[١١] تنزيل الله تعالى كُتُبَه[١٢]، فصُحُف[١٣] إبراهيم عليه السلام قبل التوراة المنزَّلة على موسى عليه السلام، والتوراة قبل الإنجيل المنزَّل على

(١) في (ك): «وإن أدركتها فقد ظفرت... بل جهلتَ».

(٢) إن المصنف رحمه الله تعالى يجلُّ كلام الله تعالى، ويعتقد أن لكلِّ حرفٍ أو لفظ فيه، وفي موضعه حكمةً، فإن جهلها الإنسان اتهم نفسه، وليس كلامَ ربه جل وعلا.

(٣) في (ب): «وأما»، وفي (ك): «أما» من دون الواو.

(٤) في (ر): «فيها».

(٥) قوله: «الله تعالى» ليس في (ك)، وفي (أ): «قال تعالى»، والمثبت من (ب).

(٦) قوله: «إلى قوله» زِيد من (خ، ر، س).

(٧) في (ب): «يذكره»، وفي (ر): «ذكرهم»، وفي (خ، س): «إلا الذين نذكرهم».

(٨) في (خ، ر، س): «أراد»، بدلًا من «هو».

(٩) «وهم اليهود» أُثبِتت من (ك).

(١٠) «به» سقطت من (أ).

(١١) «عليه» سقطت من (أ، ب، ك)، والمثبت من (ر).

(١٢) في (ك): «التوراة وكتبه».

(١٣) في (أ، ب، ك): «وصحف»، والمثبت من (ر).

إسلام ويب islamweb.net

عيسى عليه السلام، فرتَّبهم الله[١] عزَّ وجلَّ في هذه الآية على ما رتَّبهم عليه في بَعثة[٢] الرسالة.

ثم أتى بلفظ[٣] «الصابئين»[٤]، وهم الذين لا يثبُتون على دين وينتقلون[٥] من مِلّة إلى مِلّة، ولا كتابَ لهم كما للطائفتين[٦] اللتين.....

(١) لفظ الجلالة ليس في (أ، ب، ك)، وأُثبِت من (ر).

(٢) «بعثة» سقطت من (ب).

(٣) في (ب، ك): بذكر.

(٤) قال ابن قتيبة في كتابه تفسير غريب القرآن (ص٥٢): «وأصل الحرف من صبأت، إذا خرجت من شيء إلى شيء، ومن دين إلى دين؛ ولذلك كانت قريش تقول في الرجل إذا أسلم واتبع النبي ﷺ: قد صبأ فلان ـ بالهمز ـ أي: خرج عن ديننا إلى دينه». وقد ذكر ابن الجوزي في تفسيره (١: ٩١، ٩٢) في معنى «الصابئين» سبعة أقوال؛ **أحدها**: أنه صنف من النصارى، أليَن قولًا منهم، وهم السائحون المُحلَّقة أوساطُ رؤوسهم، رُوي عن ابن عباس. **والثاني**: أنهم قوم بين النصارى والمجوس، ليس لهم دين، قاله مجاهد. **والثالث**: أنهم قوم بين اليهود والنصارى، قاله سعيد بن جبير. **والرابع**: قوم كالمجوس، قاله الحسن والحكم. **والخامس**: فرقة من أهل الكتاب يقرؤون الزبور. **والسادس**: قوم يصلُّون إلى القبلة، ويعبدون الملائكة، ويقرؤون الزبور، قاله قتادة. **والسابع**: قوم يقولون: «لا إله إلا الله» فقط، وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبي، قاله ابن زيد».

وقال ابن كثير في تفسيره (١: ١٥٧) بعد أن ذكر الأقوال في معنى الصابئين: «وأظهر الأقوال ـ والله أعلم ـ قول مجاهد ومتابعيه ووهب بن منبه: إنهم قوم ليسوا على دين اليهود ولا النصارى ولا المجوس ولا المشركين، وإنما هم باقون على فطرتهم، ولا دين مقرَّر لهم يتبعونه ويقتفونه؛ ولهذا كان المشركون ينبزون مَن أسلم بالصابئ؛ أي: أنه خرج عن سائر أديان أهل الأرض إذ ذاك».

(٥) في (ب): «يتقلبون».

(٦) المراد بالطائفتين في الآية: اليهود والنصارى، والخطاب في قوله تعالى: ﴿أَن تَقُولُوٓاْ﴾ للكافرين من العرب، والتقدير: وأنزلنا هذا الكتاب لهدايتكم كراهة أن تقولوا يوم القيامة أو لئلا تقولوا: إنما أُنزِلَ الكتاب على طائفتين من قبلنا...

إسلام ويب islamweb.net

ذكَرهما الله تعالى[١] في قوله: ﴿أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ مِن قَبۡلِنَا﴾ [الأنعام: ١٥٦]، فوجب أن يكونوا متأخِّرين عن أهل الكتاب.

وأما بعد هذا الترتيب فترتيبهم في سورة المائدة، وتقديم «الصابئين» على «النصارى»، ورفعُه هنا ونصبُه هناك، ترتيب ثانٍ لهم. فالأول على ترتيب الكتب، والثاني على ترتيب الأزمنة؛ لأن الصابئين، وإن[٢] كانوا متأخِّرين عن النصارى بأنه[٣] لا كتابَ لهم، فإنهم متقدِّمون عليهم بكونهم قبلهم؛ لأنهم كانوا قبل عيسى عليه السلام.

فرفَع «الصابئون» ونوى به التأخيرَ عن مكانه، كأنه قال بعدما أتى بخبرِ «إن الذين آمنوا والذين هادوا[٤] من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون»[٥]: والصابئون هذه[٦] حالُهم أيضًا[٧]. وهذا[٨] مذهب

(١) قوله: «الله تعالى» سقط من (ب).

(٢) «وإن» سقطت من (ب).

(٣) في (ر): «فإنه».

(٤) في (أ، ب): «﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾»، والمثبت من (ر، ك).

(٥) «ولا هم يحزنون» ليست في (ك).

(٦) في (ك): «هذا».

(٧) «أيضًا» ليست في (ك). قلت: تناول الخطيب هذه المسألة في كتابه المجالس (ورقة ٧٨/ ب) وذكر مثل هذا التقدير حيث قال: «كأنه قال: إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فلا خوف عليهم، والصابئون هذه حالُهم، فيرفع «الصابئون» بالابتداء ويكون خبره محذوفًا يدل عليه الخبر المنويّ به التقديم..».

(٨) أي: التقديم والتأخير مذهبُ سيبويه حيث إنه رحمه الله يقول في مؤلَّفه المشهور بـ«الكتاب» (٢: ١٥٥): «وأما قوله عز وجل: ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ فعلى التقديم والتأخير، كأنه ابتدأ على قوله: ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ بعدما مضى الخبر».

إسلام ويب islamweb.net

سيبويه[١]؛ لأنه لا يجوز عنده ولا عند البصريِّين، وكثير من الكوفيِّين: إنّ زيدًا وعمرٌو[٢] قائمانِ[٣]. والفرّاء[٤] يجيز هذا على شريطة[٥] أن يكون الاسمُ الأول المنصوب بـ«إنّ» لا إعراب[٦] فيه[٧]، نحو: إن هذا وزيدٌ قائمانِ، وهذه من كِبار المسائل[٨] ذوات الشُّعَب[٩].

(١) هو عمرو بن عثمان بن قنبر، أبو بشر، الفارسي، ثم البصري، الملقَّب سيبويه، إمام النحو، وأول من بسط علم النحو، وفي تاريخ وفاته خلاف، قيل: (١٨٠هـ) وقيل: (١٨٨هـ). يُنظَر: سير أعلام النبلاء (٨: ٣٥١)، والأعلام (٥: ٨١).

(٢) في (أ): «عمروا»، وهو خطأ.

(٣) يُنظَر: معاني القرآن للزجاج (٢: ١٩٢، ١٩٣) حيث إنه رحمه الله ذكر اختلاف أهل العربية في تفسير رفع «الصابئون» وتوجيهاتهم.

(٤) هو يحيى بن زياد بن عبد الله، أبو زكريا، الكوفي صاحب الكسائي، العلّامة، صاحب التصانيف، إمام الكوفيِّين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. توفي سنة (٢٠٧هـ) بطريق الحج. يُنظَر: سير أعلام النبلاء (١٠: ١١٨)، والأعلام (٨: ١٤٥).

(٥) في (أ): «على شرط»، وفي (ب): «على شرطه»، والمثبت من (خ، ر، س، ك).

(٦) في (ب): «بأن الإعراب».

(٧) يُنظَر: معاني القرآن للفراء (١: ٣١٠، ٣١١). قلت: إن المصنف رحمه الله استساغ تجويز الفراء هذا، حيث قال في كتابه المجالس (ورقة ٧٩/ أ): «والجواب الثالث ما ذهب إليه الفراء، وهو أن يكون «والصابئون» عطفًا على موضع «إن الذين» ولا يجوِّز ذلك في مثل: إن زيدًا وعمرٌو منطلقان، وإنما يجوِّز الرفع إذا كان المنصوب باسم «إنَّ» لا إعراب ظاهر فيه».

(٨) في (خ): «وهذا من كبار المسائل المختلف فيها».

(٩) اهتمَّ أهل التفسير واللغة بإعراب كلمة ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ اهتمامًا كبيرًا، الأمر الذي يدل على أنهم اختلفوا فيه بسبب وقوع الكلمة مرفوعة بالواو مع أنها معطوفة على اسم «إنَّ» في ظاهر الكلام. وقد ذكر مؤلفُنا أبو عبد الله الخطيب في كتابه المجالس (٧٨/ ب-٨٠/ ب) في الجواب عن ذلك عشرة أوجه، وجعل الوجه الأول ما ذهب إليه سيبويه، واختاره في كتابنا هذا كما تقدم.

إسلام ويب islamweb.net

ويتعلَّق بالخلاف بين البصريِّين والكوفيِّين[١] في أنّ «إنّ» لها عملان؛ النصب والرفع على مذهب البصريِّين، وأنّ لها عملًا واحدًا عند الكوفيِّين، وهو النصب[٢]، إلا أن المذهب الصحيح ما ذهب إليه سيبويه، وهذه الآية تدل عليه؛ لأنه قدَّم فيه «الصابئون» والنيةُ بها التأخيرُ على مذهب سيبويه، وإنما قدَّم في اللفظ وأخَّر في النية؛ لأن التقديمَ الحقيقي التقديمُ[٣] لكتب الله المنزَّلة[٤] على الأنبياء[٥] عليهم السلام، فإذا فعل ذلك في الآية الأولى ـ وكان هنا[٦] تقديمٌ[٧] آخرُ بتقديم[٨] الزمان، وجاءت آية[٩] أخرى[١٠] قُدِّم فيها[١١]

(١) أي: بين نحاة البصرة ونحاة الكوفة.

(٢) قال ابن الأنباري في كتابه الإنصاف (١: ١٧٦): «ذهب الكوفيون إلى أن «إنَّ» وأخواتها لا ترفع الخبر، نحو «إن زيدًا قائم» وما أشبه ذلك، وذهب البصريون إلى أنها ترفع الخبر».
قلت: إن الخبر «قائم» مرفوع في مذهب الكوفيِّين قبل دخول «إنَّ»؛ لأنهم ـ كما في الإنصاف لابن الأنباري ـ يرون أن «إنَّ» وأخواتها تنصب الاسم لكونها تشبه الفعل، ولمّا كانت تعمل هذه الحروف من أجل شبهها بالفعل فهي فرع عليه، وإذا كانت فرعًا عليه فهي أضعف منه؛ لأن الفرع أبدًا يكون أضعف من الأصل؛ فينبغي ألا يعمل في الخبر. وردَّ على هذا الرأي ابنُ الأنباري في الإنصاف (١: ١٨٥) فقال: «والذي يدل على فساد ما ذهبوا إليه أنه ليس في كلام العرب عامل يعمل في الأسماء النصبَ إلا ويعمل الرفعَ، فما ذهبوا إليه يؤدي إلى ترك القياس ومخالفة الأصول لغير فائدة، وذلك لا يجوز، فوجب أن تعمل في الخبر الرفعَ كما عملت في الاسم النصبَ..».

(٣) هكذا في أكثر النسخ، وفي (ح، د): «التقدم».

(٤) في النسخ المعتمدة: «بكتبه المنزلة»، والمثبت من (خ).

(٥) في (ك): «على أنبيائه».

(٦) في (ك): «هاهنا».

(٧) في (ب): «تقدم».

(٨) في (ب): «تقدم».

(٩) في (أ): «به»، بدل «آية»، ولا وجه له.

(١٠) هي آية المائدة.

(١١) في (ب): «فيه»، ولا وجه له هنا.

إسلام ويب islamweb.net

هذا الاسم[١] على ما أُخِّر عنه في الآية التي قبلُ[٢]، ثم أُقيمت في لفظه أمارةٌ تدلُّ على تأخُّره عن مكانه ـ كان[٣] ذلك دليلًا على أن هذا الترتيب بالأزمنة[٤]، وأن النية به[٥] التأخيرُ والترتيبُ بالكتب المنزَّلة.

وأما الترتيب الثالث في سورة الحج فترتيب الأزمنة الذي[٦] لا نيّةَ للتأخير معه؛ لأنه لم يقصِد في هذا المكان أهلَ الكتب، إذ كان أكثرُ مَن[٧] ذُكِر ممَّن[٨] لا كتاب لهم، وهم الصابئون والمجوس[٩] والذين أشركوا عَبَدةُ[١٠] الأوثان[١١]، فهذه ثلاث طوائف، وأهل الكتاب طائفتان[١٢].

فلما لم يكن القصدُ في الأغلبِ الأكثرِ من المذكورين ترتيبَهم بالكتب، رُتِّبوا بالأزمنة، وأُخِّروا «الذين أشركوا»؛ لأنهم وإن تقدَّمت[١٣] لهم أزمنة وكانوا[١٤] في عهد أكثر الأنبياء الذين تقدَّمت بَعثتهم صلوات الله عليهم، فإنهم

---

(١) أي: الصابئون.
(٢) أي: في الآية [٦٢] من سورة البقرة.
(٣) جواب «فإذا فعل ذلك».
(٤) في (أ): «الأزمنة» من دون حرف جر.
(٥) «به» سقطت من (أ، ب).
(٦) في (أ، ب): «التي». والمثبت من (ك)، وهو الصواب؛ لأنه يناسب العائد في قوله: «معه».
(٧) في (ب): «من من»، وهو تكرار ظاهر.
(٨) «ممن» سقطت من (ب).
(٩) قال في القاموس المحيط (مادة مجس): «مَجُوس ـ كصبور ـ... رجل مجوسي، جمعُه مجوس، كيهودي ويهود». وهم كما قال القرطبي (١٢: ٢٣): «عبدة النار القائلون بأن للعالم أصلين: نورًا وظلمة».
(١٠) في (ب): «وعبدة».
(١١) في (ك): «الأصنام»، قلت: معناهما واحد؛ لأنه جاء في المصباح المنير (٢: ٦٤٧): «الوثن: الصنم..».
(١٢) في (أ): «طائفتين»، وهو خطأ.
(١٣) في (ح): «وإن بعدت».
(١٤) من قوله: «ترتيبهم بالكتب..» إلى هنا سقط من (ب).

إسلام ويب islamweb.net

كانوا أكثر ممَّن[١] مُنِي[٢] رسول الله ﷺ بهم[٣]، وصَلِيَ[٤] بجهادهم، وكأنهم[٥] لما كانوا موجودين في عصر النبي ﷺ كانوا أهلَ زمانه، وهذا الزمان متأخِّر عن أزمنة الفِرَق الذين قُدِّم[٦] ذِكرُهم[٧].

(١) في النسخ المعتمدة: «من»، والمثبت من (خ، ر، س).

(٢) أي: ابتُلي بهم، وفي لسان العرب (مادة مني): «مُنِيت بكذا وكذا: ابتُليت به، ويقال: مُنِي ببليّة؛ أي: ابتُلي بها».

(٣) «بهم» سقطت من (ك).

(٤) قال في المصباح المنير (١: ٣٤٦): «صَلِي بالنار، وصَلِيها ـ من باب تَعِب ـ: وجد حرَّها».

(٥) في (ك): «فكأنهم».

(٦) في (ك): «قد مرَّ».

(٧) استشكل هذه الآيات الثلاث الدكتور أحمد فرحات وقارن بينها وقال في حكمة ترتيب ذكر الفرق فيها: «إن كل آية من الآيات الثلاث تختص بفترة زمنية معينة، فآية البقرة تتحدث عن الفِرَق الثلاث ومصيرها قبل بعثة النبي ﷺ ومجيء شريعته الخاتمة الناسخة، ومن ثم كان مصير أهل هذه الملل الثلاث كمصير المؤمنين بنبوة محمد ﷺ؛ لأن أهلها كانوا مؤمنين بالله واليوم الآخر عاملين بمقتضى شرائعهم المنزلة عليهم، ولم يحرِّفوا دينهم أو يغيِّروه، بل إنهم كانوا يؤمنون بمحمد ﷺ وشريعته كما بشَّرت به كتبهم، وكما هو واضح من سبب نزول آية البقرة. أما آية المائدة فإنها تختص بفترة ما بعد الإسلام منذ بعثة النبي ﷺ وإلى قيام الساعة، وهي تبيِّن أن الطوائف الثلاث لم يعُد مقبولًا منها بعد مجيء الإسلام إلا الدخول فيه والعمل بشريعته؛ لأنه ناسخ لكل ما سبقه، فالذين استجابوا منهم لذلك كان مصيرهم كمصير المؤمنين من أمة محمد ﷺ. وأما آية الحج فإنها تختص بيوم القيامة، ومن ثم ذُكِر فيها إلى جانب الطوائف الأربع طائفتان ليستا من ضمن الأديان والملل المنزلة من عند الله، وهما طائفتان: المجوس وطائفة الذين أشركوا، ولأن يوم القيامة يومُ فصلٍ بين الخلائق جميعًا، ومن ثم ذكر الملل الست التي ينطوي تحتها جميع الناس، ولم يذكر فيها: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾؛ لأن الإيمان بالله واليوم الآخر لا يمكن أن يكون يومَ القيامة، ولو حصل فإنه لا يُقبَل». مجلة الشريعة الإسلامية، جامعة الكويت (ص٥١).

إسلام ويب islamweb.net

[٧] الآية السابعة[١] :

قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠].

وفي سورة آل عمران: ﴿قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [آل عمران: ٢٤].

فإن قيل: فما الفرق بين اللفظتين[٢]؟ ولِمَ كانت الأولى ﴿مَّعْدُودَةً﴾، والثانية ﴿مَّعْدُودَٰتٍ﴾، والموصوفُ في المكانين موصوف[٣] واحد وهو قوله[٤]: ﴿أَيَّامًا﴾؟

والجواب[٥] عنه أن يقال: إن الجمع بالألف والتاء أصلُه للمؤنث، نحو: مُسلِمة ومُسلِمات، وصَفْحة[٦] وصَفَحات، ومكسورة ومكسورات، ولا يكاد يجيء الجمعُ الذي واحدُه مذكَّرٌ هذا المجيءَ إلا ألفاظًا معدودة، نحو: حَمّام وحَمّامات، وجَمَل[٧] سِبَطْر وجِمال سِبَطْرات[٨]، .....

(١) في (ك): «الآية السابعة في هذه السورة».

(٢) في (أ): «اللفظين». وفي (ك) صيغة السؤال هكذا: «للسائل أن يقول ما بين اللفظتين؟».

(٣) «موصوف» ليست في (ب).

(٤) «قوله» أُثبِتت من (ك).

(٥) في (أ، ب): «الجواب»، والمثبت من (ك).

(٦) قال في المصباح المنير (١: ٣٤٢): «والصَّفْحُ ـ بالفتح ـ من كل شيء: جانبه، والصَّفْحَةُ ـ بالتاء ـ مثله، والجمع: صَفَحاتٌ، مثل سَجْدَة وسَجَدات».

(٧) في (أ): «وجمل وسِبطر وجمالات وسبطرات وأسود سبطرات». والمثبت من (ب، ك).

(٨) قال الجوهري في الصحاح (مادة سبطر): «جمال سِبَطرات: طوال على وجه الأرض، والتاء ليست للتأنيث، وإنما هي كقولهم: حمّامات ورجالات في جمع المذكر». نقل ابن منظور في لسان العرب (٤: ٣٤٢ سبطر) قول ابن برّي حيث قال: «قول الجوهري: «إنما هي كحمّامات ورجالات» وهمٌ في خلطه رجالات بحمّامات؛ لأن رجالًا جماعة مؤنَّثة بدليل قولك: الرجال خرجت وسارت، وأما حمّامات فهي جمع حمّام، والحمّام مذكر، =

إسلام ويب islamweb.net

وأسَد[١] سِبَطْر وأُسد[٢] سِبَطْرات[٣]؛ أي: تسبطِرُّ عند الوثوب[٤].

وأما قولهم: كُوز[٥] مكسور، وجَرَّة[٦] مكسورة، فإن ما فيه هاء التأنيث يُجمَع على «مكسورات» فيقال: جِرار مكسورات، وكِيزان مكسورة، وليس[٧] قولك: «كِيزان مكسورات»[٨] بأصل، بل المُستعمَل المُستمِرُّ في ذلك أن يقال[٩]: كِيزان مكسورة، و[١٠] ثياب مقطوعة،.....

= وكان قياسه ألا يُجمَع بالألف والتاء. وقال: قال سيبويه: وإنما قالوا: حمّامات وإصطبلات فجمعوها بالألف والتاء وهي مذكرة؛ لأنه لم يكسِّروها، يريد أن الألف والتاء في هذه الأسماء المذكورة جعلوها عوضًا من جمع التكسير».

(١) من قوله: «وأسد سبطر» إلى «عند الوثوب» سقط من (ك).

(٢) في (أ): «وأسود». فلا فرق بين هذا والمثبت؛ لأن جمع الأسد: آساد وأسود وأُسُد وأُسْد. لسان العرب (مادة أسد).

(٣) جاء في الصحاح للجوهري (٢: ٦٧٦ سبطر): «أسد سِبَطْر، مثال هِزَبْر؛ أي: يمتدُّ عند الوثبة». وجاء في لسان العرب (٤: ٣٤٢ سبطر): «جمل سِبطر وجمال سِبطرات: سريعة، ولا تُكسَّر، واسبطرَّت في سيرها: أسرعت وامتدَّت».

(٤) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «عند الوثبة».

(٥) جاء في لسان العرب (٥: ٤٠٢ كوز): «كاز الشيءَ كوزًا: جمعه، والكوز من الأواني، معروف، وهو مشتق من ذلك، والجمع أكواز وكيزان وكِوَزَة، حكاها سيبويه مثل عَوْد وعيدان وأعواد وعِوَدَة». وفي المعجم الوسيط (ص٨٠٤): «الكُوز: إناء بعُروَة يُشرَب به الماء».

(٦) الجَرَّة ـ بالفتح ـ: إناء معروف، والجمع جِرار، مثل كلبة وكِلاب. المصباح المنير (١: ٩٦). قال الخطيب في كتابه مبادئ اللغة (ص٥٤): «والجَرَّة مَلأى، وجمعها جِرار، وهي أكبر الكيزان». وفي المعجم الوسيط (ص١١٦): «إناء من خَزَف».

(٧) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «وتقيس»، بدل «وليس».

(٨) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «كيزان مكسورة»، ولا وجه له هنا.

(٩) من قوله: «وليس قولك» إلى قوله: «أن يقال» سقط من (ك).

(١٠) في (ب): «أو».

إسلام ويب islamweb.net

و﴿سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾(١)، و﴿أَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾(٢)، و﴿نَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾(٣).

فالصفة الجارية على جمع المذكَّر(٤) الواحد يستمرُّ(٥) فيه التأنيث على الحدِّ الذي بيَّنتُه.

وعلامة الجمع المؤنَّث الواحد(٦): الألف(٧) والتاء في الأصل، فلما كان(٨) ﴿مَّعْدُودَةً﴾ من المطَّرِد(٩) المُستمِرِّ، استعملَ لفظَها في الأول(١٠)، ولما كان الجمع بالألف والتاء قد يكون فيما واحدُه مذكَّر وإن قلَّ، فكان(١١) على سبيل من سُبُل المجاز، يستعملُ(١٢) ذلك فيه كقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، وقال: ﴿فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾ [الحج: ٢٨].

والأيام جمع يوم، وهو مذكَّر، فيكون هذا على أحد الوجهين، إما أن يكون المراد: اذكروا(١٣) الله في ساعاتِ أيامٍ معلومات ومعدودات؛ لأن المراد

(١) جزء من الآية [١٣] في سورة الغاشية، وهي: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾؛ أي: رفيعة القدر.

(٢) جزء من الآية [١٤] في سورة الغاشية، وهي: ﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾؛ أي: أقداح بين أيديهم للشرب منها.

(٣) جزء من الآية [١٥] في سورة الغاشية، وهي: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾؛ أي: وسائد ومرافق يُتَّكَأ عليها، بعضها إلى بعض.

(٤) في (ب، ك): «مذكر».

(٥) في (ر): «مستمر».

(٦) في (ك): «الواحدة».

(٧) في (أ): «بالألف».

(٨) في (أ): «كانت».

(٩) هكذا في أكثر النسخ، وفي (ب): «مطرد».

(١٠) وهو في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾.

(١١) في (ب): «وكان».

(١٢) في (خ): «استعمل».

(١٣) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «فاذكروا».

إسلام ويب islamweb.net

أن يُكبَّر الله تعالى[١] في اليوم الواحد في أدبار الصلوات الخمس المكتوبة[٢]، فحُذِفت الساعات، وأُقيم المضافُ إليها مُقامها، وإما أن يكون أُلحِق بما في واحده علامةُ التأنيث لاستوائهما في الجمع ودخولهما في الفرعية التي يكتسبان بها[٣] لفظَ المؤنَّث.

فلما[٤] قيل[٥]: جِرار مكسورة، والجَرّة مؤنَّثة؛ جاز[٦] أيضًا «كِيزان مكسورات» حملًا على الجمع الذي يساويه في التأنيث الذي ليس بحقيقي، وإذا كان ذلك كذلك فـ﴿مَّعۡدُودَةَۚ﴾ المذكورة في الآية التي في سورة البقرة[٧] مستمرة في بابها وباب غيرها، والجمع بالألف والتاء ليس بمستمر، وإنما هو على ضرب من التشبيه[٨] بما أصله الألف والتاء، فكان استعمالها أوَّلًا[٩] أولى، ولِجواز الألف والتاء على غير طريق الاستمرار استُعمل في الثاني ليشمل الأصلَ والجائزَ بالاستعمال.

فأما المعنى في القلة فسواء في قوله: ﴿مَّعۡدُودَةَۚ﴾ و﴿مَّعۡدُودَٰتٖ﴾، وقد قال[١٠]

---

(١) لفظ الجلالة أُثبِت من (ر).

(٢) في (أ، ب): «المعدودة»، والمثبت من (ك).

(٣) «بها» سقطت من (ك).

(٤) في (ك): «فكما».

(٥) في (ب): «قال».

(٦) في (ك): «حار»، وفي (أ، د): «صار».

(٧) في (أ، ب): «في هذه السورة»، والمثبت من (ك).

(٨) في (ب): «من التثنية»، وهو خطأ.

(٩) «أولًا» أُثبِتت من (ر).

(١٠) في (ب، ك): «وقد يقال».

إسلام ويب islamweb.net

أيضًا: ﴿أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾ [١] على أن تكون [٢] الأيام المعلومة [٣] في الأصل تسعة [٤]، فثلاثة منها أيام معلومة، وثلاثة أخرى منها مِثلُها، وثلاثة ثالثة معلومة [٥]، فتُجمَع [٦] هذه [٧] الثلاثات على الأيام المعلومات؛ لأن واحدتها أيام معلومة، والمعلومة تُجمَع على المعلومات [٨].

(١) في (أ، ب): «معلومات»، وفي (ك): «أيامًا معلومات»، والمثبت من (ر)، وهو الصواب حيث إنه جزء من الآية [٢٨] في سورة الحج، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

(٢) «تكون» أُثبتت من (ك).

(٣) الأيام المعلومة هي أيام عشر ذي الحجة على ما ذهب إليه ابن عباس رضي الله عنه فيما رواه البخاري عنه، حيث قال رحمه الله: «قال ابن عباس: ﴿وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾ أيام العشر، والأيام المعدودات: أيام التشريق». كتاب العيدين، باب فضل العمل في أيام التشريق، معلَّقًا، صحيح البخاري بشرحه فتح الباري (٢: ٤٥٧). قال الحافظ ابن حجر: «وقد وصله عبد بن حميد من طريق عمرو بن دينار عنه وفيه: «الأيام المعدودات أيام التشريق، والأيام المعلومات أيام العشر»».

(٤) في (ك): «تسعة في الأصل».

(٥) في (أ): «فكل ثلاثة أيام منها معلومة» بدل «فثلاثة منها أيام معلومة، وثلاثة أخرى منها مثلها، وثلاثة ثالثة معلومة».

(٦) في (ك، خ، ر): «ثم تجمع».

(٧) «هذه» ليست في (ك).

(٨) يشير كلام المصنف رحمه الله تعالى إلى أن الأصل في الجمع إذا كان واحده مذكَّرًا أن يُقتصَر في الوصف على تأنيثه مفردًا، نحو قوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾، وقد يأتي: «سرر مرفوعات» على تقدير: ثلاث سرر مرفوعة، وتسع سرر مرفوعات، لكنه ليس بالأصل، فجاء في البقرة على الأصل، وفي آل عمران على الفرع. يُنظَر: البرهان للكرماني (ص١٢٧). وذكر الآلوسي توجيهًا آخر فقال (٣: ١١١): «جمعُ التكسير لغير العاقل يجوز أن يُعامَل معاملة الواحدة المؤنَّثة تارةً ومعاملة جمع الإناث أخرى، فيقال: هذه جبال راسية، وإن شئت قلت: راسيات، وجمال ماشية، وإن شئت: ماشيات، وخصَّ الجمع هنا لما فيه من الدلالة على القلة كموصوفه، وذلك أليقُ بمقام التعجيب والتشنيع».

إسلام ويب islamweb.net

[٨] الآية الثامنة[١] :

قوله تعالى: ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٢] [البقرة: ٩٤، ٩٥].

وقال عز وجل في سورة الجمعة [٦، ٧]: ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾[٣].

وللسائل[٤] أن يقول: هل في الآية الأولى ما يقتضي «لن» الناصبة، وفي الثانية[٥] ما يقتضي[٦] الاقتصار على «لا» ورفْعَ الفعل بعدها[٧]؟

فالجواب[٨] أن يقال: إن الآية الأولى لما كانت مُفتتَحة بشرطٍ[٩] عُلِّقت صحتُه بتمنِّي الموت، ووقَع هذا الشرطُ غايةَ ما يطلبه المطيع، ولا مطلوبَ وراءه على ما ادَّعوه لأنفسهم، وهو أن لهم الدار الآخرة خالصةً من[١٠] دون

(١) في (ك): «الآية الثامنة في هذه السورة».
(٢) «﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾» ليس في (ب، ك).
(٣) في (أ، ب): «﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾»، والمثبت من (ك)، وتمام الآية: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾.
(٤) في (ب): «فللسائل».
(٥) في (ك): «وفي الآية الثانية».
(٦) في (ب، ك): «ما يوجب».
(٧) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «بينها»، بدل «الفعل بعدها».
(٨) في (ب، ك): «والجواب».
(٩) هو في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ﴾ [البقرة: ٩٤].
(١٠) «من» سقطت من (أ).

إسلام ويب islamweb.net

غيرهم؛ وجب[١] أن يكون ما يُبطِل تمنِّي الموت المؤدِّي إلى بطلان شرطهم[٢] أقوى ما يُستعمَل[٣] في بابه، وأبلغَه في المعنى، وينتفي شرطهم به[٤]، فكان[٥] ذلك بلفظة[٦] «لن» التي هي للقطع والثبات، ثم أُكِّدت[٧] بقوله تعالى: ﴿أَبَدًا﴾ ليبطُل تمنِّي الموت الذي يُبطِل[٨] دعواهم بغايةِ ما يبطُل به مِثلُه. ألا ترى أنه ليس بعد حصول الدار الآخرة خالصةً لأُمّة من الأمم مُقترَحٌ لِمُقترِح، ولا مَطلَبٌ لِمُطَّلِب[٩]؟

وليس كذلك الشرط الذي عُلِّق به تمنِّي الموت في سورة الجمعة؛ لأنه قال: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[١٠] [الجمعة: ٦]، وليس زعمُهم أنهم أولياء لله[١١] من دون الناس المطلوبَ الذي لا مطلوب وراءه؛ لأنهم يطلبون بعد ذلك ـ إذا صحَّ لهم هذا الوصفُ ـ دارَ الثواب.

---

(١) «وجب» جواب «لما كانت».

(٢) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «شرطه».

(٣) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «ما استعمل».

(٤) في (ب، ك): «في معنى ما ينتفي»، وفي (ر): «وأبلغه في نفي ما ينتفي»، والمثبت من (أ).

(٥) في (أ، ب): «وكان»، والمثبت من (ك).

(٦) «بلفظة» سقطت من (ب).

(٧) في (ر): «أكد».

(٨) في (ك): «هو يبطل».

(٩) المُطَّلِب اسم الفاعل من «اطَّلَبْتُ» على وزن «افتعلت» بمعنى «طلبت». المصباح المنير (١: ٣٧٥).

(١٠) «﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾» ليست في (أ).

(١١) في (ر): «أولياء الله».

إسلام ويب islamweb.net

فلما كان الشرط في هذا المكان قاصرًا عن[١] الشرط في المكان الأول، ولم يكن الدعوى دعوى غايةِ المطلوب، لم يحتَج في نفيه وإبطاله إلى ما هو غايةٌ[٢] في بابه، فوقَع الاقتصارُ على ﴿لَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ﴾[٣]، وليس في لفظه[٤] معنى التأبيد، وإنما حصل ذلك فيه بمقارنته[٥] من قوله: ﴿أَبَدًا﴾، فكان الأولُ أوكدَ وأبلغ؛ لأن لفظَيِ[٦] الاسمِ والفعل[٧] للتأبيد[٨]، فافترق الموضعان لهذا المعنى[٩].

---

(١) في (ب): «على»، ولا وجه له هنا.

(٢) «غاية» سقطت من (أ).

(٣) في (ح) والنسخة المطبوعة: «على ما لا يتمنونه».

(٤) أي: لفظ «لا».

(٥) في (ب، ك): «بما قارنه».

(٦) في (ب، ك): «لفظتي».

(٧) في (ك، ر): «الفعل والاسم».

(٨) جواب المؤلف رحمه الله يقوم على أساس أن «لن» تقتضي النفي المؤبد بذاتها، وقد أنكر ذلك الزركشي في كتابه البرهان (٢: ٤٢١) فقال: «والحق أن «لا» و«لن» لمجرد النفي عن الأفعال المستقبلة، والتأبيد وعدمه يؤخذان من دليل خارج، ومن احتجَّ على التأبيد بقوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ [البقرة: ٢٤]، وبقوله: ﴿لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا﴾ [الحج: ٧٣]، عُورض بقوله: ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٦]، ولو كانت للتأبيد لم يُقيَّد منفيُّها باليوم، وبقوله: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة: ٩٥]، ولو كانت للتأبيد لكان ذكرُ الأبد تكريرًا والأصل عدمه... وقد استعملت «لا» للاستغراق الأبدي في قوله تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ﴾ [فاطر: ٣٦]، وقوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ [البقرة: ٢٥٥]... وغيره مما هو للتأبيد. وقد استعملت فيه «لا» من دون «لن»؛ فهذا يدل على أنها لمجرد النفي، والتأبيد يستفاد من دليل خارج».

(٩) «لهذا المعنى» مثبتٌ من (ب، ك).

إسلام ويب islamweb.net

[٩] الآية التاسعة[١]:

قولـه تعالـى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وقال في هذه السورة أيضًا[٢]: ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥].

وقال في سورة الرعد [٣٧]: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ﴾.

للسـائل أن يسـأل فيقـول[٣]: «ما» في هـذه المواضع بمعنـى «الذي»، فما الفائـدة فـي إخـراج بعضهـا على لفظ «الـذي» وإيقـاعِ الآخر على لفـظ «ما»، وإدخـالِ «مِـن» في «بعد» فـي قولـه تعالـى: ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾[٤] [البقـرة: ١٤٥]؟ وهـل بيـن[٥] [قولـه تعالـى][٦]: ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾، وقوله[٧]: ﴿بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ فرق؟ وهل بين «الذي» و«ما» فرق؟

والجـواب عن ذلك أن يقال: نبيِّنُ[٨] أوَّلًا[٩] الفرق بين «الذي» وبين «ما»

(١) في (ك): «الآية التاسعة في هذه السورة». (٢) «أيضًا» أُثبِتت من (د).
(٣) في (ك): «للسائل أن يقول».
(٤) في (أ): «ما جاءك من العلم»، والمثبت من (ب، ك).
(٥) «بين» ساقطة في (أ).
(٦) في النسخ الخطية: «قولك»، ولعل ما أثبتُّه هو المناسب للمقام.
(٧) في (ب): «قولك». (٨) في (أ): «نتبين».
(٩) في المطبوعة: «الأول».

إسلام ويب
islamweb.net

لِيصحَّ الفصلُ، ويظهرَ[١] موضعُ كل واحد منهما، والمعنى الذي يليق بهما[٢].

اعلم أن «ما» إذا كانت بمعنى «الذي»، فإنها تُوافقها بأنها[٣] تُبيَّن بصلتها[٤]، وتُخالفها في أشياء[٥] كثيرة، فتصير «الذي» متضمِّنة من البيان ما لا تتضمَّنه[٦] «ما»، فمن ذلك أنك تُدخِل على «الذي» أسماء الإشارة، فتكون «الذي» صفة لها، كقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ﴾ [الملك: ٢٠]، وقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ﴾ [الملك: ٢١]، فيكتنفُ[٧] «الذي»[٨] بيانان؛ **أحدهما**: الإشارة قبلها، **والآخر**[٩]: الصلة بعدها، ولا يكونُ[١٠] ذلك في «ما»؛ لأنها لا يوصف بها[١١] كما يوصف بـ«الذي»، لا يقال[١٢]: أمَّن هذا ما هو جند لكم.

---

(١) في (أ): «ويتبين»، والمثبت من (ب، ك). (٢) في (ك): «بهم».

(٣) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «فإنها». (٤) في (ب): «بفصلتها»، وهو خطأ.

(٥) في (أ، ك): «بأشياء»، والمثبت من (ب).

(٦) في (أ): «ما لا يتضمنه»، بالياء.

(٧) في (أ): «فينكشف»، وفي (ب): «فيه»، بدل «فيكتنف»، وفي (ك، د): «فيتكيف»، والمثبت من (ر، س، ص)، وهو ما جاء في البرهان للكرماني (ص١٢٩) حيث قال: «فيكتنف «الذي» بيانان...»، ومعناه: فيحيط به، وجاء في القاموس المحيط (مادة كنف): «اكتنفوا فلانًا: أحاطوا به».

(٨) «الذي» سقطت من (ب).

(٩) «والآخر» سقطت من (ب).

(١٠) في (أ): «ولا يكون ذلك فيما لا يوصف بها كما يوصف بها كما توصف الذي». وفي العبارة خلل ظاهر، والمثبت من (ب، ك).

(١١) في (ب): «لا توصف».

(١٢) في (ب، ك): «لا تقول».

إسلام ويب islamweb.net

والثاني[١]: أنّ «ما» تُنكَّر فيجري[٢] ما كان صلة لها صفةً[٣] تُبيِّنُها، وليس ذلك في «الذي»، وهو كقوله في الشعر:

رُبَّ ما تَكْرَهُ النفوسُ مِن الأمـ ـرِ لـه فَرْجَةٌ كحَلِّ العِقالِ[٤]

والثالث: أنّ «الذي» تُثنَّى وتُجمَع وتُؤنَّث فتلحقها[٥] هذه العلامات بيانًا لهذه المعاني، و«ما» لا يلحقها ذلك[٦]، بل هي[٧] على لفظة واحدة في التثنية والجمع والتأنيث.

والرابع: أنّ «الذي» لزِمتها[٨] أمارة التعريف، وهي الألف واللام، وليس ذلك ولا شيءَ مما[٩] ذكرنا في «ما»، ولِشدة إبهامها[١٠] خُصَّ التعجُّبُ بها؛

---

(١) وهو من الأشياء التي تخالف «ما» فيها «الذي».

(٢) في المطبوعة: «أن «ما» يذكر في حيِّز ما كان صلة».

(٣) في (أ): «ما كان صفة لها صفة».

(٤) قائل هذا البيت هو أمية بن أبي الصلت، ويُنسَب إلى حنيف بن عمير اليشكري، ويُنسَب إلى نهار ابن أخت مسيلمة الكذاب. والبيت من شواهد سيبويه (الكتاب ٢: ١٠٩، ٣١٥)، وقال (٢: ١٠٨): «و «رُبّ» لا يكون ما بعدها إلا نكرة، وقال أمية بن أبي الصلت» وأنشد البيت. وهو في التبصرة والتذكرة لابن إسحاق الصيمري (١: ٢٩١)، والمساعد لابن عقيل (١: ١٦٣)، وشذور الذهب لابن هشام (ص١٣٢)، وحاشية الصبان (١: ١٥٤). و«ما» في بعض الكتب متصلة بـ«رُبّ»، وفي بعضها منفصلة، وهو أنسب للمعنى المراد؛ لأن «ما» هنا نكرة موصوفة بالجملة بعدها، والرابط ضمير محذوف؛ أي: تكرهه، وأما الذي يُوصَل بـ«رُبّ» فـ«ما» الكافّة. والفَرجة ـ بفتح الفاء ـ: الراحة من حزن أو مرض. لسان العرب (٢: ٣٤١ عقل)، والمعنى: رُبَّ شيء من الأمور تكرهه النفوس له فَرجة تعقب الضيق والشدةَ كحلِّ عقال الدابة.

(٥) في (ب): «وتلحقها».

(٦) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «ذاك».

(٧) في (أ): «فهي»، والمثبت من (ب، ك).

(٨) في (ك): «قد لزمتها».

(٩) «مما» تكرَّرت في (أ).

(١٠) أي: إبهام «ما».

إسلام ويب islamweb.net

لأن سبب التعجُّب إذا استُبهِم كان أبلغَ[١] في معناه.

فإذا تبيَّنتَ[٢] أن «الذي» و«ما» التي بمعناها اسمان مُبهَمان ناقصان، فـ«الذي» تزيد[٣] على «ما» في وجوه البيان التي[٤] ذكرنا؛ رجعنا إلى الآيات الثلاث، وبيَّنّا ما يليق من الاسمين بكل آية، فكان قوله تعالى: ﴿بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ واقعًا بعد خبر الله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]؛ أي: لن ترضى عنك اليهود حتى تتَّبع مِلَّتها، ولن ترضى عنك النصارى حتى تتَّبع مِلَّتها، واتباعُ المِلَّتين في عصر النبي ﷺ كفرٌ، ولذلك قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾؛ أي: الإيمان الذي بعثك به هو الطريق المؤدِّي[٥] إلى رضا الله وإلى ثوابه.

ثم قال: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠]، فمنَعه من اتباع الفِرقتين[٦] بالعلم الذي حصَل[٧] له بصحة الإيمان وبطلان الكفر.

و«الذي»[٨] في هذا المكان واقعة على العِلم الذي ثبت به[٩] الإسلامُ وصح به[١٠] الإيمان، وكما أن هذا العِلم مانع[١١] من الكفر الذي هو أكبر

(١) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «كان أعجب بلغ».
(٢) «تبينت» غير واضحة في (ب).
(٣) في (أ): «يزيد».
(٤) في (ب): «الذي».
(٥) «المؤدي» ليست في (أ).
(٦) في (ر): «الفريقين».
(٧) في (ر): «جعل».
(٨) في (ك): «فالذي».
(٩) في (ك): «به ثبت».
(١٠) «به» ليست في (أ).
(١١) في (ب): «مانعًا»، وهو خطأ.

إسلام ويب islamweb.net

الذنوب، فالعِلم الذي يمنَع منه أفضلُ العلوم، فإذا عُبِّر عنه بأحد هذين[١] الاسمين المُبهَمين، وجب أن يختصَّ[٢] منهما بالأشهر؛ إذ كان للعِلم[٣] المحيط بالأكثر[٤]، وهو جملة الدين.

فأما الموضعان الآخَران[٥] فليس القصدُ فيما عُبِّر بلفظة «ما» عنه فيهما[٦] مِثلَ القصد في الآية الأولى؛ وذلك أن قوله: ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ جاء بعد خبر الله تعالى عن مخالفة أهل الكتاب للنبي ﷺ في القِبلة؛ لأنه عزَّ اسمه قال[٧]: ﴿وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ وَمَا بَعۡضُهُم بِتَابِعٖ قِبۡلَةَ بَعۡضٖۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥]، فمنَع عزَّ وجلَّ من[٨] اتباع أهوائهم في أمر القِبلة، وهو بعض الشرع، بما حصَل له من العِلم بأن القِبلة هي التي أُمِر النبي ﷺ بالتوجُّه إليها[٩]، فإذا كان ذلك[١٠] بعضَ الشرع كان العِلمُ بصحته[١١] بعضَ عِلمِ[١٢] الشرع، ولم يكن[١٣] كالعِلم في الآية الأولى[١٤]

---

(١) في (ب): «هاتين».
(٢) في (ك): «يخص».
(٣) «للعلم» ليست في (أ).
(٤) في (ر): «بالأكبر».
(٥) هما قوله تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ [البقرة: ١٤٥]، والموضع الثاني قوله تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ [الرعد: ٣٧].
(٦) في (ب): «منهما».
(٧) في (ب، ك): «قال عز اسمه».
(٨) في (ب): «عن»، و«من» ساقطة في (ك).
(٩) ذلك في قوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤].
(١٠) في (ب): «كذلك».
(١١) في (ب): «بصحة».
(١٢) «علم» ساقطة من (ب).
(١٣) في (أ): «فلم يكن».
(١٤) أي: الآية [١٢٠] من سورة البقرة.

إسلام ويب islamweb.net

الذي[١] هو محيطٌ بكلِّ الشرع وبكل[٢] الإيمان. فلمّا كان[٣] واقعًا على بعض ما وقع عليه الأولُ[٤]، لم يشتهر[٥] شهرتَه؛ فعُبِّر عنه باللفظ الأقصر[٦] كما[٧] خُصَّ الأولُ باللفظ الأشهر[٨].

وكذلك قوله تعالى في سورة الرعد [٣٧]: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ﴾، إنما جاء بعد قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ﴾ [الرعد: ٣٦]، فنهى الله تعالى عن اتباع أهوائهم في البعض[٩] مما أُنزِل إليه[١٠]، وهو الذي ينكره[١١] الأحزاب، بما ثبَت له[١٢] من العِلم بصحة هذا البعض الذي ينكرونه، كما ثبَت له بباقيه.

فلما كان هذا العِلمُ بعضَ العِلم الذي عُبِّر عنه بلفظة «الذي»، صار

---

(١) في (ب): «التي»، وهو خطأ.
(٢) في (أ، ب، ك): «وكل»، والمثبت من (ر).
(٣) أي: أمر القبلة.
(٤) هو الشرع والدين كله، والقبلة بعض الشرع، ولا تمثِّل الشرع كلَّه.
(٥) في (أ): «لم يشهره»، وفي (ك): «لم يشهر»، والمثبت من النسخ الأخرى.
(٦) هو لفظ «ما».
(٧) في (ب): «لما».
(٨) هو لفظ «الذي».
(٩) أي: في بعض القرآن الذي أنكره الأحزاب، وهم كفار أهل الكتاب الذين تحزَّبوا على رسول الله ﷺ بالعداوة نحو كعب بن الأشرف وأصحابه. وفي إنكارهم بعض القرآن وجهان؛ أحدهما: أنهم عرفوا نعت رسول الله ﷺ في كتبهم وأنكروا نبوته، والثاني: أنهم عرفوا صدقه وأنكروا تصديقه. ذكرهما الماوردي في تفسيره (١: ٣٣٤).
(١٠) في (ب): «أنزل إليه عز وجل»، وفي (د): «بما أنزل الله عز وجل».
(١١) في (ر): «تنكره».
(١٢) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «لهم».

إسلام ويب islamweb.net

كالشائع في أبعاضٍ هي[١] مجموعةٌ في الأول الذي عُبِّر عنه باللفظ الأشهر، فكان العِلمُ المانعُ من اتباع أهوائهم فيه مِثلَ[٢] ما عُبِّر به[٣] عن ذلك.

فإن قال قائل[٤]: فكيف[٥] خصَّ ما في القِبلة بلفظة «مِن» فقال: ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ [البقرة: ١٤٥]، ولم يكن ذلك في قوله: ﴿بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ [البقرة: ١٢٠]، ولا في قوله في سورة الرعد [٣٧]: ﴿بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾؟ وهل لاختصاص هذا المكان بـ«مِن» فائدةٌ تخصُّه[٦] دون المكانين الآخرين؟

قلت: هنا فائدة تقتضي «مِن»، وليست في الآيتين الأخريين[٧]، وهي: أن أمر القِبلة مخصوص بفرائض مُضيَّقة وأوقات مخصوصة[٨] لها في اليوم وفي الليلة[٩] مُؤقَّتة، فخُصَّ بـ«مِن» التي هي لابتداء الغاية، والقِبلةُ شرعٌ كان[١٠] يجوز نسخه كما نُسِخ ما هو مِثلُه[١١]، فكأنه قال هناك: «ولئن اتبعتَ أهواءهم» من الوقت الذي جاءك العِلمُ فيه بالقِبلة التي وُلِّيتها[١٢]، وأُمِرت[١٣] بالتوجُّه

(١) «هي» سقطت في (ب).
(٢) في (ب): «بمثل».
(٣) «به» سقطت من (أ).
(٤) من قوله: «فإن قال قائل» إلى «ولا في قوله» ساقط من صلب المتن في (أ)، وأُثبِت في الجانب الأيسر ولكنه ممسوح الخط.
(٥) في (ب): «وكيف».
(٦) «تخصه» أُثبِتت من (ك).
(٧) في (ب): «الأخرتين».
(٨) في (ك): «خمسة».
(٩) في (ب): «والليلة».
(١٠) «كان» ليست في (أ).
(١١) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «قبله» بدل «مثله».
(١٢) في (أ): «دليتها».
(١٣) في (أ): «فأمرت».

إسلام ويب islamweb.net

نحوها[١]؛ صِرتَ[٢] من الظالمين[٣].

فلمّا تخصَّص بوقت مُضيَّق محدود، لم يكن بدٌّ في المعنى من العِلم بالوقت الذي نُقِل فيه عن القِبلة الأولى[٤] إلى غيرها، وليس كذلك ما بعد قوله: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾؛ لأن العِلم الذي وقَع التوعُّد معه على اتباع أهواء أهل الكتاب لم يتخصَّص وجوبُ العِلم به بوقت دون وقت؛ إذ[٥] كان واجبًا في الأوقات كلِّها، ولم يكن مما[٦] يجوز أن يُنسَخ؛ لأنه عُلِم بالإيمان، وصحة الإسلام، وبطلان الشرك والكفر، فلما لم يتخصَّص وجوبه بوقت دون آخر، لم يحتَج معه إلى لفظة «مِن» التي هي[٧] للحدِّ وابتداء الغاية.

وكذلك الآية في سورة الرعد، لما كان العِلمُ المانعُ من اتباع أهوائهم عِلمًا بأن[٨] جميع ما أنزل الله[٩] تعالى حق، وأن قول الأحزاب الذين يُنكِرون بعضه باطل؛ كان هذا أيضًا من العلوم التي لا يتخصَّص[١٠] الفرضُ فيها بوقت يجب حدُّه بزمان[١١]، بل هو واجب في الأوقات كلها، فلم يكن لدخول «من»

---

(١) في (ك): «إليها».
(٢) «صرت» سقطت من المطبوعة.
(٣) ذلك في الآية [١٤٥] من سورة البقرة.
(٤) أي: بيت المقدس، وكان التوجُّه إليه ثابتًا بالسنة ثم نُسِخ بالقرآن، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤].
(٥) في (ب، ك): «إذا».
(٦) في (أ): «ما».
(٧) «هي» ساقطة من (أ).
(٨) في (ب): «أن».
(٩) في (أ): «ما نزل ما أنزل الله»، وهو خطأ.
(١٠) في (أ): «لا يخصص».
(١١) في (أ، ك): «بمن»، والمثبت من (ب).

إسلام ويب islamweb.net

في الآيتين[١] مُقتضٍ[٢] كما كان له في الآية المتوسِّطة[٣].

ومما يبيِّن لك الأغراض التي أشرتُ[٤] إليها في[٥] الآي[٦] الثلاث، وأنها تجوز أن تكون مقصودة ـ والله أعلم ـ: ما اقترن من الوعيد بكل واحدة[٧] منها؛ فالموضع الذي منَعه بعِلمه من[٨] اتباع أهوائهم في قوله: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]، هو منعٌ من الأعظم الذي هو الكفر، فكان[٩] الوعيدُ عليه[١٠] أغلظَ، وهو قوله: ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

والآية الأخيرة أيضًا[١١]، لمّا كان العِلمُ بها مانعًا من العمل بشَطر من الدين، وتَركِ شَطر منه؛ كان مِثلَ الأول في استحقاق الوعيد، وكان مِثلَه في الغِلظة، وهو قوله: ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ [الرعد: ٣٧].

وأما اتّباع أهوائهم في أمر القِبلة، فلأنه[١٢] مما يجوز نسخُه، فكان الوعيدُ عليه أخفَّ[١٣] من الوعيد على ما هو الدين كلُّه أو بعضُه مما لا يجوز[١٤] تبديله

(١) هما آية سورة البقرة [١٢٠] وآية سورة الرعد [٣٧].
(٢) في (ب): «مقتضى».
(٣) هي آية سورة البقرة [١٤٥].
(٤) في (ك): «أشرنا».
(٥) «في» أُثبتت من (ك ر)، وفي (أ): «والآي».
(٦) في (ك): «الآيات».
(٧) في (ك): «واحد».
(٨) في (ب): «من».
(٩) في (ك): «فصار».
(١٠) في (ك): «فيه».
(١١) «أيضًا» سقطت من (أ).
(١٢) في (أ): «فإنه».
(١٣) في (ر): «أخوف».
(١٤) في (ب): «لا يصح».

إسلام ويب islamweb.net

وتغييره، فصار[١] الوعيدُ المُقارِن[٢] له دونَ الوعيد المقرون في الموضعين[٣] الآخرين[٤]، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥]؛ أي: إن فعلتَ ذلك وضعتَ الشيء غير موضعه، ونقَصتَ الدين حقَّه. فهذا الكلام في الفرق بين المواضع الثلاثة.

[١٠] الآية العاشرة[٥]:

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [البقرة: ١٢٦].

وقال في سورة إبراهيم[٦] [٣٥]: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾.

للسائل[٧] أن يسأل فيقول: لِمَ كان في سورة البقرة[٨] «بلدًا»[٩] نكرة، وفي سورة إبراهيم معرفة؟

والجواب[١٠] عن ذلك من وجهين:

أحدهما: أن يقال: إن[١١] **الدعوة الأولى** وقعت ولم[١٢] يكن المكان قد جُعِل بلدًا، فكأنه قال: ربِّ[١٣] اجعل هذا الواديَ بلدًا آمِنًا؛ لأن الله تعالى

(١) في (ر): «فكان».
(٢) في (ر): «مقارن».
(٣) في (ب، ك): «بالموضعين».
(٤) «الآخرين» ليست في (ر).
(٥) في (ك): «الآية العاشرة في هذه السورة».
(٦) في (أ، ب): «وفي سورة إبراهيم»، والمثبت من (ك).
(٧) في (ك): «فللسائل».
(٨) في (أ، ب): «في هذه السورة»، والمثبت من (ك).
(٩) في (ب): «بلد».
(١٠) في (ك): «الجواب».
(١١) «إن» ساقطة من (ب، ك).
(١٢) «ولم» تكررت في (أ).
(١٣) «رب» ليست في (ب).

إسلام ويب islamweb.net

حكى عنه[١] أنه قال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم: ٣٧] بعد قوله: اجعل هذا الواديَ بلدًا آمِنًا[٢]، ووجهُ[٣] الكلام فيه: تنكير «بلد» الذي هو مفعولٌ ثانٍ[٤]، و«هذا» مفعولٌ أول.

والدعوة الثانية وقعت وقد جُعِل[٥] الوادي[٦] بلدًا، فكأنه[٧] قال: اجعل هذا المكان الذي صيَّرتَه كما أردتُ، ومصَّرتَه كما سألتُ[٨]، ذا أمنٍ على من أوى إليه ولاذ به[٩]؛ فيكون ﴿ٱلۡبَلَدَ﴾ على[١٠] هذا عطفَ بيانٍ على مذهب سيبويه[١١]، وصفةً على مذهب[١٢] .....

(١) أي: عن إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

(٢) «آمِنًا» ليست في (ب).

(٣) في (ك): «وجه».

(٤) في (ب): «ان»، وهو خطأ.

(٥) في (ك): «وقد جعلت».

(٦) «الوادي» أُثبِتت من (ر).

(٧) في (ب): «وكأنه».

(٨) في (ر): «سئلت».

(٩) «ولاذ به» أُثبِتت من (ك، ب، ر). ومعنى «لاذ به»: لجأ إليه. لسان العرب (٣: ٥٠٧ لوذ).

(١٠) في (ب، ك): «بعد»، بدل «على».

(١١) يرى سيبويه رحمه الله أنَّ ما يأتي بعد الأسماء المبهمة مثل أسماء الإشارة يكون عطفًا، فيقول: «فالأسماء المبهمة تُوصَف بالألف واللام ليس إلا، ويُفسَّر بها، ولا تُوصَف بما يُوصَف به غير المبهمة، ولا تُفسَّر بما يُفسَّر به غيرها إلا عطفًا». الكتاب لسيبويه (٢: ١٩٠).

(١٢) يرى المبرد رحمه الله أن ما يأتي بعد الأسماء المبهمة يكون نعتًا، ويمثِّل لذلك فيقول: «إذا قلت: جاءني هذا الرجل، لم يكن على معهود، ولكن معناه: الذي ترى. فإنما «هذا» اسم مُبهَم يقع على كل ما أومأتَ إليه بقُربك، وإنما توضِّحه بما تنعته به». المقتضب للمبرد (٤: ٢١٦). وذكر الصيمري رحمه الله الفرق بين الصفة وعطف البيان فقال: «الفرق بين الصفة وعطف البيان: أن الصفة معنًى، كلُّ من كان فيه وجب أن يُوصَف به، مثل قولك: زيد العاقل، فكل من حصل فيه العقل فقد استحق الصفة بعاقل، وليس كذلك عطف البيان؛ لأنه ليس كل أحد يجب أن يُسمّى بزيد، فقد بان أن عطف البيان لو شاركه غيره في كل شيء =

إسلام ويب islamweb.net

أبي العباس المُبرِّد[١]، و﴿ءَامِنَا﴾ مفعولًا ثانيًا[٢]، فعرَّف حيث[٣] عُرِف[٤] بالبلديّة، ونكَّر حيث كان مكانًا من الأمكنة غيرَ مشهور بالتميُّز[٥] عنها بخصوصية[٦] من عمارةٍ وسُكنى الناس[٧].

والجواب الثاني: أن تكون الدعوتان واقعتين بعدما صار المكانُ بلدًا، وإنما طلَب من[٨] الله تعالى أن يجعله آمِنًا[٩]. وللقائل أن يقول[١٠]: اجعل

= لم يجب له مثل اسمه العَلم». التبصرة والتذكرة للصيمرى (١: ١٨٣).

(١) هو محمد بن يزيد الأزدي البصري، أبو العباس المعروف بالمبرد، نحوي أخباري، صاحب «الكامل» مطبوع، و«المقتضب» مطبوع. وُلِد بالبصرة سنة (٢١٠هـ) وتوفي ببغداد سنة (٢٧٦هـ). سير أعلام النبلاء (١٣: ٥٧٦)، والأعلام (٧: ١٤٤).

(٢) في (ر): «مفعول ثان».

(٣) في (د): «حين».

(٤) «عرف» ساقطة من (أ).

(٥) في (أ، ب، ك): «بالتمييز»، والمثبت من (ح، خ، ر).

(٦) في (أ): «خصوصية» من دون الباء.

(٧) هذا لا يتنافى مع كون سورة البقرة مدنية وسورة إبراهيم مكية، حتى يقال: إن القاعدة المعروفة أن تتقدم النكرة وتتأخر المعرفة؛ لأن الواقع من إبراهيم عليه الصلاة والسلام ليس على الترتيب الموجود في القرآن الكريم.

(٨) في (ب): «إلى».

(٩) هذا الجواب الثاني هو اختيار الزمخشري حيث قال (٢: ٣٧٩): «فإن قلت: أي فرق بين قوله: ﴿ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ وبين قوله: ﴿ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنًا﴾؟ قلت: قد سأل في الأول أن يجعله من جملة البلاد التي يأمن أهلها ولا يخافون، وفي الثاني أن يخرجه من صفة كان عليها من الخوف إلى ضدها من الأمن، كأنه قال: هو بلد مَخُوف فاجعله آمنًا». قلت: لا يخفى أن كلام الزمخشري مبني على أن الدعوتين وقعتا بعد أن صار المكان بلدًا.

(١٠) في (ب، ك): «والقائل يقول».

إسلام ويب islamweb.net

ولدك هذا ولدًا أديبًا، وهو ليس يأمُره[١] بأن يجعله ولدًا؛ لأنّ ذلك ليس[٢] إليه، وإنما أمَره[٣] بتأديبه، فكأنه قال: اجعله على هذه الصفة، وهذا كما يقول[٤]: كن رجلًا موصوفًا بالسخاء، وليس يأمُره[٥] بأن[٦] يكون رجلًا، وإنما يأمُره[٧] بما يجعَله[٨] وصفًا له من السخاء، فذكَر الموصوفَ وأتبعَه الصفة، وهذا[٩] كما تقول: كان اليومُ يومًا حارًّا، فتجعل[١٠] «يوما»[١١] خبر «كان»، و«حارًّا» صفةً له، ولم تقصد أن تُخبِر عن اليوم بأنه[١٢] كان يومًا[١٣]؛ لأنه[١٤] يصير خبرًا غيرَ[١٥] مفيد، وإنما القصد أن تُخبِر عن حَرِّ اليوم، فكان[١٦] الأصل أن تقول: كان اليومُ حارًّا، وأعدتَ لفظ[١٧] «يوم» لِتجمع بين الصفة والموصوف، فكأنك قلت: كان هذا اليومُ من الأيام الحارّة، وكذلك تقول: كانت الليلةُ ليلةً باردة، فتنصبُ «ليلة» على أنها خبرُ «كان»، وحكمُ الخبرِ أن يَتِمَّ به الكلام، ولو قلت: كانت الليلةُ ليلةً، لم يكن الكلام تامًّا؛ لأن القصد إلى الصفة دون الموصوف. فكذلك قوله تعالى: ﴿رَبِّ[١٨] ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [البقرة: ١٢٦]، يجوز أن

---

(١) من قوله: «وهو ليس يأمره» إلى قوله: «بأن يكون رجلًا» ساقط من (ك).
(٢) في (أ): «ليس ذلك».
(٣) في (ب): «يأمره».
(٤) في (ر): «تقول».
(٥) في (ب، ر): «تأمره».
(٦) في (أ، ب): «أن»، والمثبت من (ك).
(٧) في (ب): «تأمره».
(٨) في (ب): «بما جعله».
(٩) في (ب): «وهو».
(١٠) في (ب): «فيجعل».
(١١) «يومًا» سقطت من (ر).
(١٢) في (أ، ب، ك): «أنه»، والمثبت من (ر).
(١٣) في (أ): «اليوم».
(١٤) «لأنه» ساقطة من (ر).
(١٥) في (ب): «عن غير»، ولا وجه له.
(١٦) في (ب): «وكان».
(١٧) في (ر): «لفظة».
(١٨) ليست في (ع).

إسلام ويب islamweb.net

يكون المراد: اجعل هذا البلد بلدًا آمِنًا، فيدعو له بالأمن بعدما قد[١] صار بلدًا على ما مثَّلتُ[٢]، ويكون مِثلَ[٣] قولـه: ﴿ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا﴾ [إبراهيم: ٣٥]، وتكون الدعوةُ واحدةً قد أخبَر الله تعالى عنها في الموضعين[٤].

فأما قول من يقول: إنه جعل الأولَ نكرة، فلما أُعيد[٥] ذِكرُها أُعيد بلفظ[٦] المعرفة، كما تقول: رأيت رجلًا، فأكرمتُ الرجلَ؛ فليس بشيء، وليس ما ذكَره مثلًا لهذا، ولا هذا المكانُ مكانُه[٧].

[١١] الآية الحادية عشرة:

في[٨] هذه السورة مُفارَقة للآي التي شرطنا الفرقَ بينها وبين ما خالفها[٩] بلفظ يسير من الآية[١٠] التي بإزائها غير أنها مِثلُها في التكرار[١١]، والحاجةِ إلى

---

(١) «قد» ساقطة من (ب).
(٢) في (ك): «مثلنا».
(٣) في (ب): «مثله».
(٤) هناك جواب ثالث؛ وهو أنه تقدَّم في سورة البقرة ذكرُ البيت في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا﴾ [البقرة: ١٢٥]، وقوله: ﴿وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ﴾ [البقرة: ١٢٥]، وتعريف البيت حاصل منه تعريف البلد؛ لأن ذكر البيت يقتضي بالملازمة ذكر البلد الذي هو فيه، فلم يحتج إلى تعريف، بخلاف آية سورة إبراهيم، فإنها لم يتقدَّم قبلها ما يقتضي ذكرَ البلد ولا المعرفة به، فذكره بلام التعريف. وإلى هذا ذهب ابن الزبير في ملاك التأويل (١: ٢٣٤).
(٥) في (ب): «أعد».
(٦) في (ب): «لفظ».
(٧) في (ب): «وليس ما ذكره مثل هذا المكان مكانه».
(٨) في (أ، ب): «من»، والمثبت من (ك، ر).
(٩) في (أ، ب): «بينها فيما خالفها»، والمثبت من (ك، ر).
(١٠) في (ع): «الآي».
(١١) في (ب): «التكررة»، وفي (ك): «التكر»، وفي (ر، ع): «التكرر»، والمثبت من (أ).

إسلام ويب islamweb.net

ذِكر[١] الفائدة في إعادتها، وهي قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤].

للسائل في ذلك سؤلان:

أحدهما: أن يقول: ما فائدة الآية وهي خبرٌ يعلَمه المخاطَب قبل أن يُخبَر به، ولا[٢] يستفيد بذِكره ما لم يكن يعلَمه[٣] قبلُ؟ لأنه يعلَم أن الأُمّة[٤] التي[٥] وصّاها يعقوب عليه السلام قد مضت وانقضت[٦]، ولها ما كسبت من أجر، وعليها ما اكتسبت من إثم، وللمخاطَبين أيضًا أن يُؤاخَذوا بعملهم، لا بعمل غيرهم، ولا يُسألوا[٧] عمّا عمِله مَن تقدَّمهم. وإذا كان معنى الآية هكذا[٨] فهو معلوم لكل أحدٍ مميِّز[٩] لا يحتاج إلى استفادته بإخبار مُخبِر.

والسؤال الثاني هو عن[١٠] تكرار هذه الآية[١١]؛ لأنها ذُكِرت في صدر العَشر المفتتَحة بقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ﴾[١٢] [البقرة: ١٣١]، ثم

(١) «ذكر» سقطت من (ر).
(٢) في (ب): «فلا».
(٣) في (ب، ك، ع): «علِمه».
(٤) المراد بالأمة التي وصاها يعقوب عليه السلام: بنو يعقوب، حيث إنه عليه السلام وصّى بنيه ما وصّى به أبوه إبراهيم عليه السلام بنيه كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢].
(٥) «التي» سقطت من (ك).
(٦) «وانقضت» ليست في (أ).
(٧) في (أ، ع): «ولا يُسألون».
(٨) في (ب، ك): «هذا».
(٩) في (ب، ك، ع): «لكل مميز».
(١٠) «عن» سقطت من (أ).
(١١) حيث إن هذه الآية تكرَّرت في الآية [١٤١] من سورة البقرة، وهي: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.
(١٢) تمام الآية: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

إسلام ويب islamweb.net

أُعيدت[١] في خاتمة هذه العَشر التي تنقطع إلى قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا﴾ [البقرة: ١٤٢].

فأما الجواب[٢] عن السؤال الأول وذكرُ فائدة الآية مع وضوح معناها لكل ذي معرفة فمن[٣] وجهين.

أحدهما: أن يكون مِثلُ هذا الكلام يقال، وإن كان معلومًا للإنسان، على سبيل التنبيه على العصيان والبراءة إليه من فعله، وأنه[٤] هو[٥] المؤاخَذ[٦] به من[٧] دون غيره، فيخرُج[٨] الكلام على حدٍّ من المَعدلة[٩] والنَّصَفة[١٠] لا مذهبَ لأحد عنه، ويكون هذا أدعى له[١١] إلى التأمُّل والتدبُّر، وأقربَ له[١٢] من التبصُّر، كما قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ[١٣]﴾ [يونس: ٤١]، فهذا أيضًا معلوم، إلا أنه على سبيل تخليتهم مع النظر[١٤] لأنفسهم والتبرِيء[١٥]

(١) أي: تلك الآية، وهي: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ إلى آخر الآية.

(٢) في (ر): «فالجواب».

(٣) في (أ، ب، ك): «من»، والمثبت من (ر).

(٤) في (أ): «فإنه».

(٥) «هو» ليست في (ر).

(٦) في (ب): «المأخوذ».

(٧) «من» سقطت من (ب).

(٨) في (ك): «فخرج».

(٩) المعدلة: العدل، وجاء في لسان العرب (١١: ٤٣١ عدل): «العدالة والعدولة والمعدِلة والمعدَلة كله: العدل، والعدل ضد الجور».

(١٠) جاء في اللسان (٩: ٣٣٢ نصف): «النَّصَف والنَّصَفَة والإنصاف: إعطاء الحق».

(١١) «له» سقطت من (أ).

(١٢) في (ب): «إليه».

(١٣) «﴿وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾» ليست في (ع).

(١٤) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «من النظر»، وفي (ك): «مع البطر».

(١٥) في (ب): «والتبر»، وهو خطأ.

إسلام ويب islamweb.net

مما يعود بسُوء العاقبة عليهم، وعلى هذا الحدِّ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]، وهذا كثير، والقصدُ به مفيد كما بيَّنّا.

والوجه الثاني من الجواب عن السؤال الأول أن يقال: إن هذه الآية تبكيت[١] للمعانِدين من أهل الكتاب الذين ادَّعوا أن لزوم دينهم وشريعتهم مما أوجبه الأنبياء ـ صلوات الله عليهم وسلامه ـ على سَلَفهم وخَلَفهم، فاحتجَّ عليهم بأن[٢] ما يدَّعونه لا يقدِرون فيه[٣] على أن يقولوا: إنهم سمعوا ذلك منهم مُشاهَدةً؛ لقوله تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى﴾[٤] [البقرة: ١٣٣] على معنى: لم تكونوا شهداء، فإذا لم يثبُت[٥] ذلك عندهم بمُشاهَدة تقطع العُذرَ وتُلزِم الحُجّةَ؛ لأن تلك الأُمّة قد خلت وانقضت وأدَّت عن الله تعالى ما تحمَّلت[٦]، وهو أن تكون التوراة قد أخبَرت بمجيء عيسى عليه السلام ومجيء النبي ﷺ بعده[٧]، فلها الأجر في صحة أدائها وإظهارها[٨] ما أخذ الله به من[٩] الميثاق عليها[١٠] في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾[١١] [آل عمران: ١٨٧].

---

(١) قال في اللسان (٢: ١١ بكت): «التبكيت: التقريع والتوبيخ».
(٢) «بأن» سقطت من (ك).
(٣) «فيه» ليست في (أ).
(٤) «﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى﴾» ليس في (ك).
(٥) في (ر): «فإذا ثبت».
(٦) «ما تحملت» سقطت من (ب).
(٧) «بعده» سقطت من (أ).
(٨) في (ع): «في صحة أدائها وأداء وإظهار».
(٩) في (ب، ع): «الميثاق» من دون حرف الجر.
(١٠) في (ب): «عليهم».
(١١) في (ع): «﴿لَيُبَيِّنُنَّه... يكتمونه﴾»، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وشعبة.

إسلام ويب islamweb.net

ومعنى[١] ﴿وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ﴾ أي[٢]: إثمُ ما كسبتم[٣]؛ لِما[٤] نبذتم[٥] ذلك وراء ظهوركم، واشتريتم به ثمنًا قليلًا، فهذا معنى قوله: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ﴾.

يبيِّن ذلك أنهم[٦] إذا لم يعلَموا ما يدَّعونه من طريق المُشاهَدة، لم يبقَ إلا أن يعلَموه[٧] بخبرِ مُخبِر، والمُخبِر الذي بينهم وبين تلك الأُمّة ممَّن يجوز[٨] عليه الكذب، فهذا[٩] خبرُ الله[١٠] تعالى، وهو[١١] الخبر الذي لا يكذِب نبيُّه[١٢] على ذلك بقوله[١٣] عند الانتهاء: ﴿أَمْ تَقُولُونَ[١٤] إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٤٠]؛ أي: إذا لم تعلَموا ذلك من طريقِ مُشاهَدةٍ[١٥] لانقضاء تلك الأُمّة، فالله تعالى أعلمُ منكم[١٦]، وقوله[١٧] أصدقُ من قِيلكم، وأنتم تعلمون فتكتمون ما عندكم من الشهادة حسدًا وبغيًا وطلبًا

---

(١) من هنا إلى قوله: «فهذا معنى قوله: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ﴾» سقط من (ك).

(٢) ليست في (ع).

(٣) «إثم ما كسبتم» سقطت من (أ).

(٤) في (ب): «أما»، بدل «لِما»، وهو خطأ.

(٥) في (ب): «نبذكم».

(٦) في (ب، ك): «أنه».

(٧) في (أ): «يعلمونه».

(٨) «يجوز» ليست في (ر).

(٩) في (ب، ع): «وهذا».

(١٠) في (ك): «عن الله»، بدل «خبر الله».

(١١) «وهو» ليس في (أ).

(١٢) في (ب، ك، ع): «ينبِّه».

(١٣) في (ب): «قوله».

(١٤) في بعض النسخ: «﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾»، وهي قراءة ابن كثير ونافع وعاصم في رواية أبي بكر، والمثبت وهو بالتاء قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص. كتاب السبعة لابن مجاهد (ص١٧١).

(١٥) في (ر): «المشاهدة».

(١٦) في (ك): «منكم أعلم».

(١٧) في (ب، ك، ع): «وقيله».

إسلام ويب islamweb.net

للرئاسة، والله تعالى قد[١] ثبَت ببَعثة[٢] محمدٍ ﷺ أنه رسوله، وأن هذا القرآن تنزيله بحُجَج لائحة[٣]، وبراهين[٤] واضحة، وهو ـ عزَّ من قائل ـ يُخبِر خبرًا حقًّا وقولًا صدقًا[٥]، أن الذي[٦] يدَّعون نقلَه عنهم ليس بحق. فإذا بطَل عِلمُكم[٧] من طريق المُشاهَدة، ومن[٨] طريق الخبر؛ لم يثبُت لكم من الحُجّة ما ثبَت[٩] عليكم، ويكون معنى قوله: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾: و[١٠] لا تُسألون عن عملهم؛ لأنه لا حُجّةَ لكم فيه، بل الحُجّة عليكم به؛ لأن عملهم إبلاغُهم الرسالة[١١]، وفيها ما هو حُجّة عليكم، وقد قاموا به حقَّ القيام، وثبَت لهم صِدقُ هذا[١٢] المَقام[١٣]، فلا تُسألون عن عملهم الذي هو صفتهم[١٤]، ولا يقال لكم: هل أدَّوْا ذلك إليكم؟ لوضوح الحُجّة به عليكم.

(١) «قد» ليست في (ك).

(٢) في (ك): «ببعثه».

(٣) أي: بأدلة ظاهرة، والحُجج جمع الحجة، وهي الدليل والبرهان مثل غُرفة وغُرَف. المصباح (١: ١٢١).

(٤) البراهين جمع البرهان، وهو الحجة. المصباح (١: ٤٦).

(٥) في (ب): «قولًا وفعلًا».

(٦) في (ب): «الذين».

(٧) في النسخ المعتمدة: «علم»، والمثبت من (خ، ر).

(٨) «من» ليست في (ك).

(٩) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «يثبت».

(١٠) في (أ، ب، ك، ع): «لا»، والمثبت من (ر).

(١١) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «بل الحجة عليكم إبلاغهم الرسالة».

(١٢) «هذا» ليست في (ب)، وفي (ك): «هذه»، والمثبت من (أ).

(١٣) في (ك): «المقالة».

(١٤) في (ك): «هذه صفته»، وفي (ر): «هو صفته».

إسلام ويب islamweb.net

ويجوز أن يكون في ضمن هذه الآية: «وهم مسؤولون عن عملكم تبكيتًا لكم، وتثبيتًا[١] لحُجّتهم[٢] عليكم»، فيُذكَر أحدُ الضدَّين، ويُكتفى به[٣] عن الضدِّ الذي ينافيه، كما قال الله[٤] تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] في معناه: وتقيكم البرد[٥]، فكذلك قوله: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ وهم مسؤولون عن عملكم، كقوله[٦] تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦]، فأخبر ـ عزَّ اسمه ـ أنه[٧] يسأل عيسى عليه السلام عن عمل القوم بعده، وادِّعائهم عليه ما لم يقُله[٨]؛ تبكيتًا للقوم وتثبيتًا[٩] للحُجّة[١٠] عليهم، فذلك[١١] معنى المحذوف من الآية بإزاء المُثبَت فيها اكتفاءً بذكره عنه[١٢].

وبقي الجواب عن فائدة تكرار الآية في أول هذه[١٣] العَشر، وفي آخرها، وهو[١٤] أنها[١٥] ذُكِرت في الأول بعد قوله تعالى[١٦]: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ

(١) في (أ): «وتبيينًا».
(٢) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ، ع): «لحجته».
(٣) «به» ليست في (ر).
(٤) لفظ الجلالة أُثبِت من (ب).
(٥) في (ك، ر): «ومعناه: وتقيكم الحر والبرد».
(٦) في (ك): «كما قال الله»، وفي (ع): «لقوله».
(٧) «أنه» أُثبِتت من (ر). وفي (ع): «فأخبر أنه عزَّ اسمه».
(٨) في (أ): «لم يقل».
(٩) في (أ): «وتبيينًا».
(١٠) في (ب): «لحجته».
(١١) في (ب): «فكذلك».
(١٢) في جميع النسخ: «عنها»، ولا معنى له؛ لأن الضمير هنا يعود على المحذوف من الآية لا على الآية نفسها.
(١٣) في (ب): «هذا».
(١٤) في (ع): «وهي».
(١٥) في (ر): «أنها إذا».
(١٦) في (أ، ب، ع): «بعد الأول في قوله»، والمثبت من (ك، ر، خ).

إسلام ويب islamweb.net

يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى ۖ قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ۞ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ﴾[1] [البقرة: ١٣٣، ١٣٤]، ومعناه: أن إسرائيل عليه السلام قرَّر بنيه على عبادتهم التي ثبَتت[2] عندهم ووصّاهم بها، فقال تعالى لهؤلاء: أتنفُون ما ثبَت من وصية يعقوب عليه السلام بنيه[3]، وتقريرِه إياهم[4]، وإقرارِهم بها[5]، والأُمّةُ قد انقضت، وحالُها في عبادتها قد ثبَتت[6]؟ ومَن نفى ما ثبَت من الدين فقد دخَل في الكفر، فهذه الآية الأولى عقب[7] ما ثبَت من تقرير يعقوب عليه السلام لبنيه[8] وإقرارِهم له، وهذه الآية كُرِّرت بعينها بعد قوله تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾[9] [البقرة: ١٤٠]؛ أي[10]: أم أنتم تُثبِتون[11] ما هو مُنتفٍ؟ ومَن أثبَت في الدين ما ليس منه[12] من هذا[13] البهتان[14] العظيم

---

(١) قوله تعالى: «﴿وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ﴾» ليس في (ب، ع)، وقوله: «﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ﴾» ليس في (ك).

(٢) في (ر): «ثبت»، وفي (ع): «تثبُت».

(٣) «بنيه» أُثبِتت من (أ).

(٤) في (ع): «وتقرير آبائهم».

(٥) في (ب، ك، ع): «به».

(٦) في (أ، ب، ك): «ثبت»، والمثبت من (ر، ح، خ).

(٧) في (ب، ع): «عقيب».

(٨) في (أ): «لنبيه»، وهو خطأ من الناسخ.

(٩) في (ع) إلى قوله: «﴿وَيَعْقُوبَ﴾»، وفي بعض النسخ: «أم يقولون»، وهي قراءة متواترة، وانظر الحاشية (١٤) من صفحة (٢٦٢).

(١٠) في (ع): «الآية أي».

(١١) في (أ، ب، ك): «مثبتون»، والمثبت من (ح، خ، ر).

(١٢) في (ب، ع): «فيه».

(١٣) «هذا» سقطت من (ب).

(١٤) «البهتان» ليست في (ك).

إسلام ويب islamweb.net

فهو في الإثم كمَن نفى عنه ما هو منه[١]، ففي الأول[٢] نفيُ ما هو ثابتٌ من إقرار بني إسرائيل، وفي الثاني[٣] إثباتُ ما هو مُنتفٍ[٤] من كون إبراهيم وإسماعيل وإسحاق[٥] هودًا أو نصارى، وكلٌّ واحد من هذين[٦] يُوجِب من البراءة، ويُستحَقُّ به من غِلَظ[٧] الوعيد، والتخويفِ بالعقاب، والتنبيهِ على الكبيرة التي[٨] تُحبِط الحسنات، مِثلَ ما يُوجِبه الآخَرُ، فلذلك أُعيد في الدعوى الثانية الباطلة[٩] ما قُدِّم في الدعوى الأولى الكاذبة، وكما[١٠] استحقَّت تلك[١١] براءةَ الذمة من قائلها، وتنبيهَه على فساد قوله، كذلك استحقَّت هذه، فصارت الثانيةُ في مكانها وحقِّها، كما وقعت الأولى في محلِّها ومُستحِقِّها، فلم[١٢] يكن ذلك تكرارًا[١٣]، بل كان وعيدًا عَقِيب كبيرة، كما كان الأول وعيدًا عَقِيب كبيرة أخرى[١٤] غيرِ الثانية. والسلام[١٥].

---

(١) في (ك): «فيه».
(٢) ذلك في الآية [١٣٣] من سورة البقرة.
(٣) ذلك في الآية [١٤٠] من سورة البقرة.
(٤) في (ب، ك، ع): «منفي».
(٥) «وإسحاق» أُثبتت من (ر).
(٦) أي: هذين الجُرمين وهما: نفي ما هو ثابت، وإثبات ما هو منتفٍ أصلًا.
(٧) في (أ): «غلط»، وهو خطأ.
(٨) في (أ): «الذي»، وهو خطأ.
(٩) تلك الدعوى: ادّعاؤهم اليهودية لإبراهيم عليه السلام.
(١٠) في (ب، ع): «فكما».
(١١) أي: الجريمة التي ارتكبوها حين نفوا وصية يعقوب عليه السلام لبنيه.
(١٢) في (ك): «ولم».
(١٣) في (أ): «تكرار».
(١٤) غير واضحة في (أ).
(١٥) «والسلام» ليست في (ك). قلت: يبدو أن المؤلف رحمه الله تعالى كان يملي على تلميذه المسائل مسألةً مسألة، وفي نهاية الحديث عن المسألة الواحدة كان يختمه بإلقاء السلام على تلميذه، فهذا هو السر في تكرار كلمة «والسلام» في مواضع كثيرة من هذا الكتاب. والله أعلم.

إسلام ويب islamweb.net

[١٢] الآية الثانية عشرة:

قوله تعالى في هذه السورة[١]: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

وقال تعالى شبيهًا[٢] بهذه[٣] الآية في سورة آل عمران [٨٤]: ﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾.

للسائل أن يسأل عن موضعين من هاتين الآيتين؛ **أحدهما**: قوله عز وجل: ﴿أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ في الأولى[٤]، و﴿عَلَيۡنَا﴾ في الثانية[٥]، **والموضع الثاني**: تكرار ﴿أُوتِيَ﴾ في الأولى، وحذفها[٦] في الثانية[٧]؛ فيقول: هل لاختيار[٨] «إلى» مع قوله: ﴿أُنزِلَ﴾ في سورة البقرة[٩] فائدة تُوجب اختصاصَها؟ وهل لاختيار «على» مع ﴿أُنزِلَ﴾ في سورة[١٠] آل عمران معنًى يقتضيها؟ ولِمَ كُرِّر ﴿أُوتِيَ﴾

(١) في (ك): «الآية الثانية عشر من هذه السورة قوله عز وجل».
(٢) في (ب): «مشبهًا».
(٣) في (ب): «لهذه».
(٤) في (أ): «في الأول».
(٥) في (ر): «وفي الثانية: ﴿أنزلنا علينا﴾».
(٦) في (ب، ع): «وتركها».
(٧) في (ك): «والموضع الثاني أنه قال في الآية من سورة البقرة: ﴿وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ﴾ فأعاد ﴿أُوتِيَ﴾ مع ذكر ﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ ولم يُعِده في موضعه من سورة آل عمران، وقال: ﴿وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ﴾».
(٨) في (ب): «الاختيار».
(٩) في (أ، ب): «في هذه السورة»، والمثبت من (ك).
(١٠) لفظ «سورة» ليس في (أ).

إسلام ويب
islamweb.net

هنا[١] ولم يُكرَّر هناك[٢]؟

والجواب المختصر[٣] المشار به إلى الفرق بين الموضعين في «إلى» و«على»[٤]: أن أول الآية[٥] التي اختصَّت بها[٦] «على»: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾، وأول الآية[٧] التي اختصَّت بها[٨] «إلى»: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾، وشرحُ ذلك: أن «على» موضوعةٌ لكونِ الشيء فوق الشيء، ومجيئِه من علوّ، فهي مختصة[٩] من الجهات[١٠] الست بجهة واحدة، و«إلى» للمنتهى، ويكون المنتهى[١١] من الجهات[١٢] الست كلها.

وإنْ[١٣] توجَّه نحوَ الشيء شيءٌ[١٤] عن يمينه[١٥]، أو عن شماله، أو من[١٦] قُدّامه، أو من ورائه، أو من فوقه، أو من تحته، فإنه إذا بلغه يقال فيه: انتهى إليه، فلا تتخصَّصُ «إلى» بجهة واحدة كما تتخصَّص «على».

---

(١) أي: في سورة البقرة، وفي (ك): «هناك»، وهو خطأ.

(٢) في (ك): «هاهنا».

(٣) «المختصر» أُثبِتت من (ك، ح، خ، ر، و)، وفي (أ): «المختص».

(٤) في (أ، ع): «في «على» و«إلى»».

(٥) الآية [٨٤] من سورة آل عمران.

(٦) في (أ، ب): «لها».

(٧) الآية [١٣٦] من سورة البقرة.

(٨) في (ب، ك): «لها».

(٩) في (أ، ب، ع): «فهو مختص»، والمثبت من (ك، ر، ق).

(١٠) في (ب): «بالجهات».

(١١) في (ب): «وتكون المنفي»، ولا وجه له.

(١٢) من قوله: «الست بجهة» إلى هنا سقط من (ع).

(١٣) في (ك): «فإن».

(١٤) «شيء» سقطت من (ك).

(١٥) في (أ، ب، ع): «من عن يمينه»، والمثبت من (ر، ح، خ، ك).

(١٦) «من» ليست في (أ).

إسلام ويب islamweb.net

فقوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾[١] اختيرت فيها «إلى»؛ لأنها مُصدَّرة بخطاب[٢] المسلمين، فوجب أن يُختار لها[٣] «إلى»، ثم جُعِل[٤] ما عُطِف عليه على لفظه لحقِّ[٥] الإتباع، وإن صحَّ فيه معنى الانتهاء، فالمؤمنون لم يُنزَل الوحي[٦] في الحقيقة عليهم من السماء، وإنما أُنزِل على الأنبياء[٧] صلوات الله عليهم وسلامه، ثم انتهى من عندهم إليهم، فلما كان[٨] ﴿قُولُوٓاْ﴾[٩] خطابًا لغير الأنبياء[١٠] وكان لأُممهم[١١]، كان اختيار «إلى» أولى من اختيار «على».

ولمّا[١٢] كانت في سورة آل عمران قد صُدِّرت الآيةُ بما هو خطاب للنبي ﷺ، وهو قوله[١٣]: ﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا﴾؛ كانت «على» أحقَّ بهذا المكان؛ لأن الوحي أُنزِل عليه.

وفي لفظة «أُنزل» دلالة انفصال الشيء من فوق إلى أسفل[١٤]، وأن يُقرَن إليه ما يُشاكله[١٥] فيما يستحقُّه من المعنى أولى، وإن كان القرآنُ قد نطَق

---

(١) قوله: «﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾» ليس في (ع).
(٢) في (ب): «لخطاب».
(٣) «لها» سقطت من (أ)، وفي (ك، ع): «له».
(٤) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «يجعل».
(٥) في (ك، ع): «بحق».
(٦) «الوحي» سقطت من (أ).
(٧) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «أوليائه».
(٨) في (ر): «كانوا»، وهو خطأ.
(٩) في (ب): «قوله»، وهو خطأ.
(١٠) من قوله: «صلوات الله عليهم» إلى هنا سقط من (ع).
(١١) في (ر): «لأمتهم»، وفي (ك): «وإنما كان لأمتهم».
(١٢) في (ب): «ولما».
(١٣) «قوله» ليست في (ب، ك).
(١٤) في (أ، ع): «دلالة انفصال الشيء من فوق ثم انتهى من عنده إليهم أسفل». وفي العبارة خلل ظاهر، والمثبت من (ب، ك).
(١٥) في (ب): «وإن قرب إليه ما شاكله».

إسلام ويب islamweb.net

بجميع ذلك في الأنبياء صلوات الله عليهم وفي غيرهم، كقوله[١] عز وجل: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾[٢] [آل عمران: ٣]، وقال بعده[٣]: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾[٤] [آل عمران: ٧]، وقال في موضع آخر[٥]: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨].

فالمُنزَل على الأنبياء مُنتَهٍ[٦] إليهم؛ فلذلك صحَّت[٧] «إلى»، إلا أنّ «على» أصلُها[٨] إذا قصَد الإفصاحَ[٩] بالمعنى أن يُستعمَل فيمن[١٠] نُزِّل الوحيُ عليه[١١]، وشَرِكةُ الأُمّة في اللفظة[١٢] له[١٣] مجازٌ لا حقيقةٌ، و«إلى» في ذكر الإنزال المتعلِّق بأمم الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه أشبه بحقيقةِ معناها[١٤] من «على»؛ فلذلك خُصَّتا[١٥] في الموضعين باللفظين المختلفين، وجُعِل ما بعدهما يجري مَجراهما كما يجب في حكم الإتباع.

---

(١) في (ك): «لقوله».
(٢) قوله: «﴿بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾» ليس في (ع).
(٣) «وقال بعده» أُثبِت من (ك).
(٤) في (أ، ب، ع): «﴿أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾»، والمثبت من (ك).
(٥) في (ب): «وفي سورة النحل».
(٦) في (ع): «مَنْتُهُ».
(٧) في (ك): «فلذلك صلحت «إلى» وصحَّت».
(٨) في (أ): «صحَّت «إلى» على أن أصلها».
(٩) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ، ع): «الإيضاح».
(١٠) في (ب): «فيما».
(١١) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «إليه».
(١٢) في (ب): «في اللفظ».
(١٣) «له» سقطت من (أ، ع). قلت: أي: للنبي ﷺ.
(١٤) في (ب، ك): «معناه».
(١٥) في (أ، ب): «خصا»، والمثبت من (ر، ك).

إسلام ويب islamweb.net

وأما الموضع الثاني الذي أُعيد فيه لفظةُ ﴿أُوتِيَ﴾ من سورة البقرة، ولم تُعَد[١] فيما بإزائها من سورة آل عمران، فالجواب عنه أن يقال[٢]: إنما اختصرَ[٣] هناك[٤]؛ لأن العَشر التي فيها[٥] مُصدَّرة بقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾ [آل عمران: ٨١]، فقدَّم ذِكر[٦] إيتاء الكتاب، واكتفى به عن التكرير في الموضع الذي كُرِّر فيه من سورة البقرة على سبيل التأكيد.

وبيان ذلك: أن هذه العَشر مبنيّة على ذكر عهد الله إلى الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، وما أخَذ عليهم من المواثيق[٧] في تبيين ما أنزَله[٨] إليهم للناس[٩]، فقوله: ﴿وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ﴾ هو قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾ في المعنى، فلمّا تقدَّم هذا الذكرُ وجاء: ﴿وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ﴾؛ اكتفى عن إعادة: ﴿وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ﴾ بالذكر المتقدِّم، ولمّا لم يتقدَّم في سورة البقرة ذكرُ إيتاء[١٠] النبيين ما أُوتوا[١١] من الكتب في هذه العَشر، لم يكن فيه ما يغني عن التأكيد[١٢] بإعادة اللفظ. هذا الفرق بين الموضعين. والله أعلم.

---

(١) في (ب، ك): «ولم يعد».
(٢) «عنه أن يقال» ليست في (ر).
(٣) في (أ، ع): «اختص»، وفي (ك): «فالجواب عنه إذا اختصر أن يقال: لأن العشر التي».
(٤) «هناك» ليست في (ك).
(٥) في (ب): «في سورة آل عمران»، وفي (ع): «التي هي فيها».
(٦) سقطت من (ب)، وفي (ك): «فقد ذكر».
(٧) في (ك): «من المواثيق عليهم».
(٨) في (أ): «أنزل».
(٩) في (أ): «إلى الناس».
(١٠) في (ك): «الإيتاء».
(١١) في (أ): «وما أوتوا»، بزيادة الواو.
(١٢) في (ع): «التوكيد».

إسلام ويب islamweb.net

[١٣] الآية الثالثة عشرة[١]:

قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ﴾ [البقرة: ١٤٤].

وقال بعده[٢] في هذه[٣] العشر: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۞ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ [البقرة: ١٤٩، ١٥٠].

للسائل أن يسأل عن الفائدة في تكرار هذه الآي[٤] في هذه[٥] العشر مع أن في واحدة[٦] كفايةً؟

فالجواب[٧] عنه أن يقال: إن قوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ هو الأمر الأول بالتوجُّه نحو القِبلة التي هي الكعبة، والخطاب[٨] للنبي ﷺ، وما بعده[٩] هو خطاب له ولأُمّته، وهو قوله: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾.

---

(١) في (ك): «الآية الثالثة عشر من هذه السورة».
(٢) «بعده» ليست في (ب).
(٣) في (ب): «هذا».
(٤) في (أ، ع): «في تكرار هذه الآية»، والمثبت من (ح، خ، ر، س، ك)
(٥) في (ب): «هذا».
(٦) في (أ، ب): «في كل واحدة»، والمثبت من (ر، ك).
(٧) في (ب): «والجواب»، وفي (ر): «الجواب».
(٨) في (أ، ك، ع): «واللفظ»، والمثبت من (ب).
(٩) في (ك): «وبعده»، وفي (ر): «وبعده ما هو»، وهو خطأ.

إسلام ويب islamweb.net

وأما الآية الثانية وهي[١] قوله: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾، فالخروج[٢] خروجان؛ **أحدهما**: خروج المصلِّي من مكان إلى مكان[٣] يرى فيه الكعبةَ وهو المسجد الحرام، فكأنه قال: ومن أيِّ باب من أبواب المسجد خرجتَ فتوخَّ[٤] استقبالَ الكعبة بالصلاة. **والخروج**[٥] **الثاني** خروج من البلد الذي فيه المسجد الحرام وهو الحرم، فكأنه قال: وإن[٦] خرجتَ من البلد من أيِّ باب خرجتَ فاجعل الكعبةَ قِبلةً لك تتوجَّه نحوها بصلاتك.

فعلى هذا يكون لكل آية فائدة، فالأولى[٧] ليس فيها خروج، والثانية[٨] فيها[٩] خروج من أقرب الأماكن إلى الكعبة، والثالثة[١٠] خروج مما عدا ذلك[١١] عامٌّ في البلاد. وقد[١٢] كان يُتوهَّم أن للقُرب حُرمةً لا يثبُت مِثلُها للبُعد، فوقَعت مُظاهِرةً[١٣] بالأمر بتولِّي القِبلة في القُرب والبُعد.

---

(١) في (ب، ك، ع): «وهو».

(٢) في (ب، ع): «والخروج»، وفي (ك): «الخروج».

(٣) «إلى مكان» سقطت من (ب، ع).

(٤) أي: فاقصد، يقال: توخَّيتُ الشيء أتوخّاه توخِّيًا، إذا قصدت إليه وتعمَّدت فعله، وتحرَّيت فيه. النهاية لابن الأثير (٥: ١٦٥).

(٥) في (أ): «وبالخروج»، ولا وجه له.

(٦) في (ك): «فإن».

(٧) أي: الآية الأولى وهي [١٤٤] من سورة البقرة.

(٨) أي: الآية الثانية، وهي [١٤٩] من سورة البقرة.

(٩) في (أ، ب، ك): «هي»، والمثبت من (ح، ر، س).

(١٠) أي: الآية الثالثة، وهي [١٥٠] من سورة البقرة.

(١١) في (أ، ب): «ذاك».

(١٢) «وقد» أُثبتت من (ب، ك).

(١٣) في (أ): «مطاهرة». قلت: المظاهرة هنا بمعنى المعاونة؛ أي: فوقعت الآيات يظاهر بعضُها بعضًا.

إسلام ويب islamweb.net

ولفظة ﴿خَرَجْتَ﴾ لفظة الماضي، وهي في موضع المستقبَل[١]؛ لأن المعنى معنى الشرط والجزاء، و﴿حَيْثُ﴾ وحدها[٢] وإن تضمَّنت معنى الشرط[٣] فإنه لا يُجزَم بعدها[٤] الفعل المستقبَل، بل تقول: من حيث تخرجُ، فتَرفع الفعلَ[٥]، وإن[٦] أردتَ: من أيِّ موضع تخرجْ، فـ«أيّ موضع»[٧] يجزم الفعلَ، و«حيث» لا تجزمه[٨] إلا إذا قارنتها[٩] «ما»[١٠]، فتقول: حيثما تنزلْ أنزل، فإن قلتَ: حيث تنزلُ أنزلُ، بطل الجزم ووجب الرفع.

فقوله تعالى: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ﴾؛ و«كنتم»[١١] في هذا المكان في موضع فعل مجزوم، كأنه قال: وحيثُما تكونوا فولُّوا وجوهَكم شَطره[١٢]، وليس كذلك ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ إلا أنه لا يخرُج عن تضمُّن معنى الشرط[١٣]، يبيِّن ذلك دخولُ الفاء في الجواب، ولولا هذا المعنى ما احتيج إليها، فلهذا قلنا: إن الماضي بعدها[١٤] بمنزلة المستقبَل، كما يكون في قولك: إن خرجتَ

(١) مكان «المستقبل» بياض في (أ). (٢) في (ر): «وجدتها»، وهو خطأ.
(٣) من قوله: «والجزاء» إلى هنا ليس في (ع).
(٤) في (أ، ب، ك، ع): «بها»، والمثبت من (ح، ر).
(٥) «فتَرفع الفعلَ» ليست في (ع). (٦) في (أ، ب، ع): «فإن»، والمثبت من (ك).
(٧) في (ك): «وأي»، وفي (ر): «فإنه يجزم». (٨) في (ك): «لا تجزم».
(٩) في (ب): «قاربتها».
(١٠) «ما» سقطت من (أ).
(١١) «وكنتم» سقطت من (أ)، وفي (ع): «فكنتم».
(١٢) في (ك): «فقوله تعالى: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ وليس كذلك ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾».
(١٣) في (ب): «عن معنى تضمُّن الشرط».
(١٤) أي: بعد «حيث».

إسلام ويب islamweb.net

خرجتُ، إلا أن الماضي[١] لا يُجزَم كما لا يُجزَم[٢] الفعل في صلة «الذي» وإن دخله[٣] معنى الشرط إذا قلت: الذي يزورني فله درهم، فأوجبت الدرهم بالزيارة، و«حيث» في هذا الموضع على غير ما هي عليه في قولك[٤]: قعدتُ اليوم حيث قعدتُ أمسِ؛ لأن تلك[٥] شائعة كشِياع الأسماء التي تقع بمعنى الشرط ويُجازى بها[٦].

[١٤] الآية الرابعة عشرة[٧]:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

وفي هذه[٨] الآية موضعان يشابهان[٩] موضعين[١٠] من آيتين أخريين:

(١) في (ك): «المستقبل».
(٢) في (أ): «كما يجزم»، وهو خطأ.
(٣) في (أ): «دخل».
(٤) في (ك): «قوله».
(٥) أي: اللفظة المذكورة في الآية.
(٦) في (أ، ع): «ومجازاتها»، والمثبت من (ب، ك). قلت: ذكر الشهاب الخفاجي توجيهًا آخر في حاشيته على البيضاوي (٢: ٢٥٧) فقال: «ذُكر ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ في ثلاثة مواضع، فإما أن يكون كرَّره اعتناء بشأنه؛ لأنه من مظانّ الطعن وكثرة المخالفين فيه لعدم الفرق بين النسخ والبداء، أو لأنه ذُكِر في كل محل على وجه قُصِد به غير ما قُصِد في الآخر معنًى، وإن تراءى من اللفظ تكرُّره ففي الأول ذُكِر بعد قوله: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ بتعظيم النبي ﷺ بابتغاء مرضاته، وثانيًا بعد قوله: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ﴾ لجري العادة الإلهية.. إلخ».
(٧) في (ك): «الآية الرابع عشر في هذه السورة».
(٨) في (ك): «في هذه» من دون الواو.
(٩) في (أ): «يتشابهان»، والمثبت من (ب، ك).
(١٠) أُثبِتت من (ع).

إسلام ويب islamweb.net

الأول: قوله: ﴿مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآ﴾، وبإزائه قوله[١] في سورة لقمان [٢١]: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآ﴾.

والموضع الثاني[٢] يشبه[٣] قوله[٤] في سورة المائدة [١٠٤]: ﴿أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾.

للسائل[٥] أن يسأل فيقول: هل لتخصيص الموضع الذي في سورة البقرة[٦] بقوله[٧]: ﴿أَلۡفَيۡنَا﴾ دون قوله[٨]: ﴿وَجَدۡنَا﴾ فائدة تخصُّه؟ وهل لتخصيص الموضع[٩] الثاني بقوله: ﴿لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا﴾ دون قوله: ﴿لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا﴾ فائدة؟ وهل لتخصيص ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾ في موضعه دون قوله: ﴿لَا يَعۡقِلُونَ﴾ في موضعه[١٠] فائدة؟[١١]

والجواب[١٢] عن الموضع[١٣] الأول وهو قوله: ﴿أَلۡفَيۡنَا﴾: أن ﴿أَلۡفَيۡنَا﴾ يُقصَد بها بعض الوجوه التي يُستعمَل عليها[١٤]: ﴿وَجَدۡنَا﴾؛ لأنه يقال: وجدت الشيء، فلا يحتاج إلى مفعول ثانٍ إذا وجدته عن عدم، ولوِجدان[١٥] الضالة

(١) «قوله» أُثبِتت من (ك).
(٢) في (ب): «الثالث»، وهو خطأ.
(٣) ساقطة من (أ، ع)، وأُثبِتت من (ب). وفي (ك): «مشبه».
(٤) في (ك): «لقوله».
(٥) في (ك): «وللسائل».
(٦) في (أ، ب، ع): «في البقرة»، والمثبت من (ك).
(٧) «بقوله» سقطت من (ب، ع).
(٨) «قوله» أُثبِتت من (ك).
(٩) في (ر): «المكان».
(١٠) «في موضعه» ليست في (ع).
(١١) صيغة السؤال في (ك): «وهل في سورة المائدة لاختصاص لفظ ﴿يَعۡلَمُونَ﴾ دون قوله: ﴿يَعۡقِلُونَ﴾ المستعمل في سورة البقرة فائدة؟».
(١٢) في (ك): «فالجواب».
(١٣) في (ر): «القول».
(١٤) في (أ، ع): «عليه».
(١٥) في (ب): «ووجدان».

إسلام ويب islamweb.net

تقول: وجدتُ الضالة. وتقول: وجدتُ زيدًا عاقلًا، فيكون[١] الوجود[٢] متعلِّقًا بالخبر الذي هو المفعول[٣] الثاني، فلا[٤] بدَّ له في هذا الوجه منه[٥]، ولا يكتفى بالمفعول الأول.

وأما قولهم: ألفيت، فإنها مخصوصة[٦] بهذا[٧] الوجه[٨] من وجوه «وجدت»، لا يقال: ألفيتُ درهمًا، بمعنى: وجدت درهمًا، ولا ألفيت الضالة، بمعنى: وجدتها، وإنما يقال: ألفيت زيدًا عاقلًا، وألفيته على الهدى وعلى[٩] الضلالة، فكان في الموضع[١٠] الأول استعمالُ اللفظ الأخصِّ[١١] أولى، وتأخيرُ اللفظ المشترك إلى المكان الثاني أولى[١٢].

وأما المسألة الثانية من هذه الآية في قوله: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ مع قوله في سورة المائدة: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾، فالجواب عنها أن يقال[١٣]:.....

---

(١) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ، ع): «فلا يكون».

(٢) في (ب): «الموجود».

(٣) «المفعول» سقطت من (ك).

(٤) في (أ، ب): «ولا»، والمثبت من (ر، ك).

(٥) أي: من المفعول الثاني.

(٦) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «فإنما تخص منه».

(٧) في (ك): «لهذا».

(٨) «الوجه» سقطت من (ك).

(٩) في (ع): «أو على».

(١٠) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «في هذا الموضع».

(١١) في (ك): «الأخص بالمكان».

(١٢) «أولى» ليست في (ع).

(١٣) من قوله: «وأما المسألة الثانية» إلى هنا أُثبِت من (ح، خ، ر، س)، و(ك) مثل النسخ السابقة مع بعض خلل في ذكر الآيات. وفي (أ، ب): «وأما الجواب عن المسألة الثانية في هذه الآية في قوله: ﴿لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا﴾ مع ما في سورة المائدة من قوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا =

إسلام ويب islamweb.net

إن[١] لقوله: ﴿يَعْلَمُونَ﴾[٢] رتبةً ليست[٣] لقوله: ﴿يَعْقِلُونَ﴾، وإذا وقفتَ على ما بينهما سهُلت[٤] عليك معرفةُ ما أوجب[٥] تخصيصَ كل مكان باللفظ المختص[٦] به[٧].

فقول القائل: يعلم، معناه: يدرك الشيء على ما هو به مع سكون إليه، وقوله: يعقل، معناه: يحصره[٨] بإدراك له عما[٩] لا يدركه، ولذلك جاز أن تقول[١٠]: يعلم الله كذا، ولا يجوز أن تقول[١١]: يعقل الله كذا؛ لأن العقل: الشدُّ[١٢]، والعاقل: الذي يحبس نفسه عما تدعو إليه الشهوات، ولا شهوة لله تعالى فيُحبَسَ[١٣] عنها، فلذلك لا يقال لله[١٤]: عاقل، ويقال: عقل فلان الشيء وهو يعقله، بمعنى حصره[١٥] .....

= وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ أن يقال»، وفي (ع): «وأما الجواب عن المسألة الثانية من هذه الآية في قوله عز وجل: ﴿لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا﴾ مع ما في سورة المائدة من قوله: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ أن يقال».

(١) «إن» سقطت من (أ).
(٢) في (ب): «أن قوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ رتبته».
(٣) في (ر): «ليس».
(٤) في (ك): «سهل».
(٥) في (ب): «وجب».
(٦) في (ر، ع): «المخصوص».
(٧) في (ك): «له»، وليست في (ع).
(٨) في (أ، ب): «يحضره»؛ لأنه جاء في الفروق اللغوية (ص٦٦): «وقيل: العقل يفيد معنى الحصر والحبس».
(٩) «عما» سقطت من (أ).
(١٠) في (ب): «يقول».
(١١) في (ب): «يقول».
(١٢) في (ع): «سدّ».
(١٣) غير واضحة في (ب، ك)، وفي (ع): «فيَحتبِس».
(١٤) في (ر): «الله».
(١٥) في (أ، ب): «حضره»، والمثبت من (ح، ر، ك)، وهو الصواب.

إسلام ويب islamweb.net

بإدراكه له[١] عما لا يدركه، وشدَّه بتمييزه له[٢] عن غيره مما لا يدركه[٣]، وهذا لا يصح في حق الله[٤] تعالى.

فإذا كانت رتبة ﴿يَعْلَمُونَ﴾ زائدة على رتبة ﴿يَعْقِلُونَ﴾ فأخبر[٥] الله تعالى عن الكفار في سورة المائدة فقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة: ١٠٤]، فبيَّن[٦] أنهم ادعوا رتبة العِلم بصحة ما كان آباؤهم عليه؛ لأنهم قالوا: ﴿حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾، ولفظة «حسبنا» تُستعمَل فيما يكفي في بابه ويغني[٧] عن غيره، فالمُدرِك للشيء إذا أدركه على ما هو به وسكنت نفسه[٨] إليه فذاك حسبُه، فاستعمل لفظة «يعلمون» ونفى عنهم النهاية؛ لأنهم ادعوها بقولهم[٩]: حسبنا، فكأنهم قالوا: معنا[١٠] عِلمٌ سكنت[١١] نفوسُنا إليه مما وجدنا عليه آباءَنا من الدين، فنفى ما ادعوه[١٢] بعينه وهو العِلم.

---

(١) «له» أُثبِتت من (ر، ك)، وفي (ر): «بتميزه».

(٢) في (أ، ب): «وشدة»، وفي (ع): «وسدّه»، والمثبت من (خ، ر). ولفظ «له» ليس في (ب، ك).

(٣) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ، ع): «لم يدركه».

(٤) في (ب، ك): «في الله».

(٥) في (ك، ع): «وأخبر».

(٦) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «فتبين». والمثبت أليقُ بهذا الموضع؛ لأنه معطوف على «أخبر».

(٧) في (ب): «أو يغني»، وفي (أ): «يعني»، وهو خطأ.

(٨) من هنا إلى قوله: «معنا علم سكنت» سقط من (ك).

(٩) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «بقوله».

(١٠) «معنا» ساقطة من (ك).

(١١) في (أ، ب): «سكن»، وفي (ر، ع): «تسكن».

(١٢) في (أ، ب، ك): «ما ادَّعوا»، والمثبت من (ر).

إسلام ويب islamweb.net

والموضع الأول في سورة البقرة لم يحكِ عنهم فيه أنهم ادعوا[١] تناهيَهم في معرفة ما اتبعوا عليه[٢] آباءهم، بل كان قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ [البقرة: ١٧٠]، ولم يدعوا أن ما ألْفَوْا عليه آباءهم كان كافيهم وحسبهم، فاكتفى بنفي أدنى منازل العِلم لِتكون كل دعوى مقابَلةً بما هو بإزائها مما يُبطِلها. والسلام[٣].

[١٥] الآية الخامسة عشرة:

قوله تعالى في[٤] هذه السورة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۞ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٢، ١٧٣].

وجاء في ثلاثة مواضع بعده[٥]: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾.

أوَّلها في سورة المائدة [٣]: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾. والثاني[٦] في آخر سورة الأنعام [١٤٥]: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾. وفي سورة النحل [١١٥]: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾[٧]. فجاء في

(١) «أنهم ادعوا» سقطت من (ب).
(٢) في (ب، ك): «فيه» بدل «عليه».
(٣) «والسلام» ليست في (ر).
(٤) في (ك): «من».
(٥) أي: بعد الموضع الأول وهو سورة البقرة.
(٦) «والثاني» ليست في (ب، ك)، وفيهما بدل ذلك: «وفي آخر الأنعام».
(٧) في (ع) من أول الآية [١١٤].

إسلام ويب islamweb.net

المواضع الثلاثة[١] ﴿بِهِۦ﴾ مؤخَّرةً عن قوله: ﴿لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾[٢]، وفي الموضع الأول من سورة البقرة[٣] مقدَّمةً[٤] على قوله: ﴿لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾[٥].

للسائل أن يسأل فيقول[٦]: لِمَ[٧] اختلف الموضع الأول مع المواضع[٨] التي بعده؟

والجواب أن يقال: أما الموضع الأول فإنه جاء على الأصل الذي يقتضيه حكم اللفظ؛ لأن الباء التي يتعدى بها[٩] الفعل[١٠] في هذا المكان من جملة الباءات التي كحرف[١١] من نفس الفعل[١٢]، تقول: ذهبت بزيد، ثم تقول: أذهبت زيدًا، فتصير الباء كالهمزة المزيدة[١٣] في بنية الفعل، فيجب لذلك أن تكون أحقَّ بالتقديم. وما يتعدى إليه[١٤] الفعل باللام لا تتنزَّل لامُه منزلة الحرف من نفس الفعل[١٥]، فصار قوله: ﴿أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ بمنزلة ذُبِح لغير الله مسمًّى عليه اسمُ بعض الآلهة.

---

(١) في (ب): «في الثلاثة مواضع».
(٢) في (أ): «لغير» من دون لفظ الجلالة.
(٣) «من سورة البقرة» أُثبِتت من (ك).
(٤) في (أ): «مقدَّم».
(٥) من قوله: «وفي الموضع الأول» إلى هنا ليس في (ع).
(٦) هكذا في (ب، د، ك، و)، وفي (أ): «للسائل أن يقول».
(٧) في (ع): «لماذا».
(٨) في (ب): «من المواضع»، وفي (ر، ك): «والمواضع».
(٩) في (ر): «به».
(١٠) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «إلى الفعل»، فلا داعي إلى ذكر حرف الجر.
(١١) في (ر): «بحرف»، وفي (ع): «تجيء».
(١٢) في (ب): «العلم»، وهو خطأ.
(١٣) في (ك): «كالمزيدة».
(١٤) «إليه» سقطت من (ك).
(١٥) في (ب): «العلم».

إسلام ويب islamweb.net

فلما كان هذا الأصل في الأول جرت الآية الأولى عليه، ولما كان الإهلال بالمذبوح[١] لا يُستنكَر إلا إذا كان لغير الله، كان ما عدا الأصلِ بتقديم المُستنكَر أحقَّ وأولى.

ألا ترى أنهم[٢] يقدِّمون المفعول إذا كانوا ببيانه أعنى، فيقولون: ضرب زيدًا عمرٌو، فيقدِّمون المفعول على الفاعل[٣]؛ لأن الاهتمام بأمره أتمُّ؛ لأن هذا يُنفَى به ما في[٤] وهْمِ متوهِّم، أو قول قائل: ضرب زيدٌ محمدًا[٥]، فيقع الخلاف في المفعول لا في الفاعل[٦]، فيقول[٧] المُنكِرُ لذلك المُثبِتُ صحةَ ما عنده: ضرب عمرًا زيدٌ لا محمدًا[٨]، فإن تُرِك قوله: محمدًا[٩]، كان مكتفيًا عنه بتقديم المفعول.

وكذلك[١٠] ما ينكره من الفَضَلات[١١] كالظرفين والحال، .....

(١) أي: ذكر اسم من ذبحه له. والإهلال: رفع الصوت، وكلُّ مَن رفع صوته فقد أهلَّ إهلالًا، وأهلَّ الرجل: رفع صوته بذكر الله تعالى عند نعمة أو رؤية شيء يعجبه، وحُرِّم ما أُهِلَّ به لغير الله؛ أي: ما سُمِّي غيرُ الله عند ذبحه. المصباح المنير (١: ٦٣٩).

(٢) في (ر): «تراهم».

(٣) في (أ، ب): «الفعل»، والمثبت من (د، ك).

(٤) «ما في» ليست في (ع).

(٥) في (أ، ب): «ضرب محمد زيدًا»، والمثبت من (ح، خ، ر، س).

(٦) في (أ، ب): «الفعل»، وهو خطأ، والمثبت من (ر، ك).

(٧) في (ر): «فيكون».

(٨) في (أ): «ضرب زيدًا عمرو لا محمدًا»، وفي (ب، ك): «ضرب عمرًا زيدًا لا محمدًا»، والمثبت من (ح، خ، ر)، وهو الصواب والله أعلم؛ لأنه لا اختلاف في الفاعل وإنما الاختلاف في المفعول كما يشير إلى ذلك المؤلف.

(٩) في (ع): «لا محمدًا».

(١٠) في (ر): «ولذلك».

(١١) الفضلات جمع الفضْلة وهي اسم لِما يفضُل بمعنى الزيادة. المصباح المنير (٢: ٤٧٥). وفي (ر): «المفضلات».

إسلام ويب islamweb.net

فقال[١] المخاطَب لو[٢] توهَّم: ضرب زيدٌ عمرًا اليومَ، فقال المُنكِر: ضرب أمسِ زيدٌ عمرًا، فقدَّم «أمسِ»[٣] على الفاعل والمفعول به؛ لأنه هو الذي ينكره ويمنع أن يكون على ما توهَّمه، والباقي من الكلام ليس فيه ما يستنكره، فالعناية بتقديم ما يزيل الشكَّ عنه أتمُّ، وهو بالتقديم أحقُّ، وكذلك قوله تعالى[٤]: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ﴾ مع قوله: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ في هذه[٥] الآي الثلاث.

[١٦] الآية السادسة عشرة[٦]:

قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة: ١٧٣].

وقال في سورة الأنعام [١٤٥]: ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

وقال في سورة النحل [١١٥]: ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

للسائل أن يسأل فيقول: هل لاختلاف هذه[٧] الألفاظ التي أُتبِعت قولَه:

---

(١) في (ب): «فيقال».

(٢) في (ر): «أو»، بدل «لو». وفي (ع): «إذا قال المخاطَب أو توهَّم».

(٣) قوله: «زيد عمرًا، فقدَّم أمس» سقط من (أ).

(٤) «قوله تعالى» أُثبِتت من (ح، ر).

(٥) «هذه» أُثبِتت من (ح، خ، ر)، وفي (ك): «في هذه الآي».

(٦) في (ك): «الآية السادسة عشر في هذه السورة».

(٧) «هذه» أُثبِتت من (ر).

إسلام ويب islamweb.net

﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ معنى يخصِّص[١] كلَّ مكان باللفظ الذي اختصَّ[٢] به؟

والجواب[٣] أن يقال: قصد الله تعالى في المواضع الثلاثة أن يبيِّن للمضطر ما له أن يتناوله[٤] من المحرَّم الذي يمسك به رَمَقَه[٥]، فذكر في الموضعين الأخيرين: ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ و﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، فكان[٦] تعريضًا بمغفرته لمن اضطر إلى تناول[٧] المحرَّم[٨] في حالته، والموضع الأول بدأ فيه[٩] بصريح اللفظ في إسقاط[١٠] الإثم فقال: ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾، ثم عقَّبه بما اتصف به من المغفرة والرحمة.

وفي هذه الآي الثلاث سؤال آخر، وهو أنه قال في الأولى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، وفي الثانية: ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[١١]، وفي الثالثة: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، فهل لاختصاص الأول والأخير[١٢] بذكر «الله» تعالى فائدة؟

---

(١) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ، ع): «مخصص».

(٢) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «يختص». (٣) في (ب، ك): «الجواب».

(٤) في (ب، ك): «تناول»، وفي (ع): «يتناول».

(٥) الرَّمَق ـ بفتحتين ـ: بقية الروح وآخِر النفَس. النهاية لابن الأثير (٢: ٢٦٤)، وقد يُطلَق على القوة، ويأكل المضطر من الميتة ما يسد به الرمق؛ أي: ما يمسك قُوّته ويحفظها. المصباح المنير (١: ٢٣٩).

(٦) في (ر): «كان». (٧) في (ب): «مناولة».

(٨) «المحرم» سقطت من (أ). (٩) «فيه» سقطت من (أ).

(١٠) في (ب، ع): «وإسقاط»، وفي (أ): «بإسقاط»، والمثبت من (ر، ك).

(١١) في (أ): «فإن ربك».

(١٢) في (ر): «والثاني».

إسلام ويب islamweb.net

ولاختصاصه في الآية الثانية بقوله: ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ وعدولِه عن ذكر «الله» تعالى إلى ذكر «ربك» فائدة تخصِّصه[١] بمكانه؟

والجواب عن ذلك أن يقال: لكل موضع معنًى يُوجِب اختصاصَ اللفظ الذي ذُكِر فيه، فأما الأول فلأنه لمّا قال[٢]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ * إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ﴾[٣] [البقرة: ١٧٢، ١٧٣] كذا[٤]، كان[٥] بما قدَّمه مُثبِتًا عليهم إلهيته؛ لأن الإله هو الذي تحقُّ له العبادة[٦] بما له من النعمة، فلمّا قدَّم ذِكر ما رزقهم منها وطالبهم بشكرها أتبعه بقوله: ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾، وختم الآية بأن قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾؛ أي: إن[٧] من أنعم عليكم غايةَ النعمة واستحقَّ بها غايةَ التعبُّد والتذلُّل هو الذي يغفر لكم عند الضرورة تناوُلَ ما حرَّم[٨] عليكم في حال الاختيار، رحيم بكم[٩].

وكذلك[١٠] الآية الثالثة مبنية على مثل هذا؛ لأن أولها: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [النحل: ١١٤]، فكان[١١] مُشبهًا لما قدَّمنا ذِكره، فقال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

---

(١) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «مخصصة».

(٢) في (ب): «فإنه قال».

(٣) بقية الآية: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾. وفي بعض النسخ: «﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ﴾ كذا». وفي (ع) بين الآيتين: «وختم بقوله».

(٤) «كذا» سقطت من (ب).

(٥) «كان» جواب «لما قال».

(٦) في (ر): «العبادات».

(٧) «إن» ليست في (ب).

(٨) في (ب، ع): «حرَّمه».

(٩) «بكم» سقطت من (ك).

(١٠) في (ك): «وكذا».

(١١) في (ك): «وكان».

إسلام ويب islamweb.net

وأما الثانية[١] فلأنه قدَّم عليه[٢] ذِكر[٣] أصناف ما خلقه الله تعالى[٤] لتربية الأجسام، فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ﴾[٥] [الأنعام: ١٤١] فذكر الثمار والحَبّ وأتبعه بذكر الحيوان[٦] من الإبل والبقر والغنم[٧]؛ خصَّ هذا الموضع بذكر «الربِّ»؛ لأن الربَّ هو القائم بمصالح المربوب، فكان هذا أليقَ بهذا المكان. والله أعلم.

[١٧] الآية السابعة عشرة[٨]:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٤].

وقال في سورة آل عمران[٩] [٧٧]: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

---

(١) أي: آية الأنعام. وفي (ر): «الثالثة»، وهو خطأ.

(٢) في (ع): «عليها».

(٣) «ذِكر» سقطت من (ب).

(٤) «الله تعالى» سقطت من (أ).

(٥) بقية النص: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾.

(٦) ذلك في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾ [الأنعام: ١٤٢]، وقوله تعالى: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾ [الأنعام ١٤٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٤].

(٧) «والغنم» أُثبتت من (ب، ك).

(٨) في (ك): «الآية السابعة عشر في هذه السورة».

(٩) في (أ، ب): «وفي سورة آل عمران»، والمثبت من (ك).

إسلام ويب islamweb.net

للسائل أن يسأل فيقول: إن[١] الإخبار في الموضعين عن أهل الكتاب الذين كتموا ذِكر النبي ﷺ من[٢] كتابهم المنزَّل عليهم من التوراة والإنجيل، والتوعُّدُ في الموضعين مختلف، والكبيرة واحدة[٣]، فهل هناك معنًى يوجب اختلافَ الوعيد في المكانين؟

الجواب أن يقال[٤]: الوعيد في كل[٥] مكان[٦] من المكانين على حسب ما ذكر من عظيم[٧] الذنب وكبير الجُرم[٨]، فقال في سورة البقرة [١٧٤]: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾[٩]، فوصفهم بأنهم[١٠] خالفوا الله في أمره ونقضوا ما قدَّم إليهم من عهده[١١]، حيث قال: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، فهؤلاء لم يبيِّنوا[١٢] وكتموا فخالفوا بارتكاب ما نهى الله عن ارتكابه وتركِ ما أمر الله بإتيانه[١٣]، ثم قال: ﴿وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗا﴾؛ أي: نصيبًا يسيرًا من الدنيا، فجاء على

(١) «إن» أُثبتت من (ر).
(٢) في (خ، ر): «في» بدل «من».
(٣) في (ب): «والكبير وواحده»، وهو خطأ من الناسخ.
(٤) في (ب): «هناك» بدل «يقال».
(٥) «كل» سقطت من (ب، ع).
(٦) «مكان» سقطت من (ب، ك).
(٧) في (ب، ك): «من عِظَم الذنب وكِبَر الجُرم»، وفي (ع): «من عظيم الذنب وكِبَر الجُرم».
(٨) الجُرم ـ بضم الجيم ـ: الذنب. القاموس المحيط (ص١٤٠٥ جرم).
(٩) في (أ، ب، ع): «﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗا﴾»، والمثبت من (ك)؛ لأن قوله تعالى: ﴿وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗا﴾ يأتي تفسيره فيما بعد.
(١٠) في (ع): «أنهم».
(١١) في (ب): «ما تقدَّم من عهده»، وفي (ك): «ما قدم عهده»، وفي (ع): «ما قدَّم من عهده».
(١٢) في (أ، ب، ك): «لم يؤمنوا»، والمثبت من (ح، خ، ر).
(١٣) في (ع): «بإثباته».

إسلام ويب islamweb.net

هذا[١] أغلظُ الوعيد[٢]، وهو قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾؛ أي: هذا الحظُّ اليسير[٣] الذي نالوه من الدنيا مِن مطعم ومشرب[٤] إنما هو نار في أجوافهم، ثم قال: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾؛ أي: ليسوا ممّن تُرجَى نجاتهم فيجيئَهم من قِبَل الله كلامٌ أو سلامٌ كما قال في أوليائه: ﴿تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞ﴾ [الأحزاب: ٤٤]، ثم قال: ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمۡ﴾؛ أي: لا يطهِّرهم من ذنب الكفر[٥] بالعفو عنهم، ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، ثم قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٧٥]، فكرَّر ذِكرَ سوء اشترائهم ووعيدَهم[٦]، وأنهم باعوا الإسلام بالكفر، واشتروا عذابَ الله بالغفران[٧]، واقتحموا[٨] عذاب النار، فعل[٩] من يعجبُ من صبره عليها[١٠].

---

(١) في (ع): «فهنا» بدل: «فجاء على هذا».

(٢) في (أ): «فلهذا أغلظ الوعيد»، وفي (ب): «فجاء هذا أغلظ الوعيد»، والمثبت من (ح، خ، ر، س، ك).

(٣) «هذا الحظ اليسير» ليست في (أ).

(٤) في (أ، ب، ع): «لِمطعم ومشرب»، وفي (ك): «المطعم والمشرب» من دون حرف الجر، والمثبت من (خ، ر، س).

(٥) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «من ذنب الذنب».

(٦) في (ك): «فكرر الخبر إليهم بوعيدهم».

(٧) في (ب): «بالكفران».

(٨) أي: ورموا بأنفسهم في النار، يقال: اقتحم عقبةً أو وَهْدةً: رمى بنفسه فيها، وكأنه مأخوذ من اقتحم الفرس النهر، إذا دخل فيه. المصباح المنير (٢: ٤٩١).

(٩) في (ب): «فهل» بدل «فعل».

(١٠) ذلك في باقي الآية السابقة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ﴾.

إسلام ويب islamweb.net

فهذه أنواع كثيرة[١] من التوعُّد اقترنت[٢] بما حصل[٣] من الذنب العظيم في كتمان ما لم يجب كتمانه، والإعراضِ عن تبيين ما وجب[٤] بيانُه[٥].

والآية التي في سورة آل عمران لم يُذكَر في أولها من الذنوب التي ارتكبوها مثلُ ما ذُكِر في أول هذه الآية[٦]؛ قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾، فكان هاهنا ذِكرُ بعض ما ذُكِر في الآية الأولى[٧] وهو: ﴿يَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾، فقرَن به من الوعيد أقلَّ مما قرَنه بالآية الأولى، وهو أن قال: ﴿لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾؛ أي: لا نصيب لهم من الخير، ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ كما يكلِّم أولياءَه، ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ نظرة[٨] رحمة، ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

[١٨] الآية الثامنة عشرة[٩]:

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧].

---

(١) مثل عدم كلام الله لهم، وعدم تزكيتهم، وعدم النظر إليهم يوم القيامة.

(٢) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «اقتربت».

(٣) في (ك): «فصل».

(٤) في (أ، ب): «أوجب»، والمثبت من (ح، خ، ر، ك).

(٥) في (ك، ع): «تبيانه».

(٦) يعني آية البقرة حيث جاء في أولها من الذنوب كِتمان ما لا يجوز كتمانه، وهذا لم يُذكَر في آية آل عمران.

(٧) في (ك): «في هذه الآية الأولى».

(٨) في (أ، ب): «نظر»، والمثبت من (ح، خ، ر).

(٩) في (ك): «الآية الثامنة عشر من هذه السورة».

إسلام ويب islamweb.net

وقال في موضع[١] آخر من[٢] هذه السورة: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾[٣] [البقرة: ٢٢٩].

للسائل أن يسأل فيقول[٤]: كيف اختصَّ الموضع الأول[٥] بقوله: ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾، والموضع الثاني بقوله: ﴿فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾؟

الجواب أن يقال: الأول[٦] خرج على أغلظ الوعيد، كما قال: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ [البقرة: ٣٥]، وإنما كان نهى عن أكلها لا عن الدنوّ[٧] منها، فخرج مخرج قول القائل ـ إذا نهى عن الشيء وشدَّد الأمر فيه[٨] ـ: لا تقرب هذا الشيءَ، وما أحسن ما قال النبي[٩] ﷺ في[١٠] المنع من مقاربة الحرام: «مَن رَتَعَ حَوْل الحِمى يُوشِك[١١] أن يقعَ فيه»[١٢]، .....

(١) «موضع» أُثبِتت من (ك).
(٢) «من» أُثبِتت من (ك).
(٣) الآية الأولى في الصيام، وهذه الآية في الطلاق.
(٤) في (أ): «للسائل أن يقول».
(٥) «الأول» أُثبِتت من (ك)، وفي (ب): «الأولى».
(٦) في (أ): «الأولى».
(٧) في (أ، ب، ع): «لا الدنو»، والمثبت من (ر، ك).
(٨) في (ع): «النهي عنه».
(٩) في (ك): «وما أحسن قوله عليه السلام».
(١٠) في (ك): «من المنع».
(١١) في (ك): «أوشك».
(١٢) جزء من الحديث الذي أخرجه الجماعة وغيرهم بألفاظ متقاربة، وهو في صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري (٤: ٢٩٠، رقم ٢٠٥١)، كتاب البيوع، باب الحلال بيِّن والحرام بيِّن وبينهما مُشْتَبِهات، من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «الحلال بيِّن والحرام بيِّن وبينهما أمور مُشتبِهة... والمعاصي حِمى الله، مَن يرتَعْ حول الحِمى يُوشِك أن يُواقِعه». وهو في صحيح مسلم (٣: ١٢١٩، رقم ١٥٩٩)، كتاب المساقاة، =

إسلام ويب islamweb.net

وكما رُوِي[١] عن بعض الصالحين أنه قال[٢]: «إني لَأُحِبُّ أن يُكثَّف الحاجز بيني وبين ما حرَّم الله»[٣].

فلمّا كان هذا الموضع الأول[٤] نهيًا عن مواقعة النساء في حالة الاعتكاف في المساجد، صار فيه تحذيرٌ من دواعي المواقعة، فاقتضى من المبالغة ما لم يقتضِه[٥] قولُه: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة: ٢٢٩]، فكأنه قال: لا تتجاوزوها[٦]، يعني أنّ[٧] المرأة إذا افتدت بمهرها وخالعت[٨] زوجها لم يكن عليها إثم. وهذه حدود نَهى عن تعدِّيها.

= باب أخذ الحلال وترك الشبهات. ورواه أبو دواد في البيوع (رقم ٣٣٢٩)، والترمذي في البيوع (رقم ١٢٠٥)، والنسائي في البيوع (رقم ٤٤٥٣)، وابن ماجه في الفتن (رقم ٣٩٨٤)، وأحمد في المسند (رقم ١٨٣٧٥، ١٨٣٩٦، ١٨٤٠٢). قال في اللسان (١٤: ١٩٩ حمي): «الحِمى بكسر الحاء وفتح الميم: موضع فيه كلأ يُحمى من الناس أن يُرعى».

(١) في (ع): «يُروَى».

(٢) «أنه قال» ليست في (ع).

(٣) لم أقف عليه، ولكنْ هناك حديث مروي عن النعمان بن بشير رضي الله عنه يدل على هذا المعنى، وهو: «اجعلوا بينكم وبين الحرام سِترًا من الحلال، من فعل ذلك استبرأ لعرضه ودينه، ومن أرتع فيه كان كالمُرتِع إلى جنب الحِمى يوشك أن يقع فيه، وإن لكل مَلِك حِمًى، وإن حِمى الله محارمه». وقد أورد هذا الحديث السيوطي في الجامع الصغير (ص٨ رقم ١٨٨) وعزاه إلى ابن حبان والطبراني وحكم عليه بالصحة.

(٤) في (أ): «الأولى».

(٥) في أكثر النسخ: «لم يقتضِه»، وهو خطأ، والمثبت من (خ).

(٦) في (أ): «لا تجاوزوها»، وفي (ب): «فلا تتجاوزوها»، والمثبت من (ر، ك).

(٧) «أن» ليست في (ب، ك، ع).

(٨) يقال: خالعت المرأةُ زوجَها مُخالَعة، إذا افتدت منه وطلَّقها على الفدية... والاسم: الخُلع ـ بالضم ـ: وهو استعارة من خلع اللباس؛ لأن كل واحد منهما لِباس للآخر، فإذا فعلا ذلك فكأن كل واحد نزع لِباسَه عنه. المصباح المنير (١: ١٧٨).

إسلام ويب islamweb.net

والحدود ضربان؛ حدٌّ هو منعٌ من[١] ارتكاب المحظور، وحدٌّ هو فاصلة[٢] بين الحلال والحرام، فالأول يُنهى عن مقاربته[٣]، والثاني يُنهى عن مجاوزته، وهما[٤] المذكوران في هذه السورة[٥].

[١٩] الآية التاسعة عشرة[٦]:

قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣].

وقال في سورة الأنفال [٣٩]: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

للسائل أن يسأل فيقول[٧]: لأيِّ فائدة قال في هذه السورة[٨]: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ ولم يؤكِّده[٩]، وعقَّبه بقوله: ﴿فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، وقال في سورة الأنفال[١٠]: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ فأكَّده[١١] وأتبعه.....

(١) في (ر): «عن».
(٢) في (ر): «واصلة».
(٣) في (أ): «مقارنته».
(٤) أي: الحدان، وهما اقتراب المرأة في الاعتكاف، وتجاوز حق المرأة في الخلع.
(٥) ورد في (أ، ب) بعد هذه العبارة: «وحد النهي»، ولا معنى لهذا الكلام. وفي (ع): «وحَدّ النهي عنهما. والسلام».
(٦) في (ك): «الآية التاسعة عشرة من هذه السورة».
(٧) في (أ): «للسائل أن يقول».
(٨) في (أ): «الآية» بدل «السورة».
(٩) في (ب): «ولم يؤكّد».
(١٠) في (أ، ب): «وفي سورة الأنفال»، والمثبت من (ك).
(١١) «فأكده» أُثبِتت من (ك)، وفي (ع): «فوكَّده».

إسلام ويب islamweb.net

بقوله[١]: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾؟

الجواب[٢] عن ذلك أن يقال: إن[٣] الآية الأولى من سورة البقرة[٤] جاءت في قتال أهل مكة، ألا ترى ما قبلها: ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡ﴾ [البقرة: ١٩١]، ثم قال: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِ﴾[٥] [البقرة: ١٩١]، وهذا مختص بقتال قوم مخصوصين من[٦] أهل الشرك، وهم نازلو[٧] الحرم، فاقتصر[٨] على الدين من غير توكيد على معنى: حتى يكون الدين[٩] حيث هؤلاء، لا في كل مكان[١٠]؛ لأنه لا يحصُل بقتل مشركي مكة الدينُ في كل البلاد.

وقوله: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: إن انتهوا عن[١١] كفرهم فلا عدوان عليهم، إنما العدوان على من أقام على الضلالة وظلم نفسَه بلزوم الجهالة.

وأما في سورة الأنفال فالأمر ورد عامًّا في قتال كلِّ الكافرين، ألا ترى أن[١٢]

---

(١) في (ك، ع): «قوله» من دون الباء.
(٢) في (ب): «فالجواب»، وفي (ر، ع): «والجواب».
(٣) «إن» أُثبِتت من (ك).
(٤) في (أ، ب، ع): «في هذه السورة»، والمثبت من (ح، خ، ر).
(٥) «﴿حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِ﴾» ليست في (ع).
(٦) ليست في (ع).
(٧) في (ب، ك، ع): «نازلة».
(٨) في (ر): «فاختصر».
(٩) «الدين» سقطت من (ب).
(١٠) في (ب): «لا في مكان»، وفي (ك): «لا في مكان آخر».
(١١) هنا في (أ) خلل، وفي (ك): «من» بدل «عن»، والمثبت من (ب).
(١٢) «أن» ليست في (ك).

إسلام ويب
islamweb.net

قبل الآية: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨]، وليس هذا في طائفة من الكفار دون طائفة، فإذا كان ذلك كذلك[١]، وقال بعده: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾؛ أي: لا يكون شركٌ وكفر[٢]؛ اقتضى هذا أن يكون بعده: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾، فأُمِروا بإبطال كل كفرٍ قدَروا عليه[٣]، وأتبعه قوله: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾؛ أي: إن انتهوا وانتقلوا إلى الإيمان وكفَوْكم عن قتالهم بما يُظهِرون من الإسلام[٤]، فإن الله[٥] يعلم عملكم وعملهم، على القراءتين[٦] جميعًا[٧]، فيكون الخطاب للمقاتِلين، ولفظ المغايبة[٨] للمقاتَلين[٩].

---

(١) في (ر): «كذلك فالأمر شديد»، والمثبت هو الصواب.

(٢) ذهب إلى أن المراد بالفتنة هنا الشركُ من المفسرين: ابنُ عباس رضي الله عنه والحسن وقتادة والسدي. يُنظَر: تفسير الطبري (٩: ٢٤٨)، وذهب إلى أن المراد بها هنا الكفرُ ابنُ زيد كما في تفسير الطبري (٩: ٢٤٩)، وقال الزجاج في معاني القرآن (٢: ٤١٣): «حتى لا يُفتَن الناس فتنةَ كفرٍ». قلت: فلا مانع أن يكون الشرك والكفر معًا مُرادَين كما قال المؤلف؛ لأن الكفر والشرك كليهما فتنة، فلا بد من إزالتهما حتى تتحقق العبادة كلها لله خالصة دون غيره.

(٣) في (ك): «عليه قدَروا»، بالتقديم والتأخير.

(٤) في (أ، ب، ع): «وكفَوكم بما يُظهِرون عن قتالهم»، والمثبت من (ح، خ، ر، ك).

(٥) في (أ، ب، ع): «فالله»، والمثبت من (ح، خ، ر، ك).

(٦) في (أ): «على القولين»، وهي سقطت من (ك)، والمثبت من (ب). والقراءتان هما: «يعملون» بياء الغيبة، و«تعملون» بتاء الخطاب، فالأولى قراءة الجمهور، والثانية قراءة يعقوب. يُنظَر: المبسوط في القراءات العشر لابن مهران الأصبهاني (ص١٩٠)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣: ٣٥٧).

(٧) قوله: «على القراءتين جميعًا» ليس في (ك).

(٨) في (ب): «المقاتلة»، وهو خطأ، وفي (ع): «المعاتبة».

(٩) من قوله: «فيكون الخطاب» إلى هنا سقط من (ك).

إسلام ويب islamweb.net

ويمكن أن يقال: إن الخطاب[١] في: ﴿تَعْمَلُونَ﴾ يشمل الكل؛ لأنه قال: ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾، فكلهم قد صاروا مؤمنين، فلا جَرَم ضمَّهم خطابٌ واحد[٢]، وأعلمهم أنه مُجازيهم[٣] على عملهم، مطَّلع على سرائرهم[٤]، يعلم[٥] مَن كان انتهاؤه عن الكفر لرغبةٍ[٦] من رغائب الدنيا، ومَن[٧] كان انتهاؤه[٨] عنه للتبصُّر، فسوَّى بين السر والجهر، فاللفظة في ضمنها ـ إذا وردت من القادر الحكيم[٩] ـ غايةُ التخويف والوعيد في العقاب الأليم، وغايةُ الترغيب في الثواب العظيم لِفرقتَيِ الطاعة والعصيان، فهذا وجهه. والسلام.

[٢٠] الآية العشرون[١٠]:

قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

وقال في سورة آل عمران [١٤٢]: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

---

(١) «إن الخطاب» سقطت من (أ). وفي (ع): «بأن».

(٢) من قوله: «يمكن أن يقال..» إلى هنا تختلف العبارة في (ك)، وهي: «فيكون ﴿تَعْمَلُونَ﴾ خطابًا للمقاتِلين والمقاتَلين جميعًا؛ لأنهم جميعًا قد صاروا مؤمنين فضمَّهم خطاب واحد..».

(٣) في (ب، ك، ع): «مُجازٍ لهم».

(٤) في (ب): «على أسرارهم».

(٥) في (ب، ك، ع): «يعرف».

(٦) في (أ): «رغبة»، والمثبت من (ب، ك).

(٧) في (أ): «وبين من»، ولا وجه له.

(٨) في (ك): «ومن انتهاؤه» بغير «كان».

(٩) في (ع): «الحليم».

(١٠) في (ك): «الآية العشرون من هذه السورة».

إسلام ويب islamweb.net

وقال في سورة التوبة [١٦]: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(١).

وللسائل أن يسأل فيقول(٢): كيف اختلف اللفظ(٣) في المواضع الثلاثة(٤)، وهو(٥) فيها(٦) كلِّها بعثٌ(٧) على الجهاد؟ وهل صلَح ما هو في(٨) الأول للآخر، أم(٩) اقتضاه مكانُه بعينه دون غيره؟

الجواب(١٠) أن يقال: بل لكلِّ موضع(١١) معنًى يقتضي اللفظَ الذي خُصَّ به، فالآية الأولى من سورة البقرة(١٢) وردت عَقِيب قولِه: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [البقرة: ٢١٣]، ثم قال: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ يعني الكتاب ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾، فكانت هذه الحالة التي أخبر الله عنها مُشبِهةً حالَ النبي ﷺ والمؤمنين(١٣) معه فيما دُفِعوا إليه من بغي المشركين، ومُقاتَلتِهم لهم مجاهدين، فقال: أم حسبتم أن تشتروا الجنة لِتسكنوها(١٤) خالدين فيها ولم تفعلوا أفعال الأمم

(١) أُثبِتت الآية من (ب، ك).
(٢) في (أ): «وللسائل أن يقول».
(٣) «اللفظ» ليست في (ب).
(٤) هكذا في أكثر النسخ. وفي (أ، ع): «في الثلاثة المواضع»، ولعل الصواب ما أثبتُّه.
(٥) في (ب): «وهي».
(٦) في (ك): «كيف اختلف في المواضع فيها».
(٧) في (ر): «حثّ».
(٨) «في» سقطت من (أ).
(٩) في (ع): «أو».
(١٠) في (ب): «والجواب».
(١١) «موضع» أُثبِتت من (ب).
(١٢) في (أ، ب، ع): «من هذه السورة»، والمثبت من (ك).
(١٣) في (ر): «والمؤمنون».
(١٤) «لتسكنوها» ليست في (أ).

إسلام ويب islamweb.net

الماضية فيما دُفِعت إليه هي وأنبياؤها[١] وما نالهم من[٢] قتال الكفار من الشدّة والمَضرَّة والانزعاج عن المَواطن حتى استعجلوا النصر؟ لمَّا[٣] استنفدوا الصبر أعلمهم الله عز وجل أنّ نصره قريبٌ من أوليائه، غيرُ بعيد عن[٤] حزبه، وكذلك[٥] حالكم إذا عرفتم حالهم وعاقبة أمرهم ومآلهم.

ومعنى قوله: ﴿تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾ هو ما بيَّنه[٦] في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَ﴾ [التوبة: ١١١]، فكان في ذكر ذلك شَحْذٌ[٧] لبصائرهم في الجهاد[٨]، وحملُهم على الاقتداء بفِرَق الصلاح وأُمم الأنبياء صلوات الله عليهم قبلهم، وتأنيسٌ[٩] لهم بالصبر على ما حلَّ بهم حتى حمِدوا عاقبة أمرهم.

وأما الآية الثانية في سورة آل عمران وهي[١٠]: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢]، فهي خطاب للمسلمين الذين نالهم من قتال المشركين جراحات؛ لأنه[١١] قال

(١) في (ب): «أنبياؤها» من دون الواو، وفي (ك): «والأنبياء صلوات الله عليهم».
(٢) في (ك): «في» بدل «من»، وقوله: «وما نالهم» ليس في (أ، ع).
(٣) في (ع): «فَلَمَّا».
(٤) في (أ): «من».
(٥) في (ب، ع): «فكذلك».
(٦) في (أ، ب): «وما يليه»، والمثبت من (ح، ر، ك). وفي (ع): «ومعنى قوله: ﴿أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾ ما بيَّنه».
(٧) أي: تقوية لهم في الجهاد. قال في اللسان (٣: ٤٩٣ شحذ): «شَحَذَ الجوعُ مَعِدَتَه: ضرّمها وقوّاها على الطعام وأحدّها».
(٨) في (ب): «في القتال».
(٩) في (ب): «تأثير».
(١٠) «وهي» ليست في (ك).
(١١) «لأنه» أُثبِتت من (ح، خ، ر).

إسلام ويب islamweb.net

فيها: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، فقال: أم حسبتم أن تنالوا(١) الجنة ولمّا تجاهِدوا الأعداءَ من الكفار فيعلم(٢) الله ذلك منكم(٣)، ولمّا تصبروا صبرًا زائدًا على صبرهم فيرى(٤) ذلك من فضلكم عليهم؟ أي: الجنةُ لمن فعل ما أمَره(٥) الله تعالى به في الوقت من قتال أهل الكفر وتوطينِهم(٦) النفسَ فيه على الصبر فيخفُّ(٧) عليه ما يجد من الألم بما يتحقَّق من الفوز في الآجلة.

والآية(٨) التي رَدِفتْها هذه الآيةُ(٩) اقتضت البعثَ على التشمُّر(١٠) للقتال والصبرَ بعد صبر الأعداء، وقيل(١١) لبعض العرب: ما كان سببُ كثرة ظفركم بأعدائكم؟ فقال: كنا نصبر بعد صبرهم ساعةً فيكون ذلك سبب الظفر.

---

(١) في (ر): «أن تدخلوا».

(٢) في (ب): «فيعلمهم».

(٣) في (ر): «منهم».

(٤) في (ب، ع): «فترك»، وهو خطأ ظاهر. وفي (ك): «ويرى».

(٥) في (أ، ب، ع): «ما أمر»، والمثبت من (ح، ر).

(٦) في (ر): «وتوطين»، وفي (ع): «وتوطينه».

(٧) في (ر): «فخفَّ».

(٨) في جميع النسخ الخطية والمطبوعة: «فالحالة»، وفي (ع): «والحالة»، ولعل الصواب ما أثبتُّه، والآية هنا هي: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

(٩) هي قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢].

(١٠) قال في القاموس (ص٥٣٨ شمر): «تشمَّر للأمر: تهيَّأ». جاء في (أ، ب، ك، ع): «التشمير»، والمثبت من (ح، خ، ر).

(١١) في (ك): «قيل» من دون الواو.

إسلام ويب islamweb.net

وأما الآية الثالثة في سورة براءة وهي قوله تعالى[١]: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[٢] [التوبة: ١٦]، فإنها[٣] خطاب للمجاهدين من المؤمنين، وتوعُّد لمن كان منهم يُبْقي[٤] على أقارب له[٥] عند الظفر بهم؛ لقوله بعده: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ * قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ﴾ [التوبة: ٢٣، ٢٤] الآيتين[٦]، فحذَّر[٧] المنافقين الذين ضامُّوا[٨] المؤمنين في قتال المشركين أن[٩] يعلم الله مجاهدتهم أعداءهم وقد اتخذوا[١٠] معها وليجة بينهم وبين المشركين. فالوليجة[١١]: هي المُدخَل الذي ذكره الله تعالى في الآية[١٢] بعدها عند وصف المنافقين فقال: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ * لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ

(١) في (أ، ع): «وهي»، وكلمة «وهي» سقطت من (ب)، والمثبت من (ح، خ، ر، ك).
(٢) أُثبتت الآية من (ب، ك).
(٣) في (ر): «فهي».
(٤) قال في الصحاح (٦: ٢٢٨٣ بقي): «وأبقيتُ على فلانٍ، إذا أرعَيْتَ عليه ورحِمتَه».
(٥) «له» ليست في (ك).
(٦) في (ب، ع): «الآية»، ولم ترد في (ك).
(٧) في (ر): «يحذر»، وفي (أ): «فحذروا».
(٨) قال في الصحاح (٥: ١٩٧٣ ضمم): «ضممْت الشيءَ إلى الشيءِ فانضمَّ إليه، وضامّه».
(٩) في (ر): «أي» بدل «أن».
(١٠) «اتخذوا» غير واضحة في (أ).
(١١) في (ك): «والوليجة».
(١٢) في (ك): «في هذه الآية».

إسلام ويب islamweb.net

مَغَٰرَٰتٍ أَوۡ مُدَّخَلٗا لَّوَلَّوۡاْ إِلَيۡهِ وَهُمۡ يَجۡمَحُونَ﴾[١] [التوبة: ٥٦، ٥٧] الآيتين[٢]. فقولك: وَلَجَ، بمعنى دخل، والوليجة: المُدخَل وهو الوسيلة التي يدخل بها[٣] الإنسانُ حريمَ الإنسان، كالباب المفتوح له يفعل فِعله، فكأن التوعُّد كان[٤] يقتضي أن يقال لهم: أظننتم أن تُترَكوا وما تُظهِرون من مجاهدتكم أعداءكم ولم يكن[٥] منكم جهادٌ خالص[٦] لله تعالى لا تُمالِئون[٧] فيه أبًا ولا ابنًا[٨]، ولا تُراعون[٩] فيه حميمًا ولا قريبًا، فلا تُبْقون[١٠] على ذي معرفة إبقاءً تتقرَّبون به رجاءَ أن يُجازوكم[١١] عليه؟ فإن قدَّرتم أنكم تُتركَون[١٢] ومُضامّة المسلمين في القتال[١٣] من غير أن يعلم منكم باطنًا عاريًا من هذه الحال، فقد أخطأ ظنُّكم وأخلفَ تقديرُكم؛ فإنكم مُطالَبون بالتوفقة بين سرِّكم وجهركم[١٤].

(١) الآيتان أُثبِتتا من (ب، ك).

(٢) «الآيتين» ليست في (ع).

(٣) في (ك): «لها».

(٤) في (أ، ب، ع): «فكأنه كان التوعد»، والمثبت من (ك).

(٥) «يكن» سقطت من (ك).

(٦) في (ر): «جهادًا خالصًا».

(٧) جاء في اللغة: مالأه على كذا مُمالأَةً: ساعده. مختار الصحاح (ص٣٦١).

(٨) في (ب): «آباء وأبناء».

(٩) في (ب، ك، ع): «ولا ترعون».

(١٠) انظر لمعناه: (١: ٢٩٩) الحاشية (٤).

(١١) في (أ، ك): «أن يجازيكم»، والمثبت من (ح، خ، ر، ك).

(١٢) في (ر، ع): «أن تتركوا».

(١٣) في (أ): «ومضامة المنافقين المسلم»، وفي (ب): «ومضامة الناس»، والمثبت من (ح، خ، ر، ك).

(١٤) في (ب): «بين سركم وعسركم».

إسلام ويب islamweb.net

[٢١] الآية الحادية والعشرون[١]:

قوله عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ [البقرة: ٢٣٢].

وقال في سورة الطلاق [٢]: ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾[٢].

للسائل أن يسأل فيقول[٣]: إذا كان الكاف في ﴿ذَٰلِكَ﴾ للمخاطَب، فيُجمَع إذا كثُروا[٤] ويقال[٥]: ذلكم، كما قال في الآية الأخيرة[٦] من الآيتين، وكما قال: ﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾، وقال[٧] في مخاطبة[٨] الاثنين[٩]: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ﴾ [يوسف: ٣٧]، وكما قال في مخاطبة[١٠] النساء: ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾[١١] [يوسف: ٣٢]، فيُثنّى ويُجمَع على حسب المخاطَب، كما يُؤنَّث ويُذكَّر فيُكسَر كقوله[١٢]: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ﴾ [مريم: ٢١]، فما بال قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ في سورة البقرة مُوحِّدًا «الكاف» من «ذلك» مع جمعها في نظيرها في سورة الطلاق[١٣]؟

---

(١) في (ك): «الآية الحادية والعشرون من هذه السورة».

(٢) في (ع) حتى قوله: ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾.

(٣) في (أ): «للسائل أن يقول».

(٤) في (ع): «كَثُرَ».

(٥) في (ر): «فيقال».

(٦) يعني الآية التي في سورة الطلاق.

(٧) في (ع): «وكما قال».

(٨) في (ر): «خطاب».

(٩) في (ب): «الآيتين».

(١٠) في (ر): «خطاب».

(١١) «﴿قَالَتْ﴾» ليست في (ع).

(١٢) في (ع): «لقوله».

(١٣) صيغة السؤال في (ح، خ، ر): «والسؤال أن يقال: إن الكاف في «ذلك» إذا كانت للمخاطَب إذا كثُروا فيقال: «ذلكم» كما قال بعد الآية الأولى من الآيتين: ﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾، =

إسلام ويب
islamweb.net

والجواب عن ذلك أن يقال: إن الكاف تجيء في الكلام اسمًا للمخاطَب كقولك: رأيتك، وغلامك، والكاف هاهنا اسم للمخاطب، وموضعها نصبٌ في[١] «رأيتك»، وجرٌّ في «غلامك»[٢].

وتجيء متصلة بالأسماء المُبهَمة[٣] التي للإشارة وليست باسم ولكنها للخطاب، ويراد بها[٤] معنًى آخر وهو تبعيد المشار إليه، نحو «ذاك» و«ذلك» و«أولئك»، والدليل[٥] على أنها ليست اسمًا[٦] قولُه تعالى[٧]: ﴿فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ﴾ [القصص: ٣٢]، لو كانت[٨] اسمًا مجرورًا لَما اجتمعت مع[٩] نون[١٠] التثنية في «ذانِك»[١١] كما لا تجتمع معها في قولك: «غلامَاك»، لا تقول: غلامانك، ولا يجوز أن تكون الكاف بعد المُبهَمة اسمًا منصوبًا؛ لأنه لا[١٢]

= وكما قال في خطاب الاثنين: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾، وكما قال في خطاب النساء: ﴿قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِ﴾، يُجمَع على حسب المخاطَب كما يُؤنَّث ويُكسَر، وقوله: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ﴾، فما بال قوله في سورة البقرة: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ﴾ مع جمعها في نظيرها من سورة الطلاق؟».

(١) في (ع): «كقولك» بدل «في».

(٢) في (أ، ع): «إن الكاف تجيء في الكلام اسمًا للمخاطب، وموضعها نصب كقولك: رأيتك، وجر في غلامك». سقطت بعض الكلمات في (ب) هنا، والمثبت من (ح، خ، ر، ك).

(٣) في (أ): «المهملة».

(٤) في (أ، ع): «ويقارنها»، وفي (ب، ك): «ويفاد بها»، والمثبت من (ح، خ، ر، س).

(٥) «والدليل» سقطت من (ك).

(٦) في (ك): «باسم».

(٧) في (ع): «قولك».

(٨) في (ب، ع): «كان».

(٩) في (ع): «فيه».

(١٠) في (ب): «ونون».

(١١) في (ب): «في «ذلك»»، وهو خطأ.

(١٢) «لا» ليست في النسخ المعتمدة، وأُثبِتت من (ر).

إسلام ويب islamweb.net

ناصب له[١] وشيء آخر، وهو أن هذه المُبهَمة[٢] معارفُ ولا تصح إضافتها، والكاف[٣] بعدها ليست اسمًا مضافًا[٤] إليه، فإذا عَرِيت من الاسمية لم تَعْرَ من معنى الخطاب، والمعنى الذي يقارنها[٥] مع[٦] الخطاب في المُبهَم أنك تقول: «ذا» فيكون إشارة إلى قريب، فإذا قلت: «ذاك» صار بالكاف[٧] إشارةً إلى بعيد.

فلما عَرِيت الكاف من الاسمية قُصِد[٨] بها إلى[٩] أحد المعنيين اللذين وُضِعت[١٠] لهما كـ«ذلك». والأسماءُ[١١] المُبهَمة كما[١٢] قُصِد بها[١٣] معنيان: الخطابُ والتبعيدُ، جاز أن تعرى[١٤] من أحدهما[١٥]، وهو الخطاب، ويُقتصَر بها على معنى التبعيد حسبُ، على حسبِ قصد القاصد[١٦].

وإذا جاءت اللفظة[١٧] مُثنّاةَ اللفظِ أو مجموعَه على حسب حال المخاطبين فهي على المعنيين.

---

(١) «له» أُثبِتت من (خ).
(٢) من هنا إلى قوله: «كما قصد» سقط من (أ).
(٣) في (ر، ك، ع): «فالكاف».
(٤) في (ب، ك، ع): «باسم مضاف».
(٥) في (ك): «يقاربها»، وفي (ر): «يفاد بها».
(٦) في (ر): «معنى» بدل «مع».
(٧) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «الكاف» من دون الباء.
(٨) في (ر): «وقصد».
(٩) في (ك): «وقصر بها على».
(١٠) في (أ): «ومنعت»، وهو خطأ.
(١١) في (أ، ك، ع): «في الأسماء»، والمثبت من (ب)، ولعله الصواب.
(١٢) في (ر): «لما».
(١٣) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ، ك): «بهما».
(١٤) في (ك): «ألا تعرى».
(١٥) في (أ، ب): «أحديهما».
(١٦) في (أ): «على حسب المقاصد»، وفي (ع): «على حسب القاصد».
(١٧) «اللفظة» أُثبِتت من (ر).

إسلام ويب islamweb.net

وتبيينُ[١] الموضع الذي يُقصَد فيه التبعيد وحده لِغرضٍ[٢] من الأغراض دون الخطاب والتبعيد معًا، يمكن باستقراء[٣] كلِّ لفظ[٤] في القرآن جاءت فيه «ذلك» والمخاطَبون عِدّة.

وتأمَّل[٥] موضعها مع تأمُّل المواضع الأُخَر التي[٦] ثُنِّيت فيها وجُمِعت، واستنبطْ[٧] حكمةً تقتضي في ذلك الموضع استعمالَها للتبعيد وحده[٨] دون الخطاب[٩]، وسنتأمَّل هذا على استكمال[١٠] في كل مكان إن شاء الله تعالى.

وجواب آخر عن المسألة وهو أن كل موضع أُفرِدت فيه «الكاف» والخطابُ لجماعة، فإنما قُصِد بالكاف المفردة[١١] مخاطبةُ النبي ﷺ، ثم العدولُ عنها[١٢] إلى مخاطبة أُمّته، كقوله عزَّ من قائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ

---

(١) في (ر): «ويتبيَّن».
(٢) في (ك): «بغرض».
(٣) في (ك): «استقراء» من دون الباء.
(٤) في (ك): «لفظة».
(٥) في (ب): «فتأمل».
(٦) في (أ): «وتأمل موضعها من تأمل المواضع الأخر الذي»، والمثبت من (ب، ك).
(٧) في (أ، ب، ع): «واستنباط»، والمثبت من (ح، خ، ر).
(٨) ف (ب): «واحدة».
(٩) يتضح مما سبق أن المصنف رحمه الله ذكر معنيين للكاف في «ذلك» وهما: الخطاب والتبعيد، وذكر الإمام الطبري توجيهًا غير هذا التوجيه الذي ذكره المصنف، حيث إنه رحمه الله يرى أن «ذلك» بمنزلة «هذا» في جريها كلمةً واحدة، وهي مركَّبة من الهاء و«ذا» الذي هو اسم الإشارة، فيقول في تفسيره (٢: ٤٨٩): «صارت الكاف ـ التي هي كناية اسم المخاطب ـ كهيئة حرفٍ من حروف الكلمة التي هي متصلة بها، وصارت الكلمة بها كقول القائل: «هذا»، كأنها ليس معها اسم مخاطب».
(١٠) في (ك): «استكمان».
(١١) في (ر): «المفرد».
(١٢) في (أ، ع): «عنه».

إسلام ويب islamweb.net

ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ﴾[١] [الطلاق: ١]، فلم يمنعه قوله: ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ﴾ ـ وهو خطاب الجماعة[٢] ـ أن يُفرِد للنبي ﷺ خطابًا له[٣] مخصوصًا موحَّدًا، وهو قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾[٤].

وكذلك[٥] قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾[٦] [البقرة: ٢٣٢]، تكون[٧] الكاف في «ذلك» لخطاب[٨] النبي ﷺ، والكاف في ﴿مِنكُمْ﴾ خطاب لأُمّته، وكذا[٩] كلُّ موضع جاءت الكاف فيه هذا المجيء[١٠].

[٢٢] الآية الثانية والعشرون[١١]:

قوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٤].

---

(١) «﴿فَطَلِّقُوهُنَّ﴾» ليست في (ع).

(٢) في (ر): «لجماعة».

(٣) «له» ليست في (ك).

(٤) في (أ): «﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ﴾»، وفي (ب، ع): «﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾»، والمثبت من (ك).

(٥) في (ب، ع): «فكذلك».

(٦) في (ع): «﴿بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾».

(٧) «تكون» سقطت من (ك)، وفي (ب): «يكون».

(٨) في (ر): «خطابًا».

(٩) في (ك): «وكذلك».

(١٠) يعني أن كل موضع جاءت فيه الكاف موحَّدة يكون الخطاب فيه للنبي ﷺ. وقد جاءت الكاف موحَّدة في سورة البقرة؛ لأنه جاء الكلام فيه مؤكَّدًا بزيادة ﴿مِنكُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ مِنكُمْ﴾، وجُمِع في سورة الطلاق في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ﴾ لمّا لم يكن بعده «منكم».

(١١) في (ك): «الآية الثانية والعشرون من هذه السورة».

إسلام ويب islamweb.net

وقال في آخر[١] هذه العشر: ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٠].

للسائل أن يسأل فيقول[٢]: ما الفائدة التي أوجبت اختصاصَ المكان الأول بالتعريف والباء فقال: ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾، والمكانِ الثاني بالتنكير ولفظة «مِن»[٣]؟

فالجواب[٤] عن ذلك أن يقال: إن الأول تعلَّق بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًاۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[٥] [البقرة: ٢٣٤]؛ أي: لا جناح عليكم[٦] في أن يفعلْن في أنفسهن بأمر الله المشهور[٧]، وهو ما أباحه لهن من التزوُّج[٨] بعد انقضاء العِدّة، فالمعروف هاهنا أمرُ الله المشهور[٩]، وهو فعلُه و[١٠] شرعه الذي شرَعه وبعث عليه عباده.

والموضع[١١] الثاني: أن المراد به: فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن من جملة الأفعال التي لهن أن يفعلن من تزوُّجٍ أو قعود، فالمعروف هاهنا فعلٌ من أفعالهن، يُعرَف في الدين جوازُه، وهو بعض[١٢] ما لهن أن يفعلْنه، ولهذا المعنى خُصَّ بلفظة «من» وجاء نكرة[١٣].

---

(١) ليست في (ع).
(٢) في (أ): «للسائل أن يقول».
(٣) ذلك في قوله تعالى: ﴿مِن مَّعْرُوفٍ﴾.
(٤) في (ب، ع): «والجواب».
(٥) أُثبتت الآية من (ب، ك).
(٦) «عليكم» ليست في (ك).
(٧) «المشهور» ليست في (ب، ع).
(٨) في (ع): «أباح الله لهن من التزويج».
(٩) في (أ، ك): «المشهود»، والمثبت من (ح، خ، ر، ك).
(١٠) في (ب): «أو».
(١١) «والموضع» سقطت من (أ)، وفي (ع): «وأما الثاني فالمراد به».
(١٢) «بعض» سقطت من (أ).
(١٣) في (ع): «ونُكّرَ» بدل «وجاء نكرة».

إسلام ويب islamweb.net

فجاء «المعروف» في الأول[١] معرَّف[٢] اللفظ لِما[٣] أشرتُ إليه وهو أن يفعلن في أنفسهن بالوجه المعروف المشهور الذي أباح الشرع لهن ذلك[٤]، وهو الوجه الذي دلَّ الله عليه وأبانه، فعُرِّف إذ كان معرفةً مقصودًا نحوه[٥]، وكذلك[٦] خُصَّ بالباء وهو للإلصاق. والثاني كان وجهًا من الوجوه التي لهن أن يأتينه، فأُخرِجَ مُخرَجَ النكرة لذلك.

[٢٣] الآية الثالثة والعشرون[٧]:

قوله عز وجل: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

وقال في سورة النساء [٣٦، ٣٧] في الموضع الأول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ۞ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾[٨].

وفي الموضع الثاني: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾[٩] [النساء: ١٠٧].

---

(١) في (ب): «في الأولى».
(٢) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «معروف».
(٣) في (ب): «بما».
(٤) في (ر): «لأن المعنى فيما فعلن في أنفسهن بالوجه المعروف من الشرع لهن، وهو الوجه الذي..» بدل «لِما أشرت إليه.... لهن ذلك»، وفي (أ): «من» بدل «لهن»، وفي (ع): «أباح الشرع، وهو الوجه».
(٥) في (ر): «وأبانه يُعرَّف إذ كان معرفة ويُقصَد نحوه»، وفي (ع): «متعرفًا» بدل «معرفة».
(٦) في (ع): «ولذلك».
(٧) في (ك): «الآية الثالثة والعشرون من هذه السورة».
(٨) قوله تعالى: «﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾» ليس في (ك).
(٩) في (ك): «﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾».

إسلام ويب
islamweb.net

وقال في سورة الحديد [٢٣، ٢٤]: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ۞ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ﴾.

للسائل أن يسأل عن المواضع الأربعة، عن اختلاف اللفظين في الموضعين(١)، واتفاقهما في الموضعين(٢)، واختصاص الموضعين بالواو(٣)، واختصاص الموضعين الآخرين بـ«إنّ»(٤).

والجواب(٥) أن يقال: إن **الآية الأولى** في الكفار الذين استحلُّوا ما(٦) حرَّم(٧) الله، وعارضوا ما أنزل الله فقالوا: ﴿إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة: ٢٧٥] حتى قال: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، فعظَّم الله تعالى(٨) كفرهم، وسمّى كلَّ واحد منهم «كفّارًا»(٩) على لفظ المبالغة؛ لأن

(١) هما «كفار أثيم» في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ من سورة البقرة، و«خوان أثيم» في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ من سورة النساء.

(٢) هما «المختال الفخور» في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾ من سورة النساء، وفي قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ﴾ من سورة الحديد.

(٣) ذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾، وفي قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ﴾.

(٤) ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾، وفي قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾. وصيغة السؤال في (ر): «للسائل أن يسأل فيقول: ذكر في الآية **الأولى**: الكفار الأثيم، وفي **الثانية**: الخوان الأثيم، وفي **الثالثة**: المختال الفخور، فهل في مكان ما يوجب اختصاص اللفظ به؟ وما ذلك المعنى؟».

(٥) في (ك): «فالجواب».

(٦) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «لما».

(٧) في (ب): «ما حرمه».

(٨) «الله تعالى» أُثبتت من (ب).

(٩) في (ك): «كفار».

إسلام ويب islamweb.net

«كفّارًا» بعد كافر، لمن هو مقيم[١] على الكفر، والكفرُ عادته، كضارب وضرّاب، وخائط وخيّاط، ثم أتبعه بقوله: ﴿أَثِيمٍ﴾؛ أي: مُبالِغ[٢] في اكتساب الإثم، و«أثيم» أبلَغ من «آثِم»، فإذا أثِم إثمًا بعد إثم فالإثمُ عادته[٣]، وهو وصفُ مَن أُخبِرَ عنه بالاستحلال للربا[٤]، سمّاه كفّارًا، وصار أثيمًا بذلك وسائرِ سيئات[٥] الأفعال التي يُلحِقها بالكفر.

والموضع الثاني[٦] وهو الأول من سورة النساء، أمَرهم بالعبادة[٧] وتركِ الشرك فقال: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء: ٣٦]، أخبرهم أنهم[٨] عبيد، والعبد[٩] لا يحسُن منه[١٠] الاختيال[١١] والفخر؛ لأن الرِّق والذل يخالفانه، فلذلك عقَّبه بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾[١٢]،

---

(١) في (ك): «عظيم»، وهو خطأ. وفي (ع): «لأن «كفّارًا» أبلغ من كافر، يقال لمن هو مقيم».

(٢) في (ك): «متابع»، ولا وجه له.

(٣) في (أ، ب، ك، ع): «فإذا كفر كفرًا بعد كفر وأقام عليه»، والمثبت من (ح، خ، ر، س).

(٤) في (ح، خ، ر، س): «وذلك كله باستحلالهم الربا» بدل «وهو وصف مَن أخبر عنه بالاستحلال للربا»، وفي (ك): «ولربما» بدل «للربا»، وهو خطأ.

(٥) في (أ، ك): «بنيات»، وفي (ب): «هيات»، والمثبت من (د)، ولعله الصواب والله أعلم.

(٦) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «وهو الموضع الثاني». ومن هنا إلى قوله: «وأما الموضع الثالث» صار خللًا في (ر).

(٧) في (ك): «بالقتال».

(٨) في (ب): «بأنهم».

(٩) في (ب): «والعبيد».

(١٠) في (ب): «منهم».

(١١) الاختيال: التكبُّر، والمختال: المتكبِّر. لسان العرب (١١: ٢٢٨ خيل).

(١٢) في النسخ التي عندي: «﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ﴾»، وذلك خطأ هنا في ترتيب الآية، ويدل على ذلك تعقيب الآية المثبتة في الأعلى بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ﴾. والمثبت من المصحف.

إسلام ويب islamweb.net

وعقّبها[١] بـ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ﴾ [النساء: ٣٧]؛ لأنه بعد الأمر بالعبادة[٢] أمَرهم بالإحسان للوالدين[٣] وإعطاء ذي القربى واليتامى[٤] والمساكين فقال: إن الله تعالى لا يحب العبد المختال الفخور البخيل.

وأما **الموضع الثالث**[٥] وهو الثاني من سورة النساء: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾[٦] [النساء: ١٠٧]، فلأنه[٧] ذكر قبله: ﴿وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ فأخبر عن حالهم[٨]، فاقتضى بتقدُّم[٩] الذكر هذا الوصفَ.

والموضع الرابع: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ﴾ في سورة الحديد [٢٣]، جاء بعد نهيه[١٠] عن تمكين الحزن والأسا[١١] من النفس على ما يفوت من أحوال الدنيا، ويُفجَع[١٢] به الإنسانُ من مستفاد النُّعْمَى[١٣]؛ للعِلم السابق

---

(١) في (أ): «وعقبهما».
(٢) في غير (ع): «بعد العبادة».
(٣) في (ب، ع): «بالوالدين».
(٤) «واليتامى» سقطت من (أ).
(٥) في (ك): «والموضع الثالث».
(٦) في (ع): «الآية».
(٧) «فلأنه» ليست في (ب، ع)، وفي (ك): «لأنه».
(٨) في (ر): «فذكر فيه ﴿ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡ﴾» بدل «فأخبر عن حالهم».
(٩) في (أ، ب، ع): «مقدم»، والمثبت من (ر، ك).
(١٠) ذلك في قوله تعالى: ﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡ﴾ [الحديد: ٢٣].
(١١) قال في القاموس (ص١٦٢٦ أسى): «الأَسا: الحزن».
(١٢) أي: يوجع به، وفي القاموس (ص٩٦٣ فجع): «فجَعه كمنَعه: أوجعه».
(١٣) النُّعْمى ـ بضم النون ـ: المال، كما في القاموس المحيط (ص١٥٠٠ نعم). وفي (ك): «البغي».

إسلام ويب islamweb.net

بأنها عَوارٍ[١] مُرتجَعة[٢]، وكذلك إذا خُوِّل[٣] منها[٤] الكثيرُ لا يمرَح[٥] لحبّه[٦] ولا يبطَر[٧] فيه، كما قال: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [الإسراء: ٣٧]؛ أي: فِعلَ المختال، فذمَّ[٨] الإفراطَ في الجزع[٩] عند المصيبة[١٠] والفجيعة[١١]، والغلوَّ[١٢] في الفرح، والمرَحَ عند العطيّة وكثرةِ السعة[١٣] حتى يخرُج عن[١٤] التواضع

(١) عوارٍ جمع عاريةٍ، والعارية ـ مشددة وقد تخفف ـ، والعارة: ما تداولوه بينهم. القاموس المحيط (ص٥٧٣ عور).

(٢) أي: معادة، يقال: رجع في هبته، إذا أعادها إلى ملكه وارتجعها. المصباح (١: ٢٢٠). والعارية مرتجعة لارتجاع صاحبها إياها. وفي (ر): «ومرتجعة».

(٣) أي: إذا أُعطي مالًا كثيرًا، وفي القاموس المحيط (ص١٢٨٧ خول): «خوَّله الله تعالى المال: أعطاه إياه متفضِّلًا».

(٤) «منها» أُثبتت من (ح، خ، ر)، وفي (ب): «منه»، وفي (ك): «منه الكبير». ولفظ «منها» سقط من (أ).

(٥) أي: لا يتوسَّع في الفرح ولا ينشط فيه، قال صاحب المفردات (ص٤٦٥): «المرح: شدّة الفرح والتوسُّع فيه».

(٦) في (ب، ك): «بحبه».

(٧) في (أ، ب): «ولا ينظر»، والمثبت من (ر، ح، خ، ك). ومعنى «ولا يبطر فيه» أي: ولا يجاوز الحد، قال في المفردات (ص٥٠): «البَطَر: دهش يعتري الإنسان من سوء احتمال النعمة وقلّة القيام بحقها وصرفها إلى غير وجهها».

(٨) في (ع): «أي: لا تفعل فِعلَ المختال، فلما ذمَّ».

(٩) الجَزَع: أبلغ من الحزن، وهو حزن يصرف الإنسان عمّا هو بصدده ويقطعه عنه، كما في المفردات للراغب (ص٩٢).

(١٠) «المصيبة» ليست في (ر).

(١١) الفجيعة: المصيبة المؤلمة التي تفجع الإنسان. اللسان (٨: ٢٤٥ فجع).

(١٢) في (ع): «والغلواء».

(١٣) في (ع): «الشيعة».

(١٤) «عن» سقطت من (ب).

إسلام ويب islamweb.net

بما يحوِّل إلى الكبرياء فيبطَر ويمرح ويفخر[١]، وقال عَقِيب ذلك[٢]: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ﴾، وإنما عقَّبها[٣] بـ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ﴾ [الحديد: ٢٤]؛ لأن المتقدِّم عليه: ﴿إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقۡرَضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعَفُ لَهُمۡ﴾ [الحديد: ١٨]، فكأنه حثَّهم على الصدقة وإقراض[٤] الله تعالى، فإن من[٥] لم يفعل ذلك يكون بخيلًا، والله تعالى لا يحب البخيل[٦].

وأما[٧] الفرق بين الواو و«إن» فإن الواو في أكثر الأحوال لا تكون أجنبية مما قبلها، بخلاف «إن» فإنها كلمة أجنبية من الكلمتين وُضِعت لابتداء الكلام، ففي سورة البقرة وسورة الحديد الكلامُ متصل بعضه ببعض، فذكَره بواوٍ حيث قال: ﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾[٨] فوصلها[٩] بالواو، وكذلك في الحديد: ﴿وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ﴾. والاختيال والفخر إنما يكونان من الفرح[١٠]، فجمع بينهما بواوٍ.

---

(١) في (ر): «ويفجر».

(٢) في (خ، ر): «وقال عقيب ذلك»، وفي (ع): «تعقَّبه بقوله».

(٣) في (ع): «عقَّبهما».

(٤) إقراض الله تعالى: هو إنفاق المال في وجوه البر التي يرضاها الله تعالى.

(٥) أُثبِتت من (د)، وفي (ع): «فمن».

(٦) في (أ، ك): «البخل»، والمثبت من (ب).

(٧) «وأما» سقطت من (أ).

(٨) «﴿كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾» ليست في (ب، ك، ع).

(٩) في (ع): «فوصلهما».

(١٠) في (ك): «المرح».

إسلام ويب islamweb.net

وأما الموضعان الآخران في سورة النساء فقد تمَّ الكلام فيهما[١]؛ لأن في الأول أمَرهم بالعبادة وترك الشرك، والإحسان للوالدين[٢] وذي القربى واليتامى والمساكين[٣] وابن السبيل والجار ومِلك اليمين، وقد تمَّت[٤] هذه الأوامر، ثم ابتدأ بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ﴾ كذا وكذا.

وكذلك الموضع الثاني؛ لأنه[٥] نهى النبي ﷺ عن المجادلة عن الذين يختانون أنفسهم، [و][٦] تمَّ الكلام، ثم قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾، فاختصَّ كلَّ مكان بالوصف[٧] الذي لاق به. والسلام[٨].

مضى الكلام فيما شابه[٩] من سورة البقرة مكانًا آخر منها[١٠] أو من غيرها على[١١] اثنين[١٢] وثلاثين موضعًا وقع فيها السؤال.

---

(١) في (ب): «فيها».
(٢) في (ب، ك، ع): «بالوالدين».
(٣) «والمساكين» ليست في (ك).
(٤) في (ك): «ثبتت».
(٥) في (أ): «لأن».
(٦) زيادة يقتضيها المقام.
(٧) في (ب): «الوصف» من دون الباء.
(٨) «والسلام» ليست في (ك).
(٩) في (أ): «تشابه».
(١٠) قوله: «مكانًا آخر منها» ليس في (ك).
(١١) في (أ، ع): «عن» بدل «على».
(١٢) في (ر): «أحد».

إسلام ويب
islamweb.net

سورة آل عمران[١]

[٢٤] الآية الأولى منها:

قوله عز وجل: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [آل عمران: ١١].

وقال في سورة الأنفال [٥٢]: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

وبعدها بآية: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ﴾ [الأنفال: ٥٤].

للسائل أن يسأل[٢] في هذه الآي عن مسائل:

منها في الآية **الأولى** عن قوله تعالى: ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾، والعدولِ بعده عن الإخبار[٣] عن النفس[٤] بالاسم المُضمَر إلى الاسم المُظهَر، وهو قوله: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ ولم يقل: فأخذناهم، وهل هاهنا[٥] فائدة توجب

(١) في (ع): «سبع آياتٍ».
(٢) في (أ): «سئل» بدل «للسائل أن يسأل».
(٣) في (ر): «الخبر».
(٤) في (ك، ع): «عن اليقين»، وفي (ر): «عن نفسه».
(٥) في (ك): «فهل هنا».

إسلام ويب islamweb.net

العدول عن إجراء الكلام الثاني مُجرى الكلام[١] الأول في إسناد الفعل إلى ما أُسنِد إليه فيما قبلُ؟

والمسألة الثانية أن يسأل عن الكاف في ﴿كَدَأْبِ﴾ ووجهِ اتصالها[٢] بما قبلها وموضعِها من الإعراب؛ لأنها بمعنى «مثل»، والكاف التي يصح[٣] مكانَها «مثلٌ»[٤] محتومٌ[٥] على موضعها برفع أو نصب أو جر[٦].

والمسألة الثالثة في الآية الثانية[٧] مخالفتُها[٨] للآية الأولى في إجراء الخبر كله على لفظة واحدة، وهي لفظة «الله»؛ لأنه قال تعالى: ﴿كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾[٩] ولم يقل: كفروا بآياتنا، كما قال في الآية الأولى[١٠].

والمسألة الرابعة في الآية الثالثة[١١]، وهي أنه قال: ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ﴾ ولم يقل: بآياتنا، كما قال في الأولى، ولا «بآيات الله»[١٢] كما قال في الثانية، بل أتى بصفة من صفات الله عز وجل وهي[١٣] «الرب».

والمسألة الخامسة عن فائدة التكرار في سورة الأنفال في موضعين[١٤] لا يحجز بينهما إلا آيةٌ واحدة.

---

(١) «الكلام» ليست في (أ).
(٢) في (ع): «إيصالها».
(٣) في (ع): «تقع».
(٤) «مثل» سقطت من (أ).
(٥) في (ب، ك، ع): «محكوم».
(٦) في (ب): «أو جر أو نصب».
(٧) هي الآية [٥٢] من سورة الأنفال.
(٨) في (ع): «ومخالفتُها».
(٩) في (ب، ك، ع): «﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾».
(١٠) في (ب، ك): «في الأولى».
(١١) هي الآية [٥٤] من سورة الأنفال.
(١٢) في (ك): «وكذا في الأولى». وليس في (ك): «ولا بآيات الله».
(١٣) في (ب): «وهو».
(١٤) في (ع): «في موضع»، وفي (ك): «في موضع صغير».

إسلام ويب islamweb.net

أما **المسألة الأولى**(١) [في](٢) قوله: ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾، فوقع(٣) الإخبارُ عن النفس(٤) كما يجب في مثله إذا أخبر المتكلم عن نفسه بفعلٍ فعَله، فأتى بلفظ المُضمَر دون المُظهَر ثم خالف ذلك(٥) اللفظَ إلى غيره فقال: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾، فالجواب عن هذا(٦) أن يقال: العدول عن النهج(٧) الأول المستمر في الإخبار عن النفس(٨) إلى لفظ ظاهر(٩) هو لفائدة تتضمَّنها(١٠) هذه اللفظة(١١) من الاحتجاج، وليست هذه الفائدة في لفظة(١٢) الإضمار، وكانت الآية التي قبلها قد وقع فيها مثلُ هذا العدول إلى هذه اللفظة(١٣) للاحتجاج الذي من أجله وقع العدولُ في هذا المكان إليه، وهو قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٩]، فقوله: ﴿رَبَّنَآ﴾ يقتضي أن يكون(١٤) بعده: إنك لا تخلف الميعاد، كما قال: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩٤].

فلما قال تعالى في هذا الموضع: ﴿رَبَّنَآ(١٥) إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ

---

(١) عرضُ هذه المسألة والتي بعدها لم يأتِ في (ح، خ، ر، س) اكتفاءً بذكرها فيما سبق. والله أعلم.

(٢) زيادة يقتضيها المقام.

(٣) في (أ، ع): «وقع».

(٤) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ، ع): «عن اليقين».

(٥) في (ك): «من» بدل «ذلك».

(٦) في (ب، ك): «والجواب عن هذا».

(٧) في (ك، ع): «المنهج».

(٨) في (ع): «اليقين».

(٩) «ظاهر» ليست في (ر).

(١٠) في (ك): «تضمَّنتها».

(١١) «اللفظة» سقطت في (أ).

(١٢) في (أ): «لفظ».

(١٣) «اللفظة» سقطت في (أ).

(١٤) «أن يكون» سقطت في (ب).

(١٥) ليست في (ع).

إسلام ويب islamweb.net

فِيهِ﴾ فكان[١] المعنى: إنك خلقتَ الدار الأولى للتكليف، ومكَّنتَ العباد فيها من الطاعة والعصيان، ورغَّبتَ المطيع في الثواب، وخوَّفتَ العاصي من العقاب، فوقع منك وعدٌ ووعيدٌ[٢]، فأنت[٣] تجمع الخلائق لِيوم الجزاء؛ لأن مَن خلق وأنعم نعمة حقَّت بها العبادة، ولَزِمت[٤] من أجلها الطاعة، وهذا[٥] معنى قولنا[٦]: إن الله إذا وعد صدق، فلا خُلفَ في قوله، ولا تبديلَ لكلامه.

فلمّا كان معنى قولنا: «الله» بمعنى «الإله»[٧]، والإله مشتق من أَلَه يَأْلَهُ إلاهةً؛ أي: عبَد يعبُد عِبادةً، فالإله[٨] هو الذي حقَّت عبادته لمّا عظُمت نعمته؛ كان[٩] للعدول[١٠] إلى هذه اللفظة للاحتجاج بمعناها فائدةٌ لم تكن[١١] لِتحصلَ لو[١٢] قال: إنك لا تخلف الميعاد[١٣].

---

(١) في (أ، ب، ك، ع): «وكان»، والمثبت من (ح، خ، ر، س)، وهو الأنسب؛ لأنه جواب «فلما».

(٢) في (ح، خ، ر، ط): «فوقع منك وعد ووعيد، فرغبت من الوفاء بهما». ولعلها: «فرغبت ورهبت من الوفاء بهما»، فحصل تصحيف وسقط في العبارة.

(٣) في (ك): «وإنك»، وفي (ط): «بأنك».

(٤) في (أ): «لزم».

(٥) في (أ): «وهي»، وفي (ع): «وهو».

(٦) في (أ): «قوله».

(٧) في (أ): «فلما كان معنى قولنا: الإله، والإله مشتق». وفيه سقط ظاهر.

(٨) في (ك): «والإله». وحرف الجر الباء في قوله: «بمعنى» أُثبِت من (ح، خ، ر، س).

(٩) «كان» جواب لقوله: «فلمّا كان».

(١٠) في (أ، ب، ك، ع): «العدول»، والمثبت من (ح، خ، ر، س).

(١١) في (ر): «لم تحصل».

(١٢) في (أ): «له» بدل «لو».

(١٣) توضيح ذلك: لمّا كان قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ يقتضي الحشر، أظهر الاسم الجليل «الله» إشارة إلى تعظيم الموعود فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾. قال أبو حيان في النهر الماد (٢: ٣٨٧): «عدل عن ضمير الخطاب إلى الاسم الظاهر وهو «الله» ولم يأتِ التركيب: إنك لا تخلف الميعاد، دلالةً على الاستئناف، =

إسلام ويب islamweb.net

فلمّا تقدَّمت هذه الآية[١] التي وقع العدول فيها عن لفظة[٢] إلى لفظة لِما قُصِد من الاحتجاج بمعناه، كذلك[٣] بُنِيت هذه الآية[٤] التي تلتها[٥] عليها في مثل هذا[٦] الحكم لِما ثبَت من مثل هذا المعنى، فقال تعالى: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾، فأتى بضمير[٧] الفاعل، وكان يُعقَل من قوله: ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ أنّا عرَّضناهم[٨] للإيمان، ومكَّنّاهم من الإسلام[٩]، وأزحنا[١٠] العلة، ونصبنا الأدلة، فكذَّبوا بها. فالذي حقَّت له العبادة، وعظُمت منه[١١] النعمة، أخَذهم بذنوبهم، والله تعالى يعاقب الكفار عقوبة تشتدُّ عليهم[١٢]، ولا تُخفَّف[١٣] عنهم؛ لِما قدَّموا من العصيان ما استمرَّ مثلُه[١٤]،

= وأنه من كلام الله تعالى لا من كلام الراسخين، وقد يكون قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ من باب الالتفات، عدلوا من الخطاب إلى الغيبة؛ لِما في ذكره باسمه الأعظم من التفخيم والتعظيم والهيبة».

(١) هي قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾.

(٢) في (أ، ب): «لفظ»، وفي (ع): «لفظ إلى لفظ».

(٣) في (أ): «فكذلك»، وفي (ب، ك، ع): «وكذلك»، والمثبت من (ح، خ، ر، س)، وهو الأنسب هنا؛ لأنه جواب «فلما تقدمت».

(٤) «الآية» سقطت من (ك).

(٥) في (أ، ب): «تليها»، والمثبت من (ح، خ، ر، ك).

(٦) في (ب): «هذه».

(٧) في (ب): «بالضمير».

(٨) في (ع): «غرضناهم».

(٩) قوله: «مكناهم من الإسلام» ليس في (ر).

(١٠) أي: نحَّينا وأزلْنا، وفي القاموس المحيط (ص٢٢٢): «أزاح الشيءَ... نحّاه».

(١١) في (ب): «منها».

(١٢) ذلك معنى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

(١٣) في (ب، ع): «ولا تخف».

(١٤) في (ر): «عليه» بدل «مثله».

إسلام ويب islamweb.net

ولـم يُنقَـل[١] عنه قَدَمٌ[٢]، ولا عَقِبه بعد الإصـرار عليه ندمٌ، فهذه فائدة العدول إلى لفظة «الله» في قوله: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾[٣] دون قوله: فأخذناهم[٤].

المسـألة الثانية أن يسـأل عن الكاف في ﴿كَدَأْبِ﴾، ووجهِ اتصالها[٥] بما قبلهـا، وموضعِهـا مـن الإعـراب؛ لأنها بمعنى «مثـل»، فالكاف التـي يصح[٦] مكانَها «مثلٌ» محكومٌ على موضعها برفعٍ أو نصبٍ أو جرٍّ.

والجـواب فيهـا[٧] أن يقـال: يجـوز أن تكون الـكاف متعلِّقـة بقوله: ﴿لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم﴾[٨]، فيكـون موضـعُ الكاف نصبًا على معنى[٩] المصدر، كأنه قال: لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم[١٠] مثلَ ما لم تغنِ[١١]

(١) في (ر): «ولم ينتقل»، وفي (ع): «تُنقَل». (٢) «قدم» ليست في (ر).

(٣) في (ب، ع): «﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾».

(٤) قال الكرماني في البرهان في متشابه القرآن (ص١٤٣): «كان القياس: فأخذناهم، لكن لمّا عدل في الآية الأولى إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾، عدل في هذه الآية أيضًا لتكون الآيات على منهاج واحد». وقال الآلوسي في تفسيره (٣: ٩٤): «والالتفات للتكلُّم أوّلًا في ﴿ءَايَٰتِنَا﴾ للجري على سنن الكبرياء، وإلى الغيبة ثانيًا بإظهار الجلالة لتربية المهابة وإدخال الروعة».

(٥) في (ع): «إيصالها». (٦) في (ع): «تقع».

(٧) في (ح، خ، ر): «والجواب عن المسألة الثانية أنه يجوز أن تكون»، وفي (ك): «فالجواب فيها»، وفي (ب): «فالجواب عنها».

(٨) الآية بتمامها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾.

(٩) ليست في (ع).

(١٠) (في (أ، ب، ك): «وأولادهم»، والمثبت من (ح، خ، ر، س).

(١١) من قوله: «فيكون موضعُ الكاف» إلى هنا سقط من (أ).

إسلام ويب islamweb.net

عن آل فرعون؛ أي: إذا جاء عقاب الله لم يدفعه المال والولد، كما لم يدفع ذلك عن آل فرعون.

والدَّأْب[١] أصله الهمز، وهو العادة[٢]، وما أُجرِيَ[٣] عليه قومٌ في معاملة.

ويجوز أن تكون الكاف متعلِّقة بمعنى قوله: ﴿وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾[٤]، كأنه قال: وأولئك[٥] يَصْلَون[٦] النار كما أجرى الله حكمَه[٧] عادةً لآل فرعون.

وفيه وجه ثالث، وهو أن[٨] يكون موضعُ الكاف رفعًا على أنه خبرُ ابتداءٍ، كأنه[٩] قال: حالُ هؤلاء مثلُ حال آل فرعون، ودأبُهم كدأبهم[١٠].

---

(١) قال في الصحاح (١: ١٣٣ دأب): «والدأب: العادة والشأن، وقد تُحرَّك». وقال الطبري في تفسيره (٣: ١٩١): «وأصل الدأب مِن دأبت في الأمر دأبًا: إذا أدمنت العمل والتعب فيه، ثم إن العرب نقلت معناه إلى الشأن والأمر والعادة». وانظر: معاني القرآن للزجاج (٢: ٤٢٠).

(٢) في (ك): «للعادة».

(٣) في (ك): «جرى».

(٤) جزء من آخر الآية [١٠] من سورة آل عمران، وهو قوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾.

(٥) في (ب): «أولئك».

(٦) في (ط): «يحلون».

(٧) في (ح، خ، ر): «كما أجرى الله بذلك حكمه».

(٨) من قوله: «وأولئك يصلون» إلى هنا سقط من (أ).

(٩) في (ب): «وكأنه».

(١٠) ذكر الزمخشري في تفسيره (١: ٤١٤) هذه الوجوه الثلاثة في إعراب الكاف في قوله: ﴿كَدَأْبِ﴾. ورجَّح ابن عطية في تفسيره (٣: ٣٣) الوجه الثالث، وهو أن تكون الكاف في موضع رفعٍ، وجرى على ذلك ابن الزبير في ملاك التأويل (١: ٢٩٤) فقال: «إن الكاف متعلقة بمحذوف وهو الخبر للمبتدأ؛ إذ التقدير: دأبهم، أو دأب هؤلاء، أو هذا كدأب آل فرعون...»، ثم قال: «وفي استقلال الجملة من قوله: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ وعدمِ التعلق الإعرابي بما قبله في جملة أخرى جزالةُ اللفظ وقوة المعنى، فتأمّله».

إسلام ويب islamweb.net

والمسألة[١] الثالثة في الآية الثانية[٢] هي مخالفتها للآية الأولى في إجراء الخبر كله على لفظة واحدة وهي لفظة «الله»؛ لأنه قال: ﴿كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾[٣]، ولم يقل: «كذّبوا بآياتنا» كما قال في الأولى[٤]، والجواب عن ذلك أن يقال[٥]: إنّ الآية التي تقدَّمت هذه[٦] هي قوله: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَـٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ﴾ ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٧] [الأنفال: ٤٩]، فجرى الخبرُ في هذه الآية على اللفظ[٨] الظاهر، وهو: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، ثم جاء بعدها: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ [الأنفال: ٥٠]، ولم[٩] يكن فيها[١٠] خبرٌ عن الله تعالى، وجاءت الآية التي هي: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ وفيها إخبارٌ عن الله تعالى[١١]، .....

---

(١) في (ك): «المسألة» من دون الواو.

(٢) هي الآية [٥٢] من سورة الأنفال.

(٣) في (ب، ع): «﴿كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾».

(٤) أي: في الآية [١١] من سورة آل عمران. قلت: في جميع النسخ: «كفروا بآياتنا»، والمثبت من المصحف.

(٥) في (ح، خ، ر، س): «والجواب عن المسألة الثالثة أن يقال».

(٦) اسم الإشارة يشير إلى قوله تعالى: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٥٢].

(٧) من قوله: «فجرى الخبر» إلى هنا سقط من (أ).

(٨) في (أ، ب، ك، ع): «لفظ»، والمثبت من (ح، خ، ر).

(٩) في (ب): «فلم»، وفي (ك): «ولم يقل».

(١٠) في (ب): «فيه».

(١١) ذلك في باقي الآية: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٥٢].

إسلام ويب islamweb.net

فكان[١] بناؤها على الآية التي[٢] قبلها[٣] أولى، كما كان في الآية التي[٤] في سورة آل عمران، فاقتضى[٥] بناؤها على الآية التي[٦] قبلها العدولَ عن لفظ الإضمار إلى لفظ[٧] الإظهار، ثم كان اللفظُ الصريح في معناه احتجاجًا[٨] عليهم كما كان في اللفظ الذي عدَل إليه في الآيتين المتقدِّمتين من قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٩]، وقوله[٩]: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ﴾ [الأنفال: ٥٢].

والمسألة الرابعة في الآية الثالثة[١٠] هي أنه قال: ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمۡ﴾، ولم يقل: «بآياتنا» كما قال في الأولى، ولا: «بآيات الله» كما قال في الثانية، والجواب أن يقال[١١]: لمّا[١٢] أخبر تعالى[١٣] عن نعمته على عباده، وأنّ

---

(١) في (ب): «وكان».

(٢) هي قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ من الآية [٤٩] في سورة الأنفال.

(٣) في (ب): «قبله».

(٤) هي قوله تعالى: ﴿كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ الآية [١١] من سورة آل عمران.

(٥) في (أ، ب، ع): «يقتضي»، والمثبت من (ر، ك).

(٦) هي قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ الآية [٩] من سورة آل عمران، حيث عُدِل فيها من الخطاب وهو في قوله: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ﴾ إلى الغيبة وهي في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾.

(٧) في (أ، ب، ك): «لفظ»، والمثبت من (ح، خ، ر، س).

(٨) في (و): «احتجاج».

(٩) في (أ): «قوله» من دون الواو.

(١٠) هي الآية [٥٤] من سورة الأنفال.

(١١) في (ح، خ، ر): «والجواب عن الرابعة».

(١٢) في (ك): «أنه لمّا».

(١٣) «تعالى» ليست في (ب، ك).

إسلام ويب islamweb.net

منهم مَن[١] يغيِّرها بعصيانه فيستحقُّ[٢] بذلك تغييرَ[٣] النعمة عنه[٤]، وهو معنى قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الأنفال: ٥٣]، والمُنعِم على عباده ربُّهم؛ لأنهم مربوبون[٥] بنعمته؛ كان[٦] القصدُ في هذه الآية إلى[٧] ذِكر تنعيمِهم[٨] في الدنيا، وتغييرِ النعمة عليهم فيها ـ إذ[٩] لم يقوموا بحقِّها ـ بعقاب[١٠] من عقاب الدنيا، مثلُه ما[١١] يفعله بعضُ الناس ببعض، فلذلك قال: ﴿فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ﴾[١٢] [الأنفال: ٥٤]، فكأنه[١٣] قال[١٤]: كذَّبوا بآيات[١٥] مَن أقام في[١٦] أنفسهم شواهد لربوبيته بتربيتِه إياهم بصنوف نعمته، ونَقلِ الوليدِ عن أُولى حالتَيْه[١٧] إلى غيرها مما يبلُغ به[١٨] غايةَ قُوّته.

وسأشرح[١٩] ذلك في جواب[٢٠] **المسألة الخامسة**، وهي السؤال عن فائدة

---

(١) «من» سقطت من (ر).
(٢) في (ك): «يستحق».
(٣) في (ك): «تغيُّر».
(٤) في (أ، ع): «عليه»، والمثبت من (ب، ك).
(٥) في (ط، ع): «مُرَبَّوْنَ».
(٦) «كان» جواب «لمّا أخبر». وفي (ب): «كل» بدل «كان».
(٧) في (ك): «التي».
(٨) في (ر): «نعيمهم».
(٩) في (ع): «إذا».
(١٠) في (ك): «لعقاب».
(١١) في (ر): «مما»، وفي (ع): «مَثَّلَهُ بما».
(١٢) «﴿وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ﴾» ليس في (أ).
(١٣) في (ب): «كأنه».
(١٤) «قال» ليس في (ب).
(١٥) في (ك): «بآياتنا».
(١٦) «في» أُثبِتت من (ح، خ، ر، س، و).
(١٧) في (ع): «حالَيْه»، وفي (ك): «ونقل الولد عن أول حالاته».
(١٨) «به» سقطت من (أ).
(١٩) في (ر): «وسنشرح».
(٢٠) «جواب» أُثبِتت من (ب).

إسلام ويب islamweb.net

التكرار في سورة الأنفال[١] في موضعين[٢] لا يحجِز بينهما إلا آيةٌ واحدة.

وهذه المسألة قد[٣] أجاب عنها بعض أهل النظر بأن قال: أخبر الله تعالى عن إجراء العادة فيهم[٤] بنوعَين من العذاب مختلفَين، وإذا كان كذلك[٥] لم يكن تكرارًا[٦]؛ لأنه[٧] ذكر في الآية الأولى[٨] عقوبتَه إياهم عند الموت، والبشارةَ التي أتتهم بعذاب الحريق، وأنه[٩] فعل[١٠] بهم ذلك كما فعله بآل فرعون ومَن كان قبلهم[١١] من الكفار، ثم ذكر في الثانية ما يفعله بهم من شدة عقابه بعد الموت كما فعله بآل فرعون ومَن كان قبلهم من الكفار[١٢]، وما أجرى عليه[١٣] العادةَ في تعذيبه إياهم بعد الموت في القبور[١٤] وغيرها[١٥].

---

(١) في (ح، خ، ر): «كما مر»، وليس فيها: «في موضعين لا يحجز بينهما إلا آية واحدة».

(٢) ذلك في الآيتين [٥٢-٥٤] من سورة الأنفال. وفي (ع): «موضعٍ».

(٣) في (ر): «وقد».

(٤) في (ر): «منهم».

(٥) في (ع): «ذلك».

(٦) في (ر): «وإذًا لم يكن تكرار».

(٧) في (ب): «الآية» بدل «لأنه».

(٨) هي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الأنفال: ٥٠].

(٩) في (أ): «وأنهم».

(١٠) في (ك): «يفعل».

(١١) «قبلهم» ليست في (ر).

(١٢) من قوله: «ثم ذكر في الثانية» إلى هنا ليس في (ر).

(١٣) «عليه» ليست في (أ).

(١٤) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «القيامة» بدل «القبور».

(١٥) لم أعثر على قائل هذا القول، وقد أورده الفخر الرازي مختصرًا من غير عزو إلى أحد. التفسير الكبير (١٥: ١٨٧).

إسلام ويب islamweb.net

والجواب[١] عندي: أنه أخبر في الأولى[٢] عمّا عاقبهم به من العذاب الذي لم يملِّك الناسَ إيقاعَه، ولم يمكِّن بعضَهم مِن[٣] أن يفعل ببعضٍ مثلَه[٤]، وهو ضرب الملائكة وجوهَهم[٥] وأدبارَهم عند نزع أرواحهم، وإخبارُهم إياهم بمصيرهم إلى عذاب يحرقهم، وفي الثانية أخبر عمّا أنزله بهم من العذاب الذي مكَّن الناس من فِعلِ مثلِه، وهو الإهلاك والإغراق؛ لأن ذلك مما أقدرَ الله تعالى العبادَ عليه[٦].

فالنوعان هما: العذابُ[٧] الأول من[٨] أحكام الآخرة بعد ظهور أشراط الساعة، والعذابُ الثاني من أحكام عذاب الدنيا، والذي[٩] يبيِّن ذلك أنه قال في الآية الأولى[١٠]: ﴿كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾[١١] .....

(١) في (ب): «والجواب».

(٢) في (أ، ب، ع): «الأول»، والمثبت من (ح، خ، ر).

(٣) «مِن» أُثبِتت من (ح، خ، ر، ك).

(٤) في (ع): «أن يفعله ببعضٍ».

(٥) في (أ): «في وجوههم».

(٦) في (ع): «مما أقدرَ العبادَ عليه». ذكر الكرماني في البرهان في متشابه القرآن (ص٢٠٤) كلامَ الخطيب هذا من أول قوله: «قد أجاب عنها بعض أهل النظر...» إلى هنا بتصرُّف يسير، ثم قال ـ أي: الكرماني ـ: «قلت: وله وجهان آخران محتملان؛ **أحدهما**: كدأب آل فرعون فيما فعلوا. والثاني: كدأب آل فرعون فيما فُعِل بهم. فهم فاعلون في الأول، ومفعولون في الثاني. **والوجه الآخر**: أن المراد بالأول كفرهم بالله، وبالثاني تكذيبُهم الأنبياء؛ لأن تقدير الآية: كذبوا الرسل بردّهم آيات الله». وانظر: بصائر ذوي التمييز (١: ٢٢٤)، وفتح الرحمن لزكريا الأنصاري (ص١٥٩).

(٧) في (ب، ع): «فالعذاب».

(٨) في (ب): «ومن».

(٩) في (أ): «الذي».

(١٠) يعني الآية الأولى [٥٢] من سورة الأنفال. وفي (ب، ك، ع): «قال في الأول».

(١١) في جميع النسخ الخطية والمطبوعة: «كذبوا بآيات الله»، وهو خطأ، والمثبت من المصحف.

إسلام ويب islamweb.net

فأخبر عن أعظم[١] ما ارتكبوه، وهو الكفر، وذكر «آيات الله» وهو[٢] الاسم الذي يفيد استحقاقَ العبادة التي هي مُضادَّةُ الكفر[٣]، كما قال في سورة آل عمران [١١]: ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾؛ أي: أخذهم مَن أنعم عليهم ـ لِيشكروا ـ لمّا عصوا وكفروا بذنوبهم التي ارتكبوها.

ثم قال: ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾، والمراد به عقاب الآخرة كما قال: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ﴾ [طه: ١٢٧]، ويشهد لذلك قولُه في الثانية: ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ﴾[٤]، فذكر هذا الاسم[٥] دون غيره؛ لأن فيه معنى: أنه نعَّمهم وربّاهم[٦] وقام بمصالحهم حتى بلغوا حدَّ التكليف، والمبلغَ الذي قدَروا فيه على أداء حقِّ الإنعام. فلمّا غيَّروا ما أنعم الله به عليهم عن جهته، وصرفوه إلى معصيته، وتقوَّوا بنعمته على مخالفته[٧]؛ سلَبهم ذلك في الدنيا بأن[٨] عجَّل هلاكهم فأغرقهم.

فالعقاب الموجود[٩] ذِكرُه في الآية[١٠] الأخيرة مما يفعله أهل الدنيا

---

(١) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «بعض» بدل «أعظم».

(٢) أي: لفظ الجلالة.

(٣) في (ع): «مُضادَّةٌ للكفر».

(٤) قال ابن الزبير في ملاك التأويل (١: ٢٩٢): «فإيراد قوله: ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ﴾ مع ما تقدم، أوقعُ في نفوسهم، وأشدُّ في تحسُّرهم وندامتهم، إذ شاهدوا الأمر فعَلموا أنه مالكهم، وأنه ابتدأهم بالنعم، فغيَّروا فحصل من ذلك أنهم قابلوا نِعَم ربهم بالكفر مع بيان الأمر ووضوحه».

(٥) أي: اسمه تعالى «الرب».

(٦) في (أ، ب، ك، ع): «وربَّهم»، والمثبت من (ح، خ، ر، س).

(٧) في (ع): «مخالفتهم».

(٨) «بأن» ليست في (ب).

(٩) في (أ): «فالعذاب الموجود»، وفي (ب، ع): «فالعقاب المؤخر»، وفي (ك): «فأغرقهم بالعقاب المؤخر».

(١٠) «الآية» ليست في (أ).

إسلام ويب islamweb.net

بعضُهم ببعض، فذكَره عَقِيب إنعامه عليهم وتغييرهم له بوضع الكفر موضعَ الشكر، فغيَّر الله سابقَ الإنعام بيد الانتقام[١]، وكما[٢] غيَّروا غُيِّر عليهم.

فالعقاب الأول أولى أن يكون المرادُ به عذابَ[٣] الآخرة؛ لأن فيه الإخبارَ بالإحراق[٤]. والثاني هو العذاب بالإغراق، مثل قوله تعالى: ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الأنفال: ٥٠]، ويعقُبه قوله[٥]: ﴿كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٢]. وقوله في سورة آل عمران [١٠]: ﴿وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾[٦]، فذكر أنهم وقود النار[٧]، وذلك في الآخرة، ثم قال: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾، فذكر الاسم الذي يفيد ما هو حُجّة عليهم كما ذكرتُ قبلُ[٨].

وجواب آخر، وهو أنه يجوز أن يكون الأولُ خبرًا عن عادتهم في الأشَر[٩] والبَطَر والطغيان عند الاستغناء، والمعنى: جرت عادتُهم بمقابلة الإحسان بقبيح العصيان، ويكون الأخيرُ[١٠] بعد ذكر الله معاقبتَهم على فعلهم خبرًا عمّا أجرى الله تعالى به العادةَ في عقاب مثلهم، فكان[١١] معنى[١٢] الأول: عُوِّدوا

(١) في (ك): «في الانتقام» بدل «بيد الانتقام».
(٢) في (أ): «كما»، وفي (ع): «فكما»، وفي (د، ط): «وكلما».
(٣) في (ع): «عقاب».
(٤) في (ع): «بالاحتراق».
(٥) في (ب): «بقوله»، وفي (ع): «وتعقَّبه بقوله».
(٦) في (ب، ك، ع): «﴿وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ * كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾» الآيتان [١٠، ١١] من سورة آل عمران.
(٧) قوله: «فذكر أنهم وقود النار» ليس في (أ).
(٨) هكذا في (ب، ك)، وفي (أ): «كما ذكر».
(٩) قال في اللسان (٤: ٢٠ أشر): «الأشَرُ: البطَر».
(١٠) في (ك): «كالأخير».
(١١) في (ك): «وكان».
(١٢) في (ب): «المعنى الأول».

إسلام ويب islamweb.net

من أنفسهم عادةً، ومعنى الثاني: عُوِّدوا إذا فعلوا ذلك عادةً، وهي سلبُ نعمة الدنيا، والنقلُ إلى عذاب الآخرة[١]. والله تعالى أعلم بالمراد[٢].

[٢٥] الآية الثانية منها:

قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ * وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ﴾ [آل عمران: ٤٨، ٤٩].

وقال في سورة المائدة [١١٠]: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى﴾.

للسائل أن يسأل فيقول[٣]: إذا كان المذكور في الموضعين: ﴿كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾، وصلَح أن يعود الضمير إلى[٤] مذكَّر وإلى مؤنَّث، فيراد: مثلُ هيئة الطير، وهو مذكَّر، أو يراد: هيئةٌ كهيئة الطير، وهي مؤنَّثة، فما بال ما في آل عمران خُصَّ بالتذكير، وما في سورة المائدة[٥] خُصَّ بالتأنيث؟

فالجواب[٦] أن يقال: إن الأول الذي[٧] ذُكِّر الضمير فيه إنما هو فيما

(١) في (ب): «الأخرى».
(٢) قوله: «والله تعالى أعلم بالمراد» ليس في (ك).
(٣) في (أ): «للسائل أن يقول».
(٤) «إلى» سقطت من (أ).
(٥) في (أ، ك): «وما في المائدة»، والمثبت من (ب).
(٦) في (أ، ع): «والجواب»، وفي (ب): «الجواب»، والمثبت من (ك، ر).
(٧) «الذي» سقطت من (ك).

إسلام ويب islamweb.net

أخبر[١] الله عزَّ وجلَّ به[٢] عن عيسى على نبينا وعليه السلام، وقوله عليه السلام لبني إسرائيل[٣]: ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ وعدَّ الآيات كلَّها عليهم، منها[٤]: أني آخُذ من الطين ما أصوِّر منه صورةً على هيئة[٥] الطير في تركيبه، فأنفخ فيه، فينقلب حيوانًا لحمًا، قد رُكِّب[٦] عظمًا، وخالط دمًا[٧]، واكتسى ريشًا وجناحًا كالطائر الحيّ، والقصد في هذا المكان إلى ذكر[٨] ما تقوم[٩] به حُجّته[١٠] عليهم[١١]، وذلك[١٢] أولُ ما يُصوَّر الطينُ على هيئة الطير، ويكون واحدًا تلزَم به الحُجّة، فالتذكير[١٣] أولى به.

والآية[١٤] في سورة المائدة المخصوصةُ بتأنيث الضمير[١٥] العائد إلى ما يخلقه[١٦]، هي في ذكر ما عدَّد[١٧] الله من النِّعَم[١٨] على عيسى عليه السلام

---

(١) في (أ، ك، ع): «في إخبار الله عز وجل».
(٢) «به» سقطت من (أ، ع).
(٣) «لبني إسرائيل» سقطت من (ب).
(٤) «منها» سقطت من (ب).
(٥) «هيئة» تكررت في (ك).
(٦) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «قد تركب فيه»، وفي (ع): «رُكِّب فيه عظمٌ».
(٧) في (ر): «خالطه دم».
(٨) «ذكر» سقطت من (أ).
(٩) في (ك): «يقوم».
(١٠) في (ب): «حجة».
(١١) قال ابن عطية في تفسيره (٣: ١٢٩): «كونُ عيسى عليه السلام خالقًا بيده ونافخًا بفيه إنما هو ليبين تلبُّسه بالمعجزة، وأنها جاءت من قِبله، وأما الإيجاد من العدم وخلق الحياة في ذلك الطين فمن الله تعالى وحده لا شريك له».
(١٢) في (ب، ك، ع): «وذا».
(١٣) في (ب): «والتذكير».
(١٤) في (أ، ب، ك، ع): «والتي»، والمثبت من (ح، خ، ر، س).
(١٥) في (ب): «بتاء تأنيث الضمير»، وهو خطأ؛ لأن المراد هنا الهاء في قوله: «فيها».
(١٦) في (أ، ب، ك، ع): «يلحقه»، والمثبت من (ح، خ، ر).
(١٧) في (ب، ك، ع): «عدّ».
(١٨) في (ك): «من النعمة».

إسلام ويب islamweb.net

وما أصحبَه إياه من المعجزات، وأظهرَ[١] على يده من الآيات، وابتداؤها: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِي﴾ [المائدة: ١١٠]، والإشارة في هذه[٢] الآية ليست إلى أول ما يُبديه[٣] لبني إسرائيل من ذلك محتجًّا به عليهم، وإنما هي إلى جميع ما أذِن الله تعالى في كونه دلالةً على صدقه مِن قبيل الصور[٤] التي يصوِّرها من الطين[٥] على هيئة الطير[٦]، وذلك

(١) في (ر، ك): «وأظهره»، وفي (ع): «فأظهره».

(٢) في (أ، ب، ك): «إلى هذه»، والمثبت من (ح، خ، و).

(٣) في (ع): «يَبْدأُ به».

(٤) في (ك): «من قلب الصورة»، وفي (ع): «من قلب الصور».

(٥) «من الطين» سقطت من (أ).

(٦) ذكر العلماء أقوالًا أخرى في تذكير الضمير في قوله: ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾، وتأنيثه في قوله: ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا﴾، فمنها قيل: الضمير في «فيه» يعود إلى الطين، وقيل: إلى الطير، وقيل: إلى الشيء المهيَّأ، وقيل: إلى الكاف في قوله: ﴿كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾ فإنه في معنى «مثل». وأما الضمير المؤنث في «فيها» فيحتمل أن يعود إلى الهيئة أو على تأنيث الجماعة في قوله: ﴿ٱلطَّيْرِ﴾. يُنظَر لتلك الأقوال: البرهان للكرماني (ص١٤٥)، والفريد في إعراب القرآن المجيد (١: ٥٧٥)، والبحر المحيط (٣: ١٦٣). وقال ابن عطية (٥: ١٠٠): «فالوجه أن يقال في عود الضمير المؤنث: إنه عائد على ما تقتضيه الآية ضرورة، وذلك أن قوله: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾ يقتضي صورًا أو أجسامًا أو أشكالًا، وكذلك الضمير المذكر يعود على المخلوق الذي يقتضيه ﴿تَخْلُقُ﴾»، ثم قال: «ولك أن تعيده على ما تدل عليه الكاف من معنى المثل؛ لأن المعنى: وإذ تخلق من الطين مثل هيئته. ولك أن تعيد الضمير على الكاف نفسه فيمن يُجوِّز أن يكون اسمًا في غير الشعر، وتكون الكاف في موضع نصبٍ صفةً للمصدر المراد، تقديره: وإذ تخلق خلقًا من الطين كهيئة الطير».

إسلام ويب islamweb.net

جمع، والتأنيث أولى به[١].

مسألة في ذلك: قد قال بعض أهل النظر[٢] في معنى[٣] هذه الآية: إنما قال[٤]: ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[٥]، فذكر إذنَ الله[٦] في هذين الموضعين[٧]، ولم يذكر[٨] إذن الله في قوله: ﴿أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾، ولا في قوله: ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾، ولا[٩] في قوله: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ﴾؛ لأن ما وصفه من هذه الأفعال إنما هي أفعاله، ولم تكن أفعالًا لله تعالى، فلهذا لم يذكُر أن ذلك كان بإذن الله، كما ذكَر الإذنَ فيما وصفه من قبلُ مما فعله[١٠] الله عز وجل دونه، وذلك أنه لم يعنِ بالإذن أمرَه له[١١] بأن يطيعه في ذلك، وإنما عنى به أن الله تعالى هو الذي فعله، فلهذا جعل ذِكرَ الإذن فصلًا بين[١٢] فعله وفعل الله تعالى. انتهى كلامه.

---

(١) «به» سقطت من (ك)، وفي (ح، خ): «وذلك جماعة، والتأنيث بها أولى».

(٢) لم أعثر على هذا القائل فيما رجعت إليه.

(٣) «معنى» أُثبتت من (ك، ر).

(٤) «إنما قال» ليست في (أ).

(٥) في (ك): «فيصير طيرًا»، وهو خطأ.

(٦) «فذكر إذن الله» سقطت من (أ، ك، ع)، وأُثبتت من (ب).

(٧) هما: ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ و﴿وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾.

(٨) «ولم يذكر إذن الله» سقطت من (أ، ك)، وأُثبتت من (ب، ع). قلت: قال الرازي في معنى ﴿إِذْنِ ٱللَّهِ﴾: «معناه: بتكوين الله تعالى وتخليقه؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: بأن يوجِد اللهُ الموت». التفسير الكبير (٨: ٦٣).

(٩) في (أ): «إلا».

(١٠) في (ك): «يعلمه».

(١١) ليست في (ع).

(١٢) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «من».

إسلام ويب islamweb.net

قلت: ذلك سهوٌ منه؛ لأن الذي ذكَر أنه لم يُذكَر معه إذنُ الله، لأنه مِن فعل عيسى على نبينا وعليه السلام[١]، فقد نطقت سورة المائدة بخلافه، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى﴾ [المائدة: ١١٠]، فسوّى بين الفعلين[٢] اللذين ذكرهما[٣] مَن حكيتُ[٤] كلامَه أنهما مختلفان[٥]، وأن أحدهما فِعلُ عيسى عليه السلام، فلهذا لم يُذكَر معه الإذن، والآخرَ فِعلُ غيره[٦]. ثم قال تعالى: ﴿وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى﴾ [المائدة: ١١٠]، فذكَر الإذنَ في أربعة مواضع[٧] لأفعال عيسى عليه السلام، وهذا[٨] دلّ على أنّ[٩] ما[١٠] ذهب إليه مَن ذكرتُ[١١] كلامَه بذكر الإذن في فعلين من سورة آل عمران على أنهما فِعل الله تعالى، وما لم يُذكَر[١٢] معه الإذنُ فِعلُ عيسى عليه السلام؛ باطلٌ[١٣].

---

(١) «على نبينا وعليه السلام» ليست في (أ، ك).

(٢) أي: فِعل الله عز وجل وفِعل عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

(٣) في (ب، ك، ع): «ذكر» من دون «هما».

(٤) في (ب): «كتبت».

(٥) في (ب): «مختلفين».

(٦) في (أ، ع): «وأن أحدهما فعل عيسى والآخر فعله، فلهذا لم يذكر معه الإذن»، وفي (ب): «وأن أحدهما فعل عيسى والآخر فعل غيره». وفي (ك): «لم يكن» بدل «لم يذكر»، والمثبت من (ح، خ، ر، س).

(٧) المواضع الأربعة هي: في سورة آل عمران في موضعين: ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾، ﴿وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾، وفي المائدة في موضعين أيضًا هما: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى﴾، ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى﴾.

(٨) قوله: «عيسى عليه السلام، وهذا» ليس في (أ، ب، ك، ع). وأُثبت من (ح، خ، ر، س).

(٩) «على أن» ليست في (أ، ب، ك، ع)، وأُثبتت من (ح، خ، ر، س).

(١٠) في (ع): «مَن».

(١١) في (أ): «ذكرنا».

(١٢) في (ب): «ولم يذكر».

(١٣) «باطل» أُثبتت من (خ).

إسلام ويب islamweb.net

وقد رأيت أنّ[١] ما اعتدَّ[٢] به الله[٣] سبحانه عليه[٤] في سورة المائدة ينطق أن ما ذكر أنه بغير إذنه هو بإذنه[٥]. وإذا كان كذلك وجب أن يكون المعنى في الآية من آل عمران: ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ﴾: أقلِّبه ـ بعد التركيب على مثال الطائر ـ لحمًا ودمًا وعَظمًا، ثم بالنفخ فيه أجعلُه حيوانًا، وكلُّ ذلك بإذن الله تعالى، ويكون معنى قوله: ﴿فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ راجعًا إلى كلِّ ما ذكر أنه يفعلُه من مبتدأ قوله: ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ﴾، فجميع تلك الأفعال واقعة[٦] بإذن الله تعالى، وإذنُ الله عبارة عن إرادته وخلقه على يده، فسهَّل ذلك على[٧] عيسى على نبينا وعليه السلام عند الاحتجاج به. وإبراءُ الأكمه[٨] والأبرص[٩] وإحياء الموتى ثلاثة أفعال لا تكون إلا بإذن الله تعالى.

وقوله: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡ﴾ هذا وإن كان إخبارًا من عيسى عليه السلام، وفعلًا من أفعاله، فإنه لا يصح أن يكون إلا

(١) «أن» زيادة من (خ).
(٢) هكذا في (أ، ح، خ)، وفي (ب): «ما عند»، وفي (ك): «أعدّ».
(٣) «به الله» سقطت من (أ، ك)، وأُثبِتت من (ب، د). وفي (ع): «الله به».
(٤) أي: عيسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.
(٥) في (ب): «إذنه».
(٦) في (خ): «واقع».
(٧) «على» سقطت من (أ).
(٨) الأكْمه: هو الذي يُولَد من أمه أعمى. مجاز القرآن لأبي عبيدة (١: ٩٣)، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص١٠٥).
(٩) البَرَص: هو بياض يقع في الجسد، ورجل أبرصُ، وحيّة برصاء: في جلدها لُمع بياض. لسان العرب (٧: ٥ برص).

إسلام ويب islamweb.net

بإذن الله، وإلا فما يعلَم ما يفعلونه من بيوتهم ممّا هو غيب عنه إلا بإذن الله[١] عز وجل للملائكة وإطْلاعِه عليه[٢]. وبالله التوفيق.

[٢٦] الآية الثالثة منها:

قولـــه تعالـــى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [آل عمران: ٥١].

وقال في سورة مريم مثله[٣].

وقال في سورة الزخرف [٦٤] حكايةً عمّن حكى عنه[٤] في السورتين[٥]: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾، فـزاد «هـو» فـي هـذه الآية من هذه السورة[٦].

---

(١) في (ع): «وإلا فما يعلَم ما يفعلونه في بيوتهم ممّا غُيِّب عنه بإذن الله».

(٢) بحث السمين الحلبي في الدر المصون (٣: ١٩٩) عن السبب في ذكر لفظ ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ فقال: «قيَّد قولَه: ﴿أَنِّيٓ أَخْلُقُ﴾ إلى آخره ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾؛ لأنه خارق عظيم، فأتى به دفعًا لتوهُّم الإلهية، ولم يأتِ به فيما عُطِف عليه في قوله: ﴿وَأُبْرِئُ﴾، ثمّ قيَّد الخارقَ الثالث أيضًا ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾؛ لأنه خارقٌ عظيمٌ أيضًا، وعَطف عليه قولَه: ﴿وَأُنَبِّئُكُم﴾ من غير تقييد له؛ منْبَهَةً على عِظَم ما قبلَه ودفعًا لوهْم مَن يتوهَّم فيه الإلهيةَ، أو يكون قد حَذَفَ القيدَ من المعطوفين اكتفاءً به في الأول، وما قدَّمتُه أحسنُ». يُنظَر: التفسير الكبير (٨: ٦٣)، والبحر المحيط (٣: ١٦٦).

(٣) هو قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ الآية [٣٦] من سورة مريم.

(٤) أي: عن عيسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

(٥) قوله: «حكاية عمن حكى عنه في السورتين» زيد من (خ، و). وقوله: «﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾» ليس في (ع).

(٦) أي: من سورة الزخرف.

إسلام ويب islamweb.net

للسائل[١] أن يسأل عمّا أوجب اختصاصَها[٢] بهذا التوكيد دون الموضعين الأوَّلين، وهي كلُّها فيما أخبر الله تعالى به عن عيسى عليه السلام.

والجواب أن يقال: إنما لم يجب في الأوَّلَين من التوكيد ما أوجبه[٣] اختيارُ الكلام في الموضع الثالث[٤]؛ لأن قوله[٥] عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾[٦] حكايةٌ عن عيسى عليه السلام بعدما مضت آيات كثيرة في ذكره. وابتداءُ[٧] أمره من مبتدأِ الآية التي نزلت في شأن مريم، وهي: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢] إلى آخر هذه[٨] العَشر[٩].

فلمّا تناصرت هذه الآيات المتقدِّمة في ذكره، ودلَّت على إحداثه[١٠] وخلقه، كانت فيها دلالةٌ[١١] على أنه مربوب مصنوع بكثرة[١٢] الأفعال التي أُسنِدت إليه، وجُعِلت آياتٍ له، وأنه عبد من عبيده، والله ربه ومالكه والقائم بمصالحه، وأنه أصحبَه معجزاتٍ تدل على صدقِه في نبوّته، وكذبِ[١٣]

---

(١) في (ب): «وللسائل»، وفي (ك): «فللسائل».
(٢) أي: اختصاص آية سورة الزخرف.
(٣) في (أ): «أوجب».
(٤) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «في المواضع الثلاث».
(٥) في (ب): «في قوله».
(٦) قوله: «﴿فَٱعْبُدُوهُ﴾» ليس في (ع).
(٧) في (ب): «فابتداء».
(٨) في (ح، خ، ر، ك): «هذا».
(٩) آخر هذه العَشر قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾ إلخ، من الآية [٥١] في سورة آل عمران.
(١٠) أي: على إيجاده.
(١١) في (أ، ب، ك): «دلالة فيها»، والمثبت من (ح، خ، د). وفي (ع): «فلمّا تناظرت هذه الآيات المتقدِّمات في ذكره، دلَّت على إحداثه وخلقه، وكانت فيها دلالةٌ».
(١٢) أي: مع كثرة.
(١٣) في (ك): «وكذا».

إسلام ويب islamweb.net

مـن قال ببنوّتـه[١]، فصرفتهم تلك الأفعالُ التي تقدَّم ذِكرها إلى العِلم بأنه[٢] تعالى ربُّه.

وكذلك في سـورة مريم جاء قوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ﴾ بعدما مضت آيات كثيرة ابتداؤها[٣]: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ﴾ [مريم: ١٦]. وبعد[٤] عشرين آية مرَّت في قصتها قال: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾ [مريم: ٣٦]، وكانت[٥] تلـك العشـرون آية[٦] ناطقةً بـأن الله تعالى ربُّه، فاكتفى بما طـال[٧] من الكلام المؤكِّد لحاله[٨] على حقيقتها عن التوكيد الذي جاء في سـورة الزخرف؛ لأنه لـم يذكُر هـذه الآية إلا بعد قولـه: ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾[٩] [الزخرف: ٦٣، ٦٤].

---

(١) الذين قالوا ببنوّة عيسى عليه السلام هم النصارى، قالوا في المسيح عيسى بن مريم: المسيح ابـن الله، كمـا قالت اليهود في عزير: عزيـر ابن الله، وفي ذلك يقول تعالـى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]. وشُبهتهم في هذا: هي أن عيسى قد وُلِد من مريم عليها السـلام دون أن تتصل أمه مريمُ برجلٍ، وجهلوا أن هذا الميلاد وإن كان خارجًا عن مألوف الحياة فإنه ليس خارجًا عن قدرة الله التي لا يقيِّدها قيدٌ من عادةٍ أو مألوفٍ.

(٢) في (ك): «أنه».

(٣) سقطت من (أ)، ومن قوله: «جاء قوله» إلى هنا سقط من (ع).

(٤) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «بعد» من دون الواو.

(٥) في (ب، ك، ع): «فكانت».

(٦) في (ب): «الآية»، وفي (ع): «الآيات».

(٧) في (ك): «قال».

(٨) في (ب، ك): «بحاله».

(٩) أُثبِتت الآيتان من (ب، ك)، وقوله: «﴿فَٱعْبُدُوهُ﴾» ليس في (ع).

إسلام ويب islamweb.net

فالموضع الذي خلا من الآيات الكثيرة الدالة على أن الله تعالى ربُّه، وهو عبدُه لا ابنُه[١]، حسُن تأكيدُ الكلام[٢] فيه[٣]؛ صرفًا للناس عمّا ادَّعوه من أنه ابن الله إلى أنه عبده. ألا ترى قوله[٤] في سورة مريم: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَانَهُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۞ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾[٥] [مريم: ٣٥، ٣٦]؟

واعلم أن التأكيد[٦] بقولك: «هو» في مثل هذا الموضع يكون[٧] لأحد وجهين؛ إما أن تريد[٨] أنه على الصفة التي جعلتَها[٩] خبرًا عنه[١٠]، لا على غيرها، وإما أن تريد[١١] أن صاحب هذه الصفة التي جُعِلتْ خبرًا عنه[١٢] إنما هو فلان، لا غيره.

---

(١) في (ر): «لا أنه».
(٢) في (ب): «تأكيدًا للكلام».
(٣) أي: في الموضع الذي خلا من الآيات الكثيرة الدالة على أن الله تعالى رب عيسى عليه السلام، وذلك في سورة الزخرف بخلاف سورتَي آل عمران ومريم حيث جاء فيهما آيات دالة على إبطال بُنوّة عيسى عليه السلام.
(٤) في (ب، ك): «إلى قوله».
(٥) يريد المصنف رحمه الله أن يشير إلى أنه قد تقدَّم في سورة مريم ما يُبطِل زعم النصارى في قولهم: إن المسيح ابن الله، وذلك في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَانَهُ ۚ﴾، ولذلك لم يحتَج قولُه تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ في سورة مريم ـ كما في آية آل عمران ـ إلى التأكيد بقوله: «هو»، بخلاف سورة الزخرف.
(٦) في (ع): «التوكيد».
(٧) «يكون» أُثبِتت من (و).
(٨) في (أ، ب، ك، ع): «يريد»، والمثبت من (خ).
(٩) في (ع): «جعلها».
(١٠) في (ب): «عنها».
(١١) في (أ، ب، ك، ع): «يريد»، والمثبت من (خ).
(١٢) «عنه» سقطت من (ب، ع).

إسلام ويب islamweb.net

إذا قال القائل: إنّ زيدًا هو أخوك؛ أي: هو صديقك لا عدوّك، أو يريد أن يقول: هو[١] أخوك لا عمرو، فكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ يحتمل أن يريد التأكيدين: أن يريد أنه هو[٢] خالقي والقائم بمصالحي، لا غيرُه من الآلهة التي ترون عبادتها، وأن يريد أنه هو ربي، لا أبي كما زعمت النصارى، تعالى الله عن أن يكون له ولد[٣].

[٢٧] الآية الرابعة منها:

قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢]، فحذف النون من ﴿أَنَّا﴾.

---

(١) في (ع): «إنه».

(٢) في (ع): «يحتمل التوكيدُ أن يريد به أنه».

(٣) إلى هذا التوجيه ذهب من علماء هذا الشأن الكرمانيُّ في كتابه البرهان في متشابه القرآن (ص١٤٨)، وفي كتابه غرائب التفسير (١: ٢٥٧)، وابن جماعة في كتابه كشف المعاني في المتشابه من المثاني (ص١٢٩)، والفيروزآبادي في بصائر ذوي التمييز (١: ١٦٣). وتوضيح كلامهم: أن ضمير الفصل «هو» يفيد القصر، ومجيئُه في آية الزخرف: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ يدل على قصر المبتدأ في هذا الخبر دون غيره، بمعنى أن الله ربي لا غيره. ولمّا تقدَّم قبل آيتَي آل عمران ومريم ما يُغني عن التأكيد لم يُذكَر الضمير «هو» فيهما، بخلاف آية الزخرف لم يتقدَّمها ما يُغني عن التأكيد، فحسُن ذكر «هو» هناك، حيث إن آية آل عمران وقعت بعد عشر آياتٍ نزلت في قصة مريم وعيسى عليهما السلام، فاستغنى عن التأكيد بما تقدَّم من الآيات الدالة على أن الله سبحانه ربه وخالقه، لا أبوه ووالده كما زعمت النصارى، وكذلك في سورة مريم وقعت بعد عشرين آية من قصة مريم عليها السلام، فأغنى ذلك فيهما عن ذكر «هو»، وليس كذلك آية الزخرف حيث لم يتقدَّمها مثلُ ذلك، فناسب تأكيد إثبات الربوبية ونفي الأبوّة عن الله تعالى.

إسلام ويب islamweb.net

وقال في سورة المائدة [١١١]: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾(١)، بإثبات النون.

للسائل أن يسأل فيقول(٢): لِمَ(٣) خصَّ ما في سورة آل عمران بـ﴿أَنَّا﴾، وما في سورة المائدة بـ﴿أَنَّنَا﴾، والحرفان سواء، والتخفيف جائز في الموضعين كما يجوز الإتيان به على الأصل فيهما؟

والجواب(٤) أن يقال: إن الذي في سورة المائدة جاء على الأصل غيرَ مخفَّف بالحذف؛ لأنه أولُ كلام الحواريِّين(٥) في هذا المعنى، ألا تراه خبرًا(٦) عن الله تعالى أنه قال: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١]، والذي في سورة آل عمران حكاية(٧) عن

(١) الآية في (ع): «واشهَدْ بأنّنا مُسلمون».
(٢) هكذا في (ب، ك)، وفي (أ): «للسائل أن يقول».
(٣) في (ع): «ما».
(٤) في (ك): «فالجواب».
(٥) أصحاب عيسى عليه السلام وخواصّه وأنصاره، والحواريون: جمع الحواريّ، وهو الناصر. الصحاح للجوهري (٢: ٦٣٩ حور). وجاء في الحديث الصحيح عن جابر رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «إنّ لِكلِّ نبيٍّ حواريًّا، وحواريِّ الزبيرُ بن العوام». وهو في صحيح البخاري، مع شرحه فتح الباري (٦: ٥٢ برقم ٢٨٤٦): كتاب الجهاد، باب فضل الطليعة، وفي كتاب فضائل الصحابة أيضًا (٧: ٨٠ برقم ٣٧١٩)، وفي صحيح مسلم (٤: ١٨٧٩ برقم ٢٤١٥): كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل طلحة والزبير. وقال صاحب النهاية في غريب الحديث (١: ٤٥٧) في معنى الحديث: «أي: خاصّتي من أصحابي وناصري». وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن (١: ٩٥)، والزجاج في معاني القرآن (١: ٤١٧)، واليزيدي في غريب القرآن (ص١٠٥): الحواريّون: صفوة الأنبياء عليهم السلام.
(٦) في (ك): «أنه خيّر».
(٧) في (ب، ك): «هو حكاية».

إسلام ويب islamweb.net

عيسى عليه السلام أنه سألهم عما أقرُّوا به لله[١] تعالى، فقال: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾، فكان[٢] ذلك منهم إقرارًا ثانيًا لرسوله عليه السلام بمثل[٣] ما أقرُّوا به لله تعالى[٤]، والثاني[٥] يُختار فيه من التخفيف ما لا يُختار في الأول؛ لأن الأول قد وفّى العبارة حقَّها[٦]، والثانية[٧] معتمدة على ما قبلها، وهي مكرَّرة، والعرب تستثقل المُعادَ[٨] ما لا[٩] تستثقل غيره، فاختير في سورة آل عمران ما لم يُختَر في سورة المائدة لذلك[١٠].

ثم أذكر فصلًا في هذه النون[١١]:

مسألة: اعلم أن النون التي حُذِفت من «إنّا» غيرُ النون التي حُذِفت من «إنّني»[١٢]، وقد جاء القرآن بهما جميعًا: قوله تعالى: ﴿إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ [طه: ١٠]،

---

(١) «لله» ليست في (أ).
(٢) «فكان» غير واضحة في (أ).
(٣) في (ب): «مثل».
(٤) ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ الآية [١١١] من سورة المائدة.
(٥) هو آية آل عمران [٥٢] المتقدِّمة آنفًا.
(٦) في (ك): «عنها» بدل «حقها».
(٧) في (أ): «والثاني».
(٨) أي: «المكرر».
(٩) «لا» سقطت من (أ، ك). وأُثبِتت من (ب).
(١٠) لخَّص الكرماني كلام المؤلف في البرهان (ص١٤٩) فقال: «لأن ما في المائدة أولُ كلام الحواريين، فجاء على الأصل. وما في هذه السورة ـ أي: سورة آل عمران ـ تكرار لِكلامهم، فجاز فيه التخفيف؛ لأن التخفيف فرع، والتكرار فرع، والفرع بالفرع أليقُ». وذكره أيضًا في كتابه غرائب التفسير (١: ٢٥٨)، ونقله عنه صاحب بصائر ذوي التمييز (١: ١٦٤).
(١١) أي: في نون «أننا».
(١٢) في (ب، ع): «أني».

إسلام ويب islamweb.net

و﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾[١] [طه: ١٢]، و«إني» أتى على الأصل[٢] بعده: ﴿فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ۞ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾[٣] [طه: ١٣، ١٤]. وقال: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾ [القصص: ٧]، ﴿وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ﴾[٤] [يوسف: ٦١]، وقال: ﴿وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [هود: ٦٢] في قصة[٥] صالح عليه السلام.

ومَن لم يرتضِ بهذا[٦] العِلم يتوهَّم[٧] أن النون التي[٨] خُفِّفت[٩] بحذفها «إنّي» هي التي خُفِّفت[١٠] بحذفها «إنّا»، وليس الأمر كذلك؛ لأن التي حُذِفت مِن «إنّي»[١١] هي نونُ العماد[١٢] واللاحقةُ[١٣] مع الياء بدلالة حذفها من نظائرها، إذا قلت: «لعلِّي» في «لعلَّني»[١٤].

---

(١) «﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾» ليست في (أ).

(٢) في (ب، ك، ع): «وجاء على الأصل» بدل و«إني» أتى على الأصل».

(٣) في (ع): «﴿لِمَا يُوحَىٰٓ ۞ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي﴾».

(٤) أول الآية: ﴿قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ﴾، وذلك حكايةٌ لِما ردّ به إخوة يوسف على يوسف عليه السلام، بعد أن أكّد عليه السلام لهم وجوبَ إحضار أخيهم معهم، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾ الآية [٥٩] من سورة يوسف.

(٥) في (ب): «وفي قصة».

(٦) في (ك): «هذا».

(٧) في (ب): «موهم»، وفي (ك): «لتوهُّم».

(٨) «التي» سقطت من (ك).

(٩) في (ب): «خُفِّف».

(١٠) في (ب): «هي التي هي خُفِّف»، وهو تكرار ظاهر، وفي (ع): «هي التي خُفِّف».

(١١) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «أنا»، وهو خطأ.

(١٢) هي نون الوقاية، يُؤتى بها بين الفعل وياء المتكلم، وفائدتها أنها تتحمّل الكسرة الواجبة قبل ياء المتكلم فتقي الفعل من الكسر.

(١٣) في (ب، ع): «اللاحقة» من دون الواو.

(١٤) في (ك): «لعلني في لعلّي».

إسلام ويب islamweb.net

وأما النون التي في «إنّا» من قولك: «إنّنا» فإنها مع الألف اسمُ المخبِرين عن أنفسهم، ولا تسقط[١] سقوطَ التي تجيء مع الياء[٢]، فإذا قلت: «إنّا» فالنون الساقطة هي الأخيرة من «إنّ» دون اللاحقة مع الضمير بها[٣]. فاعرفْه إن شاء الله تعالى[٤].

[٢٨] الآية الخامسة منها:

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

وقال في سورة الأنفال [١٠]: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

للسائل أن يسأل فيقول[٥]: ما في الآية[٦] الأولى ممّا يوجب أن يأتي فيها بقوله: ﴿لَكُمْ﴾ وليس في الآية الثانية؟ وما بالُ قوله: ﴿بِهِۦ﴾ قد أُخِّر[٧] في الآية الأولى عن قوله: ﴿قُلُوبُكُم﴾، وقُدِّم[٨] في الآية الثانية[٩] عليه؟

---

(١) في (أ، ب): «يسقط»، والمثبت من (ك، ر).

(٢) وذلك في «إني» و«إنني» كما تقدَّم آنفًا.

(٣) قال الكرماني في كتابه غرائب التفسير (١: ٢٥٨): «والنون المحذوف مِن «إنّا» غير النون المحذوف مِن «إنّي»، فإن المحذوف مِن «إنّا» أحد نونَي «إنّ»، والمحذوف من «إنّني» هو الذي يقع قبل ياء الضمير في ضربني».

(٤) في (ع): «فاعرفْه تُصِبْ»، و«إن شاء الله تعالى» ليست في (ك).

(٥) في (أ): «للسائل أن يقول».

(٦) في (ك): «في هذه الآية».

(٧) في (ك): «قد اختير».

(٨) في (ك): «وتقدَّم».

(٩) في (أ، ب، ك، ع): «الأخرى»، والمثبت من (و).

إسلام ويب islamweb.net

والجواب[١] أن يقال: أما قوله: ﴿لَكُمْ﴾ في هذه الآية[٢] وحذفُه من الثانية مع العِلم بأن الله تعالى جعل إخباره بإنزال الملائكة لنصرتهم[٣] بشارةً لهم، وأنّ[٤] ﴿لَكُمْ﴾ مُضمَرة في سورة الأنفال كما هي مُظهَرة في هذه السورة، فلأنّ الأولى[٥] جاءت على الأصل، والثانية[٦] قد تقدَّمها[٧] ﴿لَكُمْ﴾ فأغنت عن[٨] إعادتها بلفظها ومعناها، وهي في قوله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩].

فلمّا قال: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾[٩] عُلِم أنه جعل بُشرى لهم، فأغنت ﴿لَكُمْ﴾ الأولى[١٠] بلفظها ومعناها عن الثانية، وفي الآية الأولى لم يتقدَّم ما يقوم مثلَ[١١] هذا المَقام، فأتى بقوله: ﴿لَكُمْ﴾ على الأصل[١٢].

---

(١) في (ك): «فالجواب».
(٢) أي: آية سورة آل عمران.
(٣) في (ك): «لينصر بهم».
(٤) في (ك): «فإن».
(٥) أي: آية سورة آل عمران.
(٦) أي: آية سورة الأنفال.
(٧) في (ع): «تقدَّمتها».
(٨) في (أ): «من».
(٩) من قوله: «﴿أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ﴾» إلى هنا ليس في (ع).
(١٠) ذلك في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾.
(١١) ليست في (ع).
(١٢) يعني عدمَ ذكرِ «لكم» في قوله تعالى: ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ﴾ من سورة الأنفال، بخلاف آية سورة آل عمران حيث ذُكر فيها: ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ﴾؛ وذلك لدفع تكرير نفس اللفظ الذي سبق ذكره قريبًا في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾، فعلم السامعُ أن البشرى للمخاطَبين المعلومين. قال الكرماني في غرائب التفسير (١: ٢٦٩): «راعى في آل عمران الازدواجَ بين كناية المخاطَبين، وذلك أَوْلى، فقال: ﴿لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم﴾، وراعى في الأنفال الازدواجَ بين كناية الغيبة لمّا عَدِمَ الخطابُ، فقال: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ﴾». قلت: في توجيه الكرماني ما يدل على كلام المصنف رحمه الله تعالى، ويُفهَم من =

إسلام ويب islamweb.net

وأما تأخير ﴿بِهِۦ﴾[١] بعد قوله: ﴿قُلُوبُكُم﴾ فلأنّه لمّا أخَّر[٢] الجار والمجرور في الكلام الأول، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ﴾، وعطف الكلام الثاني عليه، وقد وقع فيه جارٌّ ومجرورٌ؛ وجب[٣] تأخيرهما[٤] في اختيار الكلام لِيكون الثاني كالأول[٥] في تقديم ما الكلامُ أحوجُ إليه، وتأخيرُ ما قد يستغني عنه.

وأما تقديم ﴿بِهِۦ﴾ في الآية الثانية، فلأن الأصل في كل خبر يُصدَّر بفعلٍ أن يكون الفاعلُ بعده ثم المفعولُ والجارُّ والمجرور، وقد يُقدَّم[٦] المفعولُ على الفاعل إذا كان اللَّبس[٧] واقعًا فيه، وأريد إزالته عنه، كما[٨] تقول: ضرب عمرًا زيدٌ، لا محمدًا؛ لأن المخاطَب عنده أن المضروب محمد، ولا خلاف بين المتخاطبَين[٩] في[١٠] أن الضارب زيد، فهو يبدأ بما هو أهمُّ[١١]، وعنايته ببيانه أتمُّ. وكذلك الجار والمجرور بمنزلة المفعول به في التقديم والتأخير وشبههما.

= كلامهما أنه أخَّر «به» للموازنة بين قوله تعالى: ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ﴾ وقوله: ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم﴾؛ فلذا ناسب تأخير قوله تعالى: ﴿بِهِۦ﴾. والله أعلم.

(١) في (ب): «وأما تأخيرها».
(٢) في (ك): «أجيز».
(٣) جواب «لمّا أخَّر».
(٤) في (أ، ب، ك، ع): «تأخيرها»، والمثبت من (ح، و).
(٥) في (ك): «بالأول».
(٦) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «وقد تقدم».
(٧) أي: التباس واختلاط. وفي اللسان (٦: ٢٠٢ لبس): «واللَّبس ـ بالفتح ـ: مصدر قولك: لَبستُ عليه الأمر ألبِس: خلطت». وفي القاموس المحيط (مادة لبس): «في رأيه لَبسٌ: أي اختلاط».
(٨) في (ب): «كان» بدل «كما».
(٩) في (أ، ب، ك): «المخاطبين»، والمثبت من (و، ط).
(١٠) «في» سقطت من (أ).
(١١) في (أ، ع): «الأهم».

إسلام ويب islamweb.net

وفي هذا الموضع[١] إذا لم يعرِض[٢] في اللفظ[٣] من[٤] التوفقة ما يوجب إجراءَ الكلام على الأصل كما كان في سورة آل عمران، فإن المعتمَد بتحقيقه[٥] عند المخاطَبين إنما هو الإمدادُ بالملائكة، وهو الذي أخبر الله تعالى عنه أنه لم يجعله إلا بشرى، فوجب[٦] أن يُقدَّم في[٧] الكلام الثاني ـ وهو المُضمَر بعد الباء في قوله تعالى: ﴿بِهِۦ﴾ ـ على الفاعل[٨]، فقال تعالى: ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأنفال: ١٠].

وفي هذه الآية مسألة أخرى؛ وهي أن يقال: كيف اختلف الإخبار عن الله تعالى بالعزّ والحكمة في الآيتين، فجاء في سورة آل عمران مجيءَ الصفة فقال تعالى: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾، وجاء في سورة الأنفال بلفظ[٩] خبرٍ ثانٍ مستأنف[١٠] فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[١١]؟

---

(١) أي: في الآية [١٠] من سورة الأنفال.
(٢) في (ك): «يفرض».
(٣) في (ك، ع): «في اللفظين».
(٤) في (أ): «في» بدل «من»، و«من» ليست في (ع).
(٥) في (ب، ك): «بحقيقته»، وفي (ع): «بحقيقة».
(٦) في (ب، ك): «يوجب».
(٧) في (أ): «على» بدل «في».
(٨) الفاعل: قلوبكم، في قوله: ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ﴾. وقد يقال في تقديم الجار والمجرور ﴿بِهِۦ﴾ على الفاعل ﴿قُلُوبُكُمْ﴾: إنه يفيد الاهتمام بذلك الوعد، وهو الإمداد بالملائكة، ويفيد أيضًا الاختصاص، فيكون المعنى: ولتطمئن به قلوبكم لا بغيره، وفي ذلك ما لا يخفى من تسكين قلوبهم. والله أعلم.
(٩) في (أ، ب، ك): «لفظ»، والمثبت من (خ، د).
(١٠) في (ع): «لفظُ الخبر بإنّ مستأنفٍ».
(١١) في (ب، ك، ع): «﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾».

إسلام ويب
islamweb.net

والجواب أن يقال: القصدُ إعلام المخاطَبين أن النصر ليس من قِبَل الملائكة، ولا من جهة العَدد والعُدّة[١] وفضل القوة، ولكنه من عند القادر الذي لا يُغلَب ولا يُمنَع عما يريد فِعله، والحكيمِ الذي يضع النصر موضعه[٢].

والآية[٣] التي في الأنفال إنما[٤] هي في قصة يوم بدرٍ[٥]، وبيَّن الله تعالى[٦] ذلك بلفظ: ﴿جَعَلَهُ﴾ كالعلة لِكون[٧] النصر بيده، فكأنه[٨] قال في المعنى: النصر ليس إلا من عند الله[٩]؛ لأنه العزيز الذي لا يُمنَع عمّا يريد فِعله، الحكيمُ الذي يضع النصر في موضعه[١٠]، ففصَّل[١١] ذلك في خبرين[١٢] على الأصل الواجب في توفية كلِّ معنًى حقَّه من البيان.

---

(١) في (ك): «العدد». والعُدّة ـ بضم العين ـ: ما أعددته من مال أو سلاح أو غير ذلك، والجمع: عُدَد، مثل: غُرفة وغُرَف. المصباح المنير (٢: ٣٩٦).

(٢) في (ب): «من موضعه».

(٣) في (أ): «فالآية».

(٤) في (أ، ب، ك، ع): «أيضًا» بدل «إنما»، والمثبت من (و، ط).

(٥) يوم بدرٍ كان في ١٧ رمضان من السنة الثانية للهجرة، وهي غزوةٌ نصر الله المسلمين فيها على المشركين، وحقَّق تعالى ما وعدهم به، وسببها: أنه لمّا كانت عيرُ قريش تُقبِل من الشام في طريقها إلى مكة، وعلمت قريشٌ بتعرُّض المسلمين لها، خرج نفير قريش وهم الذين نفروا مع أبي جهلٍ تحت إمرة عتبة بن ربيعة لِيمنعوا عير أبي سفيان أن تقع في قبضة محمدٍ ﷺ وأصحابه، وبسبب العير والنفير كانت موقعة بدرٍ.

(٦) «الله تعالى» ليست في (ب).

(٧) في (ب، ك، ع): «ليكون».

(٨) في (ب): «كأنه».

(٩) في (ب): «من عنده».

(١٠) في (أ، ك، ع): «موضعه» من دون حرف جر، والمثبت من (ب).

(١١) في (ك): «ففعل».

(١٢) الخبران هما: قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

إسلام ويب islamweb.net

والآية التي في سورة آل عمران هي[١] في قصة يوم أحد[٢]، وهي بعد يوم بدرٍ، وكان هذا البيان قد جُعِل خبرًا[٣] عن النصر في اليوم الأول[٤]، فاقتصر ـ مِن ذكر مثله ـ في اليوم الثاني على خبرٍ واحدٍ، يجري عليه معنى الخبرِ الثاني مَجرى الوصف لاختصار[٥] المعنى عن البسط اعتمادًا على ما فُصِّل في الخبر الأول[٦]، فكان الاختصار بالثاني أليقَ، وكان الثاني له أجملَ، فخصَّ كلَّ موضع بما رأيتَ لِما ذكرتُ[٧]. والله أعلم.

[٢٩] الآية السادسة منها:

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٦].

(١) «هي» أُثبِتت من (ب).

(٢) وقعت غزوة أحدٍ في شوالٍ من السنة الثالثة للهجرة، وهي غزوة كان فيها امتحان للمسلمين وابتلاء لهم، وسببها: أنه لمّا عاد المشركون من بدرٍ إلى مكة بعد أن هزمهم المسلمون، رأى أصحاب التجارة أن يتبرَّعوا بعير أبي سفيان التي كانت موقوفة في دار الندوة لتجهيز جيش لقتال محمد وأصحابه، وخرجوا في ثلاثة آلاف رجل لقتال المسلمين.

(٣) في (أ، ب): «قد حصل فيما جعل خبرًا»، وفي (ع): «قد حصل خبرًا»، والمثبت من (ك).

(٤) يعني يومَ بدر.

(٥) في (ب): «لاختصاص».

(٦) في (أ، ب، ك، ع): «عن الأول»، والمثبت من (ح، خ، و).

(٧) قال الكرماني في غرائب التفسير (١: ٢٦٩): «الجواب: ما في الأنفال قصةُ بدر، وما في آل عمران قصةُ أحدٍ، وبدرٌ سابقٌ على أحدٍ، فذُكِر في الأنفال على وجه الإخبار؛ أي: النصر من عند الله الغالب القادر الحكيم الذي يضع النصر موضعه، لا من الملائكة والعُدّة والعدد، وذُكِر في آل عمران بلفظ الصفة، إذ قد سبق الخبر به».

إسلام ويب
islamweb.net

وقال في سورة العنكبوت [٥٨]: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾[١].

للسائل أن يسأل عن اختصاص ما في هذه السورة بالواو من قوله: ﴿وَنِعۡمَ﴾، وإخلائها[٢] في[٣] سورة العنكبوت منها.

والجواب: أن الآية من هذه السورة مبنيّة على تداخل الأخبار؛ لأن أولها: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٌ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾.

فـ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾[٤] مبتدأ، و﴿جَزَآؤُهُم﴾ مبتدأ ثانٍ، و﴿مَّغۡفِرَةٌ﴾ خبر المبتدأ الثاني، وهو[٥] مع[٦] خبره خبرٌ عن المبتدأ الأول، والجزاء هو الأجر[٧]، فكأنه[٨] قال: أولئك أجرُهم[٩] على أعمالهم محْوُ ذنوبهم، وإدامةُ نِعَمهم[١٠]، وهذا الأجر مفضَّل على كلِّ أجرٍ يُعطاه عامل على عمله، فنُسِقت الأخبارُ بعضُها على بعضٍ للتنبيه على النِّعَم التي هُيِّئت[١١] لِرجاء الراجين، وأُكمِلت

(١) الآية بتمامها قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾.

(٢) أي: خلوّها.

(٣) في (ك): «من».

(٤) في (ك): «وأولئك».

(٥) أي: المبتدأ الثاني وهو ﴿جَزَآؤُهُم﴾.

(٦) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «موضع» بدل «مع».

(٧) قال الخليل في كتاب العين (٦: ١٧٣): «الأجر: جزاء العمل». وقال ابن عاشور في تفسيره (٤: ٩٥): «وسُمِّي الجزاء أجرًا؛ لأنه كان عن وعدٍ للعامل بما عمل». وفي (ب، ك): «والخبر هو للأخير» بدل «والجزاء هو الأجر».

(٨) في (ب): «وكأنه».

(٩) في (ب): «أجزيهم».

(١٠) في (ب): «نعيمهم».

(١١) في (ب، ع): «هدفت»، وفي (ك): «هذبت»، وفي (ط): «هديت».

إسلام ويب islamweb.net

بها مُنية المتمنِّين[١].

والخبر إذا جاء بعد خبر في هذا[٢] المكان الذي تُفصَّل[٣] فيه المواهب[٤] المرغَّب فيها، فحقُّه أن يُعطَف[٥] على ما قبله بالواو، وكقولك[٦]: هذا جزاءُ[٧] كذا وكذا؛ أي: هو[٨] تركُ المؤاخذة بالذنب والتنعُّمُ[٩] في جنة[١٠] الخُلد، وتفضيلُه[١١] على كل جزاء جُوزي[١٢] به عامِلٌ، وذلك تشريف وكرامة.

وأمّا الآية التي في سورة العنكبوت[١٣] فإن ما قبلها مبنيٌّ على[١٤] أن يُدرَج الكلام فيه[١٥] على جملة واحدةٍ، وهي: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا﴾[١٦] [العنكبوت: ٥٨].

فقوله[١٧]: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾ في موضع خبره، وهذا الخبر يتصل به[١٨] مفعولانِ؛ الأول: ﴿هُمۡ﴾ والثاني ﴿غُرَفٗا﴾، و﴿غُرَفٗا﴾

---

(١) في (ك): «وأحملت بها مُنة المتمنِّين».
(٢) في (ع): «في مثل هذا».
(٣) في (ع): «تُفضَّل».
(٤) في (ك): «الواهب». قلت: والمواهب جمع الموهبة، وهي: الهبة، والهبة: العطية الخالية من الأعواض والأعراض. لسان العرب (١: ٨٠٣).
(٥) في (ب): «أن تُعطَف».
(٦) في (ع): «كقولك».
(٧) في (ك): «خبر».
(٨) في (ك، ر): «هذا».
(٩) في (د): «والتنعيم».
(١٠) «جنة» سقطت من (ك).
(١١) في (ك، ع): «وتفضله».
(١٢) في (ب): «أو جزي».
(١٣) في (ك): «في العنكبوت».
(١٤) «على» سقطت من (ب، ك).
(١٥) في (ع): «فإن ما قبلها اندرج الكلام فيه».
(١٦) تتمة الآية: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾.
(١٧) في (ك): «وقوله».
(١٨) في (أ، ع): «متصل به»، وفي (ك): «متصل فيه»، والمثبت من (ب، د).

إسلام ويب islamweb.net

نكرةٌ موصوفة بقوله: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾، وقوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ حال من التبوِئة[١].

فلمّا جُعِلت[٢] هذه الأشياء كلُّها في درج كلام واحد، وهي جملةُ ابتداء وخبر، واحتمل ﴿نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ أن يجيء بالواو وأن يجيء من دونها[٣]، اختير[٤] مَجيئُها بغير واوٍ[٥] لِيشبه[٦] ما تقدَّم من صفة الخبر[٧]، لا على سبيل عطف ونسق بها[٨].

ويحتمل أن يكون في موضع خبر ومبتدأ، كأنه[٩] قال: ذلك نعم[١٠] أجر العاملين، ويكون قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةً إلى ما ذكر الله[١١] من إسكانهم الجنة، فيجري[١٢] بلا واوٍ[١٣] مَجرى ما هو من تمام الكلام الأول، كقوله تعالى[١٤]:

---

(١) التبوئة مصدر من بوَّأه إياه: هيَّأه له، وأنزله ومكَّن له فيه. لسان العرب (١: ٣٨ بوأ).

(٢) في (أ): «جعل».

(٣) في (ع): «بدونها».

(٤) «اختير» جواب «فلما جعلت».

(٥) في (أ): «بالواو واو»، وهو خطأ.

(٦) في (ب، ك): «لِشبه»، وفي (ع): «لتشبه».

(٧) في (أ): «من صفته بخبر»، وفي (ب، ع): «من صفة بخبر»، والمثبت من (ك).

(٨) توضيح كلام المصنف: لمّا وقع في آية آل عمران ذِكرُ الجزاء مفصَّلًا ومعطوفًا، وهو: ﴿جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾، ناسبه عطفُ الجملة الممدوح بها الجزاءُ بالواو، فقيل: ﴿وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾. ولمّا لم يُفصَّل الجزاء في سورة العنكبوت ولم يقع فيه عطفٌ، جاءت جملةُ المدح ـ وهي: ﴿نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ ـ غير معطوفة ليناسب النظم. يُنظَر: ملاك التأويل لابن الزبير (١: ٣٢١)، ومتشابه القرآن لابن جماعة (ص١٣٤).

(٩) في (ك): «فإنه».

(١٠) «نعم» سقطت من (أ).

(١١) في (ب): «إلى ما تقدَّم في ذكر الله تعالى».

(١٢) في (ك): «فتجري».

(١٣) في (أ): «بلا فاء»، وهو خطأ.

(١٤) في (ب): «كأنه قال» بدل «كقوله تعالى».

إسلام ويب islamweb.net

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾[١] [الشورى: ٢٢].

فقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ وإن انقطع عن الأول في اللفظ فإنه متصل به من طريق المعنى، فكأنه قال: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ﴾، مشارٌ إليه بأنه[٢] الفضل الكبير.

وقوله: ﴿نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾؛ أي: ذلك[٣] نعم أجر العاملين[٤]، والمعنى مشار إليه بتفضيل[٥] على أجور العاملين[٦]. وإذا كان[٧] الأمر على ما ذكرتُ في الآيتين لم يلِقْ بكل[٨] واحدة منهما إلا ما جاءت به. والله أعلم[٩].

---

(١) في (ب، ك، ع): «﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ * ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾» [الشورى: ٢٢، ٢٣].

(٢) في (أ): «أنه».

(٣) قدَّر المصنف رحمه الله اسم الإشارة «ذلك» مبتدأ وهو محذوف مخصوص بالمدح، وجملة ﴿نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ خبر لهذا المبتدأ المحذوف، والتقدير: نعم أجر العاملين ذلك الجزاء الذي وعدهم الله به من مغفرة وجنات خالدين فيها. قال ابن الأنباري في البيان (١: ٢٢٢): «﴿وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ خبر مبتدأ محذوف، وتقديره: ونعم أجر العاملين الجنةُ، وحُذِف لدلالة الكلام المتقدم عليه».

(٤) «أي: ذلك نعم أجر العاملين» ليست في (ع).

(٥) في (ب): «متصل»، وفي (ك): «يتفضل».

(٦) يعني المؤلف رحمه الله أن «ذلك» يُشار به إلى تفضيل أجر العاملين، وهو المغفرة والجنة والخلود فيها؛ أي: إذا كان للعاملين أجور فهذا نعم الأجر لعاملٍ.

(٧) في (ك): «بان».

(٨) في (ك): «لم يكن لكل».

(٩) في (أ): «واعلم»، وفي (ع): «فاعلم»، وفي (ب): «فاعرفه»، والمثبت من (ك).

إسلام ويب islamweb.net

[٣٠] الآية السابعة منها:

قوله تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ [آل عمران: ١٨٤].

وقال في سورة الملائكة[١] [٢٥]: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾.

للسائل أن يسأل عن اختلاف الآيتين في إدخال الباء في قوله: ﴿وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾[٢] في موضع[٣]، وحذفِها منه[٤] في موضع[٥] في قراءة الأكثرين[٦].

والجواب أن يقال: إن الزبر[٧] والكتاب المنير[٨] في سورة آل عمران وقعا

---

(١) هي من أسماء سورة فاطر، قال الفيروزآبادي في البصائر (١: ٣٨٦): «لها ـ أي: لهذه السورة ـ اسمان: سورة فاطر؛ لما في أولها: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، وسورة الملائكة؛ لقوله: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾».

(٢) «﴿وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾» ليس في (أ، ب، ك، ع)، وأُثبت من (ح، خ، ر).

(٣) أي: في آية سورة فاطر.

(٤) في (ك، ع): «منها»، والمثبت من (ب). وهي غير موجودة في (أ).

(٥) ذلك في آية سورة آل عمران. وجاء في (و): «وحذفها منها في سورة آل عمران».

(٦) قرأ ابن عامر وحده: ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ﴾ بالباء، وكذلك في مصاحف أهل الشام. وقرأ الباقون: ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾ بغير باءٍ. يُنظَر: السبعة لابن مجاهد (ص٢٢١)، والحجة للقراء السبعة (٣: ١١٣)، وكتاب الإقناع في القراءات السبع (٢: ٦٢٤)، وتفسير القرطبي (٤: ٢٩٦).

(٧) الزُّبُر جمع زبور، قال الزجاج (١: ٤٩٥): «والزبور كل كتاب ذو حكمةٍ. ويقال: زَبَرتُ، إذا كتبتَ، وزَبَرتُ، إذا قرأت».

(٨) المراد بالكتاب المنير: التوراة والإنجيل، كما في تفسير الطبري (٤: ١٩٨). ولفظ «المنير» ليس في (ك، ع).

إسلام ويب islamweb.net

في كلامٍ بُنِي على الاختصار والاكتفاء بالقليل عن الكثير مع وضوح المعنى.

وكان أولُ ذلك[١] قولَه: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾، والتقدير: فإن يكذِّبوك، فوضع الماضي الذي هو أخفُّ موضعَ المستقبَل الذي هو أثقلُ، بدلالة[٢] «إنْ» التي للشرط وحصول الخفة في اللفظ، ثم إنّ الفعل[٣] الذي جاء في جواب الشرط بُنِي للمفعول، ولم يُسمَّ فاعله، فكان الاختيار أن يُجعَل آخرُ الكلام كأوّله بالاكتفاء بما قلَّ عمّا كثُر منه مع وضوح المعنى[٤].

والآية التي في سورة الملائكة صُدِّرت بما يخالِف ذلك في الموضعين؛ لأن الشرط جاء فيها على الأصل بلفظ المستقبَل، وهو: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾، وجاء الجزاء[٥] أيضًا مبنيًّا للفاعل، ولم يُحذَف منه ما حُذِف[٦] من الأول. فلمّا قُصِد توفيةُ اللفظ حقَّه أُتبِعَ آخرُ الكلام أوّلَه في توفية كل معمولٍ فيه عاملَه، وهي حروف الجر[٧] التي استوفتها المجرورات، فلذلك اختلفت الآيتان[٨].

والله أعلم.

---

(١) يشير إلى آية سورة آل عمران التي تبدأ بقوله تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾.

(٢) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «بدليل».

(٣) الفعل هو «كُذِّب».

(٤) هذا التوجيه نقله الكرماني في غرائب التفسير (١: ٢٧٦)، ولم يذكر ما يتعلَّق بآية سورة فاطر.

(٥) الجزاء هو «فقد كذب». وفي (ك): «الخبر» بدل «الجزاء».

(٦) في (ب): «ما لم يُحذَف».

(٧) في (ك): «الجزاء»، وهو خطأ.

(٨) توضيح ما قاله المؤلف رحمه الله: أن آية آل عمران سياقها الاختصار والتخفيف بدليل حذف الفاعل في الفعل «كُذِّب» في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ﴾ وبناءِ الفعل للمجهول حيث لا يحتاج إلى ذكر الفاعل، وإيرادِ فعل الشرط ماضيًا وأصلُه المستقبل، ولفظ الماضي =

إسلام ويب islamweb.net

مضت سورة آل عمران عن سبع آياتٍ(١) وثلاث عشرة مسألة(٢).

= أخفُّ من المضارع. كذلك حُذِف الجار في قوله تعالى: ﴿وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ تخفيفًا لمناسبة ما تقدَّم في الاختصار. وأما آية سورة فاطر فسياقها البسط بدليل وقوع فعل الشرط فيه بلفظ المستقبل، وإظهار فاعل التكذيب في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ﴾، وإظهار الفاعل والمفعول في قوله تعالى: ﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم﴾، فناسب هذا البسط ذِكر الجار «الباء» في الثلاثة: ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾؛ ليكون كله على نسق واحد. يُنظَر: البرهان للكرماني (١: ١٥٢)، وكشف المعاني لابن جماعة (ص١٣٤)، حيث أفدتُ منهما في هذا التوضيح.

(١) في (ك): «عن ست آيات وإحدى عشرة مسألة»، وذلك خطأ حيث ذُكِرت فيها سبع آيات كما في (أ، ب). وأما النسخ الأخرى (ح، خ، ر، س) فلم يأتِ فيها ذكر الآية السادسة من هذه السورة.

(٢) بعد التتبُّع نجد أن المؤلف رحمه الله تناول في هذه السورة خمس عشرة مسألة؛ منها خمس مسائل في الآية الأولى، ومسألتان في الثانية، ومسألة في الثالثة، ومسألتان في الرابعة، وثلاث مسائل في الخامسة، ومسألة في السادسة، ومسألة في السابعة، وبذلك يكون عدد المسائل خمس عشرة مسألة. ولعل ذلك يرجع إلى ظهور مسائل جديدة للمؤلف وهو يُملي، كما قال في (ص٣٤٥): «وفي هذه الآية مسألة أخرى، وهي أن يقال...». وقد تتكرَّر مثل هذه الحالات في أثناء الإملاء، ولعل هذا يفسر لنا الاختلاف الموجود في ذكر عدد المسائل في آخر بعض السور كما سنرى ذلك إن شاء الله.

إسلام ويب islamweb.net

سورة النساء

[٣١] الآية الأولى منها:

قولـه تعالـى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

وقال في هذه السـورة[١] أيضًا[٢]: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾[٣] [النساء: ١١٦].

للسـائل أن يسـأل عـن فائـدة تكـرار هذه الآيـة، وله أن يسـأل فيقـول: لِمَ كان[٤] جوابُ ﴿مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ﴾ في الآية الأولى: ﴿فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾، وجوابُه[٥] في الآية الثانية: ﴿فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾؟

فأمّـا[٦] الجـواب عن التكرار فلأنّ هذه السـورة لمّا اشـتمل صدرُها على

(١) في (ك): «في الثلث الأخير منها».
(٢) «أيضًا» أُثبتت من (ح، خ، ر، س).
(٣) أُثبتت الآية من (ب، ك).
(٤) في (أ): «لِمَ قال».
(٥) فـي (أ): «وفـي جوابـه»، وفـي (ك): «وجـواب ﴿مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ﴾ في الثانيـة»، و«وجوابُه» ليست في (ع)، والمثبت من (ب).
(٦) في (أ): «وأمّا».

إسلام ويب
islamweb.net

ذكر الأحكام[١]، وانتهى إلى ذكر التيمم[٢]، ثم انقطع ذلك[٣] بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾[٤] [النساء: ٤٤] وهم اليهود[٥] الذي أُوتوا التوراة فحرَّفوا[٦] ما فيه دلالةٌ على صحة[٧] نبوة محمد ﷺ إلى ما يدعو إلى ترك الإيمان به، ثم توعَّدهم إن أقاموا على ذلك[٨] الكفر بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا﴾[٩] [النساء: ٤٧]؛ أتبعَ ذلك بما دلَّ به[١٠] على عِظَم الكفر الذي هو الشرك[١١]،

---

(١) من تلك الأحكام الشرعية التي ذكرها الله تعالى في هذه السورة: الأحكام المتعلقة بأموال اليتامى، الآيات [٥-١٠]، وأحكام المواريث، الآيات [١١-١٤]، وأحكام الزواج والأنكحة، الآيات [٢٢-٢٥]، والأحكام المتعلقة بتنظيم الحياة الزوجية، الآيتان [٣٤، ٣٥].

(٢) أي: إلى ذكر حكم التيمُّم، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء: ٤٣].

(٣) في (ع): «ذاك».

(٤) تتمة الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ﴾.

(٥) هو قول قتادة كما في تفسير الطبري (٥: ١١٦)، وتفسير ابن عطية (٤: ٨٥)، وتفسير ابن الجوزي (٢: ٩٧)، وتفسير القرطبي (٥: ٢٤٢).

(٦) أي: فغيَّروا، وفي القاموس المحيط (ص١٠٣٣ حرف): «التحريف: التغيير».

(٧) «صحة» ليست في (أ).

(٨) «ذلك» سقطت من (ك، ع).

(٩) الآية أُثبتت بتمامها من (ب، ك).

(١٠) «به» ليست في (أ)، وفي (ح، خ): «ما دل به»، والمثبت من (ب، ك).

(١١) وهو الذي لا يغفره الله تعالى وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾. قال الراغب في المفردات (ص٤٥٢): «شِرك الإنسان في الدين ضربان؛ أحدهما: الشرك العظيم، وهو إثبات شريكٍ لله تعالى، وذلك أعظم كفرٍ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾. والثاني: الشرك الصغير، وهو مراعاة غير الله معه في بعض الأمور، وهو الرياء والنفاق المشار إليه بقوله: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٠]». بتصرف يسير.

إسلام ويب islamweb.net

وذلك في أمر اليهود، ويُحتمَل أن يقال: إنما سمّاهم مشركين[١] لمّا قالوا: عُزَير ابن الله[٢]، ومن ادعى لله ابنًا فهو مشرك[٣].

والموضع الثاني تقدَّمت فيه آيةٌ هي قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾[٤] [النساء: ١١٥]، ومعناه: من عادى[٥] الرسولَ بعدما ظهرت آياته وتظاهرت دلالاته، وتبِع[٦] سبيل الكفار؛ فإن الله تعالى يولِّيه ما تولّى[٧] من الأصنام التي عبَدها بأن يَكِله[٨] إليها لِيستنصر بها[٩]، ولا نصرَ عندها، وهؤلاء مشركو العرب، فدلَّ على أن من تقدَّم ذِكرهم ـ وإن كانوا أوتوا الكتاب ـ كهؤلاء المشركين[١٠] الذين لا كتاب لهم، كفرُهم ككفرِهم،

(١) قال الفخر الرازي في التفسير الكبير (١٠: ١٢٧) في تسميتهم مشركين: «هذه الآية دالةٌ على أن اليهودي يُسمّى مشركًا في عُرف الشرع، ويدل عليه وجهان؛ **الأول**: أن الآية دالة على أن ما سوى الشرك مغفورٌ، فلو كانت اليهودية مغايرة للشرك لَوجب أن تكون مغفورة بحكم هذه الآية، وبالإجماع هي غير مغفورة، فدل على أنها داخلة تحت اسم الشرك. **الثاني**: أن اتصال هذه الآية بما قبلها إنما كان لأنها تتضمَّن تهديد اليهود، فلولا أن اليهودية داخلة تحت اسم الشرك، وإلا لم يكن الأمر كذلك».

(٢) كما أخبر تعالى عنهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ [التوبة: ٣٠].

(٣) من قوله: «ويحتمل أن يقال» إلى هنا سقط من (ك).

(٤) الآية أُثبِتت بتمامها من (ب، ك).

(٥) أي: خاصم. وفي (ع): «يُعاد».

(٦) في (ب، ع): «ويتبع».

(٧) قال في القاموس المحيط (ص١٧٣٢ ولي): «تولّاه: اتخذه وليًّا».

(٨) في (ب): «بأن وكله».

(٩) في (ب، ك، ع): «ليستنصرها».

(١٠) «المشركين» سقطت من (ك)، وفي (ع): «فهؤلاء المشركون».

إسلام ويب islamweb.net

وسبيلُهم كسبيلِهم[١]، فأعاد ذِكر عِظَم[٢] الشرك توعُّدًا لِصنف آخرَ من الكفار الذين[٣] لم يدخلوا في جملة مَن تقدَّم ذِكرهم[٤] لِيُعلَم أنهم وإن خالفوهم[٥] دينًا فقد وافقوهم كفرًا، فهذه فائدة التكرار[٦].

وأمّا[٧] إتباع الأول[٨] ﴿فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ فلأنّ مَن أريد بالآية الأولى قومٌ عرفوا صحة نبوّة النبي ﷺ من الكتاب الذي معهم، فكذَّبوا وافتروا[٩] ما لم يكن عندهم، فكان كفرُهم من هذا الوجه الذي أضلُّوا به أتباعهم.

وأمّا إتباع الثاني[١٠] ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ فلأنّ[١١] مَن أريد[١٢] به مشركو العرب، وهم لم يتعلَّقوا بما يهديهم، ولا كتاب في أيديهم فيرجعوا إليه

(١) في (ك): «وهؤلاء المشركون سبيلهم كسبيلهم».
(٢) لفظ «عظم» تكرَّر في (أ).
(٣) «الذين» أُثبتت من (ح، خ، ر، س).
(٤) ذلك في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وهم اليهود.
(٥) في (ب): «لو خالفوهم».
(٦) ذكر الفخر الرازي في تفسيره (١١: ٤٦) فائدة أخرى فقال: «اعلم أن هذه الآية مكرَّرة في هذه السورة، وفي تكرارها فائدتان؛ الأولى: أن عمومات الوعيد وعمومات الوعد متعارضة ـ أي: متقابلة ـ وأنه تعالى ما أعاد آية من آيات الوعيد بلفظ واحد مرتين، وقد أعاد هذه الآية دالةً على العفو والمغفرة بلفظ واحدٍ في سورة واحدةٍ، وقد اتفقوا على أنه لا فائدة في التكرير إلا التأكيد، فهذا يدل على أنه تعالى خصَّ جانب الوعد والرحمة بمزيد التأكيد، وذلك يقتضي ترجيح الوعد على الوعيد».
(٧) في (ك): «فأما».
(٨) هو الآية [٤٨] من سورة النساء.
(٩) أي: اختلقوا، جاء في المصباح المنير (٢: ٤٧١): «افترى عليه كذبًا: اختلقه، والاسم: الفِرية».
(١٠) هو الآية [١١٦] من سورة النساء.
(١١) في (أ): «لأن».
(١٢) في (ب): «أراد».

إسلام ويب islamweb.net

فيما يتشكَّكون فيه، فقد بعُدوا عن الرشد وضلُّوا أتمَّ الضلالات[١]، فاقتضى المعنيُّون بالأول ما ذكره[٢] الله تعالى، والمعنيُّون بالثاني ما أتبعه إياه، وإن كان الفريقان مفتَرِين[٣] إثمًا عظيمًا، وضالِّين ضلالًا بعيدًا[٤]. والله أعلم.

[٣٢] الآية الثانية منها[٥]:

قوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٢٨].

وقال بعده: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٢٩].

---

(١) في (ب، ك، ع): «الضلال».
(٢) في (أ): «ما ذكر».
(٣) في (أ): «وإن الفريقين مفتريان إثمًا عظيمًا وضالين»، والمثبت من (ب، ك).
(٤) اقتصر الكرماني في كتابَيه البرهان في متشابه القرآن (ص١٥٥) وغرائب التفسير (١: ٢٩٩) على ما ذهب إليه مؤلفنا في توجيه ختم الآية الأولى بقوله: ﴿فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾، وختم الثانية بقوله: ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾. قال العلامة الآلوسي (٥: ١٤٨): «إن تلك ـ أي: الآية الأولى ـ كانت في أهل الكتاب وهم مطَّلعون من كتبهم على ما لا يشكُّون في صحته من أمر الرسول ﷺ ووجوب اتباع شريعته وما يدعو إليه من الإيمان بالله تعالى، ومع ذلك أشركوا وكفروا، فصار ذلك افتراءً واختلاقًا وجراءةً عظيمةً على الله تعالى. وهذه ـ أي: الآية الثانية ـ كانت في أناس لم يعلموا كتابًا ولا عرفوا من قبلُ وحيًا ولم يأتهم سوى رسول الله ﷺ بالهدى ودين الحق، فأشركوا بالله عز وجل وكفروا وضلّوا مع وضوح الحجة وسطوع البرهان، فكان ضلالهم بعيدًا».
(٥) «منها» ليست في (ع)، وفي (ك): «من هذه السورة».

إسلام ويب islamweb.net

للسائل أن يسأل عن مسألتين في ذلك:

إحداهما[١]: قوله تعالى[٢] في الآية الأولى: ﴿وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ﴾، وفي الثانية: ﴿وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ﴾.

والمسألة الثانية: ختمُ[٣] الآية الأولى بقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾، والثانية بقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[٤].

والجواب عن الأولى أن معناها[٥]: إن خافت[٦] امرأة[٧] من زوجها ترفُّعًا ونُبُوًّا[٨] لِملَلٍ، أو[٩] إعراضًا لِموجدةٍ[١٠] أو[١١] بدلٍ[١٢]، فلا إثم في أن يتصالحا[١٣] .....

---

(١) في (ب): «أحدهما».
(٢) «قوله تعالى» أُثبتت من (و).
(٣) في (ب): «أن ختمت» بدل «ختم».
(٤) في (أ، ب): «والثانية ختمُ الآية الأولى بقوله: ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾، والثانية بقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾، ومثلهما في (ع) ولكن «عن ختمِ» بدل «ختمُ»، والمثبت من (ك).
(٥) في (أ): «والجواب عن ذلك أن معنى»، وفي (ك): «والجواب عن الأول معناها»، والمثبت من (ب).
(٦) من الخوف، والخوف: توقُّع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة. المفردات (ص٣٠٣).
(٧) في (ع): «المرأة».
(٨) أي: تجافيًا عنها وعدم النظرة إليها، قال ابن الأثير في النهاية (٥: ١١): «نبا عنه بَصره يَنْبو: تجافى ولم ينظر إليه». والمصدر: نبوّ ونبيّ، كما في لسان العرب (١٥: ٣٠١ نبو).
(٩) في (ب، ع): «و» بدل «أو».
(١٠) أي: لغضبٍ، وفي القاموس المحيط (ص٤١٣ وجد): «وجِد عليه يجِد وجْدًا وموْجِدةً: غضب».
(١١) في (أ): «و» بدل «أو».
(١٢) قول المؤلف رحمه الله: «ترفُّعًا ونبوًّا لملل أو إعراضًا لِموجدة أو بدل» يدور حول معنى النشوز والإعراض، وللنشوز والإعراض أحوالٌ كثيرة تختلف باختلاف أحوال الأنفس.
(١٣) في (ب): «أن يصّالحا».

إسلام ويب islamweb.net

على[١] أن تترك[٢] له من مهرها أو بعض أيامها[٣] ما يتراضيان به، والصلح خير من أن يقيما على التباعُد[٤]، أو يصيرا إلى القطيعة[٥]. ونفسُ كل واحد منهما تَشُحُّ[٦] بمالها قِبَل صاحبها[٧]. وقيل: المراد: شُحُّهن على النقصان من أموالهن وأنصبائهن[٨] من أزواجهن[٩]. وهذا يقتضي مخاطبةَ الأزواج بمجانبة[١٠] القبيح وإيثار الحسنى في معاملتهن، فبعث الله تعالى في هذا المكان[١١] على فعل[١٢] الإحسان[١٣].

---

(١) «على» أُثبِتت من (ب، ك).

(٢) في (ب): «أن تنزل»، وله وجه إن كان بمعنى: أن تتنازل.

(٣) أي: أن ترضى بترك بعض لياليها لِضرائرها؛ وذلك للرغبة في استبقاء رابطة الزوجية بينهما.

(٤) ذلك بسبب الخصومة وسوء العِشرة.

(٥) أي: إلى الفرقة والهجران، والقطيعة في اللغة: الهجران. القاموس المحيط (ص٩٧٢ قطع).

(٦) أي: تبخل، وفي اللسان (٢: ٤٩٥ شحح): «وقد شَحَحْتَ تشُحُّ، والشُّح ـ بضم الشين وفتحها ـ: البخل».

(٧) هذا معنى قوله تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾، وهو قول ابن زيد كما في تفسير الطبري (٥: ٣١٢)، واختاره المصنف رحمه الله تعالى.

(٨) أي: حظهن، والأنصباء جمع النصيب، والنصيب: الحظ. القاموس المحيط (ص١٧٧ نصب).

(٩) هذا القول هو اختيار الطبري في تفسيره (٥: ٣١٢) حيث قال رحمه الله: «وأَولى القولين في ذلك بالصواب قولُ من قال: عنى بذلك: أُحضِرت أنفسُ النساء الشحَّ بأنصبائهن من أزواجهن في الأيام والنفقة. والشحُّ: الإفراط في الحرص على الشيء، وهو في هذا الموضع: إفراط حرص المرأة على نصيبها من أيامها من زوجها ونفقتها».

(١٠) في (ب): «بمجانسة»، وهو خطأ.

(١١) ليست في (ع).

(١٢) في (ب): «ترك».

(١٣) ذلك بأن يُحسِن الأزواج معاملة أزواجهن، ويتركوا التعالي عليهن والإعراض عنهن ويصبروا على ما لا يرضونه منهن. يُنظَر: تفسير الطبري (٥: ٣١٢)، وتفسير الآلوسي (٥: ١٦٢).

إسلام ويب islamweb.net

وأما الثانية[١] فجاءت[٢] بعد قوله: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ في محبّتهن والشهوة لهن؛ لأنّ[٣] ذلك ليس إليكم، وإن حرصتم على التسوية بينهن، ﴿فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾ بأن تجعلوا كل مبيتكم وخلوتكم[٤] وجميل عِشرتكم وسعة[٥] نفقتكم عند التي تشتهونها دون الأخرى، فتبقى تلك معلَّقةً لا ذاتَ زوج ولا مطلَّقةً، فاقتضى هذا الموضعُ أن يحثَّ الأزواجَ على إصلاحِ ما كان منهم[٦] من الانصباب إلى الواحدة دون ضَرّاتها[٧] بالتوبة مما سلف، واستئنافِ ما يقدرون عليه من التسوية، ويملكونه من الخلوة، وسعة النفقة، وحُسن العِشرة، فقال: ﴿وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ﴾[٨].

وأمّا جواب المسألة الثانية فقد بان ووضح بما ذكرتُ[٩] وبيَّنتُ[١٠] أنه لمّا

---

(١) يعني جملةَ ﴿وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

(٢) في (أ، ب، ك، ع): «فإنه جاء»، والمثبت من (ر).

(٣) في (أ): «فإن»، والمثبت من (ب، ك).

(٤) ليست في (ع).

(٥) في (أ): «متعة»، والمثبت من (ب، ك).

(٦) في (أ): «بينهم».

(٧) الضرّات جمع الضرّة، قال في اللسان (٤: ٤٨٦ ضرر): «ضرّة المرأة: امرأة زوجها، والضرّتان: امرأتا الرجل، كل واحدةٍ منهما ضرّة لصاحبتها، وهن الضرائر».

(٨) قال أبو حيان في تفسيره (٤: ٨٩) في ختم الآية الأولى بقوله تعالى: ﴿وَإِن تُحْسِنُواْ﴾، وفي ختم الثانية بقوله تعالى: ﴿وَإِن تُصْلِحُواْ﴾: «خُتِمت تلك بالإحسان، وهذه بالإصلاح؛ لأن الأولى في مندوب إليه؛ إذ له ألا يُحسِن وأن يشحّ ويصالح بما يرضيه. وهذه لازم؛ إذ ليس له إلا أن يصلح، بل يلزمه العدل فيما يملك». وأصل هذا الكلام موجود في تفسير ابن عطية (٤: ٢٥٢).

(٩) في (ك): «ذكرنا».

(١٠) «وبيّنت» ليست في (ك).

إسلام ويب islamweb.net

قال: وإن[١] جانبتم القبيح وآثرتم الإحسان[٢] فإن الله به عالم[٣]، وعليه مُجازٍ، وهو[٤] قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا﴾.

ولمّا عَذَرَ[٥] الأزواجَ في بعض الميل، وهو الذي لا يملكون خلافه، حثَّهم على ما يُطيقون فِعله بما ذكرتُ، وعلى إصلاح ما سلف منهم بما بيَّنتُ، فإن الله تعالى يغفر لمن يُقلِع[٦] عن قبائحه ويُؤثِر بعدها الحسنى من أفعاله، وهذا معنى[٧] قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

[٣٣] الآية الثالثة منها[٨]:

قوله تعالى: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمٗا ۞ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدٗا ۞ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾[٩] [النساء: ١٣٠-١٣٢].

---

(١) في (ب، ك): «إن» من دون الواو.

(٢) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «وأمرتم بالإحسان».

(٣) في (ب): «عليم».

(٤) في (ب، ك، ع): «وهذا».

(٥) أي: رفع اللوم عنهم، وفي اللغة: عذرتُه فيما صنع عَذرًا، من باب ضرب: رفعت عنه اللومَ فهو معذورٌ؛ أي: غير ملوم. المصباح المنير (٢: ٥١٢).

(٦) أي: يترك، وفي المصباح المنير (٢: ٥١٢): «أقلع عن الأمر إقلاعًا».

(٧) «معنى» ليست في (ب، ك، ع).

(٨) «منها» ليست في (ع)، وفي (ك): «من هذه السورة».

(٩) أُثبتت الآيات من (ب، ك).

إسلام ويب islamweb.net

للسائل أن يسأل في هذه[١] الآيات[٢] عن مسألتين:

إحداهما: عن تكرار قوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ ثلاث مرات.

والثانية: عمّا تَبِع المكرَّر في قوله في آية[٣]: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾، وفي أخرى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾[٤]، والأولى لم يتبعها مثلُ ما تَبِع الوسطى والآخرة[٥].

والجواب عن المسألة الأولى ـ وهي[٦] التكرار ـ أنه: إذا أعيد[٧] الكلام لأسباب مختلفةٍ لم يُسَمَّ تكرارًا، **فالأول**[٨] بعد الإذن للرجل وامرأته[٩] في أن يتفرَّقا[١٠] بطلاقٍ، وتسليتُهما[١١] عن الوُصلة[١٢] بأنه هو الذي يغني المحتاج

---

(١) «هذه» سقطت من (أ).
(٢) في (ع): «الآية».
(٣) في (ك): «في آيتين قوله»، وفي (و): «في آية من قوله».
(٤) في (أ): «﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا﴾، وفي أخرى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾، وفي أخرى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾»، ولا وجه له؛ لأن الجملة الكريمة الأولى لم تَتْبَع المكرَّرَ الذي هو: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، كما أن المؤلف رحمه الله لم يتطرَّق إليها في أثناء الجواب عن المسألة الثانية.
(٥) صيغة السؤال في (ح، خ، ر): «فلِمَ كرَّر ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ ثلاث مرات، ولِمَ اختلف آخرُ كلِّ آية؟».
(٦) في (أ): «وهو».
(٧) في (ب): «أعد».
(٨) هكذا في (ب، ك)، وفي (أ): «فالأولى».
(٩) في (أ، ب، ع): «والمرأة»، والمثبت من (ك).
(١٠) كذا في (ب، ك)، وفي (أ): «في ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا مِّن سَعَتِهِۦ﴾ بطلاقٍ».
(١١) في (أ، ك): «وتسليتها»، والمثبت من (ب)، وهو أنسب لما تقدَّم وهو: «أن يتفرَّقا».
(١٢) أي: عن الاتصال. وفي المصباح المنير (٢: ٦٦٢): وُصلة: «وِزان غرفة: اتصال».

إسلام ويب islamweb.net

منهما، وإن كان قبل ذلك أغنى كل واحدٍ منهما بصاحبه، فإنهما بعد الفُرقة يرجُوان الغِنى من عنده؛ لأنه واسع الرزق وواسع[١] المقدرة[٢]، فإنّ لله ما في السماوات وما في الأرض[٣]، وأرزاقُ العباد من جملتها[٤].

وأمّا **الثاني** فإنه بعد قوله: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١]؛ أي: اتقوا الله[٥]، فإنه[٦] واسع النعمة والفضل والرحمة، وقد أوسعكم منها، ووصّاكم ومَن قبلكم بتقواه والاستجارة[٧] بطاعته مِن عقوبته، فإنكم[٨] إن عصيتم وكفرتم لم يكن لله[٩] حاجةٌ إلى طاعتكم، وإنما أنتم تحتاجون[١٠] إليها، والله غنيٌّ حميد، فوجب عليكم[١١] طاعتُه؛ لأن له ما في السماوات وما في الأرض، وهو[١٢] غنيّ بنفسه، حميد؛ لأنه جاد بما استحمَد[١٣] به إلى خلقه من الإحسان إليهم،

(١) «وواسع» سقطت من (ب)، وفي (أ، ع): «واسع» من دون الواو، والمثبت من (ك، ر).
(٢) هكذا في (ب، ك)، وفي (أ): «القدرة».
(٣) «وما في الأرض» سقطت من (ب)، وفي (ك): «والأرض» بدل «وما في الأرض».
(٤) في (ع): «وأرزاقُ العباد جملتهما».
(٥) في (أ، ب، ع): «اتقوه»، والمثبت من (ك).
(٦) «فإنه» سقطت من (ك).
(٧) أي: وطلب الحفظ والحماية، وفي المصباح المنير (١: ١١٤): «استجاره: طلب منه أن يحفظه».
(٨) في (ب): «فإياكم».
(٩) في (ك): «بالله».
(١٠) في (ك): «محتاجون».
(١١) في (أ، ك، ع): «عليهم»، والمثبت من (ب).
(١٢) في (ك): «وهي».
(١٣) في اللغة: استَحمَدَ إلى الناس بإحسانه إليهم: استوجب عليهم حَمْدهم له. المعجم الوسيط (ص١٩٦).

إسلام ويب islamweb.net

والإنعام عليهم، فالمقتضي لذكر[١] ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ في الثاني غيرُ المقتضي له[٢] في الأول.

وأمّا **الثالث** فلأنه لمّا ذكر أنه أوجب طاعته على مَن قبلهم وعليهم؛ لأنه مَلَكَ[٣] ما في السماوات وما في الأرض، وأنعم[٤] عليهم من ذلك[٥] ما حقَّت به العبادةُ؛ اقتضى ذلك[٦] أن يُخبِرهم[٧] عن دوام هذه القدرة له، فكأنه قال: وله ذلك دائمًا، وكفى به له حافظًا؛ أي: لا زيادة على كفايته في حفظ ما هو موكول إلى تدبيره. والوكيل[٨]: القيِّم بمصالح الشيء، وقيل: هو الحافظ[٩]، وما قام الله تعالى بمصالحه فهو[١٠] حافظه. فقد بان أنّ ذلك ليس بتكرار[١١].

وأمّا الجواب عن المسألة الثانية من إتباعه قوله: ﴿وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ

---

(١) في (أ، ب، ع): «لذكره»، والمثبت من (ك، ر، خ).
(٢) ليست في (ع).
(٣) في (ب): «له» بدل «ملك».
(٤) في (ك): «فأنعم».
(٥) في (أ، ع): «ذاك».
(٦) في (ع): «ذاك».
(٧) «أن يخبرهم» سقطت من (ك).
(٨) قال في النهاية (٥: ٢٢١): «في أسماء الله تعالى: الوكيل: هو القيِّم الكفيل بأرزاق العباد، وحقيقته: أنه يستقلُّ بأمر الموكول إليه».
(٩) يُنظَر: لسان العرب (١١: ٧٣٤ وكل).
(١٠) في (ك): «وهو».
(١١) وضَّح القرطبي رحمه الله في تفسيره (٥: ٤٠٩) هذا التكرار فقال: «إن قال قائل: ما فائدة هذا التكرار؟ فعنه جوابان؛ **أحدهما**: كرَّر تأكيدًا لِيتنبه العباد وينظروا في ملكوته وملكه، وأنه غنيّ عن العالمين. **والجواب الثاني** أنه كرَّر لفوائد، فأخبر في الأول: أن الله تعالى يغني كلًّا من سعته؛ لأنّ له ما في السماوات وما في الأرض، فلا تنفد خزائنه. ثم قال: أوصيناكم وأهل الكتاب بالتقوى، وإن تكفروا فإنه غنيّ عنكم؛ لأن له ما في السماوات وما في الأرض. ثم أعلم في الثالث بحفظ خلقه وتدبيره إياهم بقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾؛ لأنّ له ما في السماوات وما في الأرض..».

إسلام ويب islamweb.net

مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾، فقد تضمَّنه[١] الجوابُ عمّا ذكرتُ[٢] من التكرار، وهو كقوله: ﴿إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡ﴾ [الزمر: ٧]؛ أي: أنتم محتاجون إلى طاعته[٣]، ولم يقتضِ[٤] ما تقدَّم غيرَ[٥] هذا الوصف. ولمّا اتصف تعالى بالغِنى، وكان الغنيُّ إذا لم يَجُدْ من غناه مذمومًا، والله تعالى قد غمَر[٦] بعطائه المستحِقَّ وغيرَه من الكفار؛ كان الغنيَّ الحميدَ[٧].

وأمّا قوله بعد الثالث: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ فلأنه[٨] لمّا كان المعنى أنه دائم القدرة، أخبرَ أن ما يحفظه ممّا في السماوات وما في الأرض[٩] يكتفي[١٠] به حافظًا، إذ مُلكُه عليه دائم، وتدبيره فيه قائم.

[٣٤] الآية الرابعة منها[١١]:

قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾ [النساء: ١٣٥].

---

(١) في (ب): «تضمنته».
(٢) في (ك): «ذكرنا».
(٣) في (أ): «طاعتي».
(٤) في (ب): «ولم يتقض».
(٥) «غير» سقطت من (ب).
(٦) في (ر): «عمّ».
(٧) الحميد هنا فعيل بمعنى مفعول؛ أي: المحمود.
(٨) في (أ، ع): «فإنه».
(٩) في (ب): «والأرض».
(١٠) في (ب): «فكفى».
(١١) «منها» ليست في (ع)، وفي (ك): «من سورة النساء».

إسلام ويب islamweb.net

وقال[١] في سورة المائدة [٨]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

للسائل أن يسأل فيقول[٢]: ما[٣] الفائدة في تقديم قوله: ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ على قوله[٤]: ﴿شُهَدَآءَ﴾ في الآية الأولى، وتأخيره عنه[٥] في الآية الثانية؟

والجواب أن يقال: إن الآية الأولى في الشهادة أمر الله[٦] عز وجل مَن عنده شهادةٌ أن يقومَ بالحق فيها، ويشهدَ لله تعالى على[٧] كل مَن عنده حقٌّ لغيره يمنَعه[٨] إياه حتى يصل إليه، فقال: قوموا ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾؛ أي: بالعدل في حال شهادتكم لله على كلّ ظالمٍ حتى يؤخذ الحقُّ منه، فقدَّم ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾[٩]؛ لأنه من تمام ﴿قَوَّٰمِينَ﴾؛ إذ فِعلُه يتعدّى إلى مفعوله بالباء.

وأمّا ﴿شُهَدَآءَ﴾ فإنها إذا كانت حالًا من الضمير في ﴿قَوَّٰمِينَ﴾ فإن حقَّها أن تجيء بعد تمام ﴿قَوَّٰمِينَ﴾، وكذلك إن كانت خبرًا ثانيًا، وإن[١٠] كانت صفةً لِـ﴿قَوَّٰمِينَ﴾ فإنّ حقَّها[١١] أن تجيء بعدها[١٢].

---

(١) «قال» أُثبِتت من (ك)، وفي (ع): «وفي».
(٢) في (أ): «للسائل أن يقول».
(٣) «ما» سقطت من (ك).
(٤) «قوله» ليست في (ب، ك).
(٥) في (أ): «عليه».
(٦) لفظ الجلالة أُثبِت من (ك).
(٧) في (أ، ع): «وعلى» بزيادة الواو، وهي خطأ.
(٨) هكذا في (ب، ك)، وفي (أ): «ومنعه».
(٩) في (أ، ك، ع): «القسط»، والمثبت من (ب).
(١٠) في (ك): «في أن».
(١١) أي: فإنّ حقَّ كلمةِ «شهداء».
(١٢) في (ع): «بعده». ويُفهَم من كلام المؤلف رحمه الله أنه يجوز أن تكون كلمة ﴿شُهَدَآءَ﴾ حالًا من الضمير في ﴿قَوَّٰمِينَ﴾، ويجوز أن تكون خبرًا ثانيًا لِـ﴿كُونُواْ﴾، ويجوز أن تكون صفةً لِـ﴿قَوَّٰمِينَ﴾.

إسلام ويب islamweb.net

وأمّا قوله: ﴿لِلَّهِ﴾ بعد ﴿شُهَدَآءَ﴾ فلتعلُّقه بالشهادة، كأنه قال: كونوا شهداء لله، لا للَّهو والميل إلى ذوي القربى، والدليل على ذلك أنه قال: ﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾، وشهادةُ الإنسان على نفسه أن يقرَّ بالحق لخصمه؛ أي: افعلوا ذلك لله[١] وإن كان عليكم أو على الوالدين وذوي القربى منكم.

وقوله عز وجل[٢]: ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾؛ أي: إن يكن مَن عليه الحقُّ على أحدِ هذين الوصفين فانتهُوا[٣] في أمره إلى ما أمر الله تعالى به[٤]، ولا يحملنَّكم الإشفاقُ مِن فقره على محاباته، ولا يدعُوَنَّكم غِنى الغَنيِّ إلى مداراته، فإن الله تعالى أولى بالنظر لهما ولجميع عباده منهم لأنفسهم ولغيرهم.

وقوله: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟﴾[٥]؛ أي: كراهةَ[٦] أن تعدلوا[٧]، ﴿وَإِن تَلْوُۥٓا۟﴾ ألسنتكم بالشهادة ولم تُفصحوا بها ولم تقوموا بما يجب عليكم فيها، أو تترُكوا[٨] ما يلزَمكم منها، فإن الله عليم بعملكم، وهو مُجازيكم على فعلكم.

---

(١) لفظ «الله» ليس في (أ).
(٢) «عز وجل» أُثبِتت من (ب).
(٣) في (ب): «فإنه يوا»، وهو خطأ.
(٤) «به» أُثبِتت من (ب).
(٥) الهوى هو ما تميل إليه النفس ممّا لم يُبِحْه الله تعالى. وقوله: ﴿أَن تَعْدِلُوا۟﴾ من العدول عن الحق، أو من العدل، وهو القسط، فعلى الأول يكون التقدير: إرادة أن تجوروا أو محبة أن تجوروا، وعلى الثاني يكون التقدير: كراهة أن تعدلوا بين الناس وتُقسطوا. يُنظَر: البحر المحيط (٤: ٩٦).
(٦) في (ع): «كراهية».
(٧) «أي: كراهة أن تعدلوا» أُثبِتت من (ب).
(٨) قوله: «أو تتركوا» هو معنى ﴿أَوْ تُعْرِضُوا۟﴾. وذهب الطبري في معنى قوله تعالى: ﴿وَإِن تَلْوُۥٓا۟﴾ إلى أنه ليٌّ الشاهد شهادتَه لمن يشهد له وعليه، وذلك تحريفه إياها بلسانه، وتركه إقامتها ليبطل بذلك شهادته لمن شهد له وعمّن شهد عليه. وأما إعراضه عنها فإنه تركه أداءها والقيامَ بها فلا يشهد بها. جامع البيان للطبري (٥: ٣٢٤).

إسلام ويب islamweb.net

وقيل: تلْوُوا بمعنى تَمْطُلوا[١]، مِن لَوَيتُ الغريمَ، إذا دفعتَه، كأنه قال: إن تدفعوا[٢] الشهادة[٣] ولم تؤدُّوها وقتَ الحاجة إليها.

ومن قرأ[٤]: ﴿تَلُوا﴾[٥] ـ بضم اللام وواو واحدة ـ فالمعنى[٦]: إن تَلُوا[٧] أمرَ الناس، من الولاية، أو تترُكوه[٨].

ويجوز أيضًا أن يكون الأصلُ: «تَلْوُوا» فأُبدِلت من الواو المضمومة همزة[٩]، ثم خُفِّفت بإلقاء حركتها على اللام وحذفها، وإن كان هذا مستضعفًا في الهمزة العارضة[١٠].

---

(١) من باب «قتل»، ومَطَله بدَيْنه مطْلًا: إذا سوَّفه بوعد الوفاء مرة بعد أخرى. المصباح المنير (٢: ٥٧٥). وقال الزجاج (١: ٤٣٥) عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧٨]: «ويقال: لويت الشيء إذا عدلتَه عن القصد ليًّا، ولويت الغريم لِيانًا، إذا مطلته بدَيْنه». وقال عند تفسير الآية [١٣٥] من سورة النساء (٢: ١١٨): «يقال: لويت فلانًا حقه إذا دفعته».

(٢) أي: إن تمنعوا.

(٣) في (ر): «بالشهادة».

(٤) في (ك، ر): «وقرئ ﴿تَلُوا﴾، بمعنى إن وُلِّيتم أمر الناس أو تركتموه».

(٥) ﴿تَلُوا﴾ بلام مضمومة وواو ساكنة: قراءةُ حمزة وابن عامر. والباقون: ﴿تَلْوُۥا﴾ بلام ساكنةٍ وواوين بعدها، أُولاهُما مضمومة. كتاب السبعة لابن مجاهد (ص٢٣٩)، والكشف للقيسي (١: ٣٩٩)، وكتاب الإقناع لابن باذش (٢: ٦٣٢).

(٦) في (أ): «والمعنى»، وفي (ك): «بمعنى»، والمثبت من (ب).

(٧) في (ب، ك): «أن تلووا»، وهو خطأ.

(٨) يُنظَر: تفسير الماوردي (١: ٤٢٨)، وتفسير ابن الجوزي (٢: ٢٢٣). وقال الزجاج (٢: ١١٨): «ويجوز أن يكون ﴿وَإِن تَلُوا﴾ من الولاية، ﴿أَوْ تُعْرِضُوا۟﴾ أي: إن أقمتم بالأمر أو أعرضتم عنه». وعلى قراءة ﴿تَلُوا﴾ يكون الخطاب للولاة والحكام كما قال الماوردي وابن الجوزي في تفسيريهما.

(٩) فصارت: تلؤوا. يُنظَر: معاني القرآن للزجاج (٢: ١١٨).

(١٠) «العارضة» ليست في (ب).

إسلام ويب islamweb.net

وأمّا الآية التي في سورة المائدة فإن فحواها[١] يدل على أنها للوُلاة[٢]، فقال: ﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ﴾ لا لِنفع، ويكون ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ متعلِّقًا بـ﴿قَوَّٰمِينَ﴾؛ أي: كونوا قوّامين[٣] لأجل طاعة الله بالعدل والحكم به[٤] في حال كونكم ﴿شُهَدَآءَ﴾؛ أي: وسائطَ بين الخالق والخلْق، أو[٥] بين النبي ﷺ وأُمّته كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، فالقائم بتنفيذ[٦] أحكام الله تعالى بين خلقه إذا وفّى ما[٧] عليه من حقّه، فهو شهيد على مَن وَلِيه، والرسول ﷺ شهيد عليه بما نقله[٨] إليه، والدليلُ على أن الخطاب لِولاة الأحكام[٩] قولُه بعده: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨]، وذلك عامٌّ في المخالِفين من أهل الأديان والموافِقين ممّن حصَلت لهم[١٠]

(١) أي: معناها، وفحوى الكلام: معناه. القاموس المحيط (ص١٧٠٢ فحو).

(٢) في (ب): «الولاة» من دون اللام.

(٣) «قوامين» سقطت من (ب).

(٤) في (أ، ب، ع): «فيه»، والمثبت من (ك، ر).

(٥) في (ب): «الواو».

(٦) في (ع): «بتبعيّة».

(٧) في (ك): «بما».

(٨) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «ينقله».

(٩) وافق المؤلفَ رحمه الله في جَعْل الخطاب في آية المائدة للولاة: الكرمانيُّ في كتابَيْه: البرهان (ص١٥٨) وغرائب التفسير (١: ٣٠٩)، والشيخُ يحيى زكريا الأنصاري في كتابه فتح الرحمن (ص١٢٦). والذي يبدو ـ والله أعلم ـ أن الخطاب عامّ، ولا يخصصه الدليل الذي ذكروه لِلولاة، فيكون المعنى: لا يحملنَّكم بغضُ قومٍ على أن تجوروا عليهم وتُجاوِزوا الحدّ فيهم. وقال الرازي في تفسيره (١١: ١٨٥): «أمر الله تعالى جميع الخلق بألا يُعامِلوا أحدًا إلا على سبيل العدل والإنصاف وترك الميل والظلم والاعتساف».

(١٠) هكذا في (ب، ك، ر، ح)، وفي (أ، ع): «له».

إسلام ويب islamweb.net

بِغْضَة[١] وعداوة؛ أي: اعدِلوا على الوليِّ والعدوِّ عدلًا[٢] واحدًا.

وقيل في هذه الآية: إنها أيضًا[٣] في الشهادة في الحقوق[٤]. وقيل: في الشهادة لأمر الله تعالى بأنه[٥] حقّ[٦]. وقيل: معناه[٧]: قوموا في كل ما يلزَمكم القيامُ فيه[٨] من الأمر بالمعروف والعمل به، والنهي عن المنكر وتجنُّبه[٩].

(١) البِغْضَة ـ بكسر الباء ـ: شدة البغض. القاموس المحيط (ص٨٢٢ بغض).

(٢) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «عدولًا».

(٣) في (ك): «أيضًا إنها»، بتقديم «أيضًا» وتأخير «إنها».

(٤) في (ب): «بالحقوق». قلت: نسب الماوردي هذا القول في تفسيره (١: ٤٥١) إلى الحسن. والمراد بالحقوق هنا حقوق الناس كما في تفسير الماوردي.

(٥) في (أ): «أنه».

(٦) لم أجد هذا القول إلا أن الماوردي ذكره من غير نسبة إلى أحد.

(٧) هذا المعنى الثالث لم يذكره الماوردي، وإنما ذكر (١: ٤٥١) معنًى آخر بدله، وهو: الشهادة بما يكون من معاصي العباد. وفي تفسير الخازن (٢: ٢٣): «ومعنى ذلك: هو أن يقوموا لله بالحق في كل ما يلزمهم القيام به من العمل بطاعته واجتناب نواهيه».

(٨) في (ب): «منه».

(٩) في آخر المطاف نرى أن المؤلف رحمه الله تطرَّق إلى قضايا تفسيرية وتوسَّع فيها وخرج عن دائرة الجواب للسؤال المطروح، وهو لماذا قُدِّم «القسط» في سورة النساء، وأُخِّر في سورة المائدة؟ وقد أجاب عن هذا السؤال أبو حيان وأجاد في التوضيح (٤: ١٩٦) فقال: «وهذا من التوسُّع في الكلام والتفنُّن في الفصاحة، ويلزم مَن كان قائمًا لله أن يكون شاهدًا بالقسط، ومَن كان قائمًا بالقسط أن يكون شاهدًا لله، إلا أن التي في النساء جاءت في معرض الاعتراف على نفسه ووالديه وأقاربه، فبُدِئ فيها بالقسط الذي هو العدل في القضاء من غير محاباة نفسٍ ولا والدٍ ولا قرابةٍ، والآيةُ التي في المائدة جاءت في معرض ترك العداوة، فبُدِئ فيها بالأمر بالقيام لله؛ لأنه أردعُ للمؤمنين، ثم أردف بالشهادة بالعدل، فالتي في معرض المحبة والمحاباة بُدِئ فيها بما هو آكدُ وهو القسط، وفي معرض العداوة والشنآن بُدِئ فيها بالقيام لله، فجيء في كل معرض بما يناسبه».

إسلام ويب islamweb.net

[٣٥] الآية الخامسة منها[١]:

قوله عز وجل: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٩].

وقال في سورة الأحزاب [٥٤]: ﴿إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾.

للسائل أن يسأل عن الآية الأولى: لِمَ خُصَّ فيها «خير»[٢]، ولِم عمَّ في الثانية بلفظ[٣] «شيء»[٤]؟

والجواب أن يقال: إنما خُصَّ في هذا الموضع الخيرُ بالإبداء لأنه بإزاء السوء الذي قال فيه: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ [النساء: ١٤٨]، والمعنى: لا يحب الله أن يَجهر بالقول السيئ غيرُ المظلوم، وهو أن يدعو على مَن ظلمه[٥]، أو[٦] أن[٧] يُخبِر بظلمه له[٨]، أو أن[٩] ينتصر

(١) «منها» ليست في (ع)، وفي (ك): «من سورة النساء».
(٢) في (ع): «﴿خَيْرًا﴾». (٣) «بلفظ» ليست في (أ، ع).
(٤) في (ع): «﴿شَيْـًٔا﴾». وفي (ك): «وعن الثانية لِمَ عمّ بلفظ شيء».
(٥) هذا قول ابن عباس رضي الله عنه، رواه عنه ابن جرير في تفسيره (٦: ١) بلفظ: «لا يحب الله أن يدعو أحد على أحد إلا أن يكون مظلومًا، فإنه قد أرخص له أن يدعو على مَن ظلمه، وذلك قوله: ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾، وإن صبر فهو خير له».
(٦) في (ك): «الواو» بدل «أو». (٧) «أن» ليست في (أ، ع).
(٨) هذا قول مجاهد كما في تفسير الماوردي (١: ٤٣١)، وتفسير ابن الجوزي (٢: ٢٣٨). وفي تفسير الطبري (٦: ٢) عن ابن أبي نَجيح عن مجاهد قال: «هو الرجل يَنزل بالرجل فلا يُحسِن ضيافتَه، فيخرج مِن عنده فيقول: أساء ضيافتي ولم يُحسِن».
(٩) «أن» ليست في (ب، ك)، وفي (ع): «لمن».

إسلام ويب
islamweb.net

منه[١] بسوء مقاله فيه، فقال: إن أبديتم ثناءً وذكرًا جميلًا لمن[٢] يستحقُّهما، أو أخفيتموهما[٣]، أو سكتُّم عمّن أساء إليكم بالعفو عنه؛ فإن الله مع قدرته كثيرُ العفو عن خليقته[٤]، فاقتضت في هذه الآية[٥] المقابَلةُ: أن يُجعَل بإزاء[٦] السوء الخيرُ.

وأمّا في الآية التي في الأحزاب[٧] فلأنّ[٨] قبلها تحذيرًا[٩] من إضمار ما لا يحسُن إضماره في[١٠] قوله عز وجل: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ [الأحزاب: ٥١]، وقولِه: ﴿وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، فاقتضى هذا المكانُ العمومَ[١١]،

---

(١) هذا قول الحسن والسدي كما في تفسير الماوردي (١: ٤٣١)، وتفسير ابن الجوزي (٢: ٢٣٨). وفي تفسير الطبري (٦: ٣) عن السدي: «﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ﴾ يقول: إن الله لا يحب الجهر بالسوء مِن أحد من الخلق، ولكن مَن ظُلِم فانتصر بمثل ما ظُلِم فليس عليه جُناحٌ».

(٢) في (أ): «لم».

(٣) في (أ): «أخفيتموها»، وفي (ب، ع): «أخفيتموه»، والمثبت من (ك، ر).

(٤) في (ع): «خلقه»، والخلْق والخليقة بمعنًى واحدٍ، يُراد بهما جميع الخلائق. لسان العرب (١٠: ٨٦ خلق).

(٥) في (ب، ك، ع): «في هذا المكان».

(٦) في (ع): «إزاء».

(٧) في (أ، ب، ع): «في الآية الثانية»، والمثبت من (ك).

(٨) في (ب، ع): «فإن»، وفي (ح، خ، ر): «فكان».

(٩) في (ع): «تحذيرٌ»، وهو خطأ.

(١٠) «في» سقطت من (أ).

(١١) يشير إلى أن لفظ «الشيء» من ألفاظ العموم. وقال ابن جماعة (ص١٤٣): «وآية الأحزاب في سياق علم الله تعالى بما في القلوب؛ لتقدُّم قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمۡ﴾، ولذلك قال: ﴿شَيۡـٔٗا﴾؛ لأنه أعمُّ من الخاص».

إسلام ويب islamweb.net

فقال تعالى: إن تُبدوا ممّا حذَّركم الله[١] شيئًا أو تُخفوه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا﴾ لم يزَل عليمًا بما[٢] يكون كعلمه بما كان.

انقضت سورة النساء عن خمس آيات، وسبع[٣] مسائل[٤].

(١) لفظ الجلالة ليس في (ع)، وفي (ب): «حذّرتكم».
(٢) في (ب): «لا» بدل «بما»، وهو خطأ.
(٣) في (ك، ر، ح، خ): «فيها» بدل «وسبع».
(٤) بعد عدِّ المسائل التي مرّت في هذه السورة وجدت أن المؤلف رحمه الله تناول ثماني مسائلَ، منها مسألتان في الآية الأولى، ومسألتان في الثانية، ومسألتان في الثالثة، ومسألة واحدة في الرابعة، ومسألة واحدة في الآية الخامسة، وبذلك يكون عدد المسائل المتناولة ثماني، وليس سبعًا.

إسلام ويب
islamweb.net

سورة المائدة[١]

[٣٦] الآية الأولى منها:

قولـه عز وجل: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ [المائدة: ٩].

وقال في آخر سورة الفتح [٢٩]: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾.

للسائل أن يسأل فيقول[٢]: لِمَ رُفِع قوله[٣]: ﴿مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ في الآية الأولى، ونُصِب[٤] في الثانية؟

والجواب أن يقال: لقوله تعالى: ﴿لَهُم﴾ في الأولى[٥]، وقوله[٦]: ﴿مِنۡهُم﴾ في الثانية [فائدة][٧]؛ وذلك أنه لمّا قال في الأولى[٨]: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

---

(١) في (ع): «سبع آياتٍ».
(٢) هكذا في (ب، ك)، وفي (أ): «للسائل أن يقول».
(٣) «قوله» زيادة من (ح، خ، ر، س).
(٤) هكذا في النسخ السابقة، وفي (أ): «ونصبها»، وفي (ب، ك): «ونصبا»، وفي (ع): «ونصبهما».
(٥) في (أ): «في الآية».
(٦) «قوله» زيادة من (ح، خ، د).
(٧) هذه الزيادة غير موجودة في النسخ المخطوطة، ولا بد منها، ولذا أثبتُّها من المطبوعة.
(٨) «في الأولى» سقطت من (ب، ع).

إسلام ويب islamweb.net

وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ عُلِم[١] أنهم وُعِدوا بما[٢] هو حق لهم، فعدَل عن ذكر المفعول إلى جملة تضمّنت معناه، والجملة[٣] ابتداء وخبر، وهي في موضع مفرد منصوب، كأنه قال: وعد الله الذين آمنوا مغفرةً[٤].

ومثله قول الشاعر:

وجَدْنا الصالِحِينَ لهم جزاءٌ وجنّاتٍ وعينًا سَلْسَبِيلا[٥]

(١) في (ك): «علموا».

(٢) في (ب، ك): «ما».

(٣) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «فالجملة»، وفي (ك): «عن الجملة».

(٤) وجَّه هذا المعنى القرطبيُّ في تفسيره (٦: ١١٠) فقال: «ولمّا كان الوعد من قبيل القول حسُن إدخالُ اللام في قوله: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾، وهو موضع نصبٍ؛ لأنه وقع موقع الموعود به، على معنى: وعدهم أن لهم مغفرة، أو وعدهم مغفرة، إلا أن الجملة وقعت موقع المفرد». وذكر الطبري (٦: ١٤٣) تقدير «أنْ» في معنى الآية فقال: «معنى الكلام: وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن يغفر لهم ويأجرهم أجرًا عظيمًا؛ لأن من شأن العرب أن يُصحِبوا الوعد «أنْ» ويُعمِلوه فيها، فتُرِكت «أنْ» إذ كان الوعد قولًا، ومن شأن القول أن يكون ما بعده من جمل الأخبار..». وكلمة «مغفرة» سقطت من (ب).

(٥) استشهد به سيبويه في الكتاب (١: ٢٨٨) في حذف الفعل الناصب لـ«جنات» وما بعده، والتقدير: وجدنا لهم جناتٍ وعينًا... وقال: «لأن الوجدان مشتمل في المعنى على الجزاء، فحمل الآخِر على المعنى، ولو نصب الجزاء.. لَجاز». ونسبه إلى عبد العزيز الكلابي، وهو عبد العزيز بن زرارة الكلابي: أحد شعراء العرب وأشرافهم، توفي في عهد معاوية. والبيت موجود في المقتضب للمبرد (٣: ٢٨٤)، وغرائب التفسير للكرماني (١: ٣٤٣)، والبرهان له (ص١٦٠)، وتفسير القرطبي (٦: ١١٠). وكان الظاهر رفع «جنات» وما بعدها عطفًا على «جزاء»، ولكن «جنات» هاهنا في رأي المؤلف عُطِفت على محلّ «لهم جزاءٌ». قال الراغب في المفردات (ص٤١٨) في معنى «سلسبيلا»: «أي: سهلًا لذيذًا سَلِسًا حديدَ الجِرية، وقيل: هو اسم عينٍ في الجنة».

إسلام ويب
islamweb.net

كأنه قال: وجدنا للصالحين جزاءً وجناتٍ و[١] عينًا، فاللام في «لهم» داخلة على[٢] ضمير «الصالحين» فكأنها داخلة عليهم، وكأنه قال: وجدنا للصالحين جزاءً، وعطف على موضع الجملة التي هي «لهم جزاءٌ» منصوبًا[٣]، إذ كان موضعُ[٤] الجملة موضعَ نصب.

وأمّا الآية الأخرى فإنّ ﴿مِنْهُم﴾ فيها متعلِّقة بـ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ ومن[٥] تمامها، ولم يكن هناك ما ترتفع ﴿مَّغْفِرَةً﴾ به[٦]، فتعدّى[٧] إليها الفعل الذي هو ﴿وَعَدَ﴾ فجرى على الأصل في نصب المفعول به[٨].

فإن قيل[٩]: كيف[١٠] يحتمل أن يُبعَّض، والقومُ الذين[١١] أخبر الله[١٢] عنهم بقوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ [الفتح: ٢٩] مع سائر ما وصفهم الله تعالى به[١٣]، وأثنى عليهم بذكره، كلُّهم وُعِدوا مغفرةً وأجرًا عظيمًا؟

---

(١) الواو ساقطة من (ب).
(٢) في (أ): «في».
(٣) المنصوب هنا «جنات».
(٤) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ، ب، ع): «وموضع».
(٥) في (ب): «وعن».
(٦) في (أ): «ما ترفع به مغفرة»، وفي (ب): «ما يرفع مغفرة به»، والمثبت من (ك، ح، خ، د، ر).
(٧) في (ك): «فيتعدى».
(٨) «به» سقطت من (أ).
(٩) في (أ، ك، ع): «قال»، والمثبت من (ب، ح، خ).
(١٠) في (ب): «فكيف».
(١١) في (ب): «الذي».
(١٢) لفظ الجلالة زِيد من (د).
(١٣) في (أ): «ما وصفهم به الله»، والمثبت من (ب، ك).

إسلام ويب islamweb.net

والجواب عن ذلك من وجهين:

أحدهما أن يقال: إنّ «مِن» في هذا المكان ليست للتبعيض، وإنما[١] هي لتبيين الجنس، كأنه قال: وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات الذين هم هم[٢]، كما قال: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج: ٣٠]؛ أي: اجتنبوا[٣] الرجس الذي هو الأوثان.

والجواب الثاني أن يكون التقييد للتحذير؛ لأنهم وإن علم الله تعالى منهم الثبات[٤] على ما هم عليه من العمل الصالح، فإنه لا يخلِّيهم من الأمر والنهي والوعد والوعيد، على معنى: دُوموا[٥] على ما أنتم عليه، فإنّ مَن دام منكم عليه فقد وعده الله تعالى مغفرةً وأجرًا عظيمًا[٦].

---

(١) في (ب، ك): «إنما» من دون الواو.

(٢) «هم» سقطت من (أ، ك، ع)، وأُثبِتت من (ب).

(٣) «اجتنبوا» ليست في (ب، ك، ع).

(٤) في (ب): «الثبات منهم».

(٥) في (ب، ك): «قوموا».

(٦) هذان الجوابان اللذان أوردهما المؤلف قد ذكرهما الزجاج في معاني القرآن فقال (٥: ٢٩): «﴿مِّنْهُمْ﴾ فيه قولان: أن تكون ﴿مِّنْهُمْ﴾ هاهنا ـ أي: في سورة الفتح ـ تخليصًا للجنس من غيره، كما تقول: أنفق نفقتك من الدراهم لا من الدنانير، المعنى: اجعل نفقتك من هذا الجنس، وكما قال تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ لا يريد أن بعضها رجس، وبعضها غير رجس، ولكن المعنى: اجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان، فمعنى الآية: وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات من أصحاب النبي ﷺ المؤمنين أجرًا عظيمًا، وفضَّلهم الله على غيرهم لسابقتهم، وعظَّم أجرهم. والوجه الثاني أن يكون المعنى: وعد الله الذين أقاموا منهم على الإيمان والعمل الصالح مغفرة وأجرًا عظيمًا». والقول الأول هو الأظهر والأشهر. يُنظَر: معاني القرآن للنحاس (٦: ٥١٨)، وتفسير القرطبي (٦: ٢٩٥).

إسلام ويب
islamweb.net

فإن قال قائل[١]: فلماذا[٢] خُصَّت الآيةُ الأولى بأن جُعِل مفعولُها الثاني جملةً، والآية الثانية مفعولُها مفردًا[٣]؟

قلت: لأنّ الأولى[٤] خطاب لقوم[٥] حثَّهم على توخِّي[٦] العدل فيما يحكمون به، وهو[٧] أعمُّ من حثِّ الصحابة الذين ذكرهم في آخر سورة الفتح، وأثنى عليهم بالشدة على الكفار، والرحمة للمؤمنين، وملازمة الركوع والسجود، وابتغاء رضوان الله، وأنّ مَثَلَهم ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾[٨] إلى آخر الآية[٩]، فخصَّ هؤلاء بصريح المغفرة وذكر أنه وعدهم ذلك.

وقال في الآية الأولى[١٠]: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، فكان إخبارًا عن وعده إياهم، ثم أتى بخبر ثانٍ فقال: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ على معنى: إن وافَوا[١١] بذلك ولم يُحبِطوه[١٢] بالسيِّئات، فجوَّز منهم هذا[١٣]، ولم يعلِّق

(١) «قائل» ليست في (ب، ك).
(٢) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «فلِمَ».
(٣) في (أ، ك، ع): «مفرد»، بالرفع، والمثبت من (ب).
(٤) في (أ): «لأن الأول»، وفي (ك): «إن الأولى».
(٥) في (أ): «لأهل».
(٦) أي: تحرّي، وفي القاموس المحيط (ص١٧٢٩ وخى): «توخّى رضاه: تحرّاه».
(٧) في (ك): «هم»، وهو خطأ.
(٨) قال الراغب في المفردات (ص٤٥٥): «شطْء الزرع: فروخ الزرع، وهو ما خرج منه، وتفرَّع في شاطِئَيه؛ أي: في جانبيه».
(٩) هي الآية [٢٩] من سورة الفتح.
(١٠) في (ب، ك): «في الأولى»، وفي (ع): «في الأول».
(١١) في (ب): «وفوا»، وفي (ط): «قاموا».
(١٢) في (ب): «وإن لم يحبطونه»، وفي (ك): «وإن لم يحبطوه».
(١٣) في (ب): «هذا منهم».

إسلام ويب islamweb.net

المغفرة بوعد فيُعدِّيه إليها[١].

وفي الآية الثانية حقَّق المغفرةَ[٢] لهم، وعدّى الفعلَ إليها، وكان كالحكم[٣] بأنهم يُوافُون الآخرة بأعمالهم الصالحة، وقد وعدهم الله تعالى عنها المغفرة والأجر العظيم. فلاقَ بكل آية ما خُصَّت به. فاعرفْه إن شاء الله تعالى.

[٣٧] الآية الثانية منها[٤]:

قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ [المائدة: ١٣].

وقال تعالى بعده[٥] في هذه السورة: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة: ٤١].

للسائل أن يسأل فيقول: لِمَ قال في الآية[٦] الأولى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾، وقال في الثانية[٧]: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾[٨]؟ وما الفرق بين الموضعين وبين اللفظين[٩] حتى اختصَّ كلٌّ واحدٍ منهما باللفظ الذي خُصَّ به[١٠]؟

---

(١) أي: لم يجعل المغفرة متعلقة بالوعد، ولذا لم يجعل فِعل «وعد» متعدّيًا إلى المغفرة.
(٢) من قوله: «بوعدٍ فيعديه» إلى هنا سقط من (أ).
(٣) هكذا في (ب، ح، خ، ر، س)، وفي (أ): «وكان الفعل»، وفي (ك): «وكان الحكم».
(٤) «منه» ليست في (ع)، وفي (ك): «من سورة المائدة».
(٥) «بعده» أُثبِتت من (ك).
(٦) «الآية» أُثبِتت من (خ، س).
(٧) في (ب، ع): «وفي الثانية»، والمثبت من (ك، ر).
(٨) من قوله: «للسائل أن يسأل فيقول» إلى هنا سقط من (ب).
(٩) في (ب، ك): «بين اللفظتين وبين الموضعين»، وفي (ع): «بين اللفظين وبين الموضعين».
(١٠) في (أ، ب، ع): «خصه»، والمثبت من (ك، ر).

إسلام ويب
islamweb.net

والجواب أن يقال[١]: إنّ الآية الأولى في اليهود الذين حرَّفوا ما أنزل الله تعالى من كلامه عمّا علموه[٢] تأويلًا له، فيكون[٣] هذا تحريفًا من جهة التأويل، وحرَّفوا أيضًا من جهة التنزيل[٤] كما قال: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨].

فقولُك: «عن» في كلام العرب موضوع لِما عدا الشيءَ[٥]، تقول: أطعمه عن[٦] جوعٍ وكساه عن[٧] عُرِيٍ[٨]، فكانوا يعْدُون[٩] بالكَلِم[١٠] تأويلَه الذي له،

(١) «أن يقال» ليست في (أ).
(٢) في (ك): «عملوه».
(٣) هكذا في (ب، ك، ر)، وفي (أ): «فكان».
(٤) يدل كلام المؤلف رحمه الله على أن التحريف الذي وقع منهم نوعان؛ (أ): تحريف الألفاظ بالتبديل والتقديم والتأخير والزيادة والنقص، كما حصل منهم تحريفٌ في قولهم موضع «حطّة»: حنطة. (ب): تحريف المعاني بالتأويل الباطل وحملِ الألفاظ على غير ما وُضِعت له. قال ابن عطية (٤: ٣٧٨): «واختلفوا في معنى قوله: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ﴾ فقال قومٌ منهم ابن عباس رضي الله عنهما: تحريفهم هو بالتأويل، ولا قدرة لهم على تبديل الألفاظ في التوراة، ولا يتمكَّن لهم ذلك، ويدل على ذلك بقاء آية الرجم، واحتياجهم إلى أن يضع القارئ يدَه عليها. وقالت فرقةٌ: بل حرَّفوا الكلام وبدَّلوه أيضًا، وفعلوا الأمرين جميعًا بحسب ما أمكنهم». ثم قال رحمه الله: «ألفاظ القرآن تحتمل المعنيين». يعني ابن عطية رحمه الله تعالى أن ألفاظ القرآن النازلة فيهم تتسع لكلا المعنيين المذكورين، لا أنها في ذاتها تقبل التبديل؛ لأنها محفوظة بحفظ الله تعالى.
(٥) ينظر: الكتاب لسيبويه (٤: ٢٢٦)، والصحاح للجوهري (٦: ٢١٦٧ عنن).
(٦) في (ب): «من».
(٧) في (ب): «من».
(٨) العُرْي ـ بالضم ـ: خلاف اللبس. القاموس المحيط (ص١٦٩٠ عري).
(٩) أي: يجاوزون، وفي القاموس المحيط (ص١٦٨٨ عدا): «عدا الأمرَ: جاوزه وتركه».
(١٠) الكلِم جمع كلمة. معاني القرآن للزجاج (٢: ١٦٠).

إسلام ويب islamweb.net

وتنزيلَه الذي جاء عليه إلى غيره ممّا هو باطل.

و«عن»(١) في هذا الموضع تقرُب من معنى(٢) «بعد»؛ لأنك تقول: أطعمه بعد جوعٍ وكساه بعد عُريٍ(٣)، إلا أن الأصل في هذا المكان أن تُستعمَل «عن»(٤)؛ لأنّ «بعد» قد تكون لِما تأخَّر زمانه عن زمان [غيره](٥) بأزمنة كثيرة وبزمنٍ واحد، و«عن» لِما جاوز الشيءَ إلى غيره وملاصقًا زمنُه لِزمنه(٦)، والمراد: إذا قال: أطعمه عن جوع، وسقاه عن عطشٍ، ليس يُراد به إلا أنه لمّا عطش سقاه، ولمّا جاع أطعمه(٧).

وأمّا الآية الثانية فهي في قوم من اليهود أخبر الله تعالى عنهم أنهم(٨) سمّاعون لِما تقُوله لِيكذبوا عليك، ويخبروا بخلاف ما تقوله عنك، وينقلوا كلامك إلى قومٍ آخرين لم يأتوك(٩).

ومعنى ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ يحتمل أن يكون المرادُ من(١٠)

---

(١) «عن» سقطت من (ب).
(٢) في (ب): «يقرُب معنى».
(٣) من قوله: «عن عُريٍ» إلى هنا سقط من (ك).
(٤) «عن» سقطت من (أ).
(٥) في النسخ كلها: «عن زمانه»، ولعل الصواب بزيادة «غيره».
(٦) من قوله: «بأزمنة كثيرة» إلى هنا سقط من (ك).
(٧) في (ك): «وأطعمه وقتَ حاجته»، وفي (ب): «إذا قال: أطعمه عن جوع وكساه عن عري، ليس يراد به إلا أنه لما جاع أطعمه ولمّا عَرِي كساه».
(٨) في (ك): «بأنه».
(٩) يعني اليهود الذين لم يحضروا مجالسَ رسول الله ﷺ بغضًا وكفرًا وعنادًا، يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾ [المائدة: ٤١].
(١٠) «من» سقطت من (أ).

إسلام ويب
islamweb.net

بعد موت النبي ﷺ لِيجعلوه على خلاف ما سمعوه منه، وهذا موضع «بعد» لا موضع «عن»؛ لأنه ليس يَعْدُوه إلى المحرَّف إليه فينفصل عمّا جاء عليه إلى الكذب مقارنًا له، وإنما ذلك بعده بأزمنة كثيرة يتوقَّعون مضيَّها لِيسهُل كذبُهم بعدها، ويكون التقدير: ﴿سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾؛ أي: ناوين تحريفَه[١] من بعد وقوعه مواقعَه، وحصوله مواضعَه، محرِّفين[٢] بمعنى ناوين التحريف، كقوله تعالى: ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗا﴾ [يوسف: ١٠٠]؛ أي: ناوين السجود[٣]، وكذلك: ﴿فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]؛ أي: ناوين الخلودَ[٤]، ومقدِّرين له، وهذا ظاهر في هذا[٥] المكان، لا يصلُح[٦] فيه إلا ما نطق القرآن به.

ويحتمل أن يكون المرادُ ما ذهب إليه أكثر أهل التفسير[٧]، وهو أن قومًا أرسلوا هؤلاء إلى النبي ﷺ في قصة زانٍ مُحصَنٍ فقالوا لهم: إن أفتاكم محمد

(١) هذا المعنى يدل على أن المؤلف رحمه الله جعل ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ﴾ حالًا من الضمير في ﴿سَمَّٰعُونَ﴾، قال السمين الحلبي في الدر المصون (٤: ٢٦٨): «قوله: ﴿يُحَرِّفُونَ﴾ يجوز أن يكون صفةً لـ﴿سَمَّٰعُونَ﴾؛ أي: سمّاعون محرفون، ويجوز أن يكون حالًا من الضمير في ﴿سَمَّٰعُونَ﴾، ويجوز أن يكون مستأنفًا لا محلّ له..».

(٢) في (ك): «فمحرفين».

(٣) أجمع المفسرون على أنّ سجود أسرة يوسف ـ عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم ـ له كان سجود تحيةٍ وتشريفٍ على عادة أهل ذلك الزمان، لا سجود عبادةٍ. يُنظَر: أحكام القرآن لابن العربي (٢: ٤٥٠)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣: ١١٠٦)، وتفسير القرطبي (٩: ٢٦٥).

(٤) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «الدخول»، والمثبت أليقُ بالمكان. والله أعلم.

(٥) «هذا» سقطت من (أ).

(٦) في (ب): «لا يصح».

(٧) في (ب): «أكثر المفسرين».

إسلام ويب islamweb.net

بالجَلد فخذوه[١]، وإن أفتاكم بالرَّجم فلا تقبَلوه[٢]. وقال قتادة[٣]: «كان هذا في[٤] قتيلٍ منهم فقالوا: إن أفتاكم محمد بالدية فاقبلوه، وإن أفتاكم بالقَوَدِ[٥] فاحذروه»[٦].

وكانوا حرَّفوا في القولين[٧] حُكمَ الله تعالى الذي في التوراة مِن بعد أن عُمِل به في مواضعه، ولم يحرِّفوه ساعةَ نزولِه ووجوبِ[٨] العمل به، وهذا[٩]

(١) في (أ، ب): «فحدّوه»، والمثبت من (ر)، وهو الذي جاء في قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ﴾ [المائدة: ٤١].

(٢) قال ابن الجوزي في تفسيره (٢: ٣٥٨): «هذا قول الجمهور». ومن هؤلاء المفسرين: ابن عباس وجابر رضي الله عنهم، والسدّي. وإلى ذلك ذهب الطبري في تفسيره (٦: ٢٣٦).

(٣) هو قتادة بن دِعامة ـ بكسر الدال المهملة ـ: أبو الخطاب السَّدوسي البصري التابعي، حافظ العصر، قدوة المفسرين والمحدِّثين. يُنظَر: تذكرة الحفاظ (١: ١٢٢)، وتهذيب التهذيب (٨: ٣٥١)، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي (١: ١: ٥٧).

(٤) «في» ليست في (أ).

(٥) القَوَد ـ بفتحتين ـ: القَصاص. المصباح المنير (٢: ٥١٩). وفي اللسان: «قتل النفس بالنفس». لسان العرب (٣: ٣٧٢ قود).

(٦) يدل على هذا المعنى ما جاء في صحيح مسلم (٣: ١٣٢٧، رقم ١٧٠٠)، كتاب الحدود، باب رجم اليهود، عن البراء بن عازب رضي الله عنه في حديثٍ طويل... وجاء فيه: «ائتوا محمدًا ﷺ، فإن أمركم بالتحميم والجَلد فخذوه، وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا».

(٧) أي: في قول الجمهور وقولِ قتادة، حيث إن الجمهور قالوا: إن الذي حصل كان في شأن قضية زانٍ محصنٍ، التي تحاكَمَ فيها اليهود إلى النبي ﷺ. وقول قتادة يدل على أن الذي حصل كان في قضية دماء، فلا تعارض بينهما؛ لأنه قد تكون هاتان القضيتان قد حصلتا في وقتٍ واحدٍ أو متقارب، وقد قرّر العلماء رحمهم الله أنه لا مانع مِن تعدُّدِ أسباب النزول للآية الواحدة، أو للطائفة من الآيات.

(٨) في (ك): «ووجب».

(٩) في (ع): «وهو».

إسلام ويب islamweb.net

معنى قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ﴾ [المائدة: ٤١].

وقيل: إن «هذا» إشارةٌ إلى دين(١) اليهود(٢)؛ أي: إن جاءكم محمد(٣) بدينكم فاقبلوه(٤)، وإن لم يأتِكم به فاحذروه. فقد بان الفرق بين الموضعين(٥)

(١) في (ب): «عين».

(٢) لم أعثر على نسبة هذا القول إلى أحدٍ فيما لديَّ من المصادر في التفسير. وقد ذكر أبو حيان (٤: ٢٦٢) في اسم الإشارة ثلاثة أقوال فقال: «الإشارة بـ«هذا» إلى التحميم والجَلد في الزنا، وقيل: إلى قبول الدية في أمر القتل، وقيل: إلى إبقاء عزّة النضير على قريظة، هذا بحسب الاختلاف المتقدِّم في سبب النزول».

(٣) «محمد» ليست في (أ).

(٤) في (ب): «فاقتلوه».

(٥) الموضع الأول هو قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة: ١٣]، والموضع الثاني قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة: ٤١]. وهناك موضع آخر لم يذكره المؤلف رحمه الله، يبيِّن الله تعالى فيه كما في الموضعين السابقين حالَ بعض أهل الكتاب الذين حرَّفوا كتابهم، وذلك في قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦]. وفي التعبير بقوله تعالى: ﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ في الموضعين إشارةٌ إلى إبعادهم للكلام عن مواضعه، إمّا تأويلًا لكلام التوراة بحمله على غير معناه الحقيقي، وإمّا إزالةً له بالكلّية، أو بإبدال كلمة بكلمةٍ أخرى. وفي التعبير بقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ إشارة إلى أن التحريف وقع منهم من بعد أن وضعه الله مواضعه؛ أي: فرَض فروضه وأحلَّ حلاله وحرَّم حرامه، قال الزمخشري في تفسيره (١: ٥٣٠): «فإن قلتَ: كيف قيل هاهنا ـ أي: في آية النساء ـ: ﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾، وفي المائدة: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾؟ قلتُ: أمّا ﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ فعلى ما فسَّرناه من إزالته عن مواضعه التي أوجبت حكمةُ الله وضعَه فيها بما اقتضت شهواتُهم من إبدال غيره مكانَه. وأمّا ﴿مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ فالمعنى: أنه كانت له مواضع هو قَمِنٌ ـ أي: جديرٌ ـ بأن يكون فيها، فحين حرَفوه تركوه كالغريب الذي لا موضع له بعد مواضعه ومقارِّه، والمعنيان متقاربان». وذهب أبو حيان =

إسلام ويب islamweb.net

بما بيَّنّاه[١]. والله أعلم.

[٣٨] الآية الثالثة منها[٢]:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [المائدة: ١٥].

وقال بعده: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖ﴾[٣] [المائدة: ١٩].

للسائل أن يسأل فيقول[٤]: نبَّه أهلَ الكتاب بمجيء الرسول ﷺ في الآية الأولى، وأخبَر أنه يبيِّن لهم كثيرًا ممّا يُخْفون من الكتاب ويعفو عن كثيرٍ، وقال في الآية الثانية: إنه قد[٥] جاء يبيِّن لهم[٦] .....

= في تفسيره (٣: ٦٦١) إلى أن الظاهر أنهم حيث وُصِفوا بشدة التمرُّد والطغيان وإظهار العداوة واشتراء الضلالة ونقض الميثاق جاء ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾، كأنهم حرَّفوها من أول وَهلةٍ قبل استقرارها في مواضعها، وبادروا إلى ذلك، ولذلك جاء أول المائدة كهذه الآية حيث وصفُهم بنقض الميثاق وقسوة القلوب، وحيث وُصِفوا باللين وترديد الحكم إلى الرسول جاء ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾، كأنهم لم يبادروا إلى التحريف، بل عرض لهم التحريف بعد استقرار الكلِم في مواضعها، فهما سياقان مختلفان. انظر: الدر المصون للسمين الحلبي أيضًا (٣: ٦٩٧).

(١) في (ع): «قدَّمناه».

(٢) «منها» ليست في (ع)، وفي (ك): «من سورة المائدة».

(٣) في (ع) إلى قوله: «﴿فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞ﴾».

(٤) في (أ): «للسائل أن يقول».

(٥) «قد» ليست في (ب، ك، ع).

(٦) في (ب، ك، ع): «لكم».

إسلام ويب
islamweb.net

على فترةٍ[١] من الرسل أن يقولوا[٢]: ما جاءنا من بشيرٍ ولا نذير[٣]، فهل ما ذُكِر من التبيين في الآية[٤] الثانية كان[٥] يجوز أن[٦] يقترن بالتبيين في الأولى[٧]؟ أم[٨] وجب لكلٍّ ما تَبِعه من الكلام؟

فالجواب أن يقال[٩]: إن قوله تعالى في الآية الأولى: ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ﴾ معناه: يبيِّن لكم كثيرًا مما في التوراة والإنجيل من وصف الرسول ﷺ وسائر ما يدعو إلى الدخول في الإسلام، ويترك كثيرًا ممّا حرَّفتموه، فلا يبيِّنه؛ لأنه ليس في ذكره ما يُلزِمكم حُجّةً ويجدِّد[١٠] لكم ملّة[١١]، فهذا التبيين[١٢] حقُّه التقديمُ للاحتجاج[١٣] به؛ .....

(١) أي: على زمن انقطاع من بعث الرسل، قال ابن الأثير في النهاية (٣: ٤٠٨): «الفترة ما بين الرسولين من رسل الله تعالى من الزمان الذي انقطعت فيه الرسالة».

(٢) في (ب، ع): «تقولوا».

(٣) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ، ب، ع): «ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير».

(٤) «الآية» أُثبِتت من (ب).

(٥) في (ك): «كما».

(٦) في (أ): «كان»، وهو خطأ.

(٧) في (أ، ب، ك، ع): «بالتنبيه الأول»، والمثبت من النسخ الأخرى، وهو الذي يناسب السياق.

(٨) في (ع): «أو».

(٩) «أن يقال» أُثبِتت من (خ، ر).

(١٠) في (ب): «ويدع»، وهو خطأ.

(١١) أي: دينًا، قال الراغب في المفردات (ص٧٧٣): «الملّة كالدين.. والفرق بينها وبين الدين: أن الملة لا تضاف إلا إلى النبي ﷺ الذي تُسنَد إليه».

(١٢) يعني بالتبيين هنا بيان وصف الرسول ﷺ لأهل الكتاب الذين كُلِّفوا بالإيمان به. وفي هذا الكلام إشارة إلى قاعدةٍ أصولية وهي: لا يجوز تأخير بيان الخطاب عن وقت الحاجة؛ لأن في ذلك إيقاع المكلَّف في الحيرة. يُنظَر: التمهيد في أصول الفقه لأبي الخطاب الحنبلي (٢: ٢٩٠)، والمختصر في أصول الفقه لابن اللحام (ص١٢٩).

(١٣) في (ك): «والاحتجاج».

إسلام ويب islamweb.net

ولذلك[١] رَدِفه[٢] قولُه: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ﴾ [المائدة: ١٥] يعني النبي ﷺ؛ أي: يهديكم إلى منافع دينكم كما تهتدون بالنور إلى منافع دنياكم[٣].

وأما الآية الثانية التي بعدها فمعناها: جاءكم رسولنا يبيِّن لكم على حينِ دُروسٍ[٤] ممّا كانت[٥] الرسل أتَوا به ممّا[٦] يُلزِمكم في دينكم احتجاجًا عليكم، وقطعًا لِعذركم لئلا تحتجُّوا بأنه لم يجِئْكم مَن يبشِّركم[٧] بالثواب ويخوِّفكم من العقاب، فالأول احتجاج لِنبوّة النبي ﷺ، وبعد تثبيته[٨] تبيينُ الداعي إلى بَعثته[٩]، وهو ما ذُكِر في الآية الثانية.

[٣٩] الآية الرابعة منها[١٠]:

قوله تعالى: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٧].

(١) في (ب): «وكذلك».

(٢) أي: تبعه، وفي (ك): «أتبعه».

(٣) في (ب): «دينكم». ومن قوله: «يعني النبي ﷺ» إلى هنا سقط من (ك).

(٤) أي: على ذهاب الأثر، يقال: درَس يدرُس درسًا ودروسًا: عفا وذهب أثره، وتقادم عهده. المعجم الوسيط (ص٢٧٩).

(٥) في (ب): «ما كان»، وفي (ع): «مما كان».

(٦) في (ر): «ما».

(٧) هكذا في أكثر النسخ، وفي (ب): «بشَّركم... وخوَّفكم»، بصيغة الماضي.

(٨) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «تبيينه»، وفي (ع): «تبيينه يُبيِّنُ».

(٩) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «بعثه».

(١٠) «منها» ليست في (ع)، وفي (ك): «من سورة المائدة».

إسلام ويب islamweb.net

وقال بعدها: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [المائدة: ١٨].

للسائل(١) أن يسأل عن شيئين في هاتين الآيتين المتصلة إحداهما(٢) بالأخرى؛ **أحدهما**: عن تكرار قوله: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾، **والثاني**: صلة الأول(٣) بقوله: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾، وصلة الثاني(٤) بقوله: ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾، وله أن يسأل عن قوله: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُمْ﴾ في سورة الفتح [١١] بزيادة ﴿لَكُمْ﴾ هناك(٥)، وحذفها هنا.

والجواب أن يقال: إن الآية(٦) في سورة الفتح نزلت في قومٍ تخلَّفوا عن رسول الله ﷺ من غير عذرٍ، وتأخَّروا عن الجهاد، وقالوا: شغلتنا أموالنا وأهلونا، ثم سألوه عليه السلام أن يستغفر لهم، يكتمون بذلك نفاقهم، ويُظهِرون وِفاقهم، وقصدُهم استمالتُه كيلا تضُرَّهم عداوتُه، فقال عز وجل: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا﴾ [الفتح: ١١]، ومن يملك لكم ضرًّا إن أراد بكم نفعًا؟ فلمّا كان في قومٍ مخصوصين احتيج إلى ﴿لَكُمْ﴾ للتبيين، فأما في هذه السورة(٧) فإنها لم تنزل لفريقٍ مخصوص(٨) دون فريق بل عمَّ بها، دليلُه: ﴿إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى

(١) في (ك): «وللسائل».
(٢) في (ب): «أحدهما».
(٣) في (ك): «الأولى».
(٤) في (ك): «الثانية».
(٥) ليست في (ع).
(٦) في (ع): «هذه الآية».
(٧) أي: في سورة المائدة.
(٨) في (ع): «مخصوصين».

إسلام ويب islamweb.net

﴿ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ١٧]، فلمّا كانت(١) الآية للعموم لم تحتجْ إلى ﴿لَكُم﴾ التي للخصوص(٢).

والجواب عن التكرار أن يقال: إن الآية الأولى في النصارى خاصة، وهم الذين لمّا(٣) قالوا في عيسى عليه السلام: إنه إله، والإلهُ واحد(٤)، صاروا كأنهم قالوا: الله هو المسيح(٥) ابن مريم(٦)، فردَّ الله تعالى ذلك(٧) عليهم بما دلَّ به على أن عيسى(٨) عبدٌ مخلوق مملوك لله، ليس بابنٍ(٩) له، ولا بإلهٍ؛ لأن أحدًا لا يملك أن يدفع عن المسيح وأُمِّه وسائرِ(١٠) مَن في الأرض من الخلق

(١) في (ع): «سِيقت».

(٢) لم تذكر بعض النسخ (ح، خ، ر، ز، س) السؤال الذي يتعلَّق بوجود لفظة ﴿لَكُمْ﴾ في سورة الفتح دون سورة المائدة والجواب عنه. وسنعلِّق ـ إن شاء الله تعالى ـ على هذا الموضوع عند تحقيقنا لِما يتعلَّق بهذه المسألة في سورة الفتح. وانظر من هذا الكتاب (٣: ١٧٣).

(٣) «لمّا» أُثبِتت من (ب).

(٤) «والإلهُ واحد» ليست في (ع).

(٥) سُمِّي عيسى ـ عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم ـ بالمسيح، واختُلف في سبب تسميته به، قيل: فعيل بمعنى فاعل؛ للمبالغة في مسحه الأرضَ بالسياحة، فلا يستوطن مكانًا، أو مسحه ذا العاهة لِيبرأ، أو بمعنى مفعول؛ أي: ممسوح؛ لأن الله تعالى مسحه بالبركة، أو طهَّره من الذنوب. المفردات للراغب (ص٧٦٧)، وزاد المسير لابن الجوزي (١: ٣٨٩).

(٦) قال الكرماني في غرائب التفسير (١: ٣٢٤): «هو قولهم ـ لعنهم الله ـ بالأقانيم ـ وهي استعمال عند المسيحيين للدلالة على الثالوث الأقدس ـ فأقنوم الآب، وأقنوم الابن، وأقنوم الحياة، ويسمونها روح القدس، وقالوا: إن الابن لم يزل مولودًا من الآب، ولم يزل الآب والدًا للابن، ولم تزل الروح منبثقة بين الآب والابن، والمسيح لاهوت وناسوت؛ أي: إله وإنسان».

(٧) «ذلك» سقطت من (أ، ع).

(٨) في (ك): «المسيح».

(٩) في (ر): «مملوك» بدل «بابن»، وفي (ك): «ليس هو بابن».

(١٠) في (ك): «وعن سائر».

إسلام ويب
islamweb.net

ما يريد الله تعالى إيقاعَه بهم من موت أو هلاك، ولا المسيحُ يملك ذلك، فدلَّ هذا على أنه مخلوق، وأن الله تعالى له ملك السماوات والأرض وما بينهما، والمسيحُ مِن[١] جملته مملوك مدبَّر، ولو كان إلهًا لَكان شريكًا لله تعالى[٢]، ولم[٣] يكن لله تعالى ملكُ السماوات والأرض[٤].

فالقصد بذكر مُلك السماوات والأرض وما بينهما في الآية الأولى: أن يبيِّن أن المسيح مخلوق ومملوك ليس بإلهٍ ولا بابنِ الله[٥]، إذ لو كان إلهًا ـ كما زعموا ـ لَما كان[٦] الله مالِكًا لجميع السماوات والأرض وما بينهما، ولَما تهيَّأ إهلاكُ المسيح، وكان[٧] هذا احتجاجًا عليهم خاصةً بأنه مخلوق وأن الله يخلق ما يشاء من أمثاله بدلالة أنه قادر على إهلاكه، وفي ذلك جواب عن المسألة الثانية، وهي صلة الأولى[٨] بقوله: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾.

وأمّا الآية الثانية وهي قوله[٩]: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ فرُوِي[١٠] عن ابن عباس[١١] رضي الله عنه.....

(١) في (ك): «في» بدل «من».
(٢) في (ع): «له».
(٣) في (ر): «فلم».
(٤) من قوله: «ولم يكن لله تعالى» إلى هنا سقط من (أ).
(٥) في (ك): «ليس بابن ولا بإله».
(٦) في (أ، ك، ع): «لم يكن»، والمثبت من (ب).
(٧) في (ك): «فكان».
(٨) أي: الآية الأولى.
(٩) «قوله» ليست في (ك).
(١٠) في (ك): «ويروى».
(١١) هو عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، أبو العباس، ابن عم رسول الله ﷺ، حبر الأمة، ترجمان القرآن، وُلد بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين، وتوفي بالطائف سنة (٦٨هـ). أسد الغابة لابن الأثير (٣: ٢٩٠)، وسير أعلام النبلاء (٣: ٣٣١).

إسلام ويب islamweb.net

أن جماعةً[١] من اليهود حين حذَّرهم النبي ﷺ نِقمات[٢] الله وعقوباته قالوا: لا تخوِّفنا، فإنّا أبناء الله وأحبّاؤه[٣].

وقيل: إن اليهود تزعم[٤] أن الله تعالى أوحى إلى إسرائيل أن ولدك بِكري[٥] من الولد[٦].

(١) في (ب): «سماعه»، وهو خطأ.

(٢) أي: عقوبات الله تعالى، تقول اللغة: النِّقمة ـ بكسر النون وسكون القاف ـ وتُجمَع على نِقَم، مثل: سِدرة وسِدَر. والنَّقمة ـ بفتح النون وكسر القاف ـ وتُجمَع على نَقِمات، مثل: كلِمة وكلِمات، ومعناهما: العقوبة. المصباح المنير (٢: ٦٢٣)، ولسان العرب (١٢: ٥٩٠ نقم).

(٣) هذا الأثر أخرجه الطبري (٦: ١٦٤) من طريق محمد بن إسحاق، وأورده الماوردي في تفسيره (١: ٤٥٣)، وهو في تفسير ابن كثير (٢: ٥٦) وعزاه إلى ابن جرير وابن أبي حاتم. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣: ٤٤) ونسبه إلى ابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) في الهامش الأيسر من (ر): «تزعم اليهود أن الله تعالى قال في التوراة: إسرائيل بِكري».

(٥) قال ابن الأثير في النهاية (١: ١٤٩): «بِكر الرجل ـ بالكسر ـ: أولُ ولده». وفي اللسان (٤: ٧٨ بكر): «وبِكر كل شيء: أوله... والبِكْرُ: أول ولد الرجل، غلامًا كان أو جارية، وهذا بِكر أبويه؛ أي: أول ولد يُولَد لهما». وقال ابن قتيبة في مختلف الحديث: «بِكري؛ أي: هؤلاء لي بمنزلة أول أولاد الرجل للرجل، وهو بكر؛ أي: أول من اخترته».

(٦) هذا قول السدي، وهو في تفسير الماوردي (١: ٤٥٣)، وأورده ابن كثير في تفسيره (٢: ٥٦) وعزاه إلى ابن أبي حاتم وابن جرير، وهو في تفسير الطبري (٦: ١٤٦)، وجاء في تفسير البغوي (٢: ٢٣): «قال إبراهيم النخعي: إن اليهود وجدوا في التوراة: يا أبناء أحباري، فبدَّلوا: يا أبناء أبكاري، فمن ذلك قالوا: نحن أبناء الله». وقال ابن عطية (٤: ٣٩٤): «وذكروا أن الله تعالى أوحى إلى بني إسرائيل أن أول أولادي بِكري، فضلُّوا بذلك، وقالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه. ولو صح ما رووا لَكان بِكرًا في التشريف أو النبوة ونحوه». وقال صاحب المنار (٦: ٣١٤) بعد أن نقل عبارات مِن كتب اليهود والنصارى ممّا يدل على استعمال «الابن» فقال: «فعُلِم من هذه النصوص وأشباهها أن لفظ «ابن الله» يُستعمَل في =

إسلام ويب islamweb.net

وقال الحسن[(١)]: إنما قالوا ذلك على معنى قُرب الولد من الوالد[(٢)]. والنصارى تأوَّلوا[(٣)] ما في الإنجيل من قوله[(٤)]: أذهب إلى أبي وأبيكم[(٥)].

وقيل: بل[(٦)] لمّا[(٧)] قالوا: المسيح ابن الله، أجرى على القائلين بذلك[(٨)] مِثلَ ما تُجري العربُ على الواحد من هُذَيل[(٩)]، إذ[(١٠)] قالوا: نحن الشعراء،

= كتب القوم بمعنى حبيب الله الذي يعامله الله معاملة الأب لابنه من الرحمة والإحسان والتكريم... وإنما تحكَّم النصارى بهذا اللقب فجعلوه بمعنى الابن الحقيقي بالنسبة إلى المسيح».

(١) هو الحسن بن أبي الحسن، أبو سعيد، التابعي البصري، وُلد لِسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وتوفي سنة (١١٠هـ)، وهو الإمام المشهور المُجمَع على جلالته. تهذيب الأسماء واللغات للنووي (١: ١: ١٦١)، وسير أعلام النبلاء (٤: ٥٦٣).

(٢) أورده الماوردي في تفسيره (١: ٤٥٤).

(٣) في (ب): «قالوا».

(٤) أي: من قول عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

(٥) أورد هذا القول الماوردي في تفسيره (١: ٤٥٤) ولم ينسبه إلى أحد. وهو منسوب إلى الحسن كما ذكر في مجمع البيان للطبرسي (٣: ٢٧٢)، وروح المعاني للآلوسي (٦: ١٠١). وقال القرطبي (٦: ١٢٠): «قال غيره ـ أي غير السدي ـ: والنصارى قالت: نحن أبناء الله؛ لأن في الإنجيل حكاية عن عيسى: أذهب إلى أبي وأبيكم».

(٦) «بل» ليست في (ك).

(٧) «لما» ليست في (أ).

(٨) في (ب): «على ذلك».

(٩) هُذيل: أصله هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر، والمراد هنا: بنوه، وهم قبيلة كبيرة، كانوا أكثر سكان «وادي نخلة» المجاور لمكة، ولهم منازل بين مكة والمدينة. قال ابن حزم: «وفي هذيل نيف وسبعون شاعرًا مشاهير». جمهرة الأنساب لابن حزم (ص١٨٥-١٨٧). وانظر: لسان العرب (مادة هذل)، والأعلام (٨: ٨٠).

(١٠) في (ع): «إذا».

إسلام ويب islamweb.net

والمراد: منّا[١]، وكما يُجري رهْطُ مُسَيْلمة[٢] هذا الإطلاقَ على[٣] قبيلتهم فيقولون: نحن الأنبياء، لمّا[٤] قال واحد منهم ذلك وتابعه الباقون عليه[٥].

فلمّا كان هذا مقال الفريقين[٦] ردَّ الله تعالى عليهم قولهم مع اعترافهم بأنهم يُعذَّبون بذنوبهم[٧]، إذ لو لم يقولوا ذلك لأباحوا ارتكاب الفواحش[٨]، فقال: ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ والأبُ المشفق على ولده لا يعذِّبه، وكذلك

(١) أي: منّا شعراء، كما لو قالوا: هذيل شعراء؛ أي: فيهم شعراء، وعلى هذا لمّا قال النصارى: المسيح ابن لله، كان معنى قولهم: «نحن أبناء الله»؛ أي: منّا ابن الله. يُنظَر: زاد المسير لابن الجوزي (٢: ٣١٨).

(٢) أي: عشيرة مسيلمة الكذّاب الذي ادّعى النبوة، وفي اللغة: رهط الرجل: عشيرته وقبيلته، لا واحد له من لفظه. يُنظَر: القاموس المحيط (ص٨٦٢)، ولسان العرب (٧: ٣٠٥، ٣٠٦ رهط).

(٣) في (أ، ب، ع): «عن»، وفي (ك): «في»، والمثبت من (ح، خ، ر، س).

(٤) في (ك): «كما».

(٥) إجراء قول الواحد من الجماعة على جميعهم من أسلوب العرب، قال الطبري في تفسيره (٦: ١٦٤): «والعرب قد تُخرج الخبر إذا افتخرت مُخرج الخبر عن الجماعة، وإن كان ما افتخرت به من فعل واحد منهم، فتقول: نحن الأجواد الكرام، وإنما الجواد فيهم واحد منهم... فكذا أخبر الله عز ذكرُه عن النصارى أنها قالت ذلك على هذا الوجه..».

(٦) في (ك): «فرقتين»، وفي (ع): «الفرقتين».

(٧) حيث إن اليهود اعترفت وقالت: إن الله يعذبنا أربعين يومًا عددَ الأيام التي عبدنا فيها العجل، قال تعالى حكاية عنهم: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠].

(٨) بمعنى أنهم أقرُّوا بعذاب الله تعالى بقولهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾، وهذا يتنافى مع العلاقة التي يزعمونها وهي البنوّة؛ لأن الأب لا يعذِّب ولدَه، والحبيب لا يعذِّب حبيبه. وإن أنكروا اعترافهم بهذا العذاب ولم يقولوا ذلك لأصبحوا مكذِّبين بما في كتبهم، وما جاءت به رسلهم، فيكونوا بذلك قد أباحوا المعصية وهم معترفون بعذاب العصاة منهم، فلا يخلون من أحد هذين الوجين، فردّ الله تعالى عليهم فقال: ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾. يُنظَر: تفسير القرطبي (٦: ١٢٠، ١٢١).

إسلام ويب
islamweb.net

الحبيب لا يعذِّب حبيبَه[١]، فكان هذا احتجاجًا عليهم بما يعتقدون صحتَه من عذاب الآخرة، فإنكم[٢] لستم لله تعالى بأبناء[٣] ولا أحبّاء.

ثم قال: وهو المتفرِّد[٤] بملك السماوات والأرض وما بينهما[٥]، وإنه[٦] لا ولد له ولا نظير ولا شريك له[٧]، إذ لو ثبَت له[٨] ذلك ـ تعالى الله[٩] عنه ـ لَما كان مالكًا لجميعه.

فلمّا احتجَّ على إبطال قولهم بما يعتقدون صحتَه من عذاب المُذنِب منهم ـ وذلك من أحوال الآخرة ـ ثم احتجَّ بملكه السماواتِ والأرضَ على ذلك؛ قرَن[١٠] إليه قولَه: ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾؛ أي: مآلُ الخلق إلى[١١] ألا يملك أحدٌ لهم[١٢] نفعًا ولا ضرًّا غيره تعالى[١٣]. وفي هذا جواب المسألة الثانية[١٤] من اقتران ما اقترن بذكره مُلكَ السماوات والأرض وما بينهما في[١٥] الآيتين.

---

(١) في (ب، ع): «من يحبه».
(٢) في (ب، ك، ع): «وإنكم».
(٣) في (ع): «لستم بأبناء».
(٤) في (أ، ب، ك): «المنفرد»، والمثبت من (ح، خ، ر، س).
(٥) يشير إلى معنى قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [المائدة: ١٨].
(٦) في (أ): «فأنه».
(٧) «له» ليست في (ك، ع).
(٨) «له» أُثبِتت من (ح، خ، ر، س).
(٩) لفظ الجلالة ليس في (ع).
(١٠) جواب «فلمّا».
(١١) في (ب): «إلا»، ولا وجه له.
(١٢) «لهم» ليست في (ك).
(١٣) أي: يؤول أمر العباد إلى الله تعالى في الآخرة، فلا يملك ضرَّهم ونفعَهم غيرُه.
(١٤) المسألة الثانية مكوَّنة من شقين، تقدَّم جواب الشق الأول، وهو ما جاء في صلة الآية الأولى. وهنا ذكر المصنف رحمه الله جواب الشق الثاني، وهو ما يتعلَّق بصلة الآية الثانية، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾.
(١٥) «في» سقطت من (أ).

إسلام ويب islamweb.net

[٤٠] الآية الخامسة منها[١]:

قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٠].

وقال في سورة إبراهيم [٦]: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾[٢].

للسائل أن يسأل فيقول: هل للتنبيه في الآية الأولى من سورة المائدة بقوله: ﴿يَٰقَوْمِ﴾ فائدةٌ لم يكن مثلُها في الخطاب الواقع في سورة إبراهيم لمّا لم يقل فيه: ﴿يَٰقَوْمِ﴾[٣]؟

والجواب أن يقال: إن تسمية المخاطَب بندائه[٤] مع الإقبال عليه يفيد مبالغةً في التنبيه له[٥].

---

(١) «منها» ليست في (ع)، وفي (ك): «من سورة المائدة».

(٢) في (ع) حتى قوله: «﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾».

(٣) صيغة السؤال في (أ): «للسائل أن يسأل عن هذا التنبيه... فائدة لم يكن مثلها في الخطاب الواقع من سورة إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ مع تركه»، وفي (ع): «للسائل أن يسأل عن هذا التنبيه في الآية التي في سورة المائدة بقوله: ﴿يَٰقَوْمِ﴾ هل فيه فائدةٌ لم يكن مثلُها في الخطاب الواقع في سورة إبراهيم مع تركه»، والمثبت من (ب، ك). وفي (ح، خ، ر): «لِم نبَّه بقوله: ﴿يَٰقَوْمِ﴾ في الآية الأولى دون الأخرى؟».

(٤) في (ب): «ببداية»، وهي خطأ.

(٥) يعني المؤلف رحمه الله أن التصريح باسم المخاطَب مع حرف النداء يدل على طلب الإقبال مع التنبيه على أن الذي يتلو حرفَ النداء معتنًى به جدًّا، كما في قوله تعالى: =

إسلام ويب
islamweb.net

فإذا قال القائل: افعلْ كذا يا فلانُ، فكأنه قال: أعنيك[١] بخطابي لا غيرَك ممّن يصحُّ أن ينصرف[٢] الخطابُ إليه، ألا ترى أنه إذا عَرِيَ من النداء[٣] صلَح لكلِّ مخاطَب، فإذا قارن النداءُ[٤] الأمرَ كان مقصورًا على صاحب الاسم الذي دخله حرفُ النداء، والمبالغةُ في التنبيه حقُّها أن تكون في الأهمِّ الأعمِّ نفعًا.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ﴾ يصحُّ أن يجاب عنه بجوابين[٥]:

أحدهما: أن يقال: لمّا نبَّههم على ما خصَّهم به من الإكرام لِيشكروه على هذه النِّعَم العِظام بأن جعل فيهم أنبياء مقيمين بين ظهرانَيْهم[٦]، يدعونهم إلى طاعة ربهم[٧]، ويَثْنون أعِنَّتهم[٨] عن المحظور من شهواتهم،.....

= ﴿يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ﴾، بخلاف عدم التصريح باسم المخاطَب كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ﴾، والنداء في الأصل لِطلب الإقبال، وقد يراد به الإغراء والتحذير والاختصاص والتنبيه والتعجُّب والتحسُّر، كما في الإتقان للسيوطي (٣: ٢٤٦).

(١) في (ب): «أعينك».
(٢) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ، ع): «يُصرَف».
(٣) أي: إذا تجرّد الأمر من النداء.
(٤) النداء يقارنه ويتلوه في أكثر الأحيان الأمرُ والنهي، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]. يُنظَر: الإتقان للسيوطي (٣: ٢٤٦).
(٥) كما سنرى لم يقتصر المؤلف رحمه الله على جوابين هنا، وإنما ذكر أجوبةً ثلاثةً، لعله بعد أن ذكر جوابين استدرك جوابًا ثالثًا فقال: «وجواب ثالث وهو أن يقال...».
(٦) أي: بينهم، قال صاحب المصباح المنير (٢: ٣٧٨): «بين ظَهْرانَيهم ـ بفتح النون ـ وبين ظَهرَيْهم وبين أظهرهم: كلها بمعنى بينهم». وفي (ك): «أظهرهم».
(٧) في (خ): «طاعة الله».
(٨) أي: يمنعونهم ويصرفونهم عن الحرام، وفي المصباح المنير (١: ٨٥): «ثَنَيْتُه عن مُراده: إذا صرفته عنه». وأمّا الأعِنّة فهي جمع العِنان ـ ككِتاب ـ: سير اللجام الذي تُمسَك به الدابة. =

إسلام ويب islamweb.net

وأنْ جعلهم[١] ملوكًا حيث[٢] أغناهم بما أنزل[٣] عليهم من المنِّ والسلوى[٤] عن الحاجة إلى الناس في التماس الرزق من أمثالهم، وتكلُّفِ خدمتهم[٥] وأعمالهم، وبما[٦] ملَّكهم من المال والعبيد والإماء الذين كانوا يخدمونهم ويكفُونهم ما يحتاجون[٧] إلى مباشرته بأنفسهم. والمُنبَّه عليه[٨] في هذا المكان أشرفُ ما يُخوَّله[٩] الإنسان من النبوّةِ التي لها أشرف[١٠] منازل الثواب، والمُلكِ[١١] الذي هو غاية ما تسمو إليه الهِمَم[١٢] في دار التكليف؛ فنُبِّهوا بأبلغ الألفاظ[١٣] لِيقوموا بِشكر ما عليهم من الإنعام. والآية التي في سورة إبراهيم تنبيهٌ على ما صرَف عنهم من البلاء، وليس هو كالتنبيه على تخويل أشرف

= القاموس المحيط (ص١٥٧٠ عنن). وفي (ع): «أعينهم».

(١) في (ب): «وجعلهم».

(٢) «حيث» سقطت من (أ، ع).

(٣) وفي (ع): «أنزله».

(٤) قال الراغب في المفردات (ص٧٧٨): «فقد قيل: المنّ شيء كالطلّ ـ وهو المطر الخفيف ـ فيه حلاوة، يسقط على شجر، والسلوى: طائر، وقيل: المنّ والسلوى كلاهما إشارة إلى ما أنعم الله به على بني إسرائيل، وهما بالذات شيء واحد لكن سمّاه مَنّا بحيث إنه امتن به عليهم، وسمّاه سلوى من حيث إنه كان لهم به التسلِّي».

(٥) في (ب): «وتكليف حرمتهم».

(٦) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ، ب، ع): «وما ملكهم».

(٧) في (ب): «ما كانوا».

(٨) في (أ): «والمنة عليهم»، ولا وجه له.

(٩) أي: ما يُعطاه الإنسان متفضَّلًا عليه، وجاء في القاموس المحيط (ص١٢٨٧ خول): «خوَّله الله تعالى المالَ: أعطاه إياه متفضِّلًا». وفي (ب، ع): «تخوَّله».

(١٠) في (ب): «شرف».

(١١) «الملك» معطوف على قوله: «من النبوة».

(١٢) الهمم جمع الهمة وهي العزم القوي. المصباح المنير (٢: ٦٤١).

(١٣) هذا اللفظ هو قوله تعالى: ﴿يَٰقَوۡمِ﴾.

إسلام ويب islamweb.net

العطاء مع[١] صرف البلاء[٢].

وجواب ثانٍ[٣] وهو أن المنَّ والسلوى ممّا لم يُنعَم به على أحدٍ قبلهم ولا بعدهم، فلذلك قال: ﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، فإذا[٤] نُبِّهوا على شكر نعمةٍ خُصُّوا بها دون الناس كلِّهم، كانت المبالغة[٥] في ذلك أولى.

وجواب ثالث وهو أن يقال: لمّا جعَل[٦] الخطابَ بعد قوله: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ في آيتين[٧]، وصدَّر المخاطَبات، ينبِّه[٨] فيها المخاطَبين بمناداتهم فيما حكى من أقوالهم[٩]، كقوله تعالى بعده: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٢١]، وقوله: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ [المائدة: ٢٢]، وبعده: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا﴾ [المائدة: ٢٤]، وبعده قوله[١٠]: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى﴾[١١] [المائدة: ٢٥]؛ كان[١٢]

---

(١) في (ط، ع): «من».
(٢) في (ع): «البلاء وغيره».
(٣) في (ب): «ثاني».
(٤) في (ط): «فلمّا».
(٥) المبالغة هنا أن يُقبِل موسى عليه السلام على قومه الذين يدعوهم إلى الإيمان بقوله: يا قوم.
(٦) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): «حصل».
(٧) هما الآية [١٥] والآية [١٩] من سورة المائدة، ومطلع كلٍّ منهما: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾.
(٨) في (ب): «نبَّه».
(٩) في (أ، ك): «أحوالهم»، وفي (ب): «أموالهم»، والمثبت من (د، ط، و).
(١٠) «قوله» ليس في (ب).
(١١) الآية في (ع): «﴿رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى﴾».
(١٢) جواب الشرط لقوله: «لمّا جعل».

إسلام ويب islamweb.net

الاختيار أن يَجري[١] مَجرى نظائره المتقدِّمة والمتأخِّرة، ولم يكن شيء من ذلك في الآية التي في سورة إبراهيم[٢]، فلم يذكُر هناك: «يا قومِ» لهذا[٣].

وقد اختلف الناس فيمن يُسمّى[٤] مَلِكًا، فقال عبد الله بن عمرو بن العاص[٥]،.....

(١) الفاعلُ هو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ﴾.

(٢) في (ب): «في إبراهيم عليه السلام».

(٣) تتلخَّص هذه الأجوبة الثلاثة التي ذكرها المؤلف رحمه الله ـ في معرفة الحكمة من قوله: ﴿يَٰقَوْمِ﴾ في الآية الأولى دون الثانية ـ في أمرين، وهما:

١ـ لمّا اشتملت آية المائدة على تذكير بني إسرائيل بضروبٍ من أشرف العطايا، والنِّعَم الجِسام، مِن جعْل الأنبياء فيهم وجعْلهم ملوكًا، وإعطائهم ما لم يُعطَ غيرُهم من العالمين، وهو المنّ والسلوى؛ كان ذلك تعريفًا بمزيد اعتنائه سبحانه وتعالى بهم، فناسب ذلك أن يصرِّح موسى عليه السلام نداءَه بقوله: ﴿يَٰقَوْمِ﴾ اعتناءً بالمنادى، وحثًّا على القيام به وهو الشكر على تلك النِّعَم العظيمة، بخلاف آية سورة إبراهيم حيث إنها اقتصرت على تذكيرهم بمجرَّد الإنجاء من آل فرعون ولم تشتمل على ما اشتملت عليه آية سورة المائدة ممّا شرَّفهم الله تعالى بما منحهم من أعظم النِّعَم.

٢ـ تقع آية سورة المائدة بين الآيات التي تشتمل على النداء، فوافقت ما سبقتها مِن آيتين مبدوءتين بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾، ووافقت أيضًا الآيات التي ذُكِرت بعدها بالنداء، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ﴾، وقوله: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا﴾، وقوله: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا﴾، بخلاف آية سورة إبراهيم حيث إنها لم تكن في مثل هذا الموقع؛ فلذلك اقتصرت على الخطاب بقوله: ﴿ٱذْكُرُواْ﴾ دون ذكر حرف النداء والمنادى.

(٤) في (ب): «سُمِّي».

(٥) هو الإمام الحبر العابد، أبو محمد، وقيل: أبو عبد الرحمن، وقيل غير ذلك، صاحب رسول الله ﷺ، وله مناقب وفضائل ومقام راسخ في العلم والعمل، حمل عن النبي ﷺ عِلمًا جمًّا، توفي سنة (٦٣هـ). تهذيب الأسماء واللغات للنووي (١: ١: ٢٨١)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٣: ٧٩).

إسلام ويب islamweb.net

وزيد بن أسلم[١]، والحسن: أقلُّ الحال التي إذا كانت كان الإنسانُ بها مَلِكًا: الدار[٢] والمرأة والخادم[٣].

وقال غيرهم: المَلِك: الذي له ما[٤] يستغني به عن تكلُّف الأعمال وتحمُّل المشاقِّ للمعاش[٥].

---

(١) هو الإمام الحجة، أبو عبد الله العدوي المدني الفقيه، روى عن بعض الصحابة كوالده أسلم مولى عمر، وعبد الله بن عمر، وجابر، وأنس رضي الله عنهم، وحدَّث عنه مالك بن أنس، وسفيان الثوري، وغيرهما، توفي سنة (١٣٦هـ). تهذيب التهذيب (٣: ٣٩٥)، وسير أعلام النبلاء (٥: ٣١٦).

(٢) في (ب): «السكنى».

(٣) ذكر الماوردي في تفسيره (١: ٤٥٤) في معنى المَلِك خمسة أقوال... وقال في القول الخامس: «إنّ كلّ مَن ملك دارًا وزوجةً وخادمًا فهو مَلِك من سائر الناس، وهذا قول عبد الله بن عمرو بن العاص والحسن وزيد بن أسلم». وقد روى الطبري (٦: ١٦٩) عن زيد بن أسلم قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن كان له بيتٌ وخادمٌ فهو مَلِك». وذكره ابن كثير في تفسيره (٢: ٥٩) وقال: «وهذا مرسل غريب»، ولكن قول عمرو بن العاص رضي الله عنه يغنينا عنه كما في صحيح مسلم (٤: ٢٢٨٥، رقم ٢٩٧٩) في كتاب الزهد عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي يقول: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص وسأله رجل فقال: ألسْنا من فقراء المهاجرين؟ فقال عبد الله: ألك امرأة تأوي إليها؟ قال: نعم، قال: ألك مسكنٌ تسكنه؟ قال: نعم، قال: فأنت من الأغنياء، قال: فإن لي خادمًا؟ قال: فأنت من الملوك.

(٤) «له ما» سقطت من (أ).

(٥) يُنظَر: مجمع البيان للطبرسي (٣: ٢٧٦)، وتفسير القرطبي (٦: ١٢٤)، وتفسير الآلوسي (٦: ١٠٥). ونُسِب هذا القول في تفسير الطبرسي والآلوسي إلى أبي علي الجبائي. وهذا كما قال ﷺ: «من أصبح منكم آمنًا في سِربه، معافًى في جسده، عنده قُوت يومه، فكأنما حِيزت له الدنيا». أخرجه الترمذي (رقم ٢٣٤٦) وابن ماجه (رقم ٤١٤١) كلاهما في كتاب الزهد، والبخاري في الأدب المفرد (رقم ٣٠٠)، وحكم عليه السيوطي في الجامع الصغير (رقم ٨٤٥٥) بالحسن.

إسلام ويب islamweb.net

وبنو إسرائيل سُمُّوا ملوكًا لِما منَّ الله تعالى عليهم به من المنِّ والسلوى والحَجَر(١) والغمام(٢)، عن ابن عباس وغيره(٣).

و(٤) قال الحسن: لأنهم ملوك(٥) أنفسهم بالتخلُّص من القِبْط(٦) الذين كانوا يستعبدونهم(٧).

---

(١) المراد به إخراج المياه العذبة من الحجر بالتفجير كما فعل موسى عليه السلام، وهو الحجر الذي تشير إليه الآية الكريمة: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [البقرة: ٦٠].

(٢) المراد به: تظليل الغمام، قال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن (ص٤٩): «الغمام: السحاب، سُمِّي بذلك لأنه يغمُّ السماء؛ أي: يسترها». وفي تفسير الطبري (١: ٢٩٣): «والغمام جمع غمامة، كما السحاب جمع السحابة، وهو ممّا أنعم الله به على بني إسرائيل، وهو الذي تشير إليه الآية الكريمة: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾». [البقرة: ٥٧].

(٣) قال القرطبي (٦: ١٢٤): «قال ابن عباس ومجاهد: «جعلهم ملوكًا بالمنِّ والسلوى والحجر والغمام»؛ أي: هم مخدومون كالملوك»». وقال ابن الجوزي في تفسيره (٢: ٣٢٢): «رواه مجاهد عن ابن عباس وقال به». وهذا الخبر رواه الطبري في تفسيره (١٠: ١٦٥ برقم ١١٦٤١ بتحقيق أحمد شاكر) من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد. ورواه أيضًا (١٠: ١٦٥ برقم ١١٦٤٣) من طريق الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس: «﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: المنّ والسلوى والحجر والغمام».

(٤) الواو أُثبتت من (ح، خ، ر، س).

(٥) في (أ، ك، ع): «ملكوا».

(٦) القِبْط كلمة يونانية الأصل بمعنى سُكّان مصر، ويُقصَد بهم اليوم: المسيحيون من المصريين. المعجم الوسيط (ص٧١١).

(٧) أورده الماوردي في تفسيره (١: ٤٥٤)، ولم أجد هذا القول فيما عندي من التفاسير المهتمة بالروايات. نسب هذا القولَ ابنُ عطية في تفسيره (٤: ٣٩٧) إلى السدي وغيره. وقال أبو حيان (٤: ٢١٥): «وقال السدي وغيره: وجعلكم أحرارًا تَملِكون ولا تُملَكون، إذ كنتم خدمًا للقبط فأنقذكم منهم، فسُمِّي إنقاذكم مُلكًا».

إسلام ويب islamweb.net

وقال السُّدِّي[(١)]: ملَك كلُّ واحدٍ منهم[(٢)] نفسَه وأهله وماله[(٣)].

وقال قتادة: كانوا أوّلَ مَن ملَك الخَدَم[(٤)].

فأما قوله: ﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فيحتمل وجهين:

أحدهما: أن يريد مِن[(٥)] عالَمي زمانكم، كما قال تعالى: ﴿وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧، ١٢٢]؛ أي: على[(٦)] عالَمي زمانكم.

ويحتمل[(٧)] أن يراد هاهنا: آتاكم المنَّ والسلوى، وهما ممّا[(٨)] لم يؤتِ أحدًا[(٩)] من العالَمين. وقد ذكرتُه قبلُ[(١٠)].

---

(١) هو إسماعيل بن عبد الرحمن، أبو محمد، الإمام المفسر، حدَّث عن أنس بن مالك وابن عباس رضي الله عنهم، وحدَّث عنه شعبة وسفيان الثوري وآخرون، توفي سنة (١٢٧هـ). تهذيب التهذيب (١: ٣١٣)، وسير أعلام النبلاء (٥: ٢٦٤).

(٢) «منهم» أُثبِتت من (ح، خ، د).

(٣) تفسير الماوردي (١: ٤٥٤)، وتفسير ابن الجوزي (٢: ٣٢٢)، وذكره ابن كثير في تفسيره (٢: ٥٩) وعزاه إلى ابن أبي حاتم، ورواه الطبري (١٠: ١٦٣ برقم ١١٦٣٦) بسنده عن أسباط عن السدي: ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ يملك الرجل منكم نفسه وأهله وماله.

(٤) تفسير الماوردي (١: ٤٥٤)، وتفسير ابن الجوزي (٢: ٣٢١)، وتفسير ابن كثير (٢: ٥٩)، وأورده السيوطي في الدر المنثور (٣: ٤٦) وعزاه إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر. وهو في تفسير الطبري (١٠: ١٦٣ برقم ١١٦٣٤ تحقيق أحمد شاكر). وقال ابن عطية (٤: ٣٩٨) بعد أن ذكر قول قتادة: «وهذا ضعيف؛ لأن القبط كانوا يستخدمون بني إسرائيل، وظاهرُ أمر بني آدم أن بعضهم كان يسخِّر بعضًا مذ تناسلوا وكثروا».

(٥) «من» سقطت من (ب).

(٦) «على» أُثبِتت من (ب).

(٧) في (ب): «ويجوز».

(٨) في (ك، ع): «ما».

(٩) في (ب): «لم يؤتَ أحد».

(١٠) في (ع): «والسلام». يُنظَر الجواب الثاني الذي ذكره المؤلف في هذا المبحث.

إسلام ويب islamweb.net

[٤١] الآية السادسة منها[١]:

قوله عز وجل: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

وبعده: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥].

وبعده[٢]: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

للسائل أن يسأل فيقول[٣]: الموضع الذي وُصِف فيه مَن لم يحكم[٤] بكتاب الله بالكفر هل[٥] باينَ الموضعَ الذي وُصِف فيه تاركُ حكمِ الله بالظلم والفسق[٦]؟

والجواب أن يقال: إن الآية الأولى قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

قال فيها بعض أهل النظر: إن «مَن» فيها ليست كـ«مَن» في المجازاة[٧]،

---

(١) «منها» ليست في (ع).
(٢) «وبعده» سقطت من (أ).
(٣) في (أ): «للسائل أن يقول».
(٤) في (ب): «فأولئك من لم يحكم فيه»، وهو خطأ.
(٥) «هل» سقطت من (أ).
(٦) صيغة السؤال في (ح، خ، ر، س) مختصرة وهي: «فلِم هذا الاختلاف؟».
(٧) يقصد المؤلف رحمه الله بالمجازاة أن تكون «مَن» شرطية تقتضي ـ مع فعل الشرط ـ وجودَ جواب أو جزاء.

إسلام ويب islamweb.net

وإنما هي بمعنى «الذي»[١]، ويصحُّ دخولُ الفاء في جوابها[٢] كما تدخل في جواب الشرط لِتضمُّنها ذلك المعنى وإن كان لا يُجازى بها، وهو كقولك[٣]: الذي يزورني فله درهم، إذا[٤] أوجبتَ له بالزيارة الدرهمَ، وإن لم تُرِدْ[٥]: مَن يزرُني فله درهم[٦].

فقوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ في هذه الآية[٧]: المراد به اليهود الذين كانوا يبيعون حكم الله بما يشترونه من ثمنٍ قليلٍ يرْتشونه[٨] فيُبدِّلون حكم الله باليسير الذي يأخذونه، فهم يكفُرون بذلك.

وأمّا[٩] أن يكون الحكم بخلاف ما أنزل الله كفرًا فهو مذهب الخوارج[١٠]،

---

(١) في (ع): «الذين». وممّن ذهب إلى هذا القول النحاسُ (ت٣٣٨هـ)، فقال في كتابه إعراب القرآن (١: ٤٩٨): «فإن قال قائل: «مَن» إذا كانت للمجازاة فهي عامة إلا أن يقع دليل على تخصيصها، قيل له: «مَن» هاهنا بمعنى «الذي»».

(٢) أي: في جواب «الذي».

(٣) في (ب، ك، ع): «كقوله».

(٤) من هنا إلى قوله: «فقوله» سقط من (ك).

(٥) في (ع): «أوجبَ... يُرِدْ».

(٦) أي: وإن لم تُرِدْ إيجاب الدرهم له من أجل الزيارة تقُل: مَن يزرُني فله درهم. وفي المثال الأول دخلت الفاء في الخبر لِشبهه بالشرط.

(٧) أي: في الآية الأولى.

(٨) أي: يأخذون الرشوة، وفي اللغة: الرشوة ـ مثلّثة الراء ـ: الجُعْل، وارتشى: أخذها. القاموس المحيط (ص١٦٦٢ رشى).

(٩) في (أ، ب): «فأما»، والمثبت من (ك).

(١٠) كلّ مَن خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يُسمّى خارجيًّا، وهم القائلون بتكفير صاحب الكبيرة وتخليده في النار. الملل والنحل للشهرستاني (ص١١٤). وقال الآلوسي في تفسيره (٦: ١٤٥) عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: «واحتجَّت الخوارج بهذه الآية على أن الفاسق كافرٌ غير مؤمن. ووجه =

إسلام ويب islamweb.net

يذهبون بـ«مَن» هنا[١] إلى الشِّياع الذي في[٢] المُجازاة، وهذا مخصوص به اليهودُ[٣] الذين تقدَّم ذكرُهم وتبديلُهم حُكمَ الله تعالى لِيكذِّبوا رسول الله[٤] ﷺ، وذلك كفرٌ.

وأمّا الآية الثانية فهي فيهم[٥] أيضًا؛ لِقوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾[٦] [المائدة: ٤٥]، ومعناه[٧]: كتبنا على هؤلاء في التوراة، فردَّ[٨] الذكرَ إلى الذين هادوا[٩]، وهم الذين كفَّرهم لِتركهم دينَ الله، والحكمَ بما أنزله، ثم وصَفهم بعد خروجهم عن حكم الله في القصاص بين عباده في

= الاستدلال بها: أن كلمة «مَن» فيها عامة شاملة لكلّ مَن لم يحكم بما أنزل الله تعالى، فيدخل الفاسق المصدِّق أيضًا؛ لأنه غير حاكم وعامل بما أنزل الله تعالى. وأجيب بأن الآية متروكة الظاهر، فإن الحكم وإن كان شاملًا لفعل القلب والجوارح ولكن المراد به هنا عمل القلب وهو التصديق، ولا نزاع في كفر مَن لم يصدِّق بما أنزل الله تعالى».

(١) في (ع): «هاهنا».

(٢) في (ع): «يُراد في».

(٣) اليهود هم الذين وصفهم الله تعالى بتحريف كلام التوراة وتبديله في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة: ٤١].

(٤) في (أ): «رسوله».

(٥) أي: في اليهود.

(٦) تتمة الآية: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

(٧) في (أ، ب، ع): «معناه»، والمثبت من (ك).

(٨) في (ب): «فردّد».

(٩) يقصد المؤلف رحمه الله تعالى أن الضمير في ﴿عَلَيْهِمْ﴾ يرجع إلى «الذين هادوا» في قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾.

إسلام ويب islamweb.net

قتل النفس وقطع أعضائها بأنهم ـ مع كفرهم الذي تقدَّم ذكرُه[١] ـ ظالمون[٢]، وكلُّ كافرٍ ظالمٌ لِنفسه إلا أنه قد يكون كافرٌ غيرَ ظالم لغيره، فكأنه وُصِف في هذه الآية بصفة زائدة على صفة الكفر بالله، وهي[٣] ظلمُه لعباد الله تعالى بخروجه[٤] في القصاص عن حكم الله، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم﴾ في هذه الآية، المرادُ بهم[٥]: الذين لا يحكُمون من اليهود[٦].

وأما الآية الثالثة[٧] فإنها[٨] بعد قوله: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ﴾، ومعناه: قيل لهم[٩] في ذلك الزمان ـ وأُمِروا أن يحكُموا به ـ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾[١٠]، قال[١١] فيه مَن حكيتُ[١٢] عنه[١٣] قولَه[١٤] من[١٥]

---

(١) ذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

(٢) ذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥].

(٣) في (ب، ك): «وهو».

(٤) في (أ، ك): «بخروجهم»، والمثبت من (ك، خ، ر).

(٥) في (ب، ك، ع): «بها».

(٦) أي: اليهود الذين أعرضوا عمّا أنزل الله من القصاص وحكموا بأهوائهم أو حكموا بحكمٍ غيرِ حكم الله تعالى، وهم بذلك يكونون ظالمين؛ لأنهم تركوا القصاص القائم على العدل والمساواة بين الأشخاص، وذلك اعتداء وظلم ووضع للشيء في غير موضعه.

(٧) هي: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾.

(٨) في (ع): «فإنه»، وفي (ك): «وأما في الثالثة فإنه».

(٩) أي: للنصارى، حيث إن الله تعالى بعد أن بيَّن خصائص الإنجيل أمرهم بالعمل به فقال: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾.

(١٠) في (ع): «﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فيه﴾».

(١١) «قال» سقطت من (أ).

(١٢) في (ك): «حكينا».

(١٣) «عنه» سقطت من (ك).

(١٤) «قوله» أُثبِتت من (ك).

(١٥) في (ب): «في».

إسلام ويب islamweb.net

المتقدِّمين[١] إنه بمعنى «الذي»[٢].

والذي أذهب إليه أنا: أن «مَن»[٣] هاهنا بمعنى المجازاة[٤]، لا بمعنى «الذي» كما تقول فيمن لم يحكُم بما أنزل الله منّا[٥]: إنه لا يبلُغ منزلةَ الكفر، وإنما يُوصَف بالفسق[٦]، فلذلك قال: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾.

فقد بان لك أن كلَّ موضع من الآيات الثلاث أُخبِر فيه عن المذكورين قبلُ: بالكفر والظلم والفسق[٧]،.....

(١) كالنحاس في كتابه إعراب القرآن (١: ٤٩٨).

(٢) في (ب، ك): «الذين»، وهو خطأ. (٣) «من» سقطت من (ب).

(٤) أي: أن تكون «مَن» شرطية، واختار هذا الرأي السمين الحلبي في كتابه الدر المصون (٤: ٢٨١) فقال: «يجوز في «مَن» أن تكون شرطية، وهو الظاهر، وأن تكون موصولة».

(٥) في (ك): «فينا».

(٦) هذا واضح؛ لأن من يحكم بما أنزل الله فهو مسلم، ومن لم يحكم به فهو كافر، وأمّا من ترك الحكم بما أنزل الله من المسلمين من غير إنكار فهو العاصي الذي يتحامى ـ أي: يتحاشى ـ أهلُ السنة القولَ بتكفيره. يُنظَر: تفسير المنار للشيخ رشيد رضا (٦: ٤٠٤).

(٧) يتضح لنا ممّا سبق أن المؤلف رحمه الله يرى أن الآية الأولى والثانية في اليهود، والثالثة في النصارى، وعلى ضوء ذلك ذكر مناسبة ختم الأولى بالكافرين، وختم الثانية بالظالمين، ولم يذكر مناسبة ختم الآية الثالثة بالفاسقين لوضوحها والله أعلم؛ لأنه تقدَّم قوله تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ﴾ وهو أمرٌ، فناسب ذكر الفسق؛ لأنّ مَن يخرج عن أمر الله تعالى يكون فاسقًا كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: ٥٠]؛ أي: خرج عن طاعة أمره تعالى. يُنظَر: البحر المحيط لأبي حيان (٤: ٢٨١).

وما ذهب إليه المؤلف رحمه الله من أنّ هذه الآيات الثلاث في أهل الكتاب هو رأي جمع من المفسرين كأبي صالح والضحاك وعكرمة، وهو اختيار الطبري في تفسيره (٦: ٢٥٧) والنحاس في كتابه إعراب القرآن (١: ٤٩٨)، وهناك أقوالٌ أخرى ذكرها المفسرون، =

إسلام ويب islamweb.net

= والراجح ـ وإن كان السياق في أهل الكتاب ـ أن ظاهر هذه الآيات: العموم، وإلى ذلك ذهب ابن مسعود وإبراهيم النخعي والحسن؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فكل مَن استحلَّ الحكم بغير ما أنزل الله جاحدًا به فهو كافر، وأمّا مَن لم يحكم بما أنزل الله وهو مُقِرٌّ تاركٌ فهو الظالم الفاسق.

قال الطبري في تفسيره (٦: ٢٥٧): «فإن قال قائل: فإن الله ـ تعالى ذكرُه ـ قد عمّ بالخبر بذلك عن جميع مَن لم يحكم بما أنزل الله، فكيف جعلتَه خاصًّا؟ قيل: إن الله تعالى عمّ بالخبر بذلك عن قومٍ كانوا بحكم الله الذي حكم به في كتابه جاحدين، فأخبر عنهم أنهم بتركهم الحكمَ على سبيل ما تركوه كافرون. وكذلك القول في كل مَن لم يحكم بما أنزل الله جاحدًا به، هو بالله كافر، كما قال ابن عباس؛ لأنه بجحده حكمَ الله بعد علمه أنه أنزله في كتابه نظير جحوده نبوّة نبيِّه بعد علمه أنه نبيّ».

قال الآلوسي رحمه الله في تفسيره (٦: ١٤٦): «ولعلّ الله تعالى وصفهم بالأوصاف الثلاث باعتبارات مختلفة، فلإنكارهم ذلك وُصِفوا بالكافرين، ولوضعهم الحكمَ في غير موضعه وُصِفوا بالظالمين، ولخروجهم عن الحق وُصِفوا بالفاسقين...»، وهو ـ أي: الآلوسي ـ يرى أيضًا أن الخطاب يشمل اليهود وغيرَهم فيقول: «والوجه أن هذا ـ كالخطاب ـ عامٌّ لليهود وغيرهم، وهو مُخرَّج مخرجَ التغليظ».

وقال صاحب المنار في تفسيره (٦: ٤٠٤، ٤٠٥) ما ملخصه: «وإذا تأمّلت هذه الآيات الثلاثة ظهر لك نكتة التعبير بوصف الكفر في الأولى، وبوصف الظلم في الثانية، وبوصف الفسوق في الثالثة... ففي الآية الأولى كان الكلام في التشريع، وإنزال الكتاب مشتملًا على الهدى والنور، والتزام الأنبياء وحكماء العلماء بالعمل والحكم به والوصية بحفظه، وختم الكلام ببيان أن كل مُعرِض عن الحكم به لِعدم الإذعان له رغبةً عن هدايته، مُؤثِرًا لغيره عليه فهو الكافر به... وأمّا الآية الثانية فلم يكن الكلام فيها في أصل الكتاب الذي هو ركن الإيمان، بل في عقاب المعتدين على الأنفس أو الأعضاء... فمن لم يحكم بحكم الله في ذلك فهو الظالم في حكمه. وأمّا الآية الثالثة فهي في بيان هداية الإنجيل، وأكثرُها مواعظ وآداب وترغيب في إقامة الشريعة على الوجه الذي يطابق مراد الشارع وحكمته... فمن لم يحكم بهذه الهداية ممّن خُوطبوا بها فهم الفاسقون بالمعصية والخروج من محيط تأديب الشريعة..». ثم قال: «وقد استحدث كثير من المسلمين من الشرائع والأحكام نحو =

إسلام ويب islamweb.net

إنما وجب فيه ذاك[١]، ولم يحسُن فيه[٢] غيرُه هناك، فاعلمه[٣].

[٤٢] الآية السابعة منها[٤]:

قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩].

وقال في سورة براءة[٥] [٨٨، ٨٩]: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۞ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾.

وقال بعده: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

= ما استحدث الذين من قبلهم، وتركوا بالحكم بها ما أنزل الله عليهم، فالذين يتركون ما أنزل الله في كتابه من الأحكام من غير تأويل يعتقدون صحّتَه فإنه يصدُق عليهم ما قاله الله تعالى في الآيات الثلاث أو في بعضها، كلٌّ بحسب حاله، فمن أعرض عن الحكم بحدِّ السرقة أو القذف أو الزنا غيرَ مُذعِنٍ له لاستقباحه إياه وتفضيل غيره من أوضاع البشر عليه فهو كافر قطعًا، ومن لم يحكم به لعلة أخرى فهو ظالم إن كان في ذلك إضاعةٌ الحق أو ترك العدل والمساواة فيه، وإلا فهو فاسق فقط؛ إذ لفظ الفسق أعمُّ هذه الألفاظ، فكل كافرٍ وكل ظالمٍ فاسقٌ، ولا عكس».

(١) في (ب): «ذلك».
(٢) ليست في (ع).
(٣) في (ب، ع): «فاعلموه»، وفي (ك): «فاعرفه».
(٤) «منها» ليست في (ع)، وفي (ك): «من سورة المائدة».
(٥) أي: سورة التوبة.

إسلام ويب islamweb.net

وقال في سورة النساء [١٣]: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾، وكان حقُّها أن تُذكَر في(١) موضعها، لكني لم تحضُرني هناك فذكرتُها مع أخواتها، وإن كان ذكرُها مقدَّمًا(٢) في القرآن.

وقال في سورة الحديد [١٢]: ﴿بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾.

وفي المجادلة [٢٢]: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾.

وقال في سورة الطلاق [١١]: ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗا﴾(٣).

للسائل أن يسأل عن مسائل فيقول(٤): لِمَ لم يذكر في سورة براءة في الآية

---

(١) «في» سقطت من (أ).
(٢) في (ع): «متقدِّمًا».
(٣) ذكر المؤلف عدة آيات من السور المختلفة كما أُثبتتْ من (أ، ب)، ونسخ (ك، ح، خ، ر، ز، و) خالية عن الآية الأولى من سورة التوبة وهي: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾، وآية سورة النساء وهي: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ﴾، وآية سورة الحديد وهي: ﴿بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ﴾، وآية الطلاق في (ع) إلى قوله: «﴿مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾».
(٤) صيغة السؤال في (ك): «للسائل أن يسأل فيقول: لِمَ قال في سورة المائدة: ﴿لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗا﴾، وقال في سورة براءة: ﴿تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ ولم يدخل عليه «مِن»، وقال في سورة المجادلة: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾ ولم يذكر ﴿أَبَدٗا﴾ كما ذكره في الآيتين المتقدمتين؟». والصيغة في (ح، خ): «فلِمَ أدخل «مِن» في قوله: ﴿مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ في سورة المائدة والمجادلة دون سورة براءة؟ =

إسلام ويب islamweb.net

الثانية في قوله: ﴿تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ لفظة «مِن» في قراءة الأكثرين[١]، وقد ذكر في الآي الأخرى؟

والثاني: لِمَ حذف «أبدًا» في بعض المواضع ولم يُحذَف في بعضها[٢]؟

والثالث[٣]: لِمَ ذكر في سورة النساء [١٣]: ﴿وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾، وفي سورة الحديد [١٢]: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾، وفي غيرهما: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[٤]؟

والجواب عنه أن يقال: إنّ الآية الأولى وهي قوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ وإن كانت عامة في كل صادق مؤمن فإنها خرجت على ما[٥] يبكِّت[٦] الله به النصارى من دعاويهم الباطلة، ومقالاتهم[٧] الكاذبة، منسوبةً إلى عيسى عليه السلام في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ

= ولِمَ حذف ﴿أَبَدَا﴾ من سورة المجادلة دون السورتين الأخريين؟».

(١) ابن كثير قرأها بزيادة «مِن» وخفض التاء الثانية ﴿مِن تَحْتِهَا﴾. قال ابن مجاهد في كتاب السبعة (ص٣١٧): «وكذلك هي في مصاحف أهل مكة خاصة». وانظر أيضًا: كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع لأبي طالب القيسي (١: ٥٠٥)، وكتاب الإقناع في القراءات السبع لابن خلف (٢: ٦٥٨)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣: ٤٩١).

(٢) في (ب): «في بعضها عنها».

(٣) هذا القسم من السؤال ليس في (ك، ح، خ، ر، س)، وإنما اقتصر فيها على مسألتين سابقتين، وأثبتناه من (أ، ب).

(٤) ذلك في الآية [١١٩] من سورة المائدة، والآيتين [٨٩، ١٠٠] من سورة التوبة.

(٥) في (ح، خ): «على أن» بدل «ما».

(٦) أي: على ما يقرِّع الله به النصارى ويوبِّخهم، قال في النهاية (١: ١٥٠): «التبكيت: التقريع والتوبيخ».

(٧) في (ر): «ومقالتهم».

إسلام ويب islamweb.net

قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦]، فانكشف هذا عن صدقِه عليه السلام، وكذبِ القوم لمّا أجاب وقال: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ﴾ [المائدة: ١١٧]، فلفظة ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في قوله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾؛ أي: الذين[(١)] صدقوا في الدنيا، ينفعهم اليومَ صدقُهم. والصادقون يجوز أن يكون منصرفًا إلى عيسى وأمثاله من الأنبياء صلوات الله عليهم؛ لقوله عز وجل: ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ٣٧]؛ أي: قال: هم الصادقون[(٢)]، فتكون الإشارة بالألف واللام[(٣)] إليهم صلوات الله عليهم، وإنْ كان كلُّ صادقٍ داخلًا في حكمهم من الانتفاع بصدقه[(٤)].

وكذلك الآية التي في آخر المجادلة خرجت على ذكر الرسل؛ لقوله تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١]، ثم قال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾، ثم قال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]، فكان[(٥)] الذين أخبر الله[(٦)] عنهم بأنّ لهم جنات تجري من تحتها الأنهار: الأنبياءَ وغيرهم صلوات الله عليهم.

---

(١) العبارة في (ط، د): «والصادقون يجوز أن يكون منصرفًا إلى عيسى وأمثاله من الأنبياء الذين صدقوا في الدنيا فنفعهم صدقهم».

(٢) في (أ، ب): «صادقون»، والمثبت من (ح، خ، د).

(٣) يعني بذلك قوله تعالى: ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

(٤) في (د، ط): «بصدقهم».

(٥) في (د): «وغيرهم فكان».

(٦) لفظ الجلالة أُثبِت من (ر).

إسلام ويب islamweb.net

و«مِن» لابتداء الغاية[١]، والأنهارُ مبادئها أشرفُ، والجناتُ التي مبادئُ الأنهار من تحت أشجارها[٢] أشرفُ من غيرها.

فكلُّ موضع ذكر فيه ﴿مِن تَحْتِهَا﴾ إنما هو عامٌّ لِقوم[٣] فيهم الأنبياء، والموضعُ الذي[٤] لم يذكر فيه[٥] «مِن» إنما هو لِقوم مخصوصين[٦]، ليس فيهم الأنبياء عليهم السلام، ألا ترى إلى قوله تعالى[٧] في سورة براءة [١٠٠][٨]: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾؟ فجعل مبادئ الأنهار تحت جناتٍ أخبر الله أنها للصادقين والمؤمنين والذين عملوا الصالحات، وفيهم الأنبياء عليهم السلام، بل[٩] هم أوّلُهم. والمعتاد[١٠] أنها أشرف الأنهار.

والآية التي في سورة المجادلة فيها الأنبياء عليهم السلام[١١]، والآية[١٢]

---

(١) من قوله: «والجواب عنه أن يقال» إلى هنا سقط من (أ، ب)، وأُثبت من (ك، ح، خ، د)، وفي (ع): «والجواب عنه أن يقال: إنّ «مِن» لابتداء الغاية».

(٢) في (ك): «من تحتها» بدل «من تحت أشجارها»، وفي (ط): «والأنهار أشرف مبادئها، والجنات التي مبادئها الأنهار من تحت أشجارها».

(٣) في (د، ط): «إنما هو لقوم عام»، وفي (ع) بياض وعلى الهامش: «لعله لقوم».

(٤) من قوله: «فكلُّ موضع ذكر فيه» إلى هنا سقط من (ك، ح، خ).

(٥) في (ك): «لم يدخل عليه».

(٦) «مخصوصين» سقطت من (ك).

(٧) في (ع): «ولا جزاء للشرط العام» بدل «ألا ترى إلى قوله تعالى».

(٨) بعدها في (ع): «وهو قوله».

(٩) في (ح، خ، ط): «لا بل».

(١٠) في (ح): «والمختار».

(١١) «والآية التي في سورة المجادلة فيها الأنبياء عليهم السلام» أُثبتت من (ح، خ، ر، س).

(١٢) هي الآية [١٠٠] من سورة التوبة.

إسلام ويب islamweb.net

التي في سورة براءة قد خرج الأنبياء عنها؛ لأنّ اللفظ لم[١] يشتمل عليهم[٢]، فلم يُخبِر[٣] عن جناتهم بأن أشرف الأنهار ـ على مجرى العادة في الدنيا ـ تحت أشجارها[٤]، كما أخبَر به عن الجنات التي جعلها الله[٥] لِجماعةٍ خيارُهم[٦] الأنبياءُ عليهم السلام؛ إذ لا موضع في القرآن ذُكِرت فيه «الجناتُ» و«جريُ الأنهار تحتها» إلا ودخلتها «مِن» سوى الموضع[٧] الذي لم ينطوِ[٨] ذِكرُ الموعودين فيه على الأنبياء عليهم السلام، فهذا الكلام في ﴿مِن تَحۡتِهَا﴾[٩]. اعتبِروا بما ذكرتُ ما في جميع القرآن.

وأمّا الجواب[١٠] عن حذف «أبدًا» في بعضها، والإتيان[١١] في بعضها:

---

(١) «لم» ليس في (ط).

(٢) من قوله: «فجعل مبادئ الأنهار» إلى هنا ليس في (ع).

(٣) في (ع): «فلما لم يكن عامًّا للرسل وغيرهم لم يخبر».

(٤) في (ك): «تحتها».

(٥) لفظ الجلالة ليس في (ع).

(٦) في (ع): «دارًا هم».

(٧) ذلك الموضِع هو الآية [١٠٠] من سورة التوبة.

(٨) أي: لم يشتمل. وفي (ح، خ): «لم يطلق».

(٩) من قوله: «إذ لا موضع في القرآن» إلى هنا ليس في (ع).

(١٠) من هنا إلى آخر الكلام اعتمدنا على (أ، ب) حيث إن فيهما زيادة ليست في النسخ الأخرى. وفي (ك): «وأما حذف قوله: ﴿أَبَدًا﴾ من آخر سورة المجادلة فلأن في ﴿خَٰلِدِينَ﴾ ما يدل على التأبيد، ثم قد نزل منزلة أخبار هي في مدحهم وهي قوله: ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾، فلما تظاهرت هذه الأخبار التي هي ثناء من الله عليهم ومدح لهم وطال الكلام بها واستغنى بذكر ﴿خَٰلِدِينَ﴾ عن ذكر قوله: ﴿أَبَدًا﴾ حسُن حذفه ما لم يحسُن في المواضع الأخرى التي لم يتظاهر فيها مثل عدة هذه الأخبار الموجبة لهم دارَ الخلد ودوام النعيم». وهنا ينتهي الكلام في (ك).

(١١) في (ع): «والإتيان بها».

إسلام ويب islamweb.net

فهو[١] أنها إنما[٢] حُذِفت[٣] عن أُولى[٤] الآيتين[٥] اللتين في براءة، وآخرِ آية في سورة المجادلة؛ لأنه ذُكِر قبل الآية التي[٦] في سورة براءة [٨٨]: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، وبعد الآية التي في آخر سورة[٧] المجادلة [٢٢]: ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، فاستغنى بذكر ﴿خَٰلِدِينَ﴾ عن ذكر قوله: «أبدًا»[٨] في هاتين الآيتين من فلاحهم وثناء الله عليهم لمّا طال الكلام.

وأما في سورة النساء فإنها[٩] لم تُذكَر «أبدًا»؛ لأنه ذُكِر بعده في مقابلة[١٠] ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا[١١]﴾ [قولُه][١٢]: ﴿خَٰلِدًا فِيهَا﴾[١٣]، ولم يقل: «أبدًا». فلو ذُكِر فيهما «أبدًا» لَطال الكلام، فاستغنى بقوله: ﴿خَٰلِدِينَ﴾ و﴿خَٰلِدًا﴾ فيهما[١٤] عن «أبدًا».

---

(١) «فهو» ليست في (ب، ع).
(٢) «إنما» أُثبِتت من (ب).
(٣) في (ب، ع): «حذف».
(٤) في (ب، ع): «أول».
(٥) «الآيتين» أُثبِتت من (ب).
(٦) من قوله «في سورة المجادلة؛ لأنه..» إلى هنا سقط من (أ).
(٧) «سورة» ليست في (ب).
(٨) في (أ، ب، ع): «فاستغنى بـ﴿خَٰلِدِينَ﴾ عن ﴿أَبَدًا﴾»، والمثبت من (ك، د).
(٩) في (ب): «فإنما».
(١٠) في (ع): «مقابلته».
(١١) «فيها» ليست في (ع).
(١٢) زيادة يقتضيها السياق.
(١٣) قوله تعالى: ﴿خَٰلِدًا فِيهَا﴾ جزء من الآية [١٤] من سورة النساء، وهي: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾. وقوله: «﴿خَٰلِدًا فِيهَا﴾» سقط من (أ).
(١٤) أي: في الآيتين [١٣، ١٤] من سورة النساء.

إسلام ويب islamweb.net

وأمّا في سورة الحديد فلأنه[١] ذكر قبله: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الحديد: ١٢]، فلمّا طال الكلام في مدحهم وذكر بعد ﴿ذَٰلِكَ﴾ تأكيدًا بقول الله[٢] تعالى: ﴿هُوَ﴾، استغنى بقوله: ﴿خَٰلِدِينَ﴾ عن «أبدًا»[٣].

وهذا الجواب عن إدخال ﴿هُوَ﴾ بعد ﴿ذَٰلِكَ﴾؛ لأنه ذكر ذلك بدلًا وتأكيدًا عن «أبدًا»، وليس كذلك في المواضع الأُخَر[٤].

وأما إدخال الواو في قوله: ﴿وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ في سورة النساء [١٣]

---

(١) في (ب): «لأنه».

(٢) في (أ، ب، ك، ع): «بقوله»، والمثبت من (ر).

(٣) ذكر لنا المؤلف رحمه الله وجه حذف قوله تعالى: ﴿أَبَدًا﴾، ولم يذكر وجه ذكر ﴿أَبَدًا﴾ مع ﴿خَٰلِدِينَ﴾، وإليك ما قاله ابن الزبير في هذا الصدد في كتابه ملاك التأويل (١: ٣٣٨): «والجواب عن ذلك: استدعاء هذه المواضع الأربعة ذكر ذلك. أمّا آية المائدة وآية التوبة، فلِما بُنِيتا عليه من الإطناب بذكر الرضا والتأبيد. وأمّا آية الطلاق فوجه ذكر التأبيد فيها ما تكرَّر في هذه السورة من ذكر غايات أبْيَنُها قولُه تعالى: ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣]. فلمّا أشارت ـ أي: السورة ـ إلى غايات ونهايات، ناسب ذلك التعريف بأن خلود الجنة متأبِّد لا انقضاء له، ولم يجمع بينه وبين ذكر الرضا؛ أي: لم يجتمع لمن ذكر هنا ما اجتمع لأولئك الموصوفين في آية المائدة وآية براءة، ولم يبلغوا مبلغهم. وأمّا آية البينة فإنها كما تقدَّم ختام حال الفريقين فاقتضت الاستيفاء». اهـ بتصرف يسير.

(٤) يشير المؤلف رحمه الله إلى أن ضمير «هو» لم يدخل في قوله تعالى: ﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ بعد قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلا عند ورود ﴿خَٰلِدِينَ﴾ من غير ذكر ﴿أَبَدًا﴾ وذلك في الموضعين من القرآن الكريم، وهما الآية [٧٢] من سورة التوبة، والآية [١٢] من سورة الحديد.

إسلام ويب islamweb.net

المحذوفِ «أبدًا» عنه فلإدخال الواو في قرينه[١] الكافر: ﴿وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٤]، فأدخل الواو فيه؛ أي: وذلك لهم الفوز العظيم، وليس كذلك في المواضع الأُخَر. إذا قرأتَ ما قبلها وما بعدها تبيَّن لك ما قلتُ، فاعرفه.

انقضت سورة المائدة عن سبع آيات فيها ثماني مسائل[٢].

(١) في (د): «قرينة».

(٢) هذه الجملة أُثبِتت من (ح، خ، ر، س). وقد عددتُ المسائل المذكورة التي تناولها المؤلف في سورة المائدة ووجدتها عشر مسائل، منها مسألة واحدة في الآية الأولى، ومسألة في الثانية، ومسألة في الثالثة، ومسألتان في الرابعة، ومسألة في الخامسة، ومسألة في السادسة، وثلاث مسائل في السابعة، وبذلك يصبح عدد المسائل عشرًا، لا ثماني كما ذكر.

إسلام ويب
islamweb.net

إسلام ويب
islamweb.net

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ دولة قطر	٥
المقدمة	٧
أسباب اختياري لتحقيق هذا الكتاب	٩
خطة البحث	١٢
القسم الأول: قسم الدراسة	١٥
الفصل الأول: عصر الإمام أبي عبد الله الخطيب وحياته	١٧
المبحث الأول: عصر الإمام أبي عبد الله الخطيب	١٨
الحالة السياسية	١٨
الحالة الاجتماعية	١٩
الحالة العلمية	٢٠
المبحث الثاني: حياة الإمام أبي عبد الله الخطيب	٢٣
المطلب الأول: اسمه، نسبه، كنيته، لقبه، نسبته	٢٣
المطلب الثاني: مولده، نشأته، أسرته، طلبه للعلم، رحلاته، مذهبه، شيوخه، تلامذته	٢٤
مذهبه في العقيدة	٢٦
مذهبه الفقهي	٢٦
المطلب الثالث: مكانته العلمية، وثناء العلماء عليه	٢٨
المطلب الرابع: آثاره العلمية، ووفاته	٣١
الفصل الثاني: التعريف بعلم متشابه القرآن، ودراسة كتاب «درة التنزيل وغرة التأويل»	٣٦

إسلام ويب
islamweb.net

الموضوع	الصفحة
المبحث الأول: التعريف بعلم متشابه القرآن	٣٨
المطلب الأول: التعريف بالمتشابه لغة واصطلاحًا	٣٩
المطلب الثاني: التعريف بالمتشابه في القرآن الكريم	٤١
تعريف المتشابه اللفظي اصطلاحًا	٤٤
المطلب الثالث: موضوع علم المتشابه اللفظي في القرآن الكريم	٤٧
المطلب الرابع: نكتة هذا العلم، وحكمته، وأهميته، وفوائده	٥١
المطلب الخامس: نشأة علم المتشابه اللفظي في القرآن وتطوُّره وتدوينه	٥٣
المطلب السادس: التأليف في توجيه متشابه القرآن اللفظي	٥٨
المطلب السابع: الكتب المؤلَّفة في المتشابه اللفظي، وفي توجيهه	٦٠
أولًا: الكتب التي جمعت الآيات المتشابهات لفظًا	٦١
ثانيًا: الكتب المتخصصة في توجيه الآيات المتشابهة لفظًا	٦٦
المبحث الثاني: دراسة كتاب «درة التنزيل وغرة التأويل»	٧٤
المطلب الأول: تحقيق صحة اسم الكتاب	٧٥
معنى اسم الكتاب	٧٨
المطلب الثاني: تحقيق صحة نسبة الكتاب إلى المؤلف	٧٩
الاختلاف في نسبة الكتاب وأسبابه	٧٩
تحقيق نسبة الكتاب إلى الخطيب فقط	٨١
مناقشة بعض الآراء التي تنفي الكتاب عن الخطيب	٩٢
كتاب «درة التنزيل» ليس للراغب الأصفهاني	٩٣
مناقشة من ينسب الكتاب إلى الراغب	٩٧
مناقشة من نسب الكتاب إلى قِوَام السنة الأصفهاني	١٠٨
كتاب «درة التنزيل» ليس للفخر الرازي	١١١
المطلب الثالث: موضوع الكتاب	١١٢
المطلب الرابع: سبب تأليف الكتاب	١١٥
المطلب الخامس: منهج المؤلف في الكتاب	١١٦

إسلام ويب
islamweb.net

الموضوع	الصفحة

المطلب السادس: مصادر المؤلف في الكتاب ١٣٣
المطلب السابع: قيمة الكتاب العلمية، وأثره فيمن بعده ١٣٥
أثر الكتاب في اللاحقين عليه ١٣٧
المطلب الثامن: المآخذ على الكتاب ١٤٤
الفصل الثالث: وصف النسخ، ومنهج التحقيق ١٤٨
المبحث الأول: وصف النسخ ١٤٩
المطلب الأول: وصف النسخ المطبوعة ١٤٩
جداول لبعض الأخطاء التي وقعت في النسخة المطبوعة ١٥٣
جدول رقم (١): بعض الأخطاء التي وقعت في كتابة الآيات القرآنية ١٥٣
جدول رقم (٢): بعض الأخطاء التي وقعت بسبب تغيير وتحريف ... ١٥٤
جدول رقم (٣): بعض الأخطاء التي تُفسد المعنى بسبب السقط ١٥٥
المطلب الثاني: وصف النسخ المخطوطة ١٥٦
المبحث الثاني: منهج التحقيق ١٧٣
مفتاح رموز التحقيق ١٧٨
نماذج من صفحات المخطوطات المعتمدة في التحقيق ١٨١
القسم الثاني: النص المحقق ١٩٧
مقدمة المؤلف ١٩٩
سورة البقرة ٢٠٦
سورة آل عمران ٣١٤
سورة النساء ٣٥٥
سورة المائدة ٣٧٦
فهرس الموضوعات ٤٢١

إسلام ويب
islamweb.net

إسلام ويب
islamweb.net